الجزء الأول　　　　　　　　　　　　　　　　المجلد الخامس والسبعون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»



رمضان ١٤٢٠ هـ

كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م:

- ١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
- ١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
- ١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح، أو مطبوعة على الآلة الراقنة، أو مطبوعة على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الأول | المجلد الخامس والسبعون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



رمضان ١٤٢٠ هـ
كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠

لجنة المجلة

الدكتور شاكر الفحام
الدكتور محمد إحسان النص
الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة
الدكتور محمد بديع الكسم
الدكتور محمد زهير البابا
الأستاذ جورج صدقني

أمين المجلة
الأستاذ مأمون الصاغرجي

كُنّاش عيون النصوص
في كتاب «الفصوص»

الدكتور محمّد أحمد الدّالي

كان أبو العلاء(١) صاعدُ بنُ الحسن بن عيسى الرَّبَعِيُّ البغداديُّ (ت ٤١٠هـ، أو ٤١٧، أو ٤١٩) «عالماً باللغة والأدب والأخبار سريعَ الجواب حسنَ الشعر»(٢).

تلقى علومَه على كبار أئمة المائة الرابعة، ومنهم أبو سعيد السيرافيُّ(٣)، وأبو علي الفارسيُّ(٤)، وأبو الحسن علي بن عيسى الرُّمّانيُّ(٥)، وغيرهم. وروى في كتابه «الفصوص» عن أكثر من أربعين عالماً(٦).

وقف صاعد على أمّهات الكتب المؤلفة في فنون شتى من علوم العرب. ومنها ماهو بخط مؤلفه أو بخطٍّ جليلٍ من كبار العلماء؛ ونقل منها أشياءَ تقع في نحو ٤٠٠٠ ورقة. قال عقب مانقله من خط الأصمعي [٢/ ٢١٨]: «فهذا الذي صحَّ لي من الجزء الواحد من خط الأصمعي، ثم حيل بيني وبينه. ونقلت من خطه بعد ذلك شيئاً كثيراً........ وقد نقلت من خط الفراء وسيبويه والأخفش والمفضل بن سلمة وثعلب والمبرد وابن الأنباري وابن دريد وقطرب وابن السكيت..... وأبي الحسن المدائني، ومن

خط خالد بن كلثوم والأقرع ووراق عبد الله بن طاهر.......= أشياءَ تقع في نحو من أربعة آلاف ورقة رُزِئْتُها. ولو سلمتْ لأخرجتُ للناس بدائع لم تطرق سمعاً قط، وذلك عند ولايتي خزانة كتب الوزير أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف في أيام أبي شجاع فنّا خسروه، وذلك من سنة سبع وستين إلى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. وفي حفظي بحمد الله منها **عيونٌ وفصوصٌ** تسرع إلى الحفظ وتبقى مع الدهر، وسوف أتتبع حفظي عنها إن شاء الله...» اهـ

وكان قد قال في صدر كتابه [١/ ٣٢- ٣٤]: «... ولأنّي الوزير أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف- تغمد الله خطاياه- خزانة كتبه، فأصبتُ فيها خطوط العلماء وأصولَهم التي استأثروا بها لأنفسهم دون الناس، إذ لابد لكل عالم من أثيرة مجموعة لخاصّته غير مايذيعه للطلبة عنها. ووجدت في كتب الخلافة التي خرجت في نهب دار المقتدر بخط الأصمعي والفراء وأبي زيد وابن السكيت وابن الأعرابي وإسحق بن إبراهيم الموصلي وأبوي العباس المبرد وثعلب وغيرهم = عيوناً من علم العرب لم تُصَنَّفْ [في المطبوع: يصنف] في شيء من الكتب ضناً بها واختصاصاً بحسنها. فنقلتُ منها بخطي مُوفياً على ثلاثة آلاف ورقة. وحفظتُ أكثرَها اغتباطاً بها وإعجاباً ببديعتها. ورزئتُ كتبي في الحادثة التي نشأت بين الوزير وصاحب بغداد، فخرجت عنها...... ولم أضمّن كتابي إلا مانقلتُه من خط منسوب أو تلقَّيتُه من في عالم، فلم أسطِّره إلا في سُوَيْداء القلب حذارَ أن يزيغ عن الذِّكر....» اهـ

فعَوَّل في تصنيف «الفصوص» على ماحفظه من عيون مانقله من خطوط العلماء وأصولهم، وعلى ماتلقاه من أفواه شيوخه الذين تلقّى عليهم العلم. فجمع فيه فيما قال [١/ ٣٠]: «ماستطفَّ من نَخِيلة شعر وغَرِيبة خبر

وعَقِيلة كَلِم نَدَّت عن الكتب المتداولة كالكامل وغيره من كتب النوادر....».

احتوى **«الفصوص»**، فيما قاله محققه الفاضل الدكتور عبد الوهاب التازي سعود في مقدمة تحقيقه [١/١٤]: «مزيجاً من الأخبار والطرائف والأشعار والشروح والتفاسير، لايخضع توزيعها لمنهج ثابت». وبيَّن موضعه «بين كتب الأمالي والمجالس والأدب العام» [١/ ١٥]، وذكر [١/ ١٥–١٦] أنه «استطاع أن يرفع الوهم الذي غشى عيون جميع من نظر إلى صاعد سابقاً فاعتبره مُمَخْرِقاً كذاباً. والحق أن علم الرجل في الفصوص كشف عن معدن نفيس من علوم العرب...». وهو كما قال حفظه الله.

والكتاب معرض لِثقافة صاعد وغزارة حفظه وسعة روايته. وفصوصه ذات ألوان، فمنها ماكان في تفسير آيٍ من القرآن الكريم، أو بعض الأحاديث= ومنها ماكان في الشعر الذي يحفظه ويرويه ويحسن شرحه وفيه ماأصابه بخطوط الجلة من العلماء= ومنها ماكان شرحاً لمسائل من علم اللغة أو العربية= ومنها ماكان بسطاً لخبر أو لنسب= ومنها ماكان خالصاً لكلام جامع في بعض العلوم كعلم العروض.

واللغة هي الغالبة على صاعد، وقد استظهر فيما قاله في صدر كتابه [١/ ٣١– ٣٢] «كتب اللغة المتعاورة الأمهات الثلاث: الغريب المصنف، والإصلاح، والألفاظ، وكتب الأصمعي وأبي زيد وابن الأعرابي ودواوين العرب الجاهلية ومن بعدها...». وهو ذو معرفة بغيرها من فنون العلم، وكان ذا رواية ودراية. مكّنه بصره باللغة ومعاني الشعر أن يتنبه على مواضع سها فيها شيخه أبو علي الفارسي، وأبو علي أبو علي. قال صاعد [٢/ ٣٣٣–٣٣٤]: «... فوجدت في خط أبي علي رحمه الله ثمانية عشر سهواً في نوادر أبي زيد، منها في هذه القطعة واحد قبيح، وهو:

رَأَوْا صِبْيَةً ثاروا إليه بأَرْضِهِم كما هَرَّ كلبُ الدَّارِ بَيْنَ كَلِيبِ

وأبو علي أستاذنا، ولكن الحقّ لاهوادة فيه.... وإنما هو:

كما هَرَّ كلبَ الدارئين كليبُ

فيسلم من الإقواء ويصح المعنى، لأنه ذكر أنه لمّا تغرّب في غير قومه ثاروا إليه واستنكروه، فهرّوه كما هرّ الكلب على كلب غريب ليس من موضعه، والدارئون: الغرباء لأنه مأخوذ من قولهم: درأ علينا فلان: إذا هجم...».

وكانت تمرّ بي خلال قراءتي في الكتاب نصوصٌ نقلها صاعد عن خطوط الأئمة، وقصائد فرائد لشعراء ذوي دواوين لم تقع في دواوينهم، أو لشعراء لم ينته إلينا خبرُهم ولا شيءٌ من شعرهم، أو قصائد مطوّلة لايعرف منها إلا أُبَيَّات، ومنها عشر قصائد مختارة كتبها الأقرع ورّاق عبد الله بن طاهر في ثوب دَبِيقيّ(٧). يمر بي هذا ونحوه لا أقيّده. ولّما أُحوجتُ إلى مراجعة بعض مامرّ بي من ذلك لم أتهدّ إلى موضعه في الكتاب إلا بعد بذل الجهد ورجع البصر فيه كرّتين لتفرّقه ولأنه لايضبطه ضابط.

فرأيت أن أجمع ماكان من هذه البابة من «فصوص» الكتاب وعيونها ونوادرها، أذكره على حذف واختصار ليكون دليلاً وهادياً إلى نفائس هذا الباب من الكتاب، فهو كناش فيه ذكر عيون النصوص في كتاب الفصوص

وأما نصُّ «الفصوص» ومادته والجهد العظيم الذي بذله محققه الفاضل في تحقيقه، والتعليق عليه، وصنع فهارسه المفصلة(٨)، وما يعنّ للناظر فيه من رأي أو تعليق في مواضع منه= فكل أولئك جدير ببحث يفرد له، عسى أن أتفرغ له .

[١] خمس قصائد من العشر المختارة لعبد الله بن طاهر التي كتبها الأقرع ورَأَّقه في ثوب دَبِيقِيّ

١ – قال صاعد [١/ ٣٠٥] عقب إنشاده قصيدة طُفَيل الغنوي، وعِدَّةُ أبياتها ٣٣ بيتاً، ومطلعها:

أَشَاقَتْكَ أَظْعانٌ بجَفْرِ يَبَنْبَمِ   نَعَمْ بُكَراً مِثْلَ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ

قال: «نقلتُ هذه القصيدة من ثوب دبيقي بخط الأقرع كتبها إلى تسع قصائد مختارة لعبد الله بن طاهر، فكان الثوب يعلّق في حائط مجلسه، فيدرسها ليستظهرها وهو مستلقٍ على ظهره. وسأثبت الجميع في كتابنا هذا مشروحاً إن فسح الله تبارك اسمه في الأجل» اهـ. ووقع بعض أبيات القصيدة في بعض المصادر التي ذكرها المحقق. ولم أجد في الكتاب إلا خمس قصائد نصَّ على أنها من قصائد الثوب الدَّبيقي

٢ – وقال [٣/ ١٤٧– ١٥٤]: «هذه القصيدة إحدى العشر التي كتبها الأقرع لعبد الله بن طاهر في الثوب الدبيقي الذي كان يعلّق قدَّامه ليقرأها وهو مستلقٍ على ظهره فيستظهرها، وكانت منسوبة إلى السَّمْهَرِيّ، ونحن رويناها للقطاميّ عن غير واحد، وهي:

زُورا أُمَامَةَ طالَ ذا هِجْرَانا   وحَقِيقَةٌ هِيَ أَنْ تُزارَ أَوَانا»

فأورد ٥٧ بيتاً، وهي في ديوان القطامي وفيه بيت زائد على ماأورده.

٣ – وقال [٣/ ١٥٦– ١٦٢]: «ونقلت من خط الأقرع في الثوب من العشر المختارة لعبد الله بن طاهر لسَوَّار بن مُضَرَّب، كلابي جاهلي:

أَلَــمْ تَـرَنِـي وإِنْ أُنْبَـــأْتُ أَنِّـي طَوَيْتُ الكَشْحَ عَنِ طَلَبِ الغَوَانِي»

فأورد ٤٨ بيتاً، وهي أصمعيّة، وفي رواية بعض أبياتها اختلاف، وبعضها لم يقع في رواية الأصمعيات، ووقع فيها أبيات لجَحْدَر العُكْلِيّ، انظر كلام المحقق.

وقال أبو عبيد البكري في اللآلي ٦١٨: «وأنشد صاعد بن الحسن لسوّار بن المضرَّب الكلابي جاهلي– هكذا قال، وإنما هو سعدي من سعد بني تميم– قصيدةً أولها:

ألـيــس الله يـعـلــم أن قــلــبــي يحبـك أيها البـرق اليمانـي»اهـ

.فقال الشيخ الميمني رحمه الله في تعليقه على هذا الموضع من كلام البكري: «هما قولان، قال التبريزي ١/ ٦٥ [والمرزوقي ١٣٠]: من سعد تميم [وكذا في المؤتلف للآمدي ١٨٣]، وقال البرقي: من سعد كلاب، وكذا في الاختيارين رقم ٦ [ص ١٠٥] فهو إذاً سعديّ وكلابيّ أيضاً. وسوّار كان ممن فر من الحجاج. وقال المرزباني ٥٨ [ص ٣٠١. طبعة القدسي] العوّام بن المضرَّب وأخوه السوَّار بصريان إسلاميان. فتبين أنه ليس جاهلياً كما زعم صاعد»اهـ.

والبيت الذي أنشده البكري على أنه أول القصيدة التي أنشدها صاعد لسوّار– وهو قوله: أليس الله× اليماني– هو البيت الخامس والعشرون مما أنشده صاعد، وأول الشعر في رواية صاعد في الفصوص قوله المذكور: ألم تر × الغواني

وقد علق المحقق على هذا الموضع من الفصوص بقوله: «وسوار بن المضرب إسلامي عند أبي زيد في النوادر ٢٣١، وذكر المبرد في الكامل ٢/ ١٠٢، ٣/ ٣٦٧ أنه» كذا وقع الكلام ناقصاً وتمامه «أنه ممن هرب من الحجّاج».

٤ – وقال [٣/ ٢٤٠]: «ونقلتُ من خط الأُقرع في الثوب الذي كتب فيه لعبد الله بن طاهر لطَهْمان بن عمرو بن سَلَمة من بني [أبي] بكر بن كلاب:

سَقَى دارَ لَيْلَى بالرَّقَاشَيْنِ مُسْبِلٌ مُهِيبٌ بأعْناقِ الغَمام دَفُوقُ»

فأورد ٣٢ بيتاً ورد بعضها في بعض المصادر، ولم يحل المحقق على ديوان طهمان وروي بيتان منها للمجنون هما أول كلمة له في ديوانه، وتروى القصيدة للفأفاء بن حيان من بني عمرو بن كلاب، انظر سمط اللآلي ٤٧٣. وما جعلته بين حاصرتين سقط من المطبوعة.

٥ – وقال [٤/ ٢١٠]: «ونقلتُ من ثوب عبد الله بن طاهر بخط الأقرع للخَطِيم المُحْرِزيِّ:

وقَائلَةٍ يَوْماً وقَدْ جِئْتُ زَائراً رأَيْتُ الخَطِيمَ بَعْدَنا قد تَقَدَّدا»

فأورد ٦١ بيتاً ورد بعضها في بعض المصادر التي ذكرها المحقق.

[٢] قصائد من أشعار القبائل منها ماانفرد بروايته

٦ – قال [٢/ ٢٥١]: «ومن خط ثعلب في قَبِيل **ضَبَّة** لابن الحُدَادِيَّة:

حَلَّتْ رُمَيْلَةُ بالمُتَبَّعِ حَلَّةً أَيَّانَ إِذْ هِيَ نَاشِىءٌ أُمْلُودُ»

٣ أبيات، وقد أنشدها المؤلف فيما سلف [١/ ١٨٢] للعيَّار

٧ – وقال [١/ ١٨٩]: «ونقلت من خط عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني في أشعار بني **ضَبَّة** رواية أبي عمرو أبيه وتأليفه، لامرأة من بني ضبة:

وأيَّ فَـتًـى وَدَّعْـتُ يَـوْمَ طُـوَيْـلِـع عَـشِـيَّـةَ سَلَّمْـنـا عليـه وسَلَّـمـا»

٥ أبيات ورد بعضها في بعض المصادر التي ذكرها المحقق

٨ – وقال [٢/ ١٣٩]: «ونقلت من خط ابن سعدان في قَبيل **ضَبَّة** من كتب الخلافة:

إنَّ الـذين بـجَـعْـوٍ مِنْ عَـشِـيـرتِـنـا رُهْـنٌ لِدَوْسٍ بـيَـومٍ شَـرُّهُ بـادي»

بيتان .

٩ – وقال [٢/ ٢٤٤]: «نقلت من خط يعقوب بن السكيت في قبيل **طَيِّئ** لعامر بن جُوَيْن الطائي :

أَأَظْعَانُ سَـلْمَـى تِلْـكُمُ الْمُتَحَـمِّلَـهْ لِتَـصْـرِمَـنـي إذْ خُلَّـتِي مُـتَـدَلِّلَـهْ»

١٣ بيتاً، ذكر المحقق أنها له في الاختيارين. ثم قال صاعد [٢/ ٢٤٧]: «ثم رأيت هذه القصيدة بخط أبي عمرو الشيباني ينسبها إلى امرئ القيس». ولم ترد في أصول ديوانه، انظر كلام المحقق.

١٠ – وقال [١/ ١٦٧]: «قرأت على أبي سعيد السيرافي رحمه الله في قبيلة **الأزد** لامرأة من مَيْدَعان:

لَـوْ مَـيْـدَعَـانَ دَعَـا الـصَّـرِيخُ إِذَنْ بَـزَخَ الـقِـسِـيُّ شَـمَـائِـلٌ شُـعْـرُ»

٧ أبيات ذكر المحقق أن بيتاً منها في اللسان.

١١ – وقال [٢/ ١٠٥]: «نقلت من قبيل **أشْعَر وجُعْفِي** عن خط المفضل بن سَلَمة لمالك بن عامر الأشعري يذكر طول عمره :

عُـمِّـرْتُ حَـتَّـى مَـلِـلْـتُ الحَـيَـاةَ ومَـاتَ لِـدَاتِـي مِـنَ الأشْـعَـرِ»

٢٠ بيتاً.

١٢ – وقال [١/ ١٢١]: «وجدت في شعر مُرَادٍ وجُعْفِيّ بخط أبي

موسى الحامض:

أَفِي بارِقٍ يَعْتَادُ عَيْنَكَ مُومِضاً   كما طار في ذَيْلِ الظَّلَامِ حَرِيقُ»

٨ أبيات

١٣ – وقال [٥/ ٢٧٢] : «نقلت من خط أبي عمرو الشيباني في قبيل **نَهْد** لأبي ليلى خالد بن الصَّقْعَب بن عمرو بن سعد بن كعب بن زُوَيّ ابن مالك بن نهد، جاهلي قديم:

عَفَا من سُلَيْمَى لَعْلَعٌ فقُرَاقِرُ   وبالطَّفِّ منها مَنْزِلٌ ومَحَاضِرُ»

٤٢ بيتاً ذكر المحقق أن بيتاً منها وقع في كلمة لمعقّر بن حمار البارقي.

[٣] قصائد انفرد صاعد بروايتها أو برواية أكثرها مرتّبة على أسماء قائليها

١٤ – جامع بن مُرْخِية الكلابيّ

قال صاعد [٢/ ٤٠– ٤٣]: «قال جامعُ بن مُرخِيَةَ الكلابي– أنشدناه أبو الفتح المَراغيّ، قال: أنشدنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السُّكَّري، عن أبي زيد الأنصاري، عن المفضل الضبيّ– لجامع بن مُرْخِية الكلابيّ:

للهِ دَرُّ مَنَازِلٍ ومَنَازِلٍ   إِنَّا بُلِينَ بها ولا الأَحْوارِ»

٢٤ بيتاً، ذكر المحقق أن بعض أبياتها نسب إلى مؤرج السُّلَمي. وقال المحقق: «والألف محذوفة ضرورة من بلين والشاعر يقصد بلينا».

١٥ – ابن الدُّمَيْنَة

قال صاعد [١/ ٦٧– ٧٠]: «قرأت على أبي سعيد السِّيرافي قال ابن مِقْسَم: أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ لابن الدُّمَيْنة:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً وهَلْ أنا ناجٍ مَرَّةً مِنْ عَذَابِكِ»

٢١ بيتاً لم يرد منها في ديوانه إلا أبيات قليلة.

١٦ – ذَكْوان العِجْليّ

قال صاعد (٤/ ٦١]: «أنشد المفضَّل، رواه أبو زيد لذَكْوَان العِجْلِيّ:

أَلَمْ تَرَ أنَّ الحازِمِيَّةَ أَصْبَحَتْ جَوَازِئَ [في] نَفْخَاءَ مُثْرٍ تُرَابُها»

١٠ أبيات.

١٧ – شيبان بن ضابئ الكلابيّ

قال صاعد [٤/ ٦٢– ٦٤]: «وأنشد [المفضل] لشيبان بن ضابئ الكلابيّ، وكان ينزل اليمامة:

أَعْطَانِيَ الرَّحْمنُ من عَطَائِهِ»

وهي أرجوزة في ٣٠ بيتاً، ذكر المحقق أن بيتين منها وردا في النخلة. وما بين حاصرتين زدته للبيتان.

١٨ – عُبَيْد بن أيُّوب العَنْبَريّ

قال صاعد [٣/ ٦٧– ٧٢]: «وقرأت على أبي سعيد رحمه الله لعُبَيْد ابن أيوب العنبري هذا:

جَرَى ظَبْيٌ بِبَيْنِ الحَيِّ فَرْداً وفاتِخَةٌ ( ) خطوفُ»

٤٠ بيتاً لم ترد في مجموع شعره. وكان في المطبوع «وفاتخة» وهو خطأ. والفاختة ضرب من الحمام المطوَّق.

١٩ – كِنانة بن عبد ياليل.

قال صاعد [٢/ ١٥– ١٨]: «أنشد الأصمعي فيما روى لنا محمد بن

شاذان عن ابن دريد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه لكِنانةَ ابن عبد ياليل يمدح النعمان بن المنذر:

سَقَى مَنْزِلَيْ سُعْدَى بدَمْخٍ وذي حُسًا مِنَ الدَّلْوِ يَوْماً مُسْتَهِلٌّ ورائحُ»

٢٣ بيتاً ذكر المحقق أن الأبيات الثلاثة الأولى منها وردت في معجم البلدان.

٢٠ – المَعْلُوط

قال صاعد [١/ ٩٨– ١٠٠]: «أنشدني أبو الحسن علي بن حيدرة للمَعْلُوط، وبعضها لكُثَيِّر:

وَفَيْتُ ولَمْ أَغْدِرْ بكم وغَدَرْتُمُ وهَلْ يَسْتَوي ياعَزُّ وافٍ وغادِرُ»

١٤ بيتاً، ولم يرد منها شيء في ديوان كثير المطبوع. وكان في مطبوعة الفصوص «وقفت» وهو تحريف ظاهر.

٢١ – أبو النجم

قال صاعد [٢/ ٩٥– ٩٧]: «حدثنا أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي.....

قال: حدثنا ابن نقيش النحوي، عن أبي يوسف الأصبهاني، عن أبي حاتم السجستاني وأبي علي النضري وأبي محمد الباهلي، وكلهم عن الأصمعي، قال: حدثني العلاء بن أسلم عن أبي نُخَيْلة قال: قدمت الشام على هشام بن عبد الملك.... فدخلت على هشام وعنده أبو النجم وهو ينشد قصيدة يقول فيها:

نَزُورُ خَيْرَ الشِّيبِ والشُّبَّانِ»

فساقها، وهي ٥٢ بيتاً ذكر المحقق أن خمسة منها وردت في الأغاني

٢٢ – النعمان ذو الأنف الخَثْعَمِيّ

روى صاعد [١/ ٢٠٨– ٢٠٩] أرجوزة للنعمان ذي الأنف بن عبد الله ابن جابر الخثعمي، ومطلعها:

قُلْتُ لسَعْدٍ وابنِ أرْوَى وزُمَلْ

وهي ١٠ أبيات. والنعمان هو الذي قاد خيل خثعم إلى النبي ﷺ، وكان شجاعاً بئيساً..... في خبر ساقه بطوله [١/ ٢٠٧– ٢١٨]. وروى [١/ ٢١٦– ٢١٨] ١٣ بيتاً له مطلعها:

جَزَى اللهُ جَوَّاباً وعَمْراً ونائلاً جَزَاءَ الوَصُولِ المُنْعِمِ المُتَفَضِّلِ

ذكر المحقق أن أبا علي القالي رواها في أماليه عن شيخه ابن دريد بلا نسبة.

[٤] عيون وفصوص منقولة عن خطوط كبار أئمة العربية واللغة والأدب مرتَّبة على أسماء أصحابها

٢٣ – قال صاعد [٣/ ٢١٤]: «نقلت من خط **الأثرم** صاحب أبي عبيدة لأبي طلحة عبد الله بن عبد العزّى من بني عبد الدار، ثم رأيته أيضاً بخط **محمد بن حبيب**، فكانا سواءً:

أَهَاجَكَ مِنْ ذَوِي الشَّجَنِ البُكُورُ نَعَمْ إنَّ النَّوَى بِهِمُ طَحُورُ»

٤ أبيات

٢٤ – وقال [١/ ٢٥٩]: «ونقلت من خط **إسحق بن إبراهيم المَوْصِلِيّ**، قال يقول: ابرِ لي قداحاً ولا تأْشِبْها أي لاتكن من أشجار مختلفة...».

٢٥ – وقال [٢/ ٣– ٦]: «نقلت عن يد **الأصمعيّ** مما استأثره لنفسه هذه القصيدة، وهي لشِبْل بن الصامت المُزَني ثم العِمْراني:

تَـذَكَّـرَ سَـلْمَـى إنّـه لَـطَـرُوبُ   على حِينِ أنْ شَابَتْ وكاد يَشِيبُ»

٢٦ بيتاً .

٢٦ – وقال [٤/ ١٥٢– ١٥٩]: «وهذه قصيدة النَّظَّار الفَقْعَسِيّ التي نقلتها عن يد الأصمعي، ووعدتك بها في وسط الديوان [٢/ ٢٠٩] وبشرحها. قال: أنشدني عيسى بن عمر للنَّظَّار بن هاشم الفَقْعَسِيّ، وليس للعرب على وزنها وقافيتها [وجودتها] قصيدة

كـأنَّـنِـي فَـوْقَ أَقَبَّ سَـهْـوَقٍ   جَأْبٍ إذا عَشَّرَ، صاتِ الإرنانْ»

٥٢ بيتاً خرجها المحقق، ومن الموضع السالف في الكتاب [٢/ ٢٠٩] زدت ماجعلته بين حاصرتين. وقال المحقق: وزن القصيدة مولَّد، فالصدر من الرجز، والعجز من السريع الموقوف».

ونقل صاعد [٢/ ٢٠٧– ٢١٧] أشياء أخرى بخط الأصمعي

٢٧ – وقال [٣/ ٣٢٨]: «وكتبتُ من خط **الأصمعي**: قال عيسى بن عمر: سمعت رُوَيْشداً الطائي يقول: مافي الباداة والقاراة مثلُه، يريد مافي البادية والقارية». وكان في المطبوعة «والغاراة.. والغارية» وهو تصحيف، والقارية: الحاضرة الجامعة، انظر اللسان (ق ر ي) .

٢٨ – وقال [٢/ ٢٠٥] عقب أربعة أبيات لوديعة بن ذرة، وهو جاهلي قديم:

لَقَدْ قِيلَ من طُولِ اعْتِلاَلِكَ بالقَذَى أجِدُّكَ لاتَلْقَى لِعَيْنَيْكَ قاذيا

الأبيات، قال صاعد: «نقلت هذه القطعة من خط **الأصمعي**» ثم قال [٢/ ٢٠٦]: «نقلت بعده لزاد الركب:

تَمُتُّ إلى الأقْصَى بثَدْيكَ كُلِّهِ وأنْتَ على الأدْنَى صَرُومٌ مُجَدِّدُ»

٣ أبيات، ثم نقل عنه [٢/ ٢٠٧– ٢٠٨] ٧ أبيات للمُضَرِّب، جاهلي:

نَظَرْتُ بأعْلَى سَيْلِ جُوسَيْنِ نَظْرَةً وشَمْسُ الضُّحى يَجْري على الأرْضِ آلُها

٢٩ – وقال [٢/ ٣٣٠]: «نقلت عن خط **الأصمعي**، ثم وجدته بعد ذلك بخط **إسحق بن إبراهيم الموصلي** لمحبوب بن العَشَنَّط النَّهْشَلِيّ:

لَرَوْضَةٌ مِنْ رياضِ الحَزْنِ أو طَرَفٌ مِنَ القُرَيَّةِ جَرْدٌ غَيْرُ مَحْرُوثِ

٦ أبيات خرجها المحقق.

ثم نقل [٢/ ٣٣١] من خط **الأصمعي** ٤ أبيات لأبي العَمَرَّط العُقَيْلي [في المطبوع: العقلي]

عَجِبْتُ لعَطّارٍ أتانا يَسُومُنا بَدَسْكَرَةِ الفَيُّوم دُهْنَ البَنَفْسَجِ

٣٠ – وقال [٣/ ٩٨]: «ونقلت من خط **الأصمعي**: أنشدني عيسى ابن عمر لقيس بن الحدادية:

قَضَيْتَ القَضَاءَ مِنْ قَسِيمَةَ فاذْهَبِ وجانَبْتَها يالَيْتَ أنْ لم تَجَنَّبِ

٧ أبيات خرَّجها المحقق.

٣١ – وقال [٣/ ٢٥٩]: «نقلت من خط **الأصمعي**: أنشدني عيسى ابن عمر إملاء منه لعُبَيْد:

أرَاني وذئبَ القَفْرِ خِدْنَيْنِ بَعْدَما بَدَأنا كِلانا يَشْمَئِزُّ ويَذْعَرُ»

٢٠ بيتاً خرّج المحقق بعضها، لعبيد بن أيوب العنبريّ.

٣٢ – وقال [٢/ ٣٦٢– ٣٦٨]: «نقلت من خط **البحتري** قصيدة الأقرع بن معاذ القُشَيْريّ:

أَلاَ حَبَّذا رِيحُ الغَضَا حِينَ زَعْزَعَتْ بِقُضْبَانِهِ بَعْدَ الظِّلالِ جَنُوبُ»

٢٥ بيتاً خرّجها المحقق من ديوانه وهي فيه موزعة في أربع قطع متفرقة. وانظر مايأتي بخط البحتري برقم ٤٢ .

٣٣ – وقال [٤/ ٢٩٧– ٢٩٨]: «ونقلت من خط **ثعلب** لقيس بن زهير بن جَذِيمة العبسي :

قُومِي بُهَيْسُ فَنَبِّهِي لي عُوَّدِي وإِخالُ شاهِدَكم كَمَنْ لَمْ يَشْهَدِ»

٩ أبيات. ثم نقل [٣/ ٣٠٠] من خط ثعلب تفسير قصيدة جندل بن أحمر السعدي، انظر مايأتي بخط ابن المعتز برقم ٥٣.

ونقل من خطه أيضاً [٢/ ٢٥٢– ٢٦١] قصيدة أسماء بن خارجة الفزاري:

إِنِّي لَسَائِلُ كُلِّ ذي طِبٍّ ماذا دواءُ صَبَابَةِ الصَّبِّ

٣٧ بيتاً، وهي أصمعية .

٣٤ – وقال [٢/ ٢٤٠– ٢٤٤]: «نقلت من خط **الطُّوسِيّ أبي الحسن**، ومن أصله، قال أبو عمرو الشيباني: خرج الشماخ في رَكْب، فقيل له: شماخُ، سُقْ بنا وانزل وارجز، فنزل يسوق بالقوم وهو يقول:

لَم يَبْقَ إِلاّ مَنْطِقٌ وأَطْرَافْ

......» إلى آخر الخبر. والأبيات في ديوانه.

٣٥ – وقال [٣/ ٦١– ٦٢]: «نقلت من خط **أبي الحسن المدائني** في

قراطيس مصرية: .كان عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة من أهل الفقه والحديث والنسبْ وأيام العرب وأشعارها– وهلك ببغداد في أيام هارون الرشيد، وله أشعار لم يقع إلي منها إلا.....». ثم نقل من خطه [٣/ ٦٣– ٦٤] أشياءَ أخر.

٣٦ – وقال [٥/ ١٦٤]: «رأيت بخط **ابن دريد** هذه الأبيات، وهي لزهير بن مسعود:

يا أُمَّ عَمرٍو لاتَجُدِّي حَبْلَنا وكَيْفَ تَصرِمِينَ حَبْلَ مَنْ يَصِلْ»

٤ أبيات، وفي نسبتها اختلاف ذكره المحقق. وكان في المطبوعة: لزهر.

٣٧ – وقال [٣/ ٢٧٣– ٢٨٩]: «قد كنت ضمنتُ لك– أيدك الله– أن أنقل ماظفرتُ به من الخطوط المنسوبة. فوجدت بخط **أبي رؤبة محمد ابن علي بن نصر**– وهو من كبار العلماء بالنسب، وأخذ عن ابن عَبْدة [؟] صاحب الأنساب– فنقلت ماوقع إلي من خطه في النسب.....».

٣٨ – وقال [٤/ ٢٢٦]: «نقلت من خط **أبي زيد** سعيد بن أوس الأنصاري زائداً على الثلث من نوادره التي أول الكتاب: أنشدني المفضل لضَمْرة بن ضمرة. ويُعرف الكتاب بضمرة. وكتاب المسائية مفرد عن النوادر، ثم ضُمّ إلى ضمرة بعد ذلك، ووقع آخر الكتاب...».

ثم نقل [٤/ ٢٢٦– ٢٣٣] أشعاراً للفِنْد الزِّمَّانِيّ.

٣٩ – وقال [٤/ ٢٥٨– ٢٦٤]: «وهذا مانقلت من خط أبي زيد في اللبأ واللبن...... تَمَّ الكتاب الذي نقلته عن خط **أبي زيد** في اللبأ واللبن».

٤٠ – وقال [٤/ ٢٧٩– ٢٩٧]: «ونقلت من **خط أبي** زيد في قَبِيل مُزَيْنة قال لي المفضل الضبي: وَلَدَ أُدُّ بن طابخة.....».

٤١ – وقال [٢/ ٣٥٠]: «ونقلت من خطه [خط شيخه أبي سعيد السيرافي]: أغار جعفر بن عُلْبة الحارثي على معاذ الأعشى العقيلي، وكان أغار عليهم قبل ذلك ثم تحزَّب:

لهم صَدْرُ سيفي يومَ بُرْقَةِ مِسْحَلٍ.....»

وذكر صاعد أن رواية أبي تمام في الحماسة:

...............برقَـة سَحْـبَـل ولي منه ماضُمَّت عليه الأناملُ

٤٢ – وقال [٤/ ٢٤٨]: «ووجدت بخط **سلَمة** صاحب الفراء، ثم وجدت بخط **البحتري**، لبعض العرب، ولم يذكروا قائله:

أغَـرَّكـم أنِّي بأحْـسَنِ شِيـمـةٍ خَلِيقٌ وأني بالفواحشِ أخْرَقُ

بيتان.

٤٣ – وقال [٣/ ١٨٦]: «ونقلت من خط **سيبويه** للُقَيْم بن لقمان الحكيم:

ألاَ حَـيِّ ابنـةَ الجَـدَلِيِّ هِـرّاً وناعِمْـها صَـباحَكَ والمَقَـرّا»

٤ أبيات.

٤٤ – وقال [٤/ ٦٥]: «قال أنشدني أبو عبد الله الفزاري، قال: أنشدني المازني، قال: أنشدني الأخفش أبو الحسن، قال: أنشدني سيبويه، قال: أنشدني الخليل بن أحمد لنفسه، ثم وجدت هذه الأبيات على ظهر كتاب قديم بخط **سيبويه**: أنشدني الخليل لنفسه–:

تَرَفَّعَتْ عَنْ نَدَى الأعْماقِ وانْحَدَرَتْ عَنِ المَعَاطِشِ واسْتَغْنَتْ بِمَسْقاها»

٤ أبيات خرّجها المحقق.

٤٥ – وقال [٢/ ٣٣٣– ٣٣٤]: «..... فوجدت في خط أبي علي

[الفارسي شيخه] رحمه الله ثمانية عشر سهواً في نوادر أبي زيد، منها.......».

٤٦ – وقال [٣/ ٣١٧]: «ووجدت بخط **أبي عمرو الشيباني** قصيدة لأبي النجم على غير أوزان الرجز، ولم يقل في غير وزن الرجز غيرها، وهي من غُرّ الكلام، ولم تأت في ديوانه، لأنه راجز، وهذه الكلمة من البسيط:

قالت بَجِيلَةُ إذْ قَرَّبْتُ مُرتَحَلاً   يارَبِّ جَنِّبْ أبي الأوْصابَ والعَطَبا»

٦٩ بيتاً. وذكر المحقق أن لأبي النجم همزية على الكامل ويائية عليه، وغير ذلك.

٤٧ – وقال [٣/ ٢٦٤– ٢٦٨]: «وقرأ علينا أبو سعيد– رحمه الله– ثم وجدته بخط **الفرّاء** ونقلته، فكان رواية أبي سعيد كما كتبه الفراء بخطه. وقال الفراء: أنشدنيها أبو العَذَوَّر النَّهْدي عند المأمون. وقال أبو سعيد: أنشدناها أبو إسحق الزجاج عن ثعلب عن الأثرم عن أبي عبيدة لعُبَيْد:

كأنْ لَمْ أقُلْ سبحانَكَ اللهُ فِتْيةً   لِتَدْفَعَ ضَيْماً أو لِوَصْلٍ تُواصِلُهْ»

٣١ بيتاً لعبيد بن أيوب العنبري خرّجها المحقق.

٤٨ – وقال [٥/ ٨٣]: «نقلت من خط **المازنيّ**: قال الحُوَيْدِرة:

قِفُوا حَمَراتِ الجَهْلِ لايُورِدَنَّكُم   حِيَاضُ غُنَيْمٍ غِبَّ ظاهِرَةٍ تُغْضِي»

بيت لم يرد في ديوانه.

٤٩ – وقال [٤/ ١٣]: «أنشد المرزباني، قال: أنشدني الأخفش عن ثعلب عن الأثرم عن أبي عبيدة، ووجدته أيضاً بخط **المبرّد**:

أُمَّ نُهَيْكٍ ارفَعِي الظَّنَّ صاعِداً   ولا تَيْأَسِي أنْ يُثْرِيَ الدَّهْرَ بائسُ»

٨ أبيات. وذكر المحقق أنها تروى لنهيك بن إساف، ولعبد الله بن

نهيك، ولعبد الله بن أبي معقل .

٥٠ – وقال [٥/ ١٦٥– ٢٢١]: «وجدت بخط **المبرِّد** من هذا الفن [يريد علم القوافي] كتاباً نقله عن **خط المازني**، وفيه من أسرار علم القوافي مالم يتضمنه كتاب على وجهه....» وقال في آخره [٥/ ٢٢١]: «تَمَّ الكتاب. هذا مانقلته من خط المبرد، وكتبه هو من خط المازني، وكان يلقب بسَهْكَل، ويلقب المبرد حابان، وثعلب عَوْهَم».

قال المحقق: لم أجد هذه الألقاب في تراجم المازني والمبرد وثعلب.

٥١ – وقال [٢/ ٣٣٥]: «نقلت من خط **أبي محمد اليزيدي** في كتاب خطَّه لهارون الرشيد: أَسْنَتَتْ بلاد خفاجة، وكان دُلَمُ بن مِسْمَع كثير المال، فأساف الأَزْل مالَه.... فأنشأ يقول :

قالَتْ أُنَيْسَةُ بِعْ تِلادَكَ والْتَمِسْ   داراً بيَثْرِبَ ربَّةِ الآجامِ»

٨ أبيات، خرَّجها المحقق وذكر أنها تروى لجبيهاء الأشجعي.

٥٢ – وقال [٣/ ٩٩]: «ونقلت من خط **ابن المعتز**، وذكر أنه نقله من خط الفراء:

أَلاَ حَيِّ لَيْلَى قَدْ أَجَدَّ بُكُورُها   وعَرِّضْ بقَوْلٍ هل يُفَادَى أَسِيرُها»

١٥ بيتاً في نسبتها خلاف ذكره المحقق .

٥٣ – وقال [٣/ ٢٩٠]: «ووجدت في الكتب التي نقلتها من خزانة القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي– رحمه الله– إلى خزانة الوزير كتاباً بخط **ابن المعتز** كتبه إلى أبي العباس ثعلب....»

وجاء في كتاب ابن المعتز [٣/ ٢٩٢]: «وإني ذكرتُ البارحة بعد جُؤْشُوش من الليل كتباً بَعُدَ عهدي بدرسها وتقليبها، فأمرت بإحضارها، فصادفت فيها بخط **أبي عبيدة** قصيدة لم يذكر قائلها ولم يشرحها.... والقصيدة :

إنَّـا لَـجُـهَّـالٌ مِـنَ الجُـهَّـالِ»

فساقها وهي ١٣٣ بيت. وقوله «بعد جؤشوش من الليل» معناه: بعد مضيّ صدره أو قطعة منه.

ثم قال صاعد [٣/ ٣٠٠]: «ثم وجدت بعد ذلك **بخط ثعلب** تفسير القصيدة، فنقلته وأضفته إلى مانقلته من خط ابن المعتز....» فنقله [٣/ ٣٠٠-٣١٧]. ثم قال [٣/ ٣١٧]: «والقصيدة لجندل بن أحمر السعدي على مارواه أبو عمرو الشيباني، [و] رواها قوم لأبي النجم، والصحيح لجندل».

وذكر المحقق أنَّ أبياتاً منها رويت لأبي النجم

٥٤ – وقال [٢/ ٣٤١]: «نقلت من خط **المفضل بن سلمة** عن الفراء، قال: دخل الشماخ بن ضرار المدينة يمتار لأهله.....» فساق خبره مع عرابة الأوسي.

ونقل [٢/ ٣٤٢] من خطه أيضاً خبر الأعشى في المنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة .

٥٥ – وقال [٥/ ٣٧]: «نقلت من خط **ابن مقلة** عن خط ابن السكيت:

هذا النَّهارُ بدا لها من هَمِّها ... مابالُها باللَّيْلِ زالَ زَوالُها

النهار رفع عن أبي عبيدة وابن الأعرابي، وكان في خط ابن مقلة عن ابن السكيت النصب....»

والبيت للأعشى، وأحال المحقق على ديوانه .

تمَّ الكنّاش، والحمد لله رب العالمين

الحواشي

(١) ترجمته في معجم الأدباء (تحقيق د. إحسان عباس) ١٤٣٩ برقم ٥٩٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٨٨، وإنباه الرواة ٢/ ٨٥، وإشارة التعيين ١٤٦، والأعلام ٣/ ١٨٦، وغيرها.

وكتابه «الفصوص» حققه الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، وهو من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية ١٩٩٣– ١٩٩٦. وللمحقق الفاضل دراسة هي «صاعد البغدادي حياته وآثاره» لم أقف عليها.

(٢) قاله ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/ ٤٨٨ .

(٣) روى عنه في الفصوص ١/ ٦٧، ٧٠، ٨٦، ١٠٩، ١٥٧، ١٩٠ و ٢/ ١١١، ٣١٢، ٣٣٦، ٣٤٨ و ٣/ ٣، ٦٧، ٧٥، ١٠٦، ٢٢٠، ٢٥٧، ٢٦٤ و ٤/ ٧٦، ١٢٣، ١٣٦، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٦٥ و ٥/ ٦– ٧، ٢٣، ٢٦، ٤٣، ٤٥، ١٦١، ٢٢٢، ٢٤٥، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٩٣، ٢٩٨.

(٤) روى عنه في الفصوص ١/ ٥٢، ٥٦، ٨٧، ١٣٠، ١٩٥ و ٢/ ١٥٢، ٢٦٢– ٣٠٠ و ٣/ ١٢٩، ٢١١، ٢٥٤ و ٤/ ١١، ١٣٩، ١٧١ و ٥/ ٢١، ٢٧، ٢٨، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٨٨.

(٥) روى عنه في الفصوص ٢/ ٩٤، ٣٥٥ و ٣/ ١١١ و ٤/ ٢٦٤.

(٦) من **شيوخه** الذين روى عنهم في الفصوص إلى من ذكرنا: **أبو الحسن علي بن مهدي الفارسي** [١/ ١٩٧، ١٩٩ و ٢/ ١٥٤، ٢٠٣ و ٣/ ٢٢١ و ٤/ ٢٤، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣ و ٥/ ٩، ٧١، ٢٦٢، ٢٦٦]، **وأبو بكر محمد بن شاذان** [١/ ٧٥، ١٢٦، ١٨٨ و ٢/ ١٥ و ٣/ ٨٧ و ٤/ ٣٨، ٢٧٤ و ٥/ ٢١، ٢٥١، ٢٩٠– ٢٩٢]، **وأبو الحسن علي بن المرزبان الخبري** [٣/ ١٠١، ١٩٢، ١٩٧ و ٤/ ١٣، ١٧، ١٤٠ و ٥/ ١٠، ١٥]، **وأبو الفتح المراغي** [٢/ ٤٠، ٣٤٤]، **وأبو الفرج الأصبهاني** [٣/ ١٩١]، **والخالديان**: أبو عثمان سعيد [٢/ ٣٠٩ و ٣/ ٢٢٥] وأبو بكر محمد [٢/ ٣٦١]، **وأبو الحسن السُّمَيْساطي** [علي بن محمد العدوي **الشمشاطي**] [٣/ ٢٣٨]، **وأبو القاسم الآمدي** [٢/ ٣٣٩]، وغيرهم. ولولا خشية الإطالة لذكرتهم جميعاً.

(٧) الدبيقي نسبة إلى دَبِيق، وهي بُلَيدة كانت بين الفرما وتنّيس من أعمال مصر، والثوب

الديبقي من دِقّ الثياب، انظر معجم البلدان (دبيق) ٢/ ٤٣٨، واللسان (د ب ق) .

(٨) تفضل المحقق الفاضل فأهدى إلي نسخة من الفهارس، ومَنَّ عليّ أستاذنا العلامة الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق باحتمالها من يد المحقق، فتسلمتها شاكراً لهما فضلهما، وذلك خلال حزيران ١٩٩٨، وكنت قد فرغت من قراءة أجزاء الكتاب الخمسة وإعداد هذه المقالة .

تدريس العلوم الرياضية والطبيعيّة بالزيتونة والخلدونيّة

الأستاذ الدكتور محمّد السويسي

كان لتونس والمغرب الإسلاميين تقاليد عريقة في ميدان العلم والتربية والتعليم، فمنذ سنة (51 هـ / 671م) كان جامع عقبة بالقيروان كعبة العلم ومحطّ رحال طلبة المغرب. واستمرّ هذا المعهد في عمله التّثقيفي حتّى سنة (555 هـ/ 1160 م) حيث انتقل مركز التّعليم الرّسمي إلى جامع الزيتونة بعاصمة تونس.

وأمّا المغرب فكان في نهاية القرن الأوّل للهجرة متأثّراً إلى أبعد حدّ بالثقافة الأندلسيّة لقرب الشقّة منها؛ على أنّ فريضة الحجّ كانت تدعو المغاربة إلى زيارة البقاع المقدّسة مروراً بعواصم العلم بالمغرب والمشرق... فرحلوا إلى القيروان رحلة علميّة، وكرعوا من حياض العلم بها قبل العودة إلى أوطانهم.

وفي سنة (255 هـ/ 868 م) أسّست فاطمة أمّ البنين القيروانية جامع القرويين بفاس، فبلغ أوج رقيّه العلمي على عهد المرينيين (614- 876هـ /1217- 1471م).

وإذا نظرنا إلى ميدان التأليف فقد ألّف سحنون «مدوّنته» الفقهيّة،

وألّف محمد بن سحنون، وأبو الحسن علي بن خلف القابسي، كتابي «آداب المعلّمين»(1)، و «الرّسالة المفصّلة لأحوال المعلمين وأحكام التعليم»(2). وألّف أحمد بن الجزّار «زاد المسافر»(3)، وسائر تصانيفه الطبية، ومنها «سياسة الصبيان وتدبيرهم». وجمع عبد الله بن أبي زيد القيرواني مذهب مالك، وشرح أقواله، فصنّف كتابه «الرسالة» الذي صار مرجع طلبة المغرب في الفقه، وكان المساعد الأقوى على إرساء المالكية بالمغرب والأندلس.

ثمّ استقلّ الزّيريون بتونس (361 – 555هـ/ 971– 1160م) والمرابطون بالمغرب الأقصى (ق 4 هـ).

وانفردت فاس بعلومها الدّينيّة عن القيروان وقرطبة. وتخصّصت مرّاكش بعلومها الطبيّة والرّياضيّة والطبيعيّة والفلسفيّة. وأولى الأمراء رعايتهم للعلم وأهله، شأن مايشاهد بتونس في بلاط المعزّ الصنهاجي، وبمرّاكش في بلاط يوسف بن تاشفين وابنه عليّ، وعبد المؤمن بن علي، ثمّ يعقوب بن عبد الحقّ: «وقد كان لهم في الاهتمام بالعلم والجهاد، وتشييد المدارس واختطاط الزّوايا والرّبط..، ثمّ مخالطة أهل العلم، وترفيع مكانهم في مجالسهم، ومفاوضتهم في الاقتداء بالشريعة، ماشهدت لهم به آثار خلّفوها بعدهم ...»(4).

وفي القرن السّابع الهجري (سنة 621 هـ / 1224م) ينوّه عبد الواحد

---

(1) نشر. ح. ح. عبد الوهاب، تونس 1348 هـ.

(2) ط. القاهرة 1968 م.

(3) نشرت المقالات الثلاث الأولى بمناسبة ألفية ابن الجزّار، تونس ؛ والبقية بذمة بيت الحكمة بقرطاج.

(4) ابن خلدون: كتاب العبر، ج 6 ، ص 105.

المرّاكشي، صاحب كتاب: «المعجب في تلخيص أعمال المغرب» بما كان لمدينة فاس من شأن، فكانت في وقته «موضع العلم من المغرب، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة...» وهو مازال «يسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب...».

وفي هذا العصر بالذّات انطلقت المدرسة الرياضية المغاربية، وكان شيخ شيوخها أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجّاج الأدريني، المعروف بابن الياسمين، المتوفى بمرّاكش سنة (601 هـ / 1204م)، وعنه أخذ أهل المغرب الحساب والجبر والمقابلة، وحذوا حذوه، فألّفوا من التآليف ماشابه تآليفه أو أوضحها وفسّرها، واستشهدوا بشواهده واعتمدوا عليها .

وإذا نحن ذكرنا ماكان من موقف الشرق حين وصله كتاب: «العقد الفريد» لابن عبد ربّه فصرّح مستكبراً: «بضاعتنا ردّت إلينا» فنحن نجده في الميدان العلمي لايتحرّج عن الأخذ عن علماء المغرب، خاصّة في الرياضيات، ولم يأنف من التتلمذ لهم ودرس مؤلفاتهم وشرحها ونشر أصولها وفروعها.

فمن أهمّ الشروح على الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة نجد:

– شرح شهاب الدين أحمد بن محمد بن الهائم (المتوفى سنة 815 هـ/ 1423م) بالقدس، وقد حرّر شرحه بمكة المكرّمة سنة (789 / 1396م).

– وشرح ولي الدين بن زين الدين العراقي (ت . 826/ 1423).

– وشرح بدر الدين محمد بن علي سبط المارديني (ت . 907 / 1501) وسمّي التعليق باسم «اللمعة المارديني في شرح الياسمينية» .

– وشرح مصطفى الحنفي الظافر بعنوان «الهبات السّنية على الأرجوزة الياسمينية».

ولكن ألمع شخصية علميّة في هذا العصر، من أحرز قصب السّبق في مضمار الرياضيات، معلّم الجيل بلا منازع، هو أبو العبّاس أحمد بن عثمان

الأزدي المعروف بابن البنّاء المولود بمراكش سنة (654 هـ / 1256م) ، ولقد عاشرته مايربو عن ثلاثين سنة، فحققت كتابه «تلخيص أعمال الحساب»، وعلّقت عليه ونقلته إلى الفرنسية. كما أبرزت طرائف مكتشفاته في فنون الحساب التي احتوى عليها كتابه «رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب»... وتتلمذ على ابن البنّاء أجلّ العلماء بالمغرب في القرن الثامن الهجري، وكان في المنزلة الأولى منهم أبو عبد الله الآبلي، شيخ المقّري، وابن خلدون، وابن عرفة في الرياضيات... كما تتلمذ عليه ابنا الإمام، وهما على ماذكره المقّري، أبو زيد عبد الرحمان، وأبو موسى عيسى، وقد تنقلا في شبابهما إلى تونس، وأخذا عن ابن جماعة وابن العطّار ...

واعتنى تلامذة ابن البنّاء بطريقة شيخهم، ونشروا تعاليمه، وازدهرت مدرسته، فأقبل العلماء طوال القرون المتوالية على شرح مؤلفاته، وتوضيح العديد من نظرياته. ومن هؤلاء الشرّاح :

– أبو الحسن علي بن عبد الله، ابن هيدور، وهو العالم بالفرائض والحساب، وله شرح على تلخيص ابن البناء وتعليقات على رفع الحجاب (توفي 816 هـ/ 1413م) .

– وأحمد بن رجب بن تنبغا المعروف بابن مجدي (ت 850 هـ/ 1446م)، ولنا منه شرح على التلخيص سمّاه حاوي اللّباب في الحساب.

– وشهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد... ابن الهائم الشافعي المصري (ولد بالقاهرة سنة 756هـ/ 1355م) ثمّ استقرّ ببيت المقدس، وكان عالما بالفرائض والحساب، وعُرف بالفرضي، ومن رسائله: الوسيلة في الحساب، والمعونة في حساب الهواء، وشرح على النزهة في الحساب بقلم الغبار، والمغني في الجبر والمقابلة.

– وأبو عبد الله محمد بن مرزوق، المعروف بالحفيد، من أسرة علم بتلمسان، وله أرجوزة على تلخيص ابن البنّاء (ت. 842هـ/ 1438م).

– وأبو الحسن علي بن محمد... القلصادي القرشي البسطي، وقد أخذ بتونس عن ابن عقاب، وحلولو، وأبي العبّاس القلشاني، ونزح إلى إفريقية حيث توفي بباجة سنة (891هـ/ 1486م)، «وهو آخر العلماء المنتجين من علماء الأندلس». شرح عمل ابن البناء في الحساب، وأضاف إليه عدة إضافات ذات بال، خاصّة في نظرية الكسور، وفي إيجاد الأعداد الناقصة والزائدة والمتحابّة، وفي تطبيق الكسور على مسائل الفرائض، وله شرحان للتلخيص، وتبصرة المبتدي بالقلم الهندي، وكشف الأستار عن علم حروف الغبار، وكشف الجلباب عن علم الحساب .

وفي القرن ذاته جلب أبو زكرياء الحفصي إلى تونس علماء من الأندلس منهم ابن الأبّار (ت. 658هـ/ 1259م) وابن عصفور (ت. 669هـ/ 1270م) وحازم القرطاجني (ت. 684هـ/ 1285م) وابن الغمّاز (ت. 693هـ/ 1293م) . وبنى أبو زكرياء الجامع بالقصبة سنة (629هـ/ 1239م)، وجمع من الكتب ستة وثلاثين ألف مجلّد(5)، كما بنى المدرسة التي بطرف سوق الشمّاعين.

وأمرت (السيدة) عطفُ، أمّ المستنصر بالله، ببناء جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية، المعروفة أيضاً باسم مدرسة جامع الهواء بين (647–655هـ/ 1260– 1252م) قبالة الشيخ عبد الله الزليجي(6)؛ وهي التي عادت اليوم– والعود أحمد– إلى حظيرة جامعة الزيتونة.

---

(5) المؤنس ص 136 .

(6) المؤنس ص 120. .

واستمرّ الأمر كذلك في القرنين الثامن والتاسع، فأمر الأمير أبو فارس عبد العزيز الحفصي بعمل بيت الكتب، المشتملة على أمّهات الدّواوين، وجعل لها مقصورة بمجنّبة الهلال، جوفي جامع الزيتونة. وهبط إليها جميع ماعنده من الكتب (سنة 822هـ/ 1419م)[5].

إلاّ أنّه لابدّ لكلّ زمن من جولة، ولكلّ أمّة من دولة، فما فتئت الاضطرابات السياسيّة متوالية، فخُشي على مظاهر الحضارة والثقافة أن تتلاشى، وشرع كلٌّ في ميدانه يدوّن ما وصلت إليه المعرفة في عهده؛ فحرّر ابن خلدون تاريخه الموسوعي، ومهّد له بمقدّمة فذّة توضّح منهاج العلوم الإنسانية وتضع أسس العلوم الاجتماعيّة؛ ووضع ابن منظور القفصي (630– 711هـ/ 1282– 1311م) موسوعته اللّغوية الشاملة، «لسان العرب»، إلى غير ذلك من المصنّفات الثمينة.

ويعطينا ابن خلدون صورة قاتمة عن وضع العلم والتعليم بإفريقية وبالمغرب قاطبة في عهده (نهاية القرن الثامن للهجرة)... فيقول: «لمّا خُرّبت القيروان وقرطبة انقطع التّعليم من المغرب، إلاّ قليلا كان في دولة الموحّدين بمرّاكش مستفاداً منها...».

ويذكر ابن خلدون رحلة أبي القاسم ابن زيتون من إفريقية إلى المشرق «وأخذه عن تلاميذ الإمام ابن الخطيب، وحذقه في العقليات والنّقليات وعودته إلى تونس بعلم كثير وتعليم حسن».

كما يذكر أبا عبد الله بن شعيب الدكّالي، الذي ارتحل من المغرب إلى مصر، وأخذ عن مشيختها، ورجع إلى تونس واستقرّ بها .

وأخذ عن هذين العالمين أهلُ تونس، واتّصل سند تعليمهما في

(5) المؤنس ص 136.

تلاميذهما جيلاً بعد جيل، حتّى انتهى إلى القاضي محمد بن عبد السّلام.

ثم انتقل العلم من تونس إلى تلمسان في ابن الإمام وتلميذه، إلاّ أنّهم من القلّة بحيث يخشى انقطاع سندهم.

ويعلّل ابن خلدون عسرَ الحصول، في سائر أقطار المغرب، على الملكة والحذق في العلوم «بأنّ أيسر طرق هذه الملكة فتق اللّسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلميّة..» والحال أنّك «تجد طلاب العلم من المغرب، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلميّة، سكوتا لاينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة».

ويقول صاحب «نيل الابتهاج» في هذا المعنى: «لقد أدّى ذلك لذهاب العلم بهذه المدن المغربية التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان كفاس وغيرها... حتّى يتعاطى الإقراء على كراسيّها من لايعرف «الرسالة» أصلا، فضلاً عن غيرها، بل من لم يفتح كتاباً قطّ، فصار ذلك ضحكة (وإنّ من المضحكات مايُبكي!). وسبب ذلك أنّها صارت بالتوارث والرّئاسات حتّى خلت هذه السّاعة عمّن يُعتمد عليه في عمله».

وكان الأمر شبيهاً بذلك بجامع الزيتونة بتونس، فكان كلّ شيخ يختصّ بسارية من الجامع يستند إليها ويحيط بها جمع طلبته ومستمعيه وإذا مات شيخ خلفه على السّارية ابن له...

ويضاف إلى ماسبق من عوائق العلم والتّعليم مايشير إليه المقّري حيث يقول: «وقد استباح النّاس النّقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسبوا ظواهر مافيها لأمهاتها... ثمّ تركوا الرّواية، فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتّصال، فصارت الفتاوى تنقل عن كتب لايدرى مازيد فيها ممّا نقص منها، لعدم تصحيحها وقلّة الكشف».

وأمّا عن مادّة الدّراسة فيروي أبو عبد الله محمد الأنصاري المشهور **بالرّصّاع** (ت . 894هـ/ 1488م) أنّ الامام محمد بن عرفة (716–803هـ/ 1316– 1400م) قال فيما نقل عن بعض شيوخه: «قرأت أصول الفقه على الشيخ ابن علوان، وأصول الدّين على الشيخ محمد بن سلامة وعلى الشيخ ابن عبد السّلام، والنّحو على ابن قبيس، والجدل والمنطق على الشيخ السّطّي، والحساب على الشيخ الآبلي وكذلك سائر المعقول».

وفيما يخصّ دراسته للحساب نجد أثراً في مختصره الفقهي عند حلّه لمسائل الوراثة، وتصحيح السّهمين، ومسائل العول والوصايا إلخ..

وفي «مناهل الصّفا، في أخبار الملوك الشرفا» للوزير أبي فارس القَشتالي، نجد مايصف به أمير المؤمنين أبو العبّاس أحمد المنصور الذّهبي (حوالي سنة 839هـ/ 1532م) دراسته العلميّة فيقول: «أخذت في القراءة على الفقيه الأصولي النّحوي **العددي** الفرضي أبي الرّبيع سلمان بن إبراهيم، وقرأت الرّسالة بالسّوس على أبي عمران موسى السّوسي.. وقرأت على الفقيه النحوي أبي محمد عبد العزيز بن إبراهيم مقدّمة ابن آجرّوم، وألفية ابن مالك، ولاميّة الأفعال له. وقرأت عليه علم الحساب، وقرأت على الفقيه العالم الأوحد أبي العبّاس أحمد بن علي المنجور أصول الدين إلخ إلخ...» إلى أن يقول: «**وفتح الله عليّ في فهم كتاب أقليدس في الهندسة بغير أستاذٍ، لعزّة وجوده بهذه البقاع المغربية، فكنت أفكّ كلّ يوم شكلاً من أشكاله**».

وفي القرن الثامن يذكر القلصادي ماالتجأ إليه من الرحلة إلى تلمسان، والتتلمذ لأبي العباس بن زاغو المغراوي، فقرأ عليه: «علم الفرائض من الواحد الصحيح، والحساب والهندسة».

تمادى المغرب في تخلّفه العلمي، نتيجة لعقم طرق التّدريس فيه، وبقي الحال هكذا حتّى نهاية القرن التاسع عشر للميلاد، بل وحتّى العشريات

الأولى من القرن العشرين. فكان المعتمد لدى الطّلبة (وما يفرضه عليهم أوّلا الشيوخ الأساتذة) الشروح والأصول الكبار، فاقتصروا على حفظ ماقلّ لفظه ونزر حظّه: «وأفنوا عمرهم في حلّ لغوزه وفهم رموزه، ولم يصلوا لردّ مافيه إلى أصوله بالتّصحيح، فضلاً عن معرفة الضعيف والصحيح، بل حلّ مُقفل، وفهم أمر مجمل، ومطالعة تقييدات زعموا أنّها تستنهض النّفوس، فبينما يُستكثر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ، أتيحت تقييدات الجهلة بل مسوّدات المسوخ» (المقّري ق 8).

وفي مادّة الرياضيات بالخصوص تفاقم عقم الطريقة التّدريسيّة، وعزّ المضطلع بدرسها، وولّت الطلبة عنها وجهها؛ ولنا نمط من درس الحساب، مثلاً في هذه العصور، فيما نجد مسجّلاً في عدّة الشروح التي اهتمّت بمتن «الدّرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء». وهي أرجوزة في الحساب، والفرائض والوصايا، نظمها الشيخ عبد الرحمان بن أبي عبد الله محمّد صُغيّر الأخضري، وهو من أعلام الجزائر، والمتوفى سنة (953هـ/ 1546م).

وكانت الدّرة البيضاء هي المعتمدة في التّدريس إلى عهد غير بعيد، أقرّها قانون جامع الزيتونة ضمن الكتب المنتخبة للتّدريس بالمرتبة الوسطى. على أنّه كان بجوارها مصنّفات أخرى، كمرشدة ابن الهائم، وكتب القلصادي، وأشكال التأسيس للسّمرقندي، ومختصر الجغميني في الفلك. إلاّ أنّ أسماءها بقيت حبراً على ورق واسما بدون مسمّى... وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى الكتب المقرّرة للمرتبة العليا، كالمنية والتذكرة ومقالات أقليدس.

والشروح التي بين أيدينا ينقل بعضها عن بعض في غالب المواضع. ولعلّ أكبر عيب فيها جميعاً أنّها تهتمّ بصفة عامّة باعتبارات لغويّة، ومسائل نحويّة وأسلوبيّة، كاستعمال الجمل الفعلية أو الاسميّة، وتحاليل ابستمولوجية، كثيراً ماتخرج بالقارئ بعيداً عن حقل الرّياضيات. ولا يوجد فيها البتّة مايعين

الطّالب على إدراك موضوع درسه بالذّات المرتبط بالأعداد وخواصّها.

ومن ذلك، مثلاً، عديد الحدود التي حاولوا أن يحدّوا بها العدد كقولهم: «هو كثرة مؤتلفة من آحاد»، فيردّ الشارح بأنّ الكثرة عين العدد، وأنّ الجمع في لفظ الآحاد من باب العدد؛ إلى غير ذلك من الحدود.

لقد شعر أعلام الإصلاح في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد، بما يوجد من خلل ونقص فادح في حقل التدريس عامّة، ولاسيما من الفراغ الشّامل في ميدان الرياضيات والعلوم الدقيقة.

فأصدر محمّد الصّادق باي سنة (1291هـ/ 1874م) أمراً بانشاء المدرسة الصّادقية: «رعاية لمصلحة السّكان ونموّ العمران».

ويخصّص القسم الثالث من مقدمة قانون هذه المدرسة «لتعليم اللغات غير العربية، وتدريس العلوم العقلية، من كلّ ماتحتاج إليه الأمّة الاسلاميّة في إقامة مصالحها، ولا يرفضه شرعها»، ويستعرض الفصل الخامس والعشرون هذه العلوم بالتفصيل.

وأصدر في 28 ذي القعدة 1292و 26 ديسمبر 1875أمراً في تحرير الدروس بالجامع الأعظم، جامع الزيتونة .

وتمّ فعلاً تنفيذ قانون المدرسة الصادقية، فاعتنى طلاّبها بحذق علوم العصر، وإجادة فنونها نظراً وتطبيقاً، مع المحافظة على العلوم التقليديّة اللسانيّة والدينيّة. واضطلع بتقليدها أساتذة ومدرسون من خيرة شيوخ الزيتونة.

وفيما يخصّ إصلاح جامع الزيتونة فلئن كان قانون 1875 (أعني قبيل انتصاب الحماية) تقدمياً، ولئن أصدرت لجنة الاصلاح قانونها الذي تتضح فيه نزعة التجديد، وتلقيح الثقافة العربيّة الإسلاميّة بالعلوم العصريّة والبحث العلمي الحديث، إنّ المعارضة والمقاومة عند التطبيق كانتا قويتين... خُفيةً

وجهراً،... فتراجعت لجنة الإصلاح وقرّرت سنة (1924– 1925) ألاّ يكون تدريس العلوم العصريّة إجبارياً إلاّ بالمرحلة الابتدائيّة، وعلّقت التّنفيذ لقرارها بالحصول على محلّ خارج الجامع «نظراً لتعذّر تعليم هذه العلوم به محافظة على صبغته الدينيّة».

ويعود أمر التنظيم لسنة (1352هـ/ 1933م) إلى هذا القيد، فقد نصّ الفصل (28) منه على مايلي: «يدرّس من العلوم خارج الجوامع: عمل الفرائض، الخط، الرسم، الصرف، التاريخ، الجغرافية، الحساب والجبر، الهندسة والمساحة، الهيئة، الميقات، مبادئ خصائص الأشياء، حفظ الصحة، الأدب، الإنشاء، الخطابة والمنتخبات، التوثيق».

وفي سنة (1348هـ/ 1929م) خصّصت مكتبة ابن عصفور، والتي تقع في الجانب الغربي الشمالي من الرّواق الغربي للجامع، جوار الصومعة، لإقراء العلوم الرياضية وغيرها، كالحساب والهندسة.

ثمّ صار التعليم بالمدرسة الخلدونية موقتاً عام (1351هـ – 1932م) للعلوم الآتية: الحساب والهندسة والجغرافية والتاريخ والإنشاء والرّسم والفرائض والعروض.

وكان طلبة الزيتونة يتألّمون من مرارة وضعهم، ويحسّون بضعف مستواهم، لاسيّما إذا ماأجروا المقارنة مع نتائج الصّادقية؛ وكنّا نشاهد بين الفينة والأخرى انتفاضة طلابية واضطرابات ترمي إلى كسر القيود وخرق السياج الذي أحاطهم به جماعة الشيوخ، الرافضين للتطوّر، الحاكمين عليهم بالجمود والبقاء في أجواء العصور الوسطى، والواقفين سدّاً ضدّ دخول غيرهم إلى ساحة التدريس بالزيتونة.

كان إذن إطار التّدريس بالزيتونة خلواً ممّن هو أهل لتدريس الرياضيات والعلوم الدقيقة، فلم يشجّع الطلبة على تناولها.. فلا غرابة أن

يكون الوضع التعليمي متدهوراً إلى الحدّ المفزع الذي شاهدناه عليه في الدّراسة الزيتونية في بداية القرن العشرين.

وأمّا الشروع الفعلي في تحقيق الإصلاح للتعليم فكان سنة 1936، في مشيخة المنعّم الشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور؛ ولكن تراجع الأمر بعد استقالته، وعادت سلسلة اضطرابات الطلبة..

وفي الأربعينات عاد الشيخ ابن عاشور إلى المشيخة، وكان ابنه المرحوم محمد الفاضل رئيسا للجمعيّة الخلدونيّة، فأقحم شيخ الجامع فعلاً تدريس الحساب والجبر والفيزياء والكيمياء ضمن منهاج الزيتونة، واختار المدرسة الخلدونيّة محلاً له، وانتدب مباشرة، دون مراجعة لسلطة الاشراف، أساتذة ومدرسين ينتمون للتعليم العام وهم: (محمّد سوسي، والمرحوم البشير قوشة، ثمّ عمر الذئب) وبدأ التدريس سنة 1946، بعد وضع السلطة أمام الأمر المقضي، وفي نهاية العام الدراسي أرسل الشيخ ابن عاشور رسالة إلى إدارة المدرسة بجامع الزيتونة... جاء فيها: «قرّرنا إدخال تدريس الحساب والجبر والفيزياء والكيمياء ضمن برامج الجامع الأعظم وفروعه، وانتدبنا له الأساتذة فلاناً وفلاناً، فالرّجاء تخصيص الاعتماد المالي اللاّزم لذلك».

وتقرّر في عهد الشيخ ابن عاشور، رغم معارضة عدد من المشايخ، أن يكون نجاح الطلبة في شهادة الأهليّة وشهادة التحصيل يأخذ بالاعتبار مايحصلون عليه من درجات في الموادّ العصريّة، وأن يرسب من كان نصيبه فيها صفراً .

وفي سنة (1947) أصدرتُ كتاب «أصول الجبر»، وهو كتاب شامل لمقررات السّنوات الثلاث للمرحلة المتوسّطة من تعليم جامع الزيتونة (التي كانت تتوّج بشهادة التّحصيل). والتزمتُ فيه من حيث الأسلوب والمضمون بالموازاة التّامّة لطريقة التدريس في التعليم العام .

وأردفتُ «أصول الجبر» بسلسلة كتب «خلاصة الحساب» أتممت

إصدارها سنة 1950، وهي شاملة لمادّة الحساب والمكاييل والمقاييس لسنوات المرحلة الأخيرة من تعليم الزيتونة. وتوجّهت في مقدّمة الجزء الأخير من هذه السلسلة إلى الطالب الزيتوني، منوّهاً بكفاحه الطويل في سبيل إصلاح التعليم، حاثّاً إيّاه على الصدق في العزيمة والعمل وعلى عدم التخاذل، مشيراً إلى انّ الهدف من هذا التأليف «هو تسديد مانقص قديماً في برامج الجامع من النّاحية الرّياضيّة، حتى يصل الطّالب، مع تضلّعه بالعلوم الدينيّة واللّغويّة، إلى مستوى طلبة المعاهد التعليميّة الأخرى بالبلاد... فيكون الطالب الزيتوني يضاهي زميله المدرسي في الشعبة العلميّة... فإذا الشباب موحّد الثقافة في أصولها. ووحدة الثقافة تورث وحدة الإحساس والتّفكير، وفي ذلك صالح الأمّة».

وأصدر الزميل المرحوم الأستاذ البشير قوشة كتابين، أحدهما في «دروس الفيزياء» والآخر في «دروس الكيمياء».

وكانت دروس الرّياضيات بجامع الزيتونة، والكتب التي نشرت فيها في ذلك العهد، وهي الأولى من نوعها في المغرب العربي، البذرة الأولى في حقل تعريب التّعليم في العلوم العصريّة... وفي الأثناء نشأت لجنة صوت الطالب الزيتوني سنة 1949، ونادت سنة 1950بزيادة التّحديث للتدّريس بالجامع الأعظم. وتكوّنت لجنة التّعليم العصري سنة 1951، وكنت من بين أعضائها، وأحدثت الشّعبة العصريّة الزيتونية في السّنة الدّراسيّة 1951– 1952، وتوّجت بالتّحصيل العصري .

وأقدم بعض الحاصلين عليه على اجتياز امتحان الباكالوريا في شعبة الرياضيات، ورغم ضعف مادّة الفرنسيّة لديهم، ولاسيّما في المقال الفلسفي، فقد سجّل نجاح عدد منهم... وكم كنت سعيداً فيما بعد حين وجدت البعض منهم يحضر دروسي في مستوى التبريز في اللغة والآداب العربيّة، أو يناقش أطروحة للحصول على دكتوراه الدّولة.

وبالموازاة لما كان يجري بالزيتونة، وإتماماً لما كنّا نرمي إليه من تحديث

التّعليم، قرّرت هيئة الجمعية الخلدونيّة، سنة (1946– 1947)، برئاسة المنعّم المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور– وكنت من ضمنها– التّوسع في منهاج الدّروس التي كانت تلقى بها وتختم «بشهادة انتهاء التّعلم بالخلدونيّة»، ومستواها الأصلي مستوى التّعليم العام الابتدائي. فأحدثت الخلدونيّة لأوّل مرّة، في خاتمة دروسها، شهادة سمّتها «الباكالوريا العربيّة»...

وفعلاً أجريت دورة الامتحان فيها ابتداءً من 21جوان 1947، ونشرت المواضيع العلميّة لهذه الدّورة بالعدد 39 من مجلّة المباحث (بتاريخ جوان 1947)... وإثر التّصريح بالنتائج قرّرنا إرسال نخبة من الناجحين إلى المشرق (القاهرة ودمشق وبغداد) للالتحاق بكليّات العلوم به.

وبعد بضع سنوات عاد إلى تونس هؤلاء الطلبة، من خرّيجي الزيتونة والخلدونيّة معاً، حاملين الإجازة في العلوم، فانتدبتهم مشيخة الجامع الأعظم لتدريس هذه الموادّ... وصادف ذلك وشك انتهاء البناء للحيّ الزيتوني ابن شرف [أي ماصار فيما بعد كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة] فأذكر أنّنا باشرنا أوّل دروسنا فيه، فصل الشتاء، في أقسام لم يوضع لنوافذها زجاج... فكان القرّ وكانت الأمطار تتهاطل في الأقسام والمعابر... ولكنّ المعنويات كانت في أعلى علّيين...

وإذا ماعدنا إلى شهادة الخلدونيّة فلا بدّ من الملاحظة أنّ الإدارة العامّة للتّعليم احتجّت في الإبّان على تسميتها باسم «الباكالوريا العربيّة» بدعوى أنّ هذا المسمّى مفرد علم تعرّف به شهادة فرنسيّة... وعلى كلّ، إنّ الخلدونيّة تراجعت وعنونت شهادتها «بشهادة انتهاء التعلّم بالخلدونيّة» بإضافة [المسمّاة سابقاً الباكالوريا العربيّة].

وبقي الأمر على ماوصفنا إلى أن اختفت الشعبة العصريّة سنة 1964– 1965، بموجب مشروع إصلاح التّعليم التونسي لسنة 1958وإحداث شعبة «أ» القارّة، حسب نصّ المشروع، التي درست فيها الاختصاصات جميعها باللغة العربيّة، وأبرزت طلبة تفوّقوا في امتحان

الباكالوريا شعبة الرياضيات يحتلّ بعضهم اليوم منصباً مرموقاً في وزارة التربية.

وذارت دورة الزمن، واختفت شعبة «أ» هي الأخرى... لكن– والحمد لله– رغم معارضة المناوئين، إنّ هذه الدّورة لن تكون في النهاية، ورائيّة، بل ستتقدّم دوماً نحو مستقبل أفضل.

ففي العهد الجديد، تعلّقت همّة المسؤولين عن التّعليم وخاصّة العالي منه، بتحسين الوضع بالزيتونة؛ فضبط الأمر المؤرخ في 8 ماي 1995 مهامّ جامعة الزيتونة، كما ضبط الأمر المؤرخ في 18سبتمبر 1995الإطار العامّ لنظام الدّراسة وشروط التحصيل على الشّهادات الوطنيّة للمرحلة الأولى والأستاذيّة في الدراسات الإسلاميّة .

ففتح قرار وزارة التّعليم العالي التّابع لهذا الأمر نوافذ فسيحة يشرف منها الطّالب الزيتوني على عالم الحداثة ويتشبّع من مميّزاته وخواصّه، وينفض من حوله قشور الانكماش والتقوقع على الذّات المتحجرة التي صاحبته طوال القرون، فيتنفّس هواء طلقاً من وراء الفضاء الفسيح، ويشاهد عوالم لم تكن له على بال، وينتقل من مستوى الطفولة إلى سنّ الرشد والرّشاد... ويعيش حياة الندّ والكفء مع سائر شباب العالم .

ولن نستعرض مختلف فقرات هذا القرار– وكلّها حسنات– بل نكتفي بالتلميح إلى عدد من المهمّات التي أطلقت العقول من عقالها وفتحت الأذهان، وبعثت في نفس الطلاّب الآمال ولوّحت أمام أعينهم إشراقات مستقبل سائر إلى الازدهار. وإلى مشارف الأنوار.

وفعلاً إني شرفت بالرجوع، في السّنة الماضية، إلى التدريس في المعهد الأعلى لأصول الدين والمعهد الأعلى للحضارة الإسلاميّة.

فكم إشراقة لاحظت على جبين الحاضرين المستمعين لدرسي، وكم بصيص من النّور لمع في العينين... ممّا كان يدلّني على أنّ من المستمعين من

كان متشوقاً إلى هذه المعاني، وأنّي أصبت المرمى وأنّ التيّار قد مرّ... وكثيراً ماكان ذلك حافزاً لي على زيادة الغوص وعلى التوسّع في المعلومات التي كنت أشعر أنّها حظيت باهتمام الحاضرين.

وكان لي درسان أحدهما يتعلّق بتاريخ العلوم في العهد العربي الإسلامي فحلّلت تصنيف العلوم عند فلاسفة اليونان، وتطوّر مدلول العلم عند مفكّري الإسلام، ثمّ تصنيفهم للعلوم، وأبرزت المقدّمات الفلسفيّة التي كانت تبرّر هذا التصنيف، واستندت في الأعمال التطبيقيّة إلى شرح عدد من النّصوص من الإنتاج العلمي العربي في مختلف الاختصاصات من رسائل الرّازي إلى كتب البيروني وابن الهيثم وابن البيطار إلخ..

وأمّا الدرس الثّاني فخصّصته لمبادئ الاقتصاد وواقعه خاصّة في جزيرة المغرب العربي، وربطت بين الإطار الديني الذي جعله الإسلام للتجارة مثلاً وإطاره الواقعي في المغرب حتى عهد ابن خلدون (القرن الثامن للهجرة).

وأمّا ماارتاحت له النفس في البرامج الجديدة لمعاهد الجامعة الزيتونية، فمنه وحدات اللغة (اللغات الغربيّة المتداولة واللاتينية أو اليونانيّة أو الفارسيّة أو العبريّة)، ممّا قد يوحي من جهة، بقواعد لسانيّة عامّة يستفاد بها في العربيّة، وممّا قد يكون، من جهة أخرى، السبيل إلى إرساء التّفاهم مع الغير تفاهماً يسود به الوئام والتّعاضد والسّلام.

وأخصّ بالذكر وحدة الديانات المقارنة، ومن شأنها أن تبرز مابين الأديان الكتابيّة من المبادئ المشتركة وما بينها من الفروق، وفي هذه الدّراسات مابه تقرّب الشّقة بين الفئات المختلفة، وما يشير بالخصوص إلى الجامع المشترك بين الأديان ويحثّ على التّفاهم والتّسامح والتّقارب.

* * *

ريش السهام
مصادره، أنواعه، صفته، صناعته
كما ورد في المعاجم اللغوية
والتراث الديني والأدبي عند العرب

د . زيد عبد الله الزيد

الصناعة العربية

اهتم العرب بالصناعة بشتى أنواعها ومنها مايتعلق بالأسلحة الحربية أو بالأدوات المستعملة في حياتهم اليومية والمعاشية، وخلفوا لنا تراثاً ضخماً زخَرَتْ به المعاجم اللُّغَوية والدّواوين الشعرية. ومن هذه الصناعات صناعة السهام بأنواعها وبأقسامها الثلاثة القِداح وبريها، والسنان وتحديده، ثم تركيب الريش عليه.

وهذا البحث تجميع للشتات من الألفاظ اللغوية والأحاديث النبوية وأقوال السلف والأشعار المختلفة لفحول الشعراء وما ورد في الأمثال العربية في هذا الموضوع.

وهذه الدراسة تلقي الضوء على جانب من هذه الصناعات وهي إضافة الريش على القداح وتركيبه سواء المستعمل منها في الأسلحة

الهجومية كالسهام الحربية أو في استعمالات أخرى كتحديد مسافات سباق الخيل أو مايتعلق بالألعاب وما يستعمل للصيد والاستقسام، لعل هذه الدراسة تضيف لبِنة أخرى في البناء التراثي للعرب وتجميع ماتناثر في بطون المعاجم وما خلفه فحول الشعراء منذ عصر الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي .

الرِّيشُ في اللغة :

الرِّيشُ بالكسر هو كُسوة الطائر وهو ماسَتَرَهُ اللهُ تعالى به والجمع أَرْياشٌ ورِيَاش. وكان العرب يركبون الريش على السهم لتسديد انطلاقه.

يقال: راشَ السهمَ يريشه رَيشاً وارْتَاشَه وَرَيَّشَهُ ترييشاً وارتياشاً: إذا أَلْزَقَ الرِّيشَ على القِدح وركبه عليه، وجاء تصريفه في اللغة هكذا:

يقال: ارتاش سهمه كَرَاشَهُ كما في قول ابن ميادَة في عيون النساء إذا نظرن بها وعليها الأجفان كأنها السهام والريش عليها:

وارْتَشْنَ حينَ أَرَدْنَ أَنْ يَرْمِينَنَا نَبْلاً بلا رِيشٍ ولا بِقِداحِ[١]

وأرِيش سهمي كما في قول الشنفرَى :

وَرَدْتُ بمأْثُورٍ يَمانٍ وضَالَةٍ تخيّرتُها مما أَرِيشُ وأَرْصُفُ[٢]

وراشه كما في قول أوس بن حجر وذكر صائداً:

فَيَسَّرَ سَهْماً رَاشَهُ بمناكِبٍ ظُهَارٍ لُؤامٍ فهو أعجَفُ شارِفُ[٣]

وقال امرؤ القيس كذلك :

رَاشَهُ مِن رِيشِ ناهِضَةٍ ثُمَّ أمهاه على حَجَرِهْ[٤]

وسهم مَرِيش ومُرَيَّش في قولهم: (ماله أَقَذٌ ولا مَرِيشٌ) أي ليس له شيء[٥]، وقال عبيد بن الأبرص :

فهو كالمِنْزَع المَرِيش من الشَّوْ حَطِ مالت به شِمالُ المُغالِي[٦]

وسهم رائش: ذو الريش، ومنه حديث عُمَر قال لجرير بن عبد الله رضي الله عنهما، وقد جاءه من الكوفة: أخبرني عن الناس؟ فقال هُمْ كَسِهَامِ الجَعْبَة منها القائِمُ الرائشُ (أي ذو الريش إشارة إلى كماله واستقامته[٧].)

وجاء في قول الكُميت بن زيد حين أضاف الذئب :

فقلتُ له اشرب هذه ليس مُطعِمٌ من الناس لايسقي برائشِ مايَبْري

أي من أطعم ولم يُسق بمنزلة من يبري سهماً ولم يرشه[٨].

وذي الراش كما في قول إبراهيم بن هرمة :

فاحتث أجْمَالَهُم حادٍ له زَجَلٌ مُشَمَّرٌ أشِرٌ كالقِدْحِ ذي الراشِ[٩]

وفي الأمر قول الطرمّاح:

رِشْ نبلَ من يَرْمِي وراءَكَ جاهداً رَمْيَ المُنَاضِلِ فازَ بالأخْطَارِ[١٠]

والمصدر الرَّيش بفتح الراء يقال راش السَّهم يريشُهُ رَيْشاً جعل عليه الريش كما في قول ذي الرمة :

وقد بات ذو صَفْراءَ زوراءَ نَبْعَةٍ وزُرْقٍ حديثٍ رَيْشُها وصِقَالُها

والريش لايكون للنصال إنما هو للقداح والقِدح هو السهم قبل أن ينصّل ويراش وإنما قال ذلك لدخول بعضها على بعض في الأسماء[١١].

وقال البُريقُ بن عِياض بن خُويلد الخُناعِيُّ :

بَرَاهُمْ ما بَرَى قَيْلَ بن عَاد وكان الدَّهْرُ ذا بَرْيٍ وَرَيْشِ[١٢]

والواحدة رِيشَة، والأرياش جمعُ الجمعِ قال رؤبة بن العجاج في كسوة القداح :

حَجْرِيَّةٌ كالجَمْرِ مِنْ سَنِّ الذَلَقْ يُكْسَيْنَ أرياشاً من الطَّيْرِ العُتُقْ(١٣)

ولا يسمى السهم سهماً حتى يركَّب عليه النصل والريش وإلا فهو قِدح فإذا ركب الرِّيش والنصل على القِدح صار سهماً جاء ذلك في حديث أبي جُحيفةِ:

(أبري النَّبْلَ وأرِيشُها)

أي أنحتُها وأُصلِحُها وأعمل لها ريشاً لتصير سهاماً يرمى بها(١٤).
والنَبلْ: السهام أو السهام العربية وهي جمع لا واحد له من لفظه.

وسمّاه أبو ذؤيب الهذلي سهماً بعد أن قرن الريش به في قوله:

فَرَمَى فأنفَذَ من نَحُوصٍ عائطٍ سَهْماً فَخَرَّ وَريشُهُ مُتَصَمِّعُ(١٥)

أسماء الرِّيش:

ومن أسماء الريش: القُذَّة بالضم وجمعها قُذَذٌ وَقِذَاذٌ، وَقَذَذْتُ السَّهْمَ أَقُذُّه قَذّاً وأَقْذَذْتُهُ: رِشْتُه..

قال الراجز:

لأَكْلَةٌ مِن أَقِطٍ وسَمْنِ أَلْيَنُ مَسّاً في حَوَايا البَطْنِ
مِن يَثْرِبِيَّاتٍ قِذاذٍ خُشْنِ يَرْمِي بها أَرْمَى مِن ابنِ تِقْنِ(١٦)

وقال طفيل الغنوي:

ولو كنتَ سهماً كنتَ أفْوَقَ ناصِلاً لهُ قُذَذٌ لُغْبٌ وليس له نَصْلُ(١٧)

ومن أسمائه: الآذان، وقذذ السهم آذانه، قال أبو حنيفة: إذا رُكِّبَتْ القُذَذُ على السهم فهي آذانُهُ وأذن السهم والنصل كله على التشبيه، وللسهم ثلاثُ قذذ وهي آذانه، أنشد سلمة عن الفراء عن أبي ثروان قال: قال بعض

المُحَاجِين: ماذو ثلاثِ آذان ، يسبِقُ الخيلَ بالرَّديان(١٨)؟ يعني السهم وآذانه قذذه.

أنواع الطيور التي يتخذ ريشها للسهام :

عتاق الطير: الجوارح منها والواحد عتيق والعاتق من الطير الناهض من فرخ الطير الذي استقل للنهوض أو بسط ونشر جناحيه ونهض للطيران وما لم يُسَن ويَستَحكِم والجمع نواهض .

وأجود الريش ماكان من ريش العتاق من الطير وإذا كان من العتاق لم يكن شديد السواد ويكون ليناً، وما كان منها بتهامة واليمن فهو ألين مما يكون في نجد، قال أوس بن حجر:

كساهُنَّ من ريشٍ يمانٍ ظَوَاهِراً　　سُخاماً لُؤاماً لينَ المَسِّ أطْحَلاَ

واختار رؤبة الطيرَ العتق يريش بها سهامه في قوله :

حَتَّى إذا تَوَقَّدَتْ من الزَرَقْ　　حَجْرِيَّةٌ كالجَمْرِ مِنْ سَنِّ الذَلَقْ
يُكْسَيْنَ أَرْيَاشاً من الطَيرِ العُتُق　　سَوَّى لها كَبْداَء تَنْزُو في الشَنَقْ

ويراش بريش الناهض من فراخ النسور أو العِقبان حين ينهض لأن ذلك أرق الريش وأخفه وألينه من ريش المسانّ من الطير، قال امرؤ القيس في هذا النوع من الريش :

راشَهُ مِنْ رِيشِ نَاهِضَةٍ　　ثُمَّ أَمْهَاهُ عَلَى حَجَرِهْ

وقال أبو كبير الهذلي في اختيار ريش الناهض من الطير :

نُجُفاً بَذَلْتُ لها خَوَافِيَ ناهِضٍ　　حَشْرِ القَوَادِمِ كاللِّفَاعِ الأطْحَلِ

وقال لبيد بن ربيعة :

رَقَميّاتٌ عليها ناهِضٌ تُكْلِحُ الأَرْوَقَ منهمْ والأَيلْ[١٩]

ومن الطير العتاق: المَضرحي بالفتح وهو الكريم من الصقر والنسر طويل الجناح الفتي، وريشها أسبط وأحسن، قال فيه بعض الأعراب: (هو الذي يخالط سواده حمرة وإلاّ فليس بمضرحي وريشها أحسن الريش للسهام).

قال أبَانُ بن عَبْدَة بن العيَّار في ريش المضرحية:

وزرقٍ كَسَتْهَا رِيشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ أَثِيثٌ خوافِي رِيشِها وَقَوَادِمُهْ

وأجود الريش وأغلاه ثمناً ريش النسور وأكثر مواضعها الحجاز ويراش النبل بريشهن من قوادم الجناحين ومن الذنابَى قال الشنفرَى:

ومُسْتَبْسِلٍ ضَافِي القميصِ ضَمَمْتُهُ بِأَزْرَقَ لا نِكْسٍ ولا مُتَعَوِّجِ
عليه نُسارِيٌّ على خُوطِ نَبْعَةٍ وفُوقٌ كعُرْقُوبِ القَطَاةِ مُحَدْرَج

وقال الطرمّاح:

لا تَتْرُكَنْ مُرُطاً ونَبْلُ مَعاشِرٍ دُونِي تُزَيّنُها بريشِ نِسَارِ[٢٠]

ومن عتاق الطير العقبان وما أشبهها من أحرار الطير وما يتخذ الوكور في الجبال وفيها من الريش مثل الذي في النسر، وليس عِقْبان الجِرْذَان من عتاق الطير ولا من الصقورة ولا ينتفع بريشها إلا أن يَرْتَاشَ بها الصِّبْيَان الجماِيح، والعِقبان وعَقَابين جمع الجمع بالكسر والمفرد عُقاب[٢١].

ومن الطيور الغراب وفيه أربع ريشات قد عرف الريّاشون موضعهن في كل جناح ثنتان يزعمون أنهم لم يرتاشوا النبل بأفضل منهن.

ومنها الرَّخَمَة: طائر أبقَعُ على شكل النسر خِلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض والجمع رَخَم ورُخْم ويُرتاش بقوادم الرَّخَم النبلُ وهو جيد لأن

القوادم منها سود وهن ست ريشات في كل جناح ثلاث[٢٢].

مايختار من ريش الطائر للسهام :

جناح الطائر عشرون ريشة أربع قوادم وأربع مناكب وأربع خوافي وأربع أباهر وأربع كُلَى[٢٣].

١ – القوادم والقُدامَى : يقال راش سهمه بقُدامَى النسر وقوادمه والواحدة قَادِمة، وهي أربع ريشات في مقدم جناح الطائر ضد الخوافي، وقيل هي عشر ريشات في كل جناح، وهي أطول الريش، ويُراش من القوادم بأحد الشقَّين وهو العريض، وريش المقاديم أجود ويفضل على الخوافي كما في قول رؤبة يخاطب أباه العجاج ويعاتبه :

خُلِقْتُ من جَنَاحِكَ الغُدافِ
مِن القُدامَى لامن الخوافي

ومن أمثالهم : (ماجَعَلَ القوادِمَ كالخوافي)[٢٤]

قال الحطيئة في ريش قدامَى النسر :

ومُطَّرِدِ الكُعُوبِ كأنَّ فيهِ ... قُدَامَى ذِي مَنَاكِبَ مَضْرَحِيٍّ[٢٥]

وأنشد أبو محمد الفَقعسيّ ونسب أيضاً إلى حكيم بن مُعَيَّةَ الربعي في نحر الإبل بالرمح وقت الجدب وشبهه بقدامى النسر لاستوائه:

إنّا إذا قَلَّتْ طَخَاريرُ القَزَعْ ... وَصَدَرَ الشَّارِبُ مِنها عن جُرَعْ
نَفْحَلُهَا البِيضَ، القَليلاتِ الطَّبَعْ ... مِنْ كُلِّ عَرّاصٍ إذا هُزَّ اهتَزَعْ

مِثْلِ قدامَى النَّسْرِ مامَسَّ بَضَعْ[٢٦]

٢ – الخَوَافِي: ريشاتٌ إذا ضَمَّ الطائرُ جَنَاحيه خَفِيتْ واحدتها خافية وهي الريشات الأربع اللواتي بعد المناكب قال الأصمعي الخوافي مادون الريشات العشر من مُقدم الجناح وهي الريش الصغار التي في جناح الطائر ضد القوادم(٢٧).

قال جميل بن مَعْمَر في ريش خوافي النسر :

ماصائِب مِنْ نابِلٍ قَذفت بِهِ   يَدٌ وَمُمَرٌّ العُقْدتَيْنِ وثِيقُ
لهُ مِنْ خَوافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ   وَتَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبيِّ فتِيق(٢٨)

وجمع أبان بن عَبْدَة بن العَيّار بين ريش قوادم الصقر وهي كبار الريش والخوافي وهي صغاره في قوله :

وزرقٍ كَسَتْهَا رِيشَها مَضْرَحيَّةٌ   أثِيثٌ خَوافِي رِيشِها وَقَوادِمُهْ(٢٩)

وجمع أبو كبير الهذلي أيضاً بين الخوافي وجعلها من ناهض وبين القوادم في قوله :

وَمَعَابلاً صُلْعَ الظُّبَاتِ كَأَنَّهَا   جَمْرٌ بِمَسْهَكَةٍ تُشَبُّ لِمُصْطَلي
نُجُفاً بَذَلْتُ لها خَوَافِي نَاهِضٍ   حَشْرِ القَوَادِمِ كاللِّفَاعِ الأَطْحَلِ(٣٠)

وريش القوادم تلتف على الخوافي في شعر كعب بن زهير :

يُقَلِّب حَشْراتٍ كساهنّ نابِلٌ   من الرِّيشِ ماالتفَّتْ عليه القَوَادِمُ(٣١)

٣ – المناكب : وهي أربع ريشات بعد القوادم ومكانها بين القوادم والخوافي، قال ابن سيده: ولا أعرف للمناكب من الريش واحداً غير أنّ قِياسَهُ أن يكون مَنكِباً. راش سهمه بِمَنْكِبٍ من جناح نَسْرٍ أو عُقَابٍ وهي أقوى الريشِ وأجودُهُ لأنه أعرض(٣٢).

قال زهير بن أبي سلمَى :

ومُثَـقّفٌ مِـمّـا يَرَى مُـتـمـالِكٌ بالسَّير ذو أُطُرٍ عليه ومَنْكَبُ[٣٣]

وقال الحطيئة :

ومُطَّرِدِ الكُعُوبِ كَأنَّ فيـهِ قُدَامَى ذي مَنَاكِبَ مَضْرَحِيٍّ[٣٤]

وقال الراعي النميري :

يُقَلِّبُ بالأنامِلِ مُرْهَفَاتٍ كَسَاهُنَّ المَنَاكِبَ والظُّهَارَا[٣٥]

٤ – **الأباهر :** وهي أربع ريشات بعد الخوافي وقبل الكُلَى أو بين الخوافي والكُلَى ومفردها أبهر وهو الجانب الأقصر من الريش[٣٦]، قال السكري: الأبهر ظهر الرِّيشة لاهو أعلاها ولا هو أسفلها والأبهر من الريش ليس من القوادم ولا من أقصَى الخوافِي، واختار الدَّاخِلُ بن حرام الهذلي واسمه زهير الأباهرَ يزين بها قداحه :

عليـهِ من أباهِرَ لَيِّنَاتٍ يَزِنَّ القِدْحَ ظُهْرَانٌ دُمُوجُ

يقول الخوافي: تَثْقُل عليه فهذا في وسط الريش فهو أسرع له، قال أبو عبيدة: يريد صميم الريش، كما أن الأبهر من القوس صميمُ القوس، وقال أبو عمرو: الأباهرُ من الريش المتون[٣٧].

٥ – **الذُّنَابَى :** بضم الذال: ذَنَبُ الطائر، جاء في الصحاح جناح الطائر أربع ذُنَابَى بعد الخوافي[٣٨].

قال أبو حنيفة: ويراش النبل بريش النسور من الجناحين والذنابَى[٣٩]، وعليه فإن المراد بالذُنابَى هنا ريش ذنب الطائر وليس جناحه، كما جاء في الصحاح. واستعمال ريش الذنب للنبل قليل ويفضّل عليه ريش الجناح ولذلك جعله تأبط شراً من الريش الفاسد عندما قال :

وما ولدتْ أُمّي من القومِ عاجزاً ولا كان رِيشي من ذُنَابَى ولا لَغْبِ[٤٠]

الظُّهْرانُ والبطنان والدخل من الريش :

(أ) الظُّهران والـظُّهار : الواحـد ظَهْر ويجـمع ظُهْـران على القـياس وظُهارٌ وهو نادر ويوصف به فيقال ريش ظُـهار وظُهران وقد ظهَّرتُ السهم ورِشْ سـهمَك بظُـهْرانٍ ولا تَـرِشْهُ ببطنـان لأنّ ظُهـران الريـش أوْفَى وأتمّ. والظهـران تركب البـطنان إذا ضم الطائرُ جناحيه فيـسترهمـا، جاء تعـريف الظُهران والظُهار من الريش لغة: ماجُعل من ظَهْر عَسيبِ الرّيشة وهو الذي يَلي الشمسَ والمطرَ من جناح الطائر أو ماظهر من ريش الطائـر وكنّ ماتحته، وقيل هو الجـانب القصيـر من الريش وهو أفضل مـايراش به السهـم وأسـرعها مضياً به .

ويقـال للظـهران أيـضاً الـصُمعان جـمع أصـمع إذا ريش الـسهـم من الظهار[٤١].

قال طفيل الغنوي في ريش الظهار :

كُسينَ ظُـهارَ الرِّيشِ من كُلِّ ناهضٍ إلى وكـرِهِ وكُلِّ جَـوْنٍ مُقَـشَّبِ[٤٢]

وقال الراعي النميري في سهام كساها من ريش المناكب والظِهار :

يُقَـلِّـبُ بـالأَنـامِلِ مُـرْهَـفَــاتٍ كَـسَـاهُـنَّ المَنَـاكِـبَ والظُـهـارا[٤٣]

وجمع الداخل بن حرام الهذلي بين الأباهر والظهران في قوله :

عَـلَـيْــهِ مِنْ أَبَـاهِـرَ لَـيِّـنَـاتٍ يَـزِنَّ القِــدْحَ ظُـهــرانٌ دُمُــوجُ[٤٤]

(ب) البُطْنانُ : ومفرده بَطْن، وهو الذي يلي الأرضَ من ريش جناح الطائر إذا جثم على بيضه أو فراخه، وما نبت من تحت تقويس عسيب الريشة وما استكن من الشـمس والمطر، وهي البـواطـن جمـع باطن لأنهـا بطنت فخفيت أخفتها الظواهر وهو مابطن فاستكن بالظواهر[٤٥].

وإذا ريش بالبطنـان فهو عيب لذلك لم يستشهد الشعـراء بهذا النوع من الريش.

(جـ) الدُّخَّلُ والدواخل : دُخَّل الريش مانبت بين الظواهر والبواطن أو دَخَل بين الظُّهْران والبَطْنَان من الجناح، وسميت دُخّلا لأنها انغَلَّتْ مِن الريش، كما سُمِيَ الدُخَّل من الطير دُخّلا لتدخله في الشجر وهو من صغار الطير، وهو أجود الريش لأنه لا يمس الأرض ولا تُصِيبُهُ الشمس والمطر ولا تُنْكَثُ أطرافه أي لا تتَشَعَّب.

قال الشاعر ينعت سهمه (رجز) :

رُكِّب حَولَ فُوقِهِ المُؤَلَّلِ
جَوانِحٌ سُوِينَ غيرَ مُيَّلِ
من مُسْتَظِلاتِ الجناحِ الدُخَّلِ (٤٦)

ومنها ريش الدواخل وهي عراض فيها لين ورقة عن غلظ القوادم وهن في الجناح تحت القوادم والبطنان أسفل منها مما يلي التراب .

قال عمرو ذي الكلب في نصال عراض كسين ريش الدواخل:

وثُجْراً كالرِّماحِ مُسَيَّرَاتٍ كُسِينَ دَواخِلَ الريشِ النُسَالِ (٤٧)

أسماء السهام وأنواعها وصفاتها قبل أن تراش أو التي سقط عنها الريش :

١ – القِدْحُ : بالكسر: العُودُ إذا بَلغَ فَشُذِّبَ عنه الغُصنُ وقُطِعَ على مقدارِ النبل الذي يُراد به من الطُّول والقِصَر وآن له أن يُراشَ ويُنْصَل، والقِدح قِدح السهم وجمعه قِداح بالكسر وصانعه قَدّاح، وقِدْحُ الميسر بدون ريش والجمع أَقْدُح وأقْداح وأَقَاديحُ جمع الجمع والكثير قِدَاحٌ.

وفي حديث أبي رافع (كنتُ أعملُ الأَقْدَاح) أي السهام التي كانوا

يَسْتَقسمُونَ بها أو التي يُرمَى بها عن القوس(٤٨).

قال المزرد أخو الشماخ :

لـه طُحَـرٌ عُـوجٌ كـأنَّ مَضِـيغَـهـا   قِـداحٌ بَـرَاهَا صانِـعُ الكـفِّ نابـلُ(٤٩)

٢ – **البَرِيُّ** : السهم المَبْرِيّ الذي قد أُتم بريُهُ ولم يُرَشْ ولم يُنصَّل، قال الشاعر :

يَـمُـدّ إليـهـا جيـده رونـقَ الضـحـى   كـهزك فـي الكف البـريّ المُدوّمـا(٥٠)

٣ – **النَّضِي** : كغني هو القِدح مالم يُنْصَّل ويُرَيَّشْ ويُعَقَّبْ لأنه نِضْو لما عَدِمَ من النَّصل والريش، وبذلك سمي المهزول نِضْوا لأنه جُرِّدَ من لحمه، ويقال نضا عنه ثوبه إذا ألقاه أو نزعه عنه .

وسماها أوس بن حجر أنضاء وهي عارية وقبل أن تنصل أو تريش في قوله :

تُـخُـيِّـرْنَ أنـضـاءً ورُكّـبْنَ أنْـصـلاً   كـجـمـر الغَـضَـى في يـوم ريح تَـزيَّلاَ
فلـما قَـضَى في الصُّنْعِ منهنّ فَـهْمَـهُ   فـلـم يـبـقَ إلا أن تـراش وتُـصْـقَـلاَ
كـسـاهُـنّ مـن ريـشٍ يمانٍ ظـواهِـراً   سُـخَـاماً لُـؤاماً لِيِّنَ المسِّ أطْحَـلاَ(٥١)

وسمـاه امرؤ القيس بِقدح نضي وذلك قبل أن ينصل ويريّش وشبّه فرسه به لملاسته وخفته قال :

وأصـبـح زُهـلولاً يُـزِلُّ غـلامَـنَـا   كـقِـدح النَّضِيِّ باليـديـن المفـوَّقِ(٥٢)

وسمّاه أبو النجم نضيا ثم أزّره بالريش :

نبـعـا يغـنّي سـالمـاً ممـتـوحـاً   مـن مـتن نـابٍ لـم تـكـن لَـقُـوحـا
تـهـدي نضـيّاً جـسداً مضـبـوحـاً   أزرَّهُ خـشـيـةَ أن يـطـيـحـا

غُضْـفـاً حـوالي فُـوقـه جنـوحـا(٥٣)

٤ – **الأقذ** : ويقال سهم أقذ أي لا ريش عليه أو السهم حين يُبرى قبل أن يُراشَ أو الذي تَمَرَّطَتْ قُذذُهُ. جاء لفظ أقذ في الأمثال ضد المَرِيش في قولهم: (ماله أَقَذٌّ ولا مريشٌ) أي ماله شيءٌ أو ماله مال ولا قوم، ويقال: (ماترك الله له شُفْراً ولا ظُفْراً ولا أَقَذَّ ولا مَرِيشاً) أي ماترك له شيئاً، ويقال: (ما أصَبْتُ منهُ أَقَذَّ ولا مَرِيشاً) أي لم أصب منه شيئاً أو لم أظفر منه بخير لاقليل ولا كثير. والجمع قُذّ وجمعها قِذاذ، وجاء في الشعر قول الراجز :

لأكلةٌ من أقِطٍ وسَمْنِ ... ألينُ مَسّاً في حوايا البَطْنِ
من يثربيّاتٍ قِذاذٍ خُشْنِ ... يرمي بها أرمَى من ابنِ تِقْنِ[٥٤]

٥ – **المنجاب** : وجمعه مناجيب: هو السهم الذي لاريش عليه أو الذي بُرِيَ وأُصْلِحَ إلا أنه لم يُرَشْ ولم يُنْصَل بعد، وعليه فسر السكري قول أبي خراش خويلد بن مُرّة الهذلي :

بَعَثْتُهُ بسوادِ الليلِ يرقُبُني ... إذ آثرَ النومَ والدفءَ المناجيبُ

وقال الشارح : والمناجيب، الضعفاء الذين لاخير فيهم، ومنه سهم مِنجاب لا ريش عليه، فشبه الضعفاء بالقداح بلا ريش[٥٥].

٦ – **الحِرَاثُ** : وهو القدح قبل أن يراش والجمع أحرِثَة[٥٦].

٧ – **أَمْرَطُ وأَمْلَطُ** : سهم سقط عنه قُذَذُهُ أو كانت له قذذ، إلا أنها ذهبت، وسهم أَمْرَطُ ومَرِيطٌ ومِراطٌ ومُرُطٌ وتَمرَّط السهم خلا من الريش أو سقط ريشه، وكذلك سهم أَمْلَطُ ومَلِيط وتَمَلَّط، إذا لم يكن عليه ريش، وفي حديث أبي سفيان في غزوة السَّويق قال: (فتناولت القوس والنبلَ لأرمي ظبية عَصْماء نرُدُّ بها قَرَمنا فانْثَنَتْ عليَّ سِيتَاهَا وامَّرَطَ قُذَذُ السهم...). أي سقط ريشه .

وإذا كان السهم أمرط ولم يكن له ريش بعد ثم رمي به اضطرب في ذهابه، وقد شبّه أبو كبير الهذلي السّباع في عدوها بالنبل المراط التي لم يفرغ منها أو تمرّط ريشها، لأن الذئاب تعسل في عدوها وتضطرب فيه كما تضطرب النبل المراط في ذهابها :

ولقد وردتُ الماء لم يَشْرَبْ بِهِ بين الربيعِ إلى شهورِ الصَّيِّفِ
إلاّ عواسِلُ كالمِراطِ مُعِيدة بالليلِ موردَ أيّمٍ مُتَغَضِّفِ

وشبه أبو المقدام جسّاس بن قطيب الإبل في هزالهن واضطراب سيرهن بالسهام الصغار التي سقط ريشها :

فلوْ تراهُنَّ بذي أُراطِ وهنّ أمثالُ السُرَى الأمراط

وشبه المُتنخِّل مالك بن عُويمر الهذلي مشي السباع بالنبل المِراط :

وماءٍ قد وَرَدْتُ أُمَيْمَ طَامٍ على أرجائِه زَجَلُ الغَطَاطِ
قليلٍ وِرْدُهُ إلا سِباعاً يخِطْنَ المشيَ كالنَّبْلِ المِراطِ

وقال راجز في المليط الذي لاريش عليه :

ولو دعا ناصِرَهُ لقيطا
لذاق جَشْئاً لم يكُنْ مَلِيطا(٥٧)

٨ – **المِعْراض** : بالكسر سهم يُرمى به بلا ريش ولا نَصْل يمضي عَرْضاً دقيق الطرفين غليظُ الوسَط فيُصيبُ بعرض العُودِ لا بِحدِّه وربما كانت إصابته بوسطه الغليظ، فكسر ما أصابه، وقال الخليل في تعريفه: إن المِعراض هو السهم الذي لا ريش له (مِفْعال) من العرض كما أن المِنشار والمِنقار (مفْعالان) من النَّشر والنَّقر، وذلك أن من عادة العربَ ألا تريش السهم إلا بعد العرض على صاحبه ليُسأل هل له فيه رغبة أم لا .

جاء في حديث عدي بن حاتم قال: قلت للنبي ﷺ: إني أرمي بالمِعراض الصيد فيَخزِق، قال: إنْ خَزَق فكُلْ أو (فكُله) وإنْ أصابَ بِعَرْضِه فَلا تأْكُل(٥٨).

٩ – المِزْجال : القِدح قبل أن يُنْصَلَ ويُراش، قال أبو النجم :

ركّبها القانصُ في مِزجالها(٥٩)

١٠ – الجُمّاحُ : سهم صغير بلا نصل وليس له ريش ولا فوق، قال أبو حنيفة: هو سهم الصبي يجعل في طرفه مكان النصل تمرا معلُوكا بقدر عِفاص القارورة أو طيناً مثل البندقة، ليكون أهدى له أملس يُرمْى به الطائر فيلقيه ولا يقتله وجمعه: جماميح، قال راجز من الجن :

هل يُبْلِغَنّيهمْ إلى الصَّباحْ هَيْقٌ كأنَّ رأسَهُ جُمَّاحْ

وقال رقَيْعٌ الوالبي :

حَلَقَ الحَوادِثُ لِمَّتي فتركْنَ لي رأساً يَصِلُّ كأنَّهُ جُمّاحُ

أي يصوت لملاسته، وقال آخر :

أصابت حَبَّةَ القلبِ فلم تُخْطِئ بِجُمّاحِ

ويُجمع على جمامح في ضرورة الشعر كقول الحطيئة :

أخو المرءِ يُؤْتَى دُونَهُ ثم يُتَّقَى بزُبِّ اللِّحَى جردِ الخُصَى كالجمامح(٦٠)

١١ – الزُّلَم والزَلَم : القِدحُ الذي لا ريش عليه وهي سهامٍ كانوا يستقسمون بها في الجاهلية، والجمع: أزلامٌ، وكذلك الزُلم، قال أبو خراش الهذلي في قدح كثير الفوز له علامة من عقب وأثر العض عليه :

يَظَلُّ في رأسِها كأنَّهُ زَلَمٌ   من القِداحِ به ضَرْسٌ وتَعقِيبُ

وشبه رُشَيد بن رُمَيض العَنَزي الحُطَم وهو شُرَيْح بن ضُبيعة بالزلَم :

باتَ يُقاسِيها غُلامٌ كالزَّلَمْ   خَدَلَّج السَّاقَيْن خَفّاقُ القدمْ[٦١]

١٢ – **الكُثّاب** : (بالثاء)، قال الأصمعي: هو سهم لانصل ولا ريش له يلعب به الصبيان، قال الراجز في صفة حية :

كأن قُرصاً من طحين مُعْتلث
هامَتُهُ في مثلِ كُثّابِ العَبِث[٦٢]

١٣ – **الجُبَّأ والجُبّاء بالمد** : جاء في تعريفه في معظم المصادر أنه السهم الذي يوضع (في أسفله مكان النصل) كالجوزة من غير أن يراش الواحدة جُبَّأة[٦٣].

وصحيح أبو هلال العسكري ماجاء في المعاجم بقوله: إنه السهم الذي يوضع (في أسفله مكان الريش) كالجوزة فهو الجُبّأ[٦٤].

اسم الريش الساقط من الطير :

النُسال : نَسَلَ الطائر ريشه وأنسَلَ ريشُ الطائر سَقَط واسم ماسقط منه النَسيل والنُسالُ بالضم واحدته نَسِيلَةٌ ونُسَالَةٌ، ونُسالُ الطير ماسقط من ريشها وهو النُّسَالَة ونُسال الطير ماتحات من أرياشها[٦٥].

قال عمرو ذو الكلب :

وثُجْراً كالرِّماحِ مُسَيَّراتٍ   كُسِين دَوَاخِلَ الريشِ النُسَالِ[٦٦]

وقال العجاج فيما تساقط من ريش الطير :

وَمَنْهَلٍ وَرَدْتُهُ عَنْ مَنْهَلِ
قَفْرَيْنِ، هذا ثم ذا لم يُوهَلِ
كَأَنَّ أَرْيَاشَ الحمامِ النُّسَّلِ (٦٧)

ويقال لريش الطائر الذي يسقطُ: سَبِيخٌ لأنه يَنْسَلُّ فيسقط عنه وسَبَائِخ الريش وسَبِيخُهُ ماتناثر منه ونَسَلَ وهو المُسَبَّخُ والجمع سَبائِخُ(٦٨).

قال أمية بن أبي عائذ في مانسل من ريش الطير على الماء:

تُجِيلُ الحَبَابَ بأنْفَاسِهَا وتَجلُو سَبِيخَ جُفَالِ النُّسَالِ(٦٩)

قص الريش وتسويته :

إذا سُحِيَ الريش عن عسيبه ثم قُطِع على المقادير فكل قطعة منه قُذَّة وريشة، ويقال له: القَذّ والإقذاذ أي قطع أطراف الريش وتسويتها وتدويرها وإلصاقها بالسهم، وإذا فعل ذلك قال قذذت السهم أَقُذُّه قَذّاً وأقذذته إقذاذاً، وهو سهم مقذوذ وسهام مقذذة، أي مصلحة الريش مدوّرة ملطفة وما قد من الريش وقطع من أطرافه يقال له القُذاذة بالضم، وما سقط من قَذّ الريش ونحوه يقال له القُذَاذَات.

جاء في الحديث إنه ﷺ قال: «أنتم «يعني أمته» أشبه الأمم ببني إسرائيل تتّبعون آثارهم حَذْو القُذَّةِ بالقُذة» وفي حديث آخر: «لتركَبُنّ سَنَنَ من كان قبلَكُم حذوَ القُذَّة بالقُذّة» أي كما تقدّر كل قذة منهن على قدر صاحبتها في القطع والتسوية، يضرب مثلاً في تشابه الشيئين(٧٠)، وإذا تشابهت في التسوية يقال لها النظائر جمع نظيرة وهي المِثْلُ والشبه في الأشكال، جاء في شعر جميل بن معمر إذ جعل الريش نظائر في مقاديرها لأنه أقصد للسهم:

ما صائب من نابل قَذَفت به يدٌ ومَمَرُّ العُقدتَينِ وَثِيقُ
له من خوافِي النَّسْرِ حُمٌّ نظائرٌ ونصلٌ كنصلِ الزاعبيِّ فتيقٌ(٧١)

وإذا دُقّق الريش وأُلطِفَ قيل له: ريش أصْمَع وتجمع صُمْعانا، ويقال: سهم مُصَمَّع ويراد به ريشه، وهذا عكس الأغضف من الريش أي الغليظ قال أبو المثلم الهذلي:

مُشَمِّرٌ وله بالكفِّ مُحْدَلَةٌ وأصْمَعٌ نَصْلُهُ في القِدحِ مُعْتَدِلُ

وقال آخر:

لدْنُ الكُعُوبِ ومحشُورٌ حَديدتُهُ وأصْمَعٌ غيرُ مَجلُوزٍ على قَضَمِ (٧٢)

وكذلك إذا لَطُفَ الريش وسوي وحدد يقال له ريش حَشْر كأنما بُرِيَ بَرْياً وحدد، وقيل: كل لطيف دقيق فهو حَشْر وسهم مَحْشور وَحشْر مستوي قُذَذِ الريش.

قال أمية بن أبي عائذ في نبل ألطف قُذَذُها وحدد فهو أسرع لها وأبعد:

تَراحُ يَداهُ لِمَحْشُورَةٍ خَواظِي القِداحِ عِجافِ النِّصالِ

وقال ساعدة بن جؤيَّة:

يُزَحْزِحُهُمْ عنه بِنَبْلٍ سَنِينَةٍ يُضِرُّ بِحَبَّاتِ القُلوبِ حَشُورُهَا

وقال ذو الإصبع العدواني في صناعة الريش المحشورة:

السيفَ والرُّمْحَ والكِنَانَةَ والنَّـ ـبْلَ جياداً محشورةً صُنُعَا

وفي نفس المعنى يقول صخر الغي:

وارْمُوهُمُ بالقُضُبِ الذُّكُورَهْ وارْمُوهُمُ بالصُّنعِ المَحْشُورَه (٧٣)

وإن زاد في تقذيذه وتخفيفه قيل قَزّعه تقزيعاً فهو مقزَّع كما يقزّع الفرس إذا خُفّف من عُرْفه وناصيته وقَزَع السهم بالتحريك ما رق من ريشه والقَزَع أصغر ما يكون من الريش يقال سهم مُقَزّع: ريش بريش صغار والمقزّع

المنتوف أو المُنَتَّف الريش من كثرةِ ما رُمِيَ به والمقزع مثل المحشور.

قال أبو ذؤيب الهذلي في السهم المخفف الريش المسوّى تسوية حسنة بحذف مايجب حذفه من الفضول :

فَبَدَا له رَبُّ الكِلاب بِكَفِّهِ   بِيضٌ رِهابٌ ريشُهُنَّ مُقَزَّعُ(٧٤)

وشبّه الطرماح الكلبَ إذا حلَ عنه وأسرع بمر السهم المقزع الخفيف :

يَمُرُّ إذا ماحُلَّ مَرَّ مُقَزَّعٍ   عتيق حداهُ أبْهَرُ القوسِ جارِنِ (٧٥)

وجمع شاعر بين الريش الحشر والمقزع في قوله :

بأزرقَ حَجْرِيٍّ بَرَاهُ وراشَهُ   مناكِبَ حتى عاد حَشْراً مُقَزَّعَا(٧٦)

أما الأدوات المستعملة في قص الريش فهي: المِقَذُّ والمِقَذَّةُ بكسر الميم: التي يقذ بها الريش كالسكين، وسكين أهل البادية حديدة قصيرة لها نصاب، ويقذ بالجلمين وهو مقراض يقطع به(٧٧).

صفات الريش من حيث الحجم :

هناك صفات أخرى للريش من حيث الغلظ والوفرة أو قلة الريش منها:

الأغضف وهو خلاف الأصْمَع: سهم غليظ الريش، وقد تكون الريشة طويلة مسترخية وفيها ميل فهي غضفاء مأخوذ من الغَضَف في الأذن وهو الاسترخاء، قال أبو النجم يصف قوساً :

أزرهُ خشيةَ أن يَطيحا   غُضْفاً حوالي فُوقِهِ جُنوحا

فالريشة مائلة لطولها، قال ابن قتيبة: وذلك أن يجعل أعلاها أغلظ من أسافلها فكأنها مائلة، وقيل : الثابتة المعتمدة على القدح، آزر الصانع القدح بها حتى لايطيش السهم ولا يقصد الهدف(٧٨).

العِبَر ومُعْبر : إذا كان السهم موفور (وافر) الريش لم يحسر يقال سهم عَبِر ومُعْبَر بمنزلة الشاة المُعْبَرة وهي التي لم تُجَزّ أو تحلق عامَها .

ومنه قول المرار العدوي في رواية للبيت :

أو بمريّخٍ على شِرْيَانَةٍ حَشَّهُ الرامي بظهرانٍ عَبِرْ[٧٩]

الأعصل : وهو السهم القليل الريش[٨٠].

طريقة تركيب الريش على القدح :

وتركيب الريش على القدح تركيب منكوس يُجعل رأس القُذة مما يلي مُؤخّر السّهم وهو فوقه ويُجعل ذَنَبها مما يلي صدر السهم وهو ناحية النصل وكذلك ينبغي أن يكون التركيب لينسل السهم في الهواء انسلالاً ولا يتلقاه تلقياً كمستقبل الحربة (؟) .

وإذا ركب الريش على القدح فهي آذانه والقدح مُرَيش[٨١].

قال الطرماح في تركيب النِّصَال والريش على السهام :

واعْبأ لِنبلك باريا ومُركّبا أرِباً يُقَوّمُ أسْهُمَ الأسْوارِ[٨٢]

وإذا ركّب الريش على القدح ودخل فيه واستحكم والتأم قيل عليه ريش دُمُوج، مشتبهة في الاندماج والصلابة، وهو زينة للقدح .

قال الداخل بن حرام واسمه زهير :

عليه من أباهِرَ ليِّنَاتٍ يَزِنَّ القِدْحَ ظُهرانٌ دُمُوجُ[٨٣]

والقذذ تركب على نحوين :

١ – منهم من يركبها بالغِراء يدرجه على ليطة الريش ويدخله في ثناياه.

٢ – ومنهم من يركبها بالعَقَب[٨٤].

أولاً : تركيب الريش على القِدح عن طريق اللزق، فإذا ألزق الصانع الريش على القدح قيل :

أ– حَشَّ النابلُ السهمَ يحشُّهُ حَشاً أي راشه وألزق به القُذذ من نواحيه وركبها عليه. قال المرار بن منقذ العدوي :

أو كـمـريـخٍ على شِـريـانـةٍ حَشَّهُ الرامي بظهرانٍ حُشُرْ(٨٥)

ب– وإذا ألزقت القذذ بالقدح وأدقت جداً قيل: سهم مُطحَر وهو في اللغة بمعنيين مختلفين، فإذا كان بضم الميم فهو السهم الذي ألزقت قذذه وأدقت جداً، وبالكسر البعيد الذهاب، قال الأصمعي وأبو حنيفة المُطحر بالضم الذي قد ألزقت قذذه وبه فسر بيت أبي ذؤيب الهذلي :

فرمى فألحق صاعدياً مُطحَراً بالكَشْحِ فاشتملت عليه الأضْلُعُ

أما السكري وأبو حنيفة فذهبا إلى أن المِطحر بالكسر في بيت أبي ذؤيب يعني السهم الذي ألزقت قذذه وأدّقت جداً(٨٦).

وقال أُمية بن أبي عائذ في نفس المعنى :

فلمـا رآهُنَّ بالجَلْهَتَيْـ ـنِ يكْبُونَ في مُطْحَرَاتِ الإلآلِ

وقال أيضاً :

أرتاحُ في الصُعَداءِ صوتَ المُطْحَرِ الـ ـمحشورِ شيفَ بِصَنْعَةٍ دِهْماصِ(٨٧)

جـ– سهم حشر أي مُلْزَق جيد القذذ والريش، قال كعب بن زهير يصف سهاماً أصلحها الحداد وألزق قذذها فهو أسرع لها وأبعد :

ثاوياً ماثلاً يُقَلِّبُ زُرْقاً رَمَّها القَينُ بالعُيونِ حُشُورَا

وقال أيضاً في نفس المعنى :

يُقَلِّبُ حَشْراتٍ وَيختارُ نابلٌ من الرِّيشِ ماالتفَّتْ عليه القَوادِمُ(٨٨)

وقال ذو الرمة أيضاً :

يُحاذِرْن أن يسمَعْنَ ترنيمَ نبعةٍ حَدَتْ فُوقَ حَشْرٍ بالفَريصَةِ واقعِ (٨٩)

وقال أمية بن أبي عائذ في نفس المعنى :

تَراحُ يداهُ بمحشورةٍ خواظِي القِداحِ عجافِ النِّصَالِ (٩٠)

د – القذ : وهو إلصاق القذذ بالسهم كالإقذاذ تقول قَذَذْتُ السهمَ أَقُذُّه قَذّاً وأقذَذْتُهُ جعلتُ عليه القُذَذَ أو ألزقت القذذ بالسهم، وبذلك فسر السكري قول أبي ذؤيب الهذلي في تشبيه القانص وما ناله من التعب والإعياء بسهم قد ألزقت قذذه ودققت جداً :

فجاء بها بعدَ الكَلالِ كأنَّهُ من الأينِ مِحْراسٌ أَقَذُّ سَحِيجُ(٩١)

المواد المستعملة للزق الريش على القدح :

الرُّومَةُ أو الغِراء، وهو الذي يلصق به ريشُ السهم، قال أبو عبيد: إذا ريش السهم بغير عقب فالغراء الذي يُلصق به الريش هو الرُّومة بغير همز وحكاها ثعلب مهموزة، وقال الجوهري الرّؤمَة: الغِراءُ الذي يلصق به الشيء، يقال: غَرَوت السهم وغريتُهُ وهو سهم مغروٌّ ومَغْرِيّ. ويقال: غَرَوتُ الريش غرواً وَغَريتُهُ، جاء في الحديث (لاتذبَحها وهي صَغيرة لم يصلُب لحمها فيلصق بعضها ببعض كالغِراء) .

وفي المثل (ألزقُ من ريش غِراء)، (وادركني ولو بأحد المَغْرُوَّين) أي السهم المريش ألصق بالغراء أو الذي لم يجف عليه الغراء وهو ماطلي به.

والغِراءُ الذي يُلصق به الشيء يكون من السَّمك أو أطراف الجلود وربما جعل مكان الغِراء دم الحَلَم أو دم الظبي وقد يلزق بالصمغ فيكون

جيداً، ويلزق الريش بالغراء وهو حار، وذلك لأن الغراء إذا برد لم يلزق.

وذكر ذو الرّمة الغراء يلصق به الإناء المكسور في قوله :

تدْهَدى فخرّت ثُلْمةٌ من صحيحِهِ فَلُزَّ بِأُخْرى بالغِراء وبالشُّعْبِ (٩٢)

وجاء في شعر أوس بن حجر :

قَصِيٌّ مَبيتِ الليلِ للصَّيدِ مُطعَمٌ لأسهمِهِ غارٍ وبارٍ وراصفُ(٩٣)

وقال أبو النجم العجلي :

أثبَتُ من ريشٍ على غِرائِهِ(٩٤)

مواد شد الريش على القدح وأنواعها: العَقَب :

جاء في اللغة: عَقَب الشيء يعقِبُه ويعقُبُه عَقْباً، وعَقَّبهُ: شده بعَقَب، وعَقَبَ السَّهْمَ والقِدح عَقْبا إذا لوى شيئاً من العَقَبِ عليه والتعقيب أن يشد عليه العَقَب وهي الأوتار. والعَقَبُ : العَصَبُ الذي تعمل منه الأوتار الواحدة عَقَبَة والعَقَب من كل شيء عَصَبُ المتنين والساقين والوظيفين يختلط باللحم يُمْشَقُ منه مَشْقاً ويُهذَّبُ وينقّى من اللّحم ويُسوَّى منه الوتر، وقد يكون العقب من المتنين من الشاةِ والبعير والناقةِ والبقرةِ قال نافع بن نُقَيع (لقيط) الفقعسي في التعقيب :

مُرُطُ القِذاذِ فليس فيه مَصنعٌ لا الريشُ ينفعه ولا التَّعقيبُ(٩٥)

وقال رؤبة بن العجاج :

والعاقِبُ الريشِ بنَصْلٍ حَشورِ والجاذِبُ القوسِ الطَّرُوحِ الميطَرِ (٩٦)

وقال ذو الرمة :

مُعِدٌّ زرقٍ هَدَتْ قَضْباً مُصَدَّرةً مُلْسَ المُتونِ حداها الريشُ والعَقَبُ(٩٧)

ولهذا العقب مسميات مختلفة في معاجم اللغة تدور حول معنى شد الريش على السهم بأنواع مختلفة من العَقَب منها مايتخذ من عصب الحيوان ومنها مايتخذ من الحبال المصنوعة من الشجر.

أ) السُّلْبة : السُّلَبة. بضم السين وفتحها وتسكين اللام وفتحها: عقبة تلف على أطراف الريش مما يلي الفوق، والسَّلَبُ شجر طويل ينبت متناسقاً يُؤَخذ ويُمَدُّ ثم يُشَقق فيخرج منه مُشاقَةٌ بيضاءُ كالليف واحدته سَلَبَة وهو من أجود مايتخذ منه الحبال، قال أبو حنيفة: السَّلَبُ نبات ينبتُ أمثال الشّمَع الذي يُستصبَحُ به في خِلْقَتِهِ إلا أنه أعظم وأطول يتخذ منه الحبال على كل ضرب .

والسَّلَبُ لِحاءُ شَجَرٍ معروفٍ باليَمَنْ تُعْمَلُ منه الحِبالُ وقيل: هو خوص الثُمام. وقال أبو حنيفة في صناعته: إنهم يقطعونها من أصولها ثم يعمدون إلى أخدود في الأرض قد حفروه فيوقدون عليه حتى يحمى، ثم يستخرجون جمره ورماده، ثم يلقون ذلك السلب فيه حتى يغملوه بالورق والتراب فيتركونه حتى ينضج، ثم يخرجونه إذا برد، فيأتون به الماء فيغسلونه حتى ينقى، ويذهب مابين أوتاره من حشو وتُخَلّص الخيوط كأنها أذناب الخيل وقد لانت فيتخذون منه ضروب الحبال الدقاق والغلاظ وهي حبال أهل السروات والتهائم واليمن ومنابته التهائم، قال وأنشدني بعض اليمانين:

إن تعجبوا منا فما فينا عَجَبْ   قومٌ يمانون حبالُنا السَّلَبْ

وقال مُرّةُ بن مَحْكَانُ التميمي :

فنشنش الجلد عنها وهي باركةٌ   كما تُنَشْنِشُ كَفّا فاتلٍ سَلَبا

أي الفاتل الذي يفتل السلب(٩٨).

ب) **الكِظَامَةُ** : العَقَبُ الذي على رؤوس القُذذ العليا من السهم، أو موضع الريش منه والعقبة التي على طرف الريش مما يلي صدر السهم، وقيل مايلي حقو السهم، وهو مستدقه مما يلي الريش، قال أبو حنيفة: الكِظامة: ألعقب الذي يُدْرَجُ على أذناب الريش يَضْبِطُهَا على أي نحو ماكان التَّركيب.

قال شاعر :

تَشُدُّ على حَزٌ الكِظامَةِ بالكُظْرِ (٩٩)

جـ) **الظُّنْبَة** : عَقَبَة تُلَفّ على أطراف الريش مما يلي الفوق(١٠٠).

د) **السُّرَعَان** : العَقَب الذي يجمع أطرافَ الريشات الثلاث على القدح والمفرد سَرَعَانة وهو الوتر المأخوذ من لحم المتن أو عقب المتنين شِبْه الخُصَلُ تُخلّص من اللحم تُدرَج على كل قذة تُدخَل في جوفها حتى تُلزم القذة القدح ثم يُدرج مافضل منها على أطراف القذذ التي تلي مقدّم السهم يرصف بها على أطراف الريش(١٠١).

هـ) **الشَّرِيجُ** : واحدته شَرِيجة وهي إما لِلَّزْق أو لِلْشَّدِ وقيل إنها عَقَبَةُ يُلْصق بها ريش السهم وأضاف العسكري إنها عَقَبة تَشُد الريش على السهم(١٠٢).

و) **الأُطْرَة** : انفرد الخليل في كتاب العين ومختصره في تعريف الأطرة بأنها عَقَبةٌ تُلْوى على ريش السهم، وقال: وفي كل موضع يُشد فهو أطْرة وكل شيء يحيط بشيء فهو إطار له، أما بقية المعاجم فجاء في تعريفها أن الأطرة من السهم هي العقبة التي تُلَفّ على مجمع الفوق وليس الريش وهذا هو الأرجح(١٠٣).

أسماء صناع الريش :

ذكرت المصادر والأشعار بعض أسماء من زاولوا هذه المهنة في الجاهلية وصدر الإسلام بينهم .

رجل من عدوان : قال ذو الإصبع العدواني في صانع من قبيلته كسا النبل ريشاً :

قَومَّ أفْوَاقَها وَتَرَّصَهَا أنْبَلُ عدوانَ كُلِّها صَنَعَا

ثم كَسَاهَا أحَمُّ أسودَ فيـ ناناً وكانَ الثَّلاثَ والتَّبَعَا(١٠٤)

المُقْعَدُ : رجل كان يريشُ النبل في المدينة، وكان مُقعداً، وجاء ذكره في شعر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري في يوم الرجيع حين لقيه المشركون ورموه بالنبل فقال مفتخراً بسهامه التي راشها هذا المُقْعَد :

أبو سُلَيْمانَ وريشُ المُقْعَدِ وضَالَةٌ مثلُ الجحيم المُوقِد(١٠٥)

إصلاح الريش وصيانته وتعهده :

وقد يطول بالريش العهد دون صيانة وتعهد فينتكث ريشه وعَقَبُهُ فيقال له: شارف، قال أوس بن حجر :

يُقلبُ سهماً راشَهُ بمناكبٍ ظُهارٍ لُؤامٍ فهو أعْجَفُ شارفُ(١٠٦)

لذلك ذكر الشعراء أن الريش حديث عهد بالتركيب على القدح كما قال ذو الرمة :

وقد بات ذو صَفْراءَ زوراءَ نَبْعَةٍ وزُرْقٍ حديثٍ ريشُها وصِقالُها(١٠٧)

وإذا أصلح الريش فهو مرموم، جاء في اللغة: الرَّمُّ إصلاح الشيء الذي فسَدَ بعضُهُ ولَمُّ ماتفرّق، والمراميم: السهامُ المرمومة بالريش أو المُصْلَحَةُ الريش جمع مَرْمُومٌ، جاء في حديث النعمان بن مُقَرِّن (فلينظر إلى شِسْعِه

وَرَمٌ مادَثَر من سِلاحِهِ).

قال كعب بن زهير في السهام المرمومة المصلحة والملصقة الريش وقد رمّها الصانع فأتقن صناعتها :

ثـاوِيـاً مـــاثِـلاً يُـقَـلِّـبُ زُرْقـاً رمَّـها القَيْنُ بالعُيـونِ حُشُـورا(١٠٨)

الريش الجيد التركيب :

ويسمَّى الريش اللؤام أي الملتئم المتفق في التركيب على وجه واحد حيث يلائم بعضه بعضاً، ولا يكون اتفاقهما إلا أن تكون قذذ السهم كلّها من ظُهران أو بُطنان حيث يلي بطن القذة منها ظهر القذة الأخرى، أو يلتقي بطن قذّة وظهر أخرى، وهو أجود مايكون، يقال: لأم السهم لأْماً جعل عليه ريشاً لؤاماً فهو سهم لأْم.

وقيل اللؤام أن يَريش من ثلاث ريَش بالظُهران وأنشد:

رقـيـقـةُ حـدّاد وقـبـضـةُ شَـوْحَـطٍ وريشٌ لؤامٌ من ظُهـار من النَّسْرِ (١٠٩)

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني :

فـأهوَى بمفـتُوق الغِـرارَيْن مُـرْهَف عـليـه لُؤَامُ الرِّيـش فـهـو قـتـوم(١١٠)

وقال أوس بن حجر :

يُـقَلِّـب سَـهْـمـاً راشَـهُ بمـناكِـبٍ ظُهارِ لُؤَامٍ فهو أعجَفُ شارِفُ(١١١)

الريش الفاسد التركيب :

اللُّغَـابُ : لَغَبه يلغَبه لغباً، ولَغب ولَغيـب، يقال: سهم لَغْـبٌ ولُغَابٌ: فاسد لم يُحْسَـنْ عملُهُ، وقيل: هو الذي ريشُهُ بُطنَان، وقيل: إذا التقى بُطْنَان أو ظُهْرَانٌ، وقيل هو ريش السهم إذا لم يعتدل.

وقال أبو حنيفة : اللَّغْبُ أن تكون ريشـتان من ظُهور الريش، والثـالثة

من البطن، فلا يزال السهم مضطرباً، ولا يفعل هذا من له علم بتقذيذ السهام.

وقيل الريش اللَّغَب أن تُؤْخَذ قذّة من عُقاب وأخرى من نَسْر وأخْرَى من غُراب أو رَخَمة فيريش بهنّ صاحب النبل، وإنما اضطر إلى ذلك لأنه لم يجد غيره، وقيل: إن اللُّغاب أن يجعل ظهر القذة إلى ظهر الأخرى، وبطنها إلى بطن الأخرى، وذلك عيب ومكروه.

جاء في الحديث: أهدَى يكسُومُ أخو الأشرم إلى النبي ﷺ سلاحاً فيه سهم لَغْب. أي لم يلتئم ريشه.

وجاء في الشعر في قول بشر بن أبي خازم:

وإنّ الوائِليَّ أصاب قلبي ... بسَهم لم يكُنْ يكْسَى لُغَابَا

أراد لم يكن نكساً ذا ريش لغاب.

وألغَبَ السَّهْمَ: جعل ريشَهُ لُغَاباً أنشد ثعلب:

ليتَ الغُرابَ رَمَى حَمَاطَةَ قلبِهِ ... عَمْرُو بأسْهُمِهِ التي لم تُلْغَبِ

وجاء في الشعر ريش لَغِيب في وصف الراجز للذئب:

أشْعَرتُهُ مُذلَّقاً مذرُوبا

ريشَ بريشٍ لم يكُنْ لَغِيبا(١١٢)

وقال الحارث بن الطفيل الدوسي يصف رجلاً طلب أمراً فلم ينله:

فرميت كبش القوم معتمداً ... فَنَجا وراشوه بذي لَغْبِ (١١٣)

ومن الريش الفاسد التركيب النَّقَل بالتحريك: وهو ريش السهام ينقل من سهم فيجعل على سهم آخر، يقال لا تَرِشْ سهمي بِنَقَل.

قال الكُميت يصف صائداً وسِهامَهُ :

وأقدُحٌ كالظُّبَاتِ أنْصُلها لا نَقلُ ريشُها ولا لَغَبُ[١١٤]

لون الريش :

١) **أطحل :** الطُحلة بالضم لون بين الغُبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد، وقيل لون بين الغُبْرة والسواد ببياض قليل، وقيل الطَحَل لون كلون الطِّحال وكل شيء على لون الطِّحال فهو أطحل، والطِّحال لحمة سوداء عريضة في بطن الإنسان. قال أبو حنيفة: أطحل، في لونه إلى الحمرة، وقال أيضاً: وظاهر الريش من الجناح أشبع لوناً من البطون لتعرضها للشمس والمطر بينما البطون أرق لوناً وأقرب إلى البياض لاختفائها[١١٥].

قال أوس بن حجر :

كساهُنَّ من ريش يمانٍ ظواهراً سُخَاماً لُؤاماً لين المسِّ أطْحَلا

أي من ريش نسر، وفي ريش النّسْر حمرة أو يخالط سواده حمرة لذلك قال أطحل، والنّسر من عتاق الطير، وإذا كان من العتاق لم يكن شديد السواد[١١٦].

وشبّه أبو كبير الهذلي ريش السهم بالكساء الأطحل الذي كلون الطحال إلى الغُبْشَة والحمرة أو لون الرماد :

نُجُفاً بذلتُ لها خوافِي ناهضٍ حَشْرِ القوادِمِ كاللِّفاعِ الأُطْحَلِ[١١٧]

٢ – **الأحم :** الحَمَم مصدر الأحَمّ وهو الأسود من كل شيء[١١٨].

قال ذو الإصبع العدواني في الصانع العدواني الذي كسا النبل بريش أحم :

قَوَّمَ أفواقَها وتَرَّصَهَا أنْبَلُ عَدْوانَ كُلِّها صَنَعَا

ثُمَّ كَسَاهَا أحَمَّ أسوَدَ فَيْ نعاناً وكان الثلاثَ والتَّبَعَا[١١٩]

وقال جميل بن معمر في اختيار ريش خوافي النّسر السود وذلك أخلصه وأجوده:

ما صائبٌ من نابل قذفت به يدٌ ومُمَرُّ العُقْدَتَينِ وثيقُ
له من خَوَافي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ ونصْلٌ كنَصْلِ الزَّاعِبيٌ فتيقُ(١٢٠)

بريقها :

الريشة مع لونها يكون لها وبيصٌ أي بريق في لونها، قال ذو الإصبع العدواني في رواية للبيت :

ثم كساها أحمُّ أسحمَ وبّـ ـاصاً وكُلّ الظواهِرِ تَبَعَا(١٢١)

لين الريش :

السُخامُ وهو الريش اللين الحسن، وقيل: هو من ريش الطائر ماكان ليناً تحت الرّيش الأعلى، واحدتهُ سُخَامَة وريشٌ سُخام أي ليِّن المَسِّ رقيق أو نَعُم مع قوة(١٢٢).

وكذلك الريش أجوده ماكان ليّناً وهو السُخام وان ماكان منها بتهامة فهو ألين مما يكون بنجد .

قال أوس بن حجر في السُخام اللين المَسّ:

فلما قَضَى في الصنْعِ منهنّ فهمَهُ فلم يبقَ إلاّ أن تُسَنَّ وتُصْقَلا
كساهنّ من ريش يمانٍ ظواهِراً سُخاماً لؤاماً ليِّنِ المسِّ أطْحَلاَ(١٢٣)

واختار امرؤ القيس ريش فرخ من أفراخ النسور والعقبان حين نهض وطار فهو ألين ريشاً وأنعم وأرق وأخف من ريش طائر كبير، قال في وصف قدح:

راشَهُ من ريشِ ناهِضَةٍ ثم أمهَاهُ على حَجَرِهِ(١٢٤)

وقال الداخل بن حرام الهذلي في الريش اللين يزين به قدحه :

دَلَفْتُ لهـا أَوَانَئِذٍ بسهم ... حليفٍ لم تخونْهُ الشُرُوجُ

عليه من أباهرَ لَيِّنَاتٍ ... يَزِنَّ القِدْحَ ظُهْرَانٌ دُمُوجُ(١٢٥)

الرَّطْب والرَّطِيب من الريش الناعم :

قال ساعدة بن جؤية :

أجَزْتُ بمخشوب صَقيل وضَالَةٍ ... مَبَاعِجِ ثُجْرٍ كُلُّهَا أَنْتَ شائِفُ

كَسَاهَا رطيبُ الرِّيشِ فاعتدلت لها ... قِداحٌ كأعناق الظِّباءِ زَفَازِفُ(١٢٦)

وقال طفيل الغنوي :

رَمَتْ عن قِسيٍّ الماسِخيِّ رِجَالُنَا ... بأجودَ مايُبْتَاعُ من نبل يثربِ

كساها رطيبَ الريش من كلِّ ناهضٍ ... إلى وكرهِ وكلِّ جَوْنٍ مُقَشَّبِ(١٢٧)

عدد الريش على القداح :

أكثر النبل يراش بثلاث ريشات، يقال رِيّشْتَ السهم ثلاثَ ريشات، والمضطر يريش بما وجد وربما راش بواحدة(١٢٨).

قال ذو الإصبع العدواني في النبل ذي الثلاث ريشات :

قَوَّمَ أَفْوَاقَهَا وتَرَّصَهَا ... أَنْبَلُ عَدْوانَ كُلُّهَا صَنَعَا

ثم كساها أحمُّ أسودَ فيـ ... ـناناً وكان الثلاثَ والتبعا(١٢٩)

وقال أحدهم يصف سهماً جعل عليه ثلاث ريشات :

وخلقته حتى إذا تم واستوى ... كمخة ساق أو كمتن إمام

قرنتُ بحقويه ثلاثاً فلم تزغ ... عن القصد حتى بُصِّرتْ بدِمامِ(١٣٠)

وتراش المراريخ بأربع أو ثلاث أو باثنتين[١٣١].

والجُمّاح بريشتين أو ثلاث[١٣٢].

والمعراض له أربع قذذ دقاق[١٣٣].

مكان الريش :

قال أبو حنيفة: وفي السهم الفوق وعليه عَقبة تسمّى الأُطْرة وأسفل من الأُطرة الريش وتبلغ الأُطرةْ أطراف الريش وتكاد تبلغ الفوق .

وقال أيضاً: ويدرج على أصل الفوق بين يدي الريش عَقَب يحفظ الفوق كيلا يشقه الوتر ويسمى ذلك: الأُطْرة وتوضيح ذلك أن الفوق وأطرته أسفل من الريش وليس الريش أسفل أطرة الفوق كما جاء في قول أبي حنيفة، ويمكن لأطراف الريش أن تبلغ الفوق وأطرته[١٣٤].

وقال أبو عبيد والأصمعي حَقو السهم موضع الريش، وجمعة حِقَاء وحُقي، وقيل: الحقو مستدقه من مؤخره مما يلي الريش، وفي الأساس وسهم دقيق الحقو وهو مستدقه تحت الريش .

قال أحدهم: يصف سهماً راشه بثلاث ريشات في حقوه:

وخلقته حتى إذا تم واستوَى كمخّة ساق أو كمتن إمام

قرنتُ بِحقويه ثلاثاً فلم يزغ عن القصد حتى بُصِّرتْ بدِمامِ[١٣٥]

وتحديد موضع الريش من السهم أنه يسق الفوق، ويسبق عجز أو عجس السهم أو حقوه قال شاعر :

أطرافهنّ مشاقص حجرية وعلى تواليهن حشر مَنْكِبُ[١٣٦]

أنواع السهام المريشة المستعملة للصيد وتحديد مسافات سباق الخيل أو الألعاب :

١) **المِرِّيخُ** : وجمعه المراريخ: وهو سهم طويل له أربع قُـذذ أو اثنتان يغالى به والذي يغلو به يقال له الغالي، يرمى بالسهم ثم يأخذه من حيث وقع ثم يغلو به إلى الأمام حتى يستوفي عدة سباق الخيل أو المسافة التي تقطعها في الجري، وأقلها ثلاثون غلوة، وهي للجذاع، وأعلى الغلو وأرفعه مئة وهي للقرّح، قال الشمّاخ بن ضرار :

أرقتُ له في القومِ والصُّبْحُ ساطعٌ كما سَطَعَ المِرِّيخُ شَمَّرَهُ الغَالِي

وقال مزاحم العقيلي :

إذا ما الجيادُ الأعْوَجِيَّةُ ضَمَّها حِفَاظٌ وَغَلْوٌ بالمراريخ مُكْمَلُ(١٣٧)

وشبه النابغة الجعدي مرور الفرس بمرور سهم صنعه أو رماه عبادي أعسر تساعد الريح في رفعه :

يَمُرُّ كَمِرِّيخ المُغالي انتحت به شمالُ عباديٍّ على الريح أعْسَرا(١٣٨)

وقال المرار بن منقذ في سهم الغلو عمله الصانع بأجود الريش :

وكأنا كُلّما نغدُو به نبتغي الصيد ببازٍ منكدر

أو بمريخ على شِريَانَةٍ حَشَّه الرَّامي بِظُهرانٍ حُشُرْ(١٣٩)

وأنشد أحدهم في المريخ وبه الريش ووصف الذئب :

فأدبرَ مَلاَّزٌ أزلٌّ كأنَّهُ على الشأوِ مِرِّيخٌ به قَزَعَاتُ(١٤٠)

٢) **المِنْزَعُ** : السهم الذي يُرمَى به أبْعَدَ ما يُقْدَرُ عليه لتُقَدَّرَ به الغَلْوةُ وهو السهم البعيد المرمَى كالمغالي، قال عبيد بن الأبرص في المنزع ذي الريش :

فهو كالمِنْزَعِ المَريشِ من الشو حط غالت به يمينُ المُغالي(١٤١)

انفرد الربعي في نظام الغريب في تعريف المِنْزَع بأنه السهم الذي يُغالى به وأضاف: وقيل الذي لاريش عليه واستشهد بقول أبي ذؤيب الهذلي:

فرمى لِيُنْقِذَ فَرّهَا فهَوَى له سَهْمٌ فأنفذَ طُرّتيهِ المِنْزَعُ(١٤٢)

٣) **جُمّاح** : سهام يرمي بها الصبيان، والجمع: جماميح، يريش الصبي الجمّاح بريشتين من ريش عقبان الجرذان، ويؤخذ عودها من أدنى شجرة يجدها وأكثرها من الثُمام وبها يتعلم صبيان أهل البادية الرمي أول شيء، وقال آخر في تعريفها: شيء يلعب به الصبيان يأخذون ثلاث ريشات فيربطونها ويجعلون في وسطها تمرة أو عجينا أو قطعة طين فيرمونه بذلك(١٤٣).

٤) **المِعْراضُ** : سهم طويل له أربع قذذ دقاق فإذا رُمِيَ به اعترض وقيل سهم ذو ريش يمضي نحو الرمية عَرْضاً(١٤٤).

٥) **المِلجاب** : هو السهم الذي رِيش ولم يُنْصل بعد، والجمع: الملاجيب، قال أحدهم:

ماذا تقول لأشياخٍ أولي جُرُمٍ سودِ الوجوه كأمثال الملاجيب(١٤٥)

حفظ السهام المريشة :

القَرَنُ : بالتحريك: الجَعْبَةُ من جلود تكون مشقوقة في جنبها ثم تخرز وإنما تُشقُ كي تصل الريح إلى الريش فلا يفسد أو يأتكل ريشها.

وفي حديث ابن الأكوع إنه سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في القوس والقَرَن فقال: صَلِّ في القوس واطْرِحِ القَرَن، وإنما أمره بنزعه لأنه كان من جلد غير ذكي ولا مدبوغ.

قال الراجز: (نسب البيت إلى رؤبة بن العجاج):

يـاابن هِـشـام أهلـك الـناسَ الـلَّبَـن   فَـكُلُّـهـم يعــدو بقــوس وقَـرَنْ[١٤٦]

وقال إبراهيم بن هرمة في مدح الحسن بن زيد :

أمـا بنو هـاشم حـولي فـقـد نزعـوا   نبل الصِّياب التي جَمَّعْتُ في قَرَن[١٤٧]

هوامش البحث

(١) اللسان والتاج (ريش)، ديوان ابن ميادة ١٠٠ (٨).

(٢) ديوان الشنفرَى (عمرو بن مالك) تحقيق د. أميل بديع يعقوب ص ٥٤ (١٢) .

(٣) ديوان أوس بن حجر تحقيق محمد يوسف نجم، ص ٧١ (٤٥).

(٤) ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٢٥ (٦).

(٥) التاج (ريش)، المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/ ٣٣٠.

(٦) ديوان عبيد بن الأبرص شرح: أشرف أحمد عدرة ٩٨ (٢٦). مختارات شعراء العرب لابن الشجري ص ٣٨٩ (٣٣) . نسب البيت في نهاية الأرب ٦/ ٢٣٣ للأعشى وهو ليس في ديوانه، وفيه (غالت به يمين المُغالي).

(٧) اللسان والتاج (ريش)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ٢٨٩.

(٨) شعر الكميت بن زيد تحقيق سلوم ج ١ قسم ١ ص ١٧٧، المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٢٠٥ – ٦.

(٩) التاج (ريش) لايوجد هذا البيت في ديواني ابن هرمة المطبوعين.

(١٠) ديوان الطرماح ٢٤٢ (٦٥) .

(١١) اللسان (ريش) ديوان ذي الرمة ١/ ٥٣٢ (٤٩) .

(١٢) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٧٥٨ ق ٨ (٣).

(١٣) الصحاح (ريش) المخصص ٦/ ٥٦، مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد ١٠٧ (١٢١– ١٢٣).

(١٤) الاشتقاق ١١٨، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٨٩ .

(١٥) شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٢ (٣١).

(١٦) اللسان والتاج (قذذ) المخصص لابن دريد ٦/ ٥٦– ٥٧ انظر في الأبيات تهذيب

اللغة (تقن) ٩/ ٦٠ اللسان (تقن) تهذيبُ إصلاح المنطق ٣٩٤– ٥ بدون نسبة.

(١٧) النبات ٣٥٤، البيت غير موجود في ديوانه المطبوع.

(١٨) اللسان (أذن) تهذيب اللغة (قذذ) ٨/ ٢٧٤ .

وأذنا السهم أيضاً جانبا السنان قال الطرماح يذكر قتيلا :

تَوَهَّنُ منه المَضْرَحيَّةُ بعدما   مَضَت فيه أذنا بلقعيٍّ وعاملِ

انظر ديوان الطرماح ٣٤٤ (١٢) المعاني الكبير ٢/ ١٠٩٩ وفيه توّهز فيه المضرحية.

(١٩) اللسان والتاج (نهض) العين (عتق) ١/ ١٤٦ النبات ٣٥٥، ديوان أوس بن حجر ٩٠ (٤٠)، مجموع أشعار العرب ديوان رؤبة ١٠٧ (١٢١– ١٢٣)، ديوان امرئ القيس ١٢٥ (٦)، شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٩ (٤٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة ١٩٥ (٧٣).

(٢٠) شرح ديوان الحماسة ٢/ ٦٣٦ (٣)، ديوان الشنفرى ٤٠ (١– ٢) وانظر في نفس الأبيات الأغاني ٢١/ ١٩٢ مع اختلاف، ديوان الطرماح ٢٤٢ (٦٦).

(٢١) اللسان والتاج (عقب) النبات ٣٥٦.

(٢٢) النبات ٣٥٦، اللسان (رخم) .

(٢٣) أدب الكاتب لابن قتيبة ١٥٣– ١٥٤، انظر اللسان والتاج (بهر) (نكب)، الحيوان للجاحظ ٢/ ٣٥٥ وفيه تقديم وتأخير لترتيب الريش في جناح الطائر.

(٢٤) اللسان (قدم) النبات ٣٥٥، ٣٥٦، مجموع أشعار العرب ١٠٠ (٣١) وفيه رُكِّبَت.

(٢٥) ديوان الحطيئة ٣٨– ٤١ (١٦) قال الشارح وللقُدَّامى عشر من الريش خمس في الجناح الأيمن وخمس في الأيسر وبعدها الخوافي يتلوها عشر إلخ ..

(٢٦) اللسان والتاج (طبع) (هزع) تهذيب إصلاح المنطق ١١٩– ١٢٠.

(٢٧) اللسان (خفا) .

(٢٨) الكامل للمبرد ١/ ٩٦ (١– ٢)، ديوان جميل بثينة ١٤٣ (١– ٢).

(٢٩) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٦٣٦ (٣) .

(٣٠) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٨– ٩ (٤٢– ٤٣).

(٣١) شرح ديوان كعب بن زهير ١٤٧.

(٣٢) اللسان والتاج (نكب) .

(٣٣) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ٣٧٨.

(٣٤) ديوان الحطيئة ٣٨ (١٦) مختارات شعراء العرب لابن الشجري ٥٢٩ (١٦) ونسبها في الأساس (نكب) ٦٥٣ للقطامي.

(٣٥) ديوان الراعي النميري ١٤٩ (٥٣).

(٣٦) اللسان والتاج (بهر) وفي كتاب النبات ٣٥٧ الأباهر بين الخوافي والمناكب.

(٣٧) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٦١٦.

(٣٨) الصحاح (ذنب) واعتمد عليه في ذلك اللسان والتاج (ذنب).

(٣٩) النبات ٣٥٥.

(٤٠) انظر في صحة نسبة البيت إلى غير تأبط شراً التاج (لغب)، معجم الشعراء للمرزباني ٤٣- ٤٤.

(٤١) اللسان (ظهر) (بطن) (صمع) التاج (ظهر) النبات ٣٥٧.

(٤٢) ديوان طفيل ٣١ (٥٩).

(٤٣) ديوان الراعي النميري ١٤٩ (٥٣).

(٤٤) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٦١٦ (١٣).

(٤٥) اللسان (بطن) النبات ٣٥٢، ٣٥٧- ٨.

(٤٦) اللسان (دخل) وفيه (من مستطيلات الجناح الدُخّل) المخصص ٦/ ٥٧، النبات ٣٥٢، ٣٥٦- ٣٥٧.

(٤٧) النبات ٣٥٦، شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٦٩ (١٦).

(٤٨) اللسان والتاج (قدح) النهاية في غريب الحديث (قدح) ٤/ ٢٠.

(٤٩) ديوان المفضليات ١٦٨ (٢٦).

(٥٠) تهذيب اللغة (برى) ١٥/ ٢٦٨، جمهرة اللغة ٣/ ٤٥٨.

(٥١) اللسان (نضا) التاج (نضو) المخصص ٦/ ٥٠، النبات ٣٤٣.وفيه فلما قضى.. نهمه، ديوان أوس بن حجر ٩٠ (٣٨- ٤٠).

(٥٢) ديوان امرئ القيس ١٧٦.

(٥٣) المعاني الكبير ٢/ ١٠٥١- ٢.

(٥٤) اللسان والتاج (قذذ) مجمع الأمثال للميداني ٣/ ٢٩٥ (٣٩٥٩)، ٣/ ٢٧٢ (٣٨٥٥)، الرجز في تهذيب إصلاح المنطق ٣٩٤- ٥، النبات ٣٩٥.

(٥٥) اللسان والتاج (نجب) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٣٣ (٥).

(٥٦) اللسان والتاج (حرث)، جمهرة اللغة ٣/ ٤٥٨.

(٥٧) اللسان والتاج (مرط) (ملط)، الفائق في غريب الحديث ٣/ ١٦٣ (قحد) شعر أبي كبير في شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٨٥ (٤– ٥) وفي شعر جساس انظر أراجيز المقلين مجلة مجمع اللغة العربية– دمشق– مجلد ٥٧ (جزء ١– ٢) صفحة ١٥٧– ٨ (٥– ٦)، وفي اللسان (سرا) كيف تراهن– السرى المراط وفي شعر المتنخل انظر شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٧٢ (٢٥– ٢٦).

(٥٨) اللسان والتاج (عرض) الفائق في غريب الحديث ٢/ ٤١٣ (عرض) مجمل اللغة لابن فارس (عرض) ٤٧٠ حاشية (٤) عن كتاب العين للخليل بن أحمد وهذا النص لايوجد في كتاب العين المطبوع .

(٥٩) القاموس المحيط (الزُجلة) المعاني الكبير ٢/ ١٠٥١ .

(٦٠) اللسان والتاج (جمح) النبات ٣٧٣، ديوان الحطيئة ٣١٧ (٩).

(٦١) اللسان والتاج (زلم) شعر أبي خراش في شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٣٣ (٧) شعر رُشيد العنزي الأغاني ١٥/ ٢٥٤– ٢٥٥.

(٦٢) اللسان والتاج (كشب) وفي ديوان المفضليات ١٧٣ شرح البيت ٣٩ وإذا كان للسهم ريش ولا نصل له فهو كثاب.

(٦٣) اللسان والتاج (جبأ) المخصص ٦/ ٥٥ جمهرة اللغة ٣/ ٤٥٨ (٢).

(٦٤) كتاب التلخيص ٢/ ٥٣٧.

(٦٥) اللسان (نسل).

(٦٦) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٦٩.

(٦٧) ديوان العجاج ١٥٧– ٨ (١٠٢– ١٠٤).

(٦٨) اللسان والتاج (سبخ).

(٦٩) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٠٦ (٤٩).

(٧٠) اللسان والتاج (قذذ) النبات ٣٦١، ٣٦٦، النهاية في غريب الحديث (قذذ) ٤/ ٢٨.

(٧١) اللسان (نظر) الكامل للمبرد ١/ ٩٦– ٩٧، ديوان جميل بثينة ١٤٣ (١– ٢).

(٧٢) اللسان والتاج (صمع) شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٧٤ (١٠)، ونفس المصدر ص ٢٢ شرح البيت ٣١، والمتصمع: المنضم من الدم أي متلطخ بالدم، وقال آخر: انظر اللسان

(حشر) بدون نسبة.

(٧٣) اللسان والتاج (حشر)، في شعر أمية، انظر ديوان الهذليين ٢/ ١٨٤، خزانة الأدب ٢/ ٤٣٣، وفي شعر ساعدة شرح أشعار الهذليين ٣/ ١١٧٩ (٢٢)، وفي شعر ذي الإصبع انظر ديوان المفضليات ٣١٤ (٨) صخر الغي شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٨٣.

(٧٤) النبات ٣٦٣، ٤، اللسان والتاج (قزع)، ديوان المفضليات ٨٧٥- ٦ (٤٦).

(٧٥) ديوان الطرماح ٥٠٦ (٦٠) المعاني الكبير ٢/ ١٠٥٨- ٩.

(٧٦) النبات ٣٦٥، ٣٧١.

(٧٧) اللسان والتاج (قذذ) النبات ٣٦٦، النوادر في اللغة ٤٢١.

(٧٨) اللسان والتاج (غضف) النبات ٣٦٥، المعاني الكبير ٢/ ١٠٥٢.

(٧٩) التاج (عبر) المخصص ٦/ ٥٧- ٥٨، النبات ٣٦٣.

(٨٠) اللسان والتاج (عصل).

(٨١) النبات ٣٦١، ٣٦٣.

(٨٢) ديوان الطرماح ٢٤٣ (٦٩).

(٨٣) اللسان والتاج (دمج) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٦١٦ (١٣).

(٨٤) النبات ٣٦١.

(٨٥) اللسان (حشش) ديوان المفضليات ١٤٨ (٢٤).

(٨٦) اللسان والتاج (طحر) تهذيب اللغة (طحر) ٤/ ٣٨٢، شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٤ (٣٣) ديوان المفضليات ٨٦٩ (٣٢) النبات ٣٤٤، ٣٦٥.

(٨٧) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥١٠ (٦٤) ٤٩١ (٢٣).

(٨٨) شرح ديوان كعب بن زهير ١٨٢، ١٤٧، المعاني الكبير ٢/ ١٠٦٦.

(٨٩) ديوان ذي الرمة ٢/ ٨٠٨ (٤٩).

(٩٠) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٠٧ (٥٥).

(٩١) التاج (قذذ) شرح أشعار الهذليين ١/ ١٣٤ (٢١).

(٩٢) اللسان (روم) (رأم) (غرا) النهاية في غريب الحديث (غرا) ٣/ ٣٦٤، مجمع الأمثال للميداني ٣/ ٢١٩، ١/ ٤٦٧، المستقصى للزمخشري ١/ ١١٦، ديوان ذي الرمة ٣/ ١٧٧٤ (١٢)، طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٦٨، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صفحة ١٦٥

حاشية (٤) .

(٩٣) ديوان أوس بن حجر ٧١ (٤٤).

(٩٤) النبات ٣٦٢.

(٩٥) اللسان والتاج (مرط) (ريش) أمالي الزجاجي ١٢٦– ٨.

(٩٦) ديوان رؤبة ٦٠ (٩٧).

(٩٧) ديوان ذي الرمة ٦٦ (٥٣).

(٩٨) اللسان والتاج (سلب) المخصص ٦/ ٥٥، النبات ٢٥٣ وفي اختلاف روايات البيت لمرة بن محكان، انظر: ديوان الحماسة للمرزوقي ٤/ ١٥٦٧ (١٠) مجمل اللغة ومقاييس اللغة والتهذيب (سلب).

(٩٩) اللسان والتاج (كظم) كتاب التلخيص للعسكري ٢/ ٥٣٨.

(١٠٠) اللسان والتاج (ظنب).

(١٠١) التاج (سرع) تهذيب اللغة (سرع) ٢/ ٨٩، النبات ٣٦٦.

(١٠٢) اللسان والتاج (شرج) المخصص ٦/ ٥٥، كتاب التلخيص ٢/ ٥٣٨.

(١٠٣) العين (أطر) مختصر العين (أطر) وقارن ذلك في مادة (أطر) في اللسان والتاج.

(١٠٤) ديوان المفضليات ٣١٤ (٩– ١٠).

(١٠٥) التاج (قعد) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٧٠.

(١٠٦) اللسان والتاج (شرف) ويقال سهم شارف إذا وصف بالعتق والقدم، المخصص ٦/ ٦٨.

(١٠٧) ديوان ذي الرمة ١/ ٥٣٢ (٤٩).

(١٠٨) اللسان والتاج (رمم) القاموس المحيط (رمّه) ٤/ ١٢٢ التكملة لتاج اللغة (رمم) ٦/ ٣٩، النهاية في غريب الحديث (رمم) ٢/ ٢٦٨، ديوان كعب بن زهير ١٨٢– ٣.

(١٠٩) اللسان (لأم) النبات ٣٦٠– ٣٦١، و ٣٥٤– ٥، وفي المخصص ٦/ ٥٧ (قال أبو عبيد: من الريش اللُّؤام، وهو ماكان بطن القذة فيه يلي بطن الأخرى وهو أجود مايكون) والصحيح ماكان بطن القذة يلي ظهر الأخرى.

(١١٠) ديوان الشماخ ٣٠٢ (١٨).

(١١١) ديوان أوس بن حجر ٧١ (٤٥) وانظر اللسان (لأم).

(١١٢) اللسان والتاج (لغب) المخصص ٦/ ٥٧، النبات ٣٥٢، ٣٥٤، وجاء في تهذيب

اللغة (لغب) ٨/ ١٣٩، قال أبو عبيد عن الأصمعي: (من الريش اللؤام واللغاب، فاللغاب ماكان بطن القذة يلي ظهر الأخرى، وهو أجود مايكون) والصحيح اللؤام، النهاية في غريب الحديث (لغب) ٤/ ٢٥٦، ديوان بشر بن أبي خازم ٢٥ (٤).

(١١٣) جمهرة اللغة ١/ ٣١٨، مقاييس اللغة (لغب) ٥/ ٢٥٦.

(١١٤) اللسان (نقل) شعر الكميت بن زيد جـ ١ قسم ١ ص ١٠١– ٢ (٤٥).

(١١٥) اللسان والتاج (طحل) النبات ٣٥٩، ٣٥٧.

(١١٦) ديوان أوس بن حجر ٩٠ (٤٠) النبات ٣٥٥، ٣٦٠.

(١١٧) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٩ (٤٣).

(١١٨) اللسان والتاج (حمم).

(١١٩) ديوان المفضليات ٣١٤ (١٠).

(١٢٠) الكامل للمبرد ١/ ٩٦– ٩٧، ديوان جميل بثينة ١٤٣ (١– ٢).

(١٢١) ديوان المفضليات ٣١٤– ٣١٥ حاشية البيت (١٠).

(١٢٢) اللسان والتاج (سخم).

(١٢٣) النبات ٣٥٥، ديوان أوس بن حجر ٩٠ (٣٩– ٤٠).

(١٢٤) ديوان امرئ القيس ١٢٥ (٦).

(١٢٥) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٦١٥– ٦ (١١– ١٣).

(١٢٦) اللسان والتاج (رطب) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١١٥٥ (٥– ٦).

(١٢٧) معجم مقاييس اللغة (خر) ٢/ ١٤٩– ١٥٠، المعاني الكبير ١/ ٢٨٤– ٥ أما ديوانه ٣١ (٥٧– ٥٩) فجاء فيه (كسين ظهار الريش).

(١٢٨) اللسان (قذذ) أساس البلاغة (ريش) تهذيب اللغة (قذذ) ٨/ ٢٧٤، النبات ٣٥٥، ٣٦٦، ٣٦٣.

(١٢٩) ديوان المفضليات ٣١٤– ٥ (٩– ١٠).

(١٣٠) جمهرة اللغة (ترر) ١/ ٤٠ معاني الشعر الأشنانداني ٧٤.

(١٣١) النبات ٣٦١، ٣٦٣، أساس البلاغة (مرخ).

(١٣٢) النبات ٣٥٦، العين (جمح) ٣/ ٨٨.

(١٣٣) جمهرة اللغة (رضع) ٢/ ٣٦٣.

(١٣٤) النبات ٣٦٦، ٣٦٣.

(١٣٥) اللسان (حقا) التاج (حقو) تهذيب اللغة (حقي) ٥/ ١٢٥، أساس البلاغة (حقو) النبات ٣٤٧، وفي الأبيات انظر: جمهرة اللغة (ت رر) ١/ ٤٠، معاني الشعر ٧٤.

(١٣٦) النبات ٣٤٨، جمهرة اللغة ٣/ ٤٥٨.

(١٣٧) اللسان والتاج (مرخ) النبات ٣٦٩– ٣٧٠. ديوان الشماخ ٤٥٦ (١١).

(١٣٨) شعر النابغة الجعدي ٤٧ (٥٨).

(١٣٩) ديوان المفضليات ١٤٨ (٢٣– ٢٤).

(١٤٠) النبات ٣٧٠.

(١٤١) اللسان والتاج (نزع) نهاية الأرب ٦/ ٢٣٣، ونسب البيت في هذه المصادر إلى أعشى قيس وهو في ديوان عبيد بن الأبرص ٩٨ (٢٦).

(١٤٢) نظام الغريب في اللغة ١٣٧.

(١٤٣) النبات ٣٥٦، العين (جمح) ٣/ ٨٨، وقيل: سهم يجعل على رأسه طين كالبندقة يرمي به الصبيان الطير، انظر: جمهرة اللغة ٢/ ٥٩، ١٥٠، معجم مقاييس اللغة ومجمل اللغة (جمح).

(١٤٤) جمهرة اللغة (رضع) ٢/ ٣٦٣، مقاييس اللغة (عرض) المخصص ٦/ ٦٨.

(١٤٥) اللسان والتاج (لجب) جمهرة اللغة ٣/ ٤٥٨.

(١٤٦) اللسان والصحاح (قرن) المخصص ٦/ ٦٩، النهاية في غريب الحديث (قرن) ٤/ ٥٥، نسب البيت إلى رؤبة بن العجاج في كتاب الصناعتين للعسكري ٣٦٩، والبيت ليس في ديوانه.

(١٤٧) ديوان إبراهيم بن هرمة ٢٣٠ (٢٠) شعر إبراهيم بن هرمة ٢٢٣ (١).

المراجع

١ – أدب الكاتب لابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة– بيروت ١٩٨٥– ط ٢.

٢ – أساس البلاغة للزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، دار صادر ودار بيروت– بيروت ١٩٦٥.

٣ – الاشتقاق لابن دريد محمد بن الحسن، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر– بدون تاريخ.

٤ – الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠– ١٩٧٤.

٥ – أمالي الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة

العربية الحديثة ١٣٨٢هـ– ط١.

٦ – تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي محمد مرتضى، وزارة الإعلام الكويت ١٩٦٥– ١٩٩٧ الأجزاء (١– ٢٩).

٧ – تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي محمد مرتضى، تحقيق: علي شيري، دار الفكر– بيروت ١٩٩٤ الأجزاء (١٥– ٢٠).

٨ – التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصاغاني الحسن بن محمد، مجموعة من المحققين، مطبعة دار الكتب– القاهرة ١٩٦٧– ١٩٧٧.

٩ – كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري، تحقيق: عزة حسن، دار صادر– بيروت ١٩٩٣– ط ٢.

١٠ – تهذيب إصلاح المنطق للخطيب التبريزي– تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة– بيروت ١٩٨٣– ط ١ .

١١ – تهذيب اللغة للأزهري محمد بن أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، تراثنا، بدون تاريخ.

١٢ – جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي محمد بن الحسن، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هـ .

١٣ – كتاب الحيوان للجاحظ عمرو بن بحر تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨– ١٩٤٥– ط١.

١٤ – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر بن عمر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨.

١٥ – ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مطبعة الآداب في النجف ١٩٦٩.

١٦ – ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٤، ط ٢.

١٧ – ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٠ .

١٨ – ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق ١٩٦٠.

١٩ – ديوان جميل بثينة، تحقيق: أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي ١٩٩٢، ط١ .

٢٠ – ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه، مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٨، ط١.

٢١ – ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢– ١٩٧٣ .

٢٢ – ديوان الراعي النميري، تحقيق: راينهرت ڤايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٨٠ .

٢٣ – ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .

٢٤ – ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تحقيق: أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي ١٩٩١، ط ١.

٢٥ – ديوان الطرماح، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ١٩٦٨ .

٢٦ – ديوان الطفيل الغنوي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد– بيروت ١٩٦٨، ط ١.

٢٧ – ديوان عبيد بن الأبرص، شرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤، ط ١.

٢٨ – ديوان العجاج، تحقيق: عزة حسن، مكتبة دار الشرق، بيروت ١٩٧١ .

٢٩ – ديوان المفضليات لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي، شرح: القاسم بن محمد الأنباري، تحقيق: كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٠ .

٣٠ – ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

٣١ – السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٥٥، ط ٢ .

٣٢ – شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار فراج، كنوز الشعر ٣، مكتبة دار العروبة، مصر، بدون تاريخ .

٣٣ – شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، نشرة: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٧.

٣٤ – شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة ثعلب أحمد بن يحيى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٤ .

٣٥ – شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ .

٣٦ – شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء الكويت ١٩٦٢ .

٣٧ – شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان، مطبوعات

مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩ .

٣٨ – شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق: حنا جميل حداد، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٢ .

٣٩ – شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع: داود سلوم، مكتبة الأندلس، بغداد ١٩٦٩.

٤٠ – شعر النابغة الجعدي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦٤، ط ١.

٤١ – الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤، ط ٣ .

٤٢ – كتاب الصناعتين الكتابة والشعر للعسكري أبي هلال الحسن ابن عبد الله، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٩٥٢، ط١.

٤٣ – طبقات فحول الشعراء للجمحي محمد بن سلام، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة ١٩٧٤ .

٤٤ – العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٨، ط١.

٤٥ – الفائق في غريب الحديث للزمخشري جار الله محمود بن عمر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة بدون تاريخ، ط٢ .

٤٦ – القاموس المحيط للفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، دار الفكر، بدون تاريخ.

٤٧ – الكامل للمبرد محمد بن يزيد تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة– بيروت ١٩٨٦، ط١.

٤٨ – لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، بدون تاريخ.

٤٩ – مجمع الأمثال للميداني أحمد بن محمد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧، ط ٢.

٥٠ – مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: هادي حسن حمودي، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت ١٩٨٥، ط ١.

٥١ – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٥٧، جزء ١ – ٢، دمشق أبريل– نيسان ١٩٨٢: أراجيز المقلين، محمد يحيى زين الدين، القسم الأول.

٥٢ – مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق: وليم بن الورد البروسي، برلين ١٩٠٣.

٥٣ – مختارات شعراء العرب لابن الشجري، هبة الله بن علي أبو السعادات، تحقيق:

علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢، ط١.

٥٤ – مختصر العين للزبيدي الأندلسي، محمد بن الحسن، تحقيق: نور حامد الشاذلي، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٦، ط١ .

٥٥ – المخصص لابن سيده علي بن إسماعيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

٥٦ – المستقصى في أمثال العرب للزمخشري، جار الله محمود بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧، ط٣.

٥٧ – معاني الشعر للأشنانداني، سعيد بن هارون، رواية أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، مطبعة الترقي، مصر ١٩٢٢ .

٥٨ – كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة الدينوري محمد بن عبد الله بن مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤، ط١.

٥٩ – معجم الشعراء للمرزباني محمد بن عمران، تحقيق: عبد الستار فراج، منشورات مكتبة النوري، دمشق بدون تاريخ.

٦٠ – معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨١، ط ٣.

٦١ – كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، تحقيق: برنهارد لفين، الجزء الثالث، والنصف الأول من الجزء الخامس، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن ١٩٧٤ .

٦٢ – نظام الغريب في اللغة للربعي الحميري، عيسى بن إبراهيم تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٠، ط ١.

٦٣ – النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت والقاهرة ١٩٨١، ط١.

٦٤ – نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس، تراثنا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر بدون تاريخ .

٦٥ – النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت بدون تاريخ.

الزَّهَرُ اليانع اللّين
في أحكام ولغات كأيِّنْ
عبد الغني السادات (ت ١٢٦٥ هـ)

تحقيق وتقديم

الدكتور عبد الإله نبهان

كان الخليل بن أحمد الفراهيدي ألّف كتاب العين جامعاً فيه ماااستطاع جمعه من اللغة بفصيحها وغريبها مع غزارةٍ في الشواهد وروعة في الترتيب، وتابع اللغويون بعده تأليف معجماتهم المبسوطة والموجزة بترتيبها المتجدد، تلك المعجمات الجامعة لم تمنع اللغويين ولا أصحاب المعاجم أنفسهم من تأليف الرسائل المفردة في اللغة، ولا أشير هنا إلى رسائل المتقدمين كالأصمعي وأبي عبيدة وابن دريد، وإنما أشير إلى المتأخرين كالإمام الصَّغَاني (تـ ٦٥٠ هـ) مؤلف العباب وتكملة الصحاح، فقد اهتم الصغاني بتأليف الرسائل المفردة فكان له رسالة جمع فيها ماورد في اللغة على وزن «يفعول» وأخرى جمع فيها ماورد على وزن «فعالِ»، والأمر نفسه كان لدى النحاة، فبعد أن ألّف إمام النحاة سيبويه كتابه الجامع الذي لم يُضَفْ إليه بعده شيءٌ ذو بال، وتابع النحاة بناء صرح النحو في مؤلفاتهم الجامعة لأصوله وقواعده الكلية والجزئية وعلله ومسائل الخلاف فيه، لم تصرفهم الموسوعات النحوية الشامخة عن تأليف الرسائل المفردة في مسألة

نحوية أو أداة أو إعراب كلمة ما .. فكانت هناك رسالة في (لا) وأخرى في (كذا) وفي (ولا سيما) وفي (كل) وفي (وحده) وفي غير ذلك .. ومن هذه الرسائل وردت متأخرةً رسالة الشيخ السادات في (كأيّن) التي وقعت إلينا مصوّرتها مع مصوّرات رسائل نحوية أخرى من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وإنه لمن الواجب هنا أن أتقدّم بخالص الشكر إلى الأخ الأستاذ فيصل عبد السلام الحفيان الذي حرص دائماً على تزويد العاملين في تحقيق التراث بما تصل إليه يده من مصورات لمخطوطات مفيدة ورسائل نافعة.

كأيّن:

(كأيّن) من ألفاظ الكنايات المبنية، وهي لفظ مبهم يحتاج إلى تمييز[١]، وقد وردت (كأيّن) في القرآن الكريم في سبعة مواضع[٢]، وبها قُرئ في السبعة إلا في قراءة ابن كثير فقد قرئت (كائنْ)[٣] ، وقرئت في الشواذ (وكأْيٍ)[٤]، «بهمزةٍ بعد الكاف ساكنة وياء بعدها مكسورة خفيفة ونون بعدها في وزن كفيٍ». أمّا في الشعر فكثر مجيئها (وكائنْ)[٥] .. ونظراً لتعدد لغاتها واختلاف القرّاء في قراءتها فقد تناولها النحاة والمفسّرون وفصّلوا القول فيها، واختلفوا في طبيعتها من حيث كونُها بسيطةً أو مركّبة، ولم يختلفوا اختلافاً جوهرياً في معناها، فأكثرهم نصّ على أنّها بمنزلة (كم) في إفادتها معنى التكثير[٦]، وذهب سيبويه في موضع إلى أنها بمعنى (ربّ)[٧]، ورجّح السيرافي ما ذهب إليه سيبويه من أنّ معنى (كأين) هو معنى (ربّ) مع أنّ النحويين من كوفيين وبصريين كثر تفسيرهم لها بـ[٨] (كم) وهذا الخلاف لا يُبنى عليه كبير فَرْقٍ لأنّ سيبويه قال عن (كم) الخبرية إنّ معناها معنى (رُبّ): «اعلم أن (كم) في الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه (رُبّ) لأن المعنى واحد، إلا أنّ (كم) اسم و (ربّ) غير اسم بمنزلة

وأضاف ابن مالك إلى (كأيِّن) معنى الاستفهام وردّه أبو حيان(١٠).

أما إعراب (كأيِّن) فهو كإعراب (كم) الخبرية، إلا أنها لاتقع مجرورة ولا يكون خبرها مفرداً، وقد وردت في القرآن الكريم في المواضع السبعة في موضع رفع على الابتداء، واحتملت النصب على الاشتغال في موضع واحد في قوله تعالى ﴿فكأيِّن من قريةٍ أهلكناها﴾(١١) (٢٢/ ٤٥).

وذهب الخليل إلى أن أصل (كأيِّن) هو (أيّ) دخلت عليها كاف التشبيه فصارت وما بعدها بمنزلة شيءٍ واحد، أي إنها أضحت كلمة واحدة، وهذا يعني أنّ دلالة التشبيه خُلعت عن الكاف كما صرح ابن الأنباري(١٢). أما النون فهي تنوين أثبتت كتابته نوناً بعد الكاف، لأن الكلمة غيِّرت عن أصلها(١٣)، وكثر تلعّب العرب(١٤) بها، وصار التنوين بمنزلة النون التي من نفس الكلمة.. لهذا كله تبنّى أبو حيان الأندلسي القول ببساطتها، وهو رأي نقله ونسبه إلى بعض أصحابه قال: «وهذا الذي كنت أذهب إليه قبل أن أقف على قول هذا القائل»(١٥)، ورأي أبي حيان وأصحابه رأي جدير بالتبنّي وبالأخذ به ولاسيما أنه لافائدة نحصّلها من القول بالتركيب..

هذا الجدل وذلك الخلاف في (كأيِّن) ووزنها وطبيعتها كان موضوع هذه الرسالة التي قمنا بتحقيقها والتعليق عليها، ولاشك في أنّ موضوع (كأيِّن) كان قد أثير في مجلس من مجالس العلم آنذاك مما حفز الشيخ عبد الغني السادات على تجريد قلمه وكتابة رسالته. ومن الملاحظ أنه لم يتّسع في إيراد الشواهد، فقد اكتفى بذكر آيتين وردت فيهما (كأيِّن) وذكر شاهداً شعرياً واحداً وردت فيه (كائن) ولم يكن الاتّساع في القول من همّه فيما يظهر، بل كان يريد إيجاز القول في (كأيِّن) وطبيعتها اعتماداً على أقوال النحاة وكان له ماأراد.

لقد اتجهت إلى تحقيق هذه الرسالة مع تأخر زمن مؤلفها لأني رأيت

في ذلك إحياءً لأثر عالم من علماء العربية لم ينشر من آثاره شيء فيما أعلم، كما أنها تصوّر ضرباً من ضروب النشاط العلميّ في بلاد الشام في العصر العثماني. ولم أدّخر جهداً في توضيح معالم الرسالة، وردّ النقول والآراء إلى مصادرها ماوسعني ذلك، إضافةً إلى إيراد تعليقات وآراء مستمدّة من مصادر لم تكن بين يدي مؤلف الرسالة.

المؤلف(١٦):

هو الشيخ عبد الغني بن شاكر بن محمد السادات، ولد في حدود سنة ١٢٠٠هـ، أخذ عن مشايخ دمشق وعلى رأسهم الشيخ حسن بن إبراهيم البيطار(١٧)، وعن الشيخ عبد الرحمن الكزبري(١٨)، والشيخ حامد العطار(١٩)، والشيخ عبد الرحمن الكردي(٢٠)، والشيخ صالح القزاز(٢١)، ويبدو لي أنه عمل في التدريس أولاً ثم انتقل إلى العمل في وكالة الدعاوى لدى المحاكم الشرعية، فقد ذكر الشيخ عبد الرزاق البيطار أنّ السادات «انتفع وحقق واجتهد ودقق ونوّع الأسباب في إفادة الطلاب» ونصّ الشطّيّ على أنه كان يتعاطى وكالة الدعاوى.. وربما كان يجمع بين العملين .

ليس لدينا ثبت تام بآثار السادات، فقد ذكر الشطّي أن للسادات مؤلفاتٍ عديدةً أكثرها متفرق، ومنها: «الدرّ اليتيم في حكم مال اليتيم» وله: «جمع اللآلئ في الشبك في حكم الحائط المشترك» و «نشر الخزام في المحاماة عن تكفير أهل الإسلام» و «سناء النيّرين في إعجاز الآية والآيتين».

وذكر له الزركلي كتاباً في (الفتاوى) وأشار البيطار إلى أن له «تقييدات لطيفة ورسائل شريفة» ولا أعلم له أثراً مطبوعاً. وقد ذكر الشيخ البيطار شيئاً من نظمه وتموذجاً من نثره.

توفي الشيخ عبد الغني سنة خمس وستين ومئتين وألف ودفن في

مقبرة الدحداح بدمشق.

وصف النسخة :

المخطوط مصور من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وهو مصور في الأصل عن الأصل المحفوظ في الظاهرية بدمشق برقم ٩٢٩٦ وقد وُصِف المخطوط في فهرس مخطوطات المعهد (النحو) بما يلي:

«الثمر اليانع الليّن في أحكام ولغات كأيّن» لعبد الغني بن شاكر بن محمد السادات الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ١٢٦٥ هـ.

نسخة كتبت بقلم تعليق، وبها نظام التعقيبة وهي ضمن مجموع من ١٦٢– ١٦٥، ٤ ورقات– ١٧س.

قلت: وقد أُثبت عنوان الرسالة على صفحة مستقلة في أولها مع نسبتها إلى مؤلفها. ولم يذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. وقد آثرت وسمها بـ «الزهر اليانع اللين» لأنّ مؤلفها نص على ذلك في مقدمته لها، وهذا أثبت وأقوى مما جاء على الصفحة الأولى صفحة العنوان .

حواشي المقدمة

(١) انظر شرح الكافية ٣: ١٤٩.

(٢) في آل عمران ٣: ١٤٦ ويوسف ١٢: ١٠٥ والحج ٢٢: ٤٥، ٤٨ والعنكبوت ٢٩: ٦٠ ومحمد ٤٧: ١٣ والطلاق ٦٥: ٨.

(٣) كتاب السبعة: ٢١٦.

(٤) المحتسب ١: ١٧٠.

(٥) أشار إلى ذلك أبو علي الفارسي في الحجة ٣: ٨٠ وذكر ثلاثة شواهد.

(٦) قال ابن يعيش في شرح المفصل ٤: ١٣٤: أعلم أن (كأيّن) اسم معناه معنى كم يكثر به عدة مايضاف إليه.

(٧) كتاب سيبويه ١: ٢٩٨.

(٨) السيرافي على هامش سيبويه ١: ٢٩٨.

(٩) كتاب سيبويه ١: ٢٩١.

(١٠) ارتشاف الضرب ١: ٣٨٧.

(١١) الحج ٢٢: ٤٥.

(١٢) البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٢٢٤.

(١٣) الموضع السابق.

(١٤) المحتسب ١: ١٧٠.

(١٥) الارتشاف ١: ٣٨٥.

(١٦) ترجمة المؤلف في حلية البشر ٢: ٨٦٤ وعنه: روض البشر للشطي ١٥٠، والأعلام ٤: ١٥٩. وعنه: منتخبات التواريخ ٦٧٠.

(١٧) حسن بن إبراهيم البيطار ١٢٠٦ – ١٢٧٢ هـ. حلية البشر ١: ٤٦٣.

(١٨) عبد الرحمن الكزبري ١١٨٤ – ١٢٦٢ هـ محدّث الديار الشامية. حلية البشر ٢: ٨٣٣.

(١٩) حامد العطار ت ١٢٦٢ هـ. حلية البشر ١: ٤٦٢.

(٢٠) عبد الرحمن الكردي. توفي بعد ١٢٥٠ هـ كان من المتصوفة أصحاب الأسفار. توفي في الشام. حلية البشر ٢: ٨٣٩

(٢١) صالح القزاز وهو أيضاً من شيوخ حسن البيطار. توفي بدمشق سنة ١٢٤٠ هـ. حلية البشر ٢: ٧١٧

صورة اللوحة الأخيرة

يقول العبد الضعيف مؤلف هذه الألوكة أما ما قاله المعترض من فضول
الكلام فلا علينا أن نضرب عنه صفحاً ولا نطوي عليه كشحاً ونهديه مقابله
تحية وسلاماً وإذا مروا باللغو مروا كراماً. وأما ما هو المقصود
من حل كلام مولانا الفاضل على مذهب المبرد فهو [illegible] الخصوصيات
لما علمت من أنهم جوزوا في التعريف على مذهب الخليل [illegible] إلى البيضاوي
بعد ما قال كالماضي ووجهه أنه قلب الكلمة الواحدة [illegible] ثم
حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الأخرى [illegible] أبدلت من [illegible]
هذا كلامه وأما مذهب المبرد فهو ما ذكره نجم الأئمة الرضي في شرح الكافية
أنهم سووا ما الكلمة حيث ركبوها [illegible] ما كانا في الكلمة والهمزة التي
كانت [illegible] وحذفت إحدى الياءين وبقيت الأخرى [illegible]
ثم حذفت هذه الكلمة [illegible] لتعريف المحلل والتعريف
التعيين لأن المذاهب فيها ثلاثة [illegible] مباين للآخر
هذا وبعد ما تلألأ [illegible] زال [illegible] عن كواعب مخدرات المعاني
[illegible] والحمد لله والمنة على كشف هذه الدجنة ومواقفنا [illegible]
وأزال [illegible]

صورة الورقة الأخيرة

[١٦٣ق] **بسم الله الرحمن الرحيم**

نَحْمَدُكَ يامَنْ كوّنَ الأكوانَ وأمرُه فيها بين الكافِ والنون كائن، ونشكرك يامَنْ سَبَّحته العوالم على اختلاف لغاتها وكلّ إليه ساكنْ، شكراً مضمّخاً بنعمائك متوالياً تواليَ النجوم على آلائك.

وتصلّي ونسلّم على أفضل مبعوث أخرسَ ببلاغةِ قرآنه ولَسَنِه مصاقعَ البلغاء، وشكَّ بشوكةِ إعجازه لسانَ بلابلِ الخطباء، ما قام أنصارُ نبيّ بنُصْرةِ شريعته الزاهرةِ الروض النضير ﴿وكائِنْ مِنْ نَبيٍّ قاتلَ معه رِبِّيُّون كثيرٌ﴾(١)، وبعد:

فيقول - يسّر الله -(٢)، عبد الغني السادات(٣): هذه ألوكةٌ(٤) قليلةٌ، وإنْ كانتْ بين أترابِها مقنّعةً بِقِنَاع الحُسْنِ جليلةٌ، متضمنةٌ لكشْفِ الأستار ونفحِ الأزهار، عن أحكام (كأين) ولغاتِها التي وقعتْ للعربِ في استعمالاتها، وسمّيتُها: (الزّهر اليانع اللّيّنْ في أحكام ولغات كأيّن) ورتبتُها على بابين وخاتمة:

الباب الأول: في معناها وماهي موضوعةٌ له.

الباب الثاني: في أنها بسيطةٌ أو مركبّة.

الخاتمة: في لغاتها وتصاريفها.

[الباب الأول]:

أقول: الباب الأول في معناها: أما معناها فالتكثيرُ بعددٍ مبهم، ولهذا يجيءُ تمييزُها منصوباً أو مجروراً بـ (مِنْ) على الأكثر كقوله تعالى:

﴿وكأيِّنْ مِنْ نَبيٍّ﴾(٥)، الآية .. و ﴿وكأيِّنْ مِنْ آيةٍ﴾(٦)، ثم هل تستعمل للاستفهام؟ قال ابنُ مالك(٧): نعم، واستدلَّ بقولِ أبيّ بن كعب(٨): «كأيِّنْ تقرأُ سورةَ الأحزابِ آيةً؟ فقال: ثلاثاً وسبعين»(٩)، ولكنْ [في]

نصوصِ النحويين لا تكونُ إلا خبريّةً[١٠]. قاله المراديُّ[١١]، في «شرح الألفية»[١٢] ، وابن هشام[١٣] ، في «المغني»[١٤]..

أقول: لا مانعَ من استعمالهاللاستفهام كما قال ابنُ مالك[١٥] ، واستشهدَ له، ومَنْ حفظَ حُجّةٌ على مَنْ لم يحفظْ ، والمُثبِتُ مقدَّمٌ على النَّافي، فافهم.

[الباب الثاني]:

في أنها بسيطة أو مركّبة:

أقول[١٦]: للنحويينَ مذهبان في ذلك، فزعم بعضهم أنَّها مركّبة من كاف التشبيه و (أيّ) المنوّنة، ولهذا جاز الوقف عليها بالنون، لأن التنوين لمَّا دخلَ بالتركيب أشبه النونَ الأصلية ولهذا رسم في المصحف نوناً.

ومَنْ وقف عليها بحذفه اعتبر حكمه في الأصل وهو الحذفُ في الوقف[١٧]. ثم هل المرادُ بـ (أي) الاستفهاميةُ أو الموصولة أو النكرة الموصوفة وحكيت فصارت كـ «يزيد»[١٨] ، مسمىً به يُحكى ويُحكم على موضعه بالإعراب؟ وقال ابن عصفور[١٩] ، بعد نقله التركيب المذكور: الكاف فيها زائدة لا تتعلّق بشيء[٢٠].أقول: وهذا كلامٌ مشكل من ابن عصفور لأنه بعدَ دعواه أنها مركّبة من الكاف وأيّ جعلها[٢١]، كلمةً واحدة، فأيّ حاجةٍ إلى أن يقول: الكافُ زائدةٌ لا تتعلّق بشيء، وأنت خبيرٌ بأنّها إنما تحتاج إلى هذا إنْ لم يكنْ ثمَّ تركيب. فافهم، اللهمَّ إلا أن يقال: هذا منه نظرٌ إلى الأصل قبل التركيب.

وقال ابن خروف[٢٢]: هي مركّبةٌ من الكاف التي هي اسمٌ ومن (أيّنْ) اسم على وزن فَيْعِلْ، ولم يستعمل هذا الاسم مفرداً بل مركّباً مع الكاف وهو مبنيّ على السكون من حيث استعمل في معنى (كم) وحكى بعضُ

المغاربة بساطتَها[٢٣].

الخاتمة:

في لغاتها، هي خمس على ماذكره النحويون[٢٤]، في غالب أسفارهم، أفصحها «كأيِّن» وبها قرأ السبعة[٢٥]، إلا ابنَ كثير، ويليها (كائنْ) على زنة فاعل وبها قرأ ابن كثير[٢٦]، الثالثة (كأْيِن) بهمزةٍ ساكنة وياء مكسورة[٢٧]، حكاها المبرّد[٢٨]، والرابعة (كَيْئِنْ) بوزن كيعٍ والخامسة (كَئِنْ) بوزن كعٍ.

ترتيب كيف يُوقَفُ عليها؟:

على اللغة المشهورة ذهب السيرافي[٢٩]، إلى أنّه بحذف النون[٣٠]، وذهب آخرون إلى أنه بإقرار النون[٣١]. وأما (كائن) التي قرأ بها ابن كثير فوقف عليها المبرّد وابن كيسان[٣٢] بالنون، ووقف جماعة بحذفها[٣٣]، وقد أغربَ [ق ١٦٤] كلّ الإغراب مَنْ جعلها اسم فاعل من (كان)[٣٤]، أو من (كاءَ) إذا رجع وارتدع قاله المرادي[٣٥].

تصريف:

وأما لغاتها الأربع[٣٦]، وإرجاعها إلى أصلها وهو (كأيّن) فأقول[٣٧]: أما اللغة الثانية وهي [٣٨]، (كائِنْ) فقد قال شيخي زاده[٣٩]، عند قول البيضاوي[٤٠]: وقرأ ابن كثير: (وكائِنْ)[٤١]: كائِنْ بألف ساكنة بين الكاف والهمزة التي بعدها نون ساكنة على وزن كاعِن، وقرأ الباقون (كأيّنْ) بياء مشدّدة وهي لغة قريش[٤٢]، ومن اللغة الأولى قول جرير[٤٣]: [الوافر]

وكائِنْ بالأَبَاطحِ مِنْ صَديقٍ تراهُ إنْ أصبتَ هو المُصابا[٤٤]

قيل: هذه اللغة أصلها (كأيِّن) المركب من كاف التشبيه و (أي) الاستفهامية، فلمّا صارتا كلمةً واحدةً بالتركيب دخلَها قلبُ المكان، فإنّ

قلب المكان لم يُعهد في كلمتين، فقدّمت الياء المشددة على الهمزة فصارت (كَيِّئٍ) على وزن كَعِّلف لأنه قُدّمت العين واللام معاً ثم حُذفت الياء الثانية لثقلها بالحركة والتضعيف كما قالوا في (أيّهما): (أيْهما)(٤٥)، ثم قلبت الياء الباقية ألفاً كما قلبت في (آية) إذ أصلها أيّة(٤٦)، انتهى.

وقال الصبّان(٤٧)، عند قول الأشموني(٤٨)، وكائنْ على وزن كاعن(٤٩)، وبها قرأ ابن كثير. قوله(٥٠) ،ويليها (كائن) قال الخليل(٥١): الياء الساكنة من (أي) قدّمت على الهمزة وحرّكت بحركتها لوقوعها موقعها، وسكنت الهمزة لوقوعها موقع الياء الساكنة ثم قُلبت الياء ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان الألف والهمزة فكُسرت الهمزة لالتقاء(٥٢) الساكنين، وبقيت الياء الآخرة(٥٣) ، بعد كسرة فأذهبها(٥٤)، التنوين بعد زوال حركتها كالمنقوص (شمنّي)(٥٥).

أقول: الفرق بين ماذكره الخليل وبين ماذكره شيخي زاده بيّنٌ، ولكن يمكن أنْ لا يكون / ثمةَ قلبُ مكان بأن سُهّلت الهمزة بأنْ قلبت ألفاً فالتقى ساكنان فحذفت الياء الأولى لالتقائهما ثم قلبت الياء الباقية همزة فصار (كأين) على وزن كعْلٍ، وهاهنا بحثٌ وهو أنه قد اعترض بعض أفاضل العصر على قول البيضاوي وشيخي زاده وبقية ماتقدّم: «وقرأ ابن كثير (كائن) على وزن (كاعن)» بما حاصله أنكم حيث قلتم إنّ أصلها كأيّن فَقُدمت ياءاها اللتان(٥٦)، إحداهما عين والأخرى لام على فائها فصار وزنها (كَعْلَف) ثم لما حذفت الياء الساكنة لثقلها كما تقدّم ثم قلبت الياء الساكنة التي هي عين ألفاً فصارت كائن فينبغي أن يكون وزنها (كعف) لأن الكاف زائدة بناءً على أنها مركبة، وبقي من الأصول الألف التي هي بحسب الأصل عين فينبغي أن تقابل بالعين فيصير وزنها (كعف) كما ذكرنا وكذلك على قول الخليل الذي نقله عنه الصبّان لأن فيه قلْبَ مكان وهو نقل إحدى

الياءين التي هي عين الكلمة على الفاء ثم قلبها ألفاً وحذف الياء الأُخرى على ماتقدّم لأن الفرْق بين التصريفين نقل الياء المشدّدة المحتوية على العين واللام برمّتها وهو الذي نقله شيخي زاده، أو نقْل إحدى الياءين التي هي عين على قول الخليل، وعلى كلٍّ فالمحذوف منها لام الكلمة فالباقي من أصول الكلمة العين المتقدّمة والفاء بعدها، فعلى كلٍّ وزنها كَعْف كما ذكرنا.

وأمّا قول شيخي زاده والأُشْموني ومَنْ تقدّم: كائِن على وزن كاعن فهو من سهو القلم وكثيراً مايُقيلهُ[٥٧]، الساهون الساهين. وأقول: لم يقصدوا بأن وزنها (كاعن) بعد الإعلال المذكور، بل (كائن) على زنة (كاعِن) من حيث الزّنةُ اللفظية لأنهم ذكروها بعد (كائِن) وهما [١٦٥ ق] اسمهما واحد، فلو قالوا: «كَعْف» لما حصل وضوح بيّن ولالتبس ولو من جهة اللفظ، ولم يقصدوا بقولهم «كاعن» الوزنَ التصريفيّ وهو المقابلة بالفاء والعين واللام ليعرفوا به المحذوف من الكلمة ومن تقديم العين على الفاء، بدليل أنّهم ذكروا ذلك عقيب كائِن قبل الإعلال المذكور، ألا ترى إلى قول شيخي زاده بعد ذلك بأسطر: قيل: هذه اللغة أصلها (كأيّن) المركبة من الكاف و (أي) فلما صارا كلمةً واحدةً بالتركيب دخلها قلب المكان فقدّمت الياء المشدّدة في (كأيّن) على الهمزة فصار (كيّأن) على وزن (كعّلف)، فانظره بعد التصريف كيف وزنها بالوزن المعهود الصرفيّ. نعم لو قال بعد قوله هنا: حذفت الياء لثقلها ثم قلبت الياء الساكنة ألفاً فصار (كائِن) على وزن كاعن لكان كلامه معترضاً بقوله:« [فصار كيأن على وزن كعلف.. إلخ» فيه خطأ بيّن كما لايخفى بأدنى تأمل][٥٨] ،فافهم .

وهاهنا وقف بنا جواد المقال عن طراز هذه البرود البيانية، وقطع القلم بروده المحبّرة المسكيّة اليمانية، وذلك في نحو ساعة زمانية على سبيل العجالة، فالمرجوّ ممن يقف عليها التأمل بعين البصيرة، وأن يعطي النظر فيها مجالَه.

ثم رأيت بعد أيّامٍ قلائل من تأليف هذه الألوكة الشهاب الخفاجيّ[٥٩] ـ طيّب الله ثراه، وجعل من الرحيق المختوم شذاه ـ في «حاشيته على البيضاوي» عندما تكلم على قوله تعالى ﴿وكأيّن﴾ وقوله أي البيضاوي: (كـ كاعن) جرياً على معتادهم في إبدال الهمزة في الموازِن بالعين لتخفيفها لفظاً وخطّاً كما سموه في الصرف، هذا كلامه[٦٠]. وأنت خبيرٌ بأن حاصله قصد الموازنة اللفظية، وكان الظاهر أن يقول: كـ (كائن) على صيغة اسم الفاعل لفظاً، ولكن قال: كـ كاعن لهذه القاعدة التي ذكرها، فكان إذن الظاهر ما قاله، ولا يقال: إنه تحصيل الحاصل لما قلنا من رجوعه إلى (كأيّن) وليس اسم فاعل حقيقةً، فاتّضح لك بعد كشف لثام الخفا والنّهل من بحر الصّفا، أنّ قول البيضاوي في هذا المحل: كـ (كاعن) أحسن من قوله: كـ كائن للقاعدة، وفيه محسّن آخر وهو البعد عن تشبيه الشيء بنفسه لفظاً.

ثم رأيت أيضاً في «شرح المفصل»[٦١]، للزمخشري[٦٢]،حيث قال: وفيها خمس لغات: كأيٍّ وكائن بوزن كاعٍ وكيءٍ بوزن كيعٍ وكأيٍ بوزن كعيٍ وكأٍ بوزن كعٍ. انتهى. فهذا صريح فيما قلنا.

[ردٌّ على المؤلف]:

قوله: وأقول: لم يقصدوا ... إلخ .. أقول : ماذكره الكامل الفاضل الأديب والمبدع البارع اللبيب من حاصل جوابه عما وقع في البيضاوي وعدّةٍ من كتب الأعاريب ليس بشيء، لأنّ جميع أدلّته وهمية وما هي إلا تعلّقات سفسطية والقول بها مما تمجّه الطباع وتأباه الأسماع[٦٣]، ولا يقبله عقل ولا يعضده نَقْل، وكلّ ذلك أمرٌ وهْم لا ينبغي التعويل عليه ولا الميل إليه لا سيما لحمل عبارة هؤلاء الأفاضل فإنها محررة عذبة المناهل، ولكنّ الذي ينبغي أن تُحمل عليه عباراتهم وتمهد به إشاراتهم إنما هو الحمل على مذهب المبرّد حيث قال: إنّهم بنوا من الكلمتين لما ركّبوهما صيغة فاعل،

فالكاف فـاء الكلمة، والهـمزة التي كانت فـاء صارت عيناً وحـذفت إحدى الياءين وبقيت الأخرى لاماً ثم حذفت. انتهى. شُمُنّي.

وإن أراد السؤال عن تمثيلهم بـ كـاعن دون فاعـن وعن إثبات تـنوين الزّنة في الخط مع عدم العلة لذلك فليس هذا محلّه لأنّ كلامنا هنا على وجه الاختصار ولذلك لم نتكلّم إلاّ على المحلّ المقصود بالذات وإذا أردنا أن نتكلّم على تـلك السطور علـى وجه الانحـصار فلا يسـعنا هذا المقام ونحتـاج إلى كلامٍ ليس له نهاية وبهذا القدر كفاية. انتهى.

[ردّ المؤلف على المعترض]:

يقول العبد الضعيف مؤلف هذه الألوكة:

أما ما قاله المعترض من فضول الكلام فلا علينا أن نضرب عنه صفحا، ولا نطوي عليه كَشْحا، ونهديه مقـابله: تحية وسلاما ﴿وإذا مرّوا باللّغوِ مرّوا كِراما﴾[٦٤] .

أما ما هو المقـصود من حمل كلام هؤلاء االأفاضل علـى مذهب المبرد فهو بمعزلٍ عن الصواب لما عـلمت من أنهم جروا فـي التعريف علـى مذهب الخليل، ألا ترى إلى البيضاوي بعدما قال كـ (كاعن) ووجهه أنّه قلب الكلمة الواحـدة فصـار (كيّأن) ثم حـذفت اليـاء الثانـية للتخـفيف ثـم أبدلت اليـاء الأخـرى ألفاً كـما أبـدلت من طائـيّ. هذا كلامـه. وأما مـذهب المبـرّد فهـو ماذكره نجم الأئمة الرضيّ[٦٥]،في «شرح الكافية»[٦٦]، أنهم بنوا من الكلمة حيث ركّبوها[٦٧] ، اسمـاً على فاعـل، فالكاف فـاء الكلمـة، والهمـزة التي كانت فاءً[٦٨]، صارت عيناً وحذفت إحدى اليـاءين وبقيت الأخرى لاماً ثم حُذفت[٦٩]. هذا كلامه وأنت خبير من مباينـته لتصريف الخليل ولـتصريف

البعض لأن المذاهب فيها ثلاثة بل أربعة وكلٌّ منها مباينٌ للآخر.

هذا وبعدما تلألأ نور الشهاب، زال - والحمد لله - عن كواعبَ مخدرات المعاني الحجاب، والحمدُ لله والمِنّة على كشف هذه الدُّجُنَّة وموافقتنا لمحيي السنّة، وإزالتنا لتلك الهنّة(٧٠).

الإحالات

(١) آل عمران ٣: ١٤٦ وهي بتمامها: ﴿وكأيّن من نبيٍّ قاتل معه ربّيون كثيرٌ فما وهَنوا لِما أصابهم في سبيل الله وماضعُفُوا وما استكانوا والله يحبّ الصابرين﴾ والرِّبّيّون مفردها: رِبّيّ وهو العالم الراسخ في علوم الدين. معجم ألفاظ القرآن ١: ٤٦٧.

(٢) عبارة تقرأ: أسير الله كما يمكن أن تقرأ: يسّر الله ...

(٣) تقدّمت ترجمته في المقدمة.

(٤) الألوكة: الرسالة.

(٥) آل عمران ٣: ١٤٦ وذكرت بتمامها في الحاشية رقم (١).

(٦) يوسف ١٢: ١٠٥ وهي بتمامها: ﴿وكأيّن من آية في السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون﴾.

(٧) ابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيّاني الشافعي النحوي نزيل دمشق (٦٠٠ هـ - ٦٧٢ هـ). ومؤلف الرسالة ينقل هنا عن شرح التسهيل لابن مالك.

(٨) أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد من بني النجار من الخزرج. صحابيّ جليل، شهد العقبة وبدراً. كتب لرسول الله ﷺ. قيل: إنه مات في خلافة عمر سنة اثنتين وعشرين للهجرة انظر تهذيب التهذيب ١: ١٨٨.

(٩) ذكر ابن مالك في كتابه «تسهيل الفوائد» أن (كأين قد يستفهم بها) قال: (معنى (كأين) و (كذا) كمعنى (كم) الخبرية، ويقتضيان مميزاً منصوباً والأكثر جرّه بـ (من) بعد (كأيّن)، وتنفرد من كذا بلزوم التصدير وأنها قد يُستفهم بها ويقال: كيْءٍ وكآءٍ وكاءٍ وكأيٍ) ص: ١٢٥ وقال في كتابه شرح التسهيل ٢: ٤٢٣:

وانفردت كأيّن أيضاً بأنها قد يستفهم بها كقول أبي بن كعب رضي الله عنه لعبد الله: «كأيّنْ تقرأ سورة الأحزاب أو كأيّن تعدّ سورة الأحزاب؟ فقال عبد الله: ثلاثاً وتسعين.

فقال أبيّ: قطُّ» أراد ما كانت كذا قط.

والحديث المشار إليه ورد في مسند أحمد ٥: ١٣٢: عن زرٍّ قال: قال لي أبيّ بن كعب: كأيِّن تقرأ سورة الأحزاب أو كأيِّن تعدّها؟ قال: قلت له: ثلاثاً وسبعين آية فقال: قطُّ، لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عليم حكيم.

انظر: إعراب الحديث للعكبري ٥١ ـ ٥٢ وفتح القدير للشوكاني ٤: ٢٥١ وشرح الكافية ٣: ١٥٢ والمساعد ٢: ١١٧ ومغني اللبيب ١: ٢٤٦.

(١٠) قال أبو حيان في ارتشاف الضرب ١: ٣٨٧: ونصوص من وقفنا على كلامه من النحويين أنّ (كأيِّنْ) لا تكون إلا خبرية، وزعم ابن مالك أنها قد يستفهم بها، واستدلّ بأثرٍ جاء عن (أبيّ) على عادته في إثبات القواعد النحوية بما روي في الحديث وفي الآثار مما نقله الأعاجم الذين يلحنون، ومما لم يتعيّن أنه من لفظ الرسول ﷺ ولا من لفظ الصحابيّ، فيكون حجّة إذ أجازوا النقل بالمعنى.

(١١) المرادي: الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المُرادي وهو المعروف بابن أم قاسم كان مدرّساً في جامع مصر العتيق. توفي سنة ٧٤٩هـ انظر بغية الوعاة ١: ٥١٧ ـ مقدمة محققي الجنى الداني: ١٠.

(١٢) جاء في كشف الظنون: ومن الشروح المشهورة شرح الشيخ شمس الدين حسن ابن القاسم المرادي ... قلت: وقد طبع شرحه للألفية بمصر بعنوان توضيح المقاصد والمسالك في شرح ألفية ابن مالك.

(١٣) ابن هشام: عبد الله بن يوسف الأنصاري جمال الدين الحنبلي (٧٠٨ هـ ـ ٧٦١ هـ) البغية ٢: ٦٨.

(١٤) قال في مغني اللبيب ١: ٢٤٦: وتوافق «كأيٍّ» «كم» في خمسة أمور: الإبهام، الافتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير، وإفادة التكثير تارةً وهو الغالب نحو ﴿وكأيٍّ من نبيٍّ قاتل معه رِبِّيّون كثيرٌ﴾ والاستفهام أخرى وهو نادر، ولم يثبته إلا ابن قتيبة وابن عصفور وابن مالك، واستدل عليه بقول أبيّ بن كعب لابن مسعود رضي الله عنهما «كأيٍّ تقرأ سورة الأحزاب آيةً؟ فقال: ثلاثاً وسبعين.»

(١٥) سقطت كلمة (مالك) من الأصل.

(١٦) النقل هنا من مغني اللبيب ١: ٢٤٦.

(١٧) انتهى النقل من المغني والتلخيص التالي من الارتشاف ١: ٣٨٥ ومابعدها.

(١٨) نص الارتشاف ١: ٣٨٥: وأمّا (كأيّنْ) فزعموا أنها مركّبة من كاف التشبيه ومن (أيّ) قيل: الاستفهامية، وحكيت فصارت كـ (يزيد) مسمىً به، يحكى ويُحكم على موضعه بالإعراب.

(١٩) ابن عصفور ٥٩٧ ـ ٦٦٩ هـ: علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي،أبو الحسن. ولد بإشبيلية وتوفي بتونس. وهو صاحب المقرّب والممتع وشرح الجمل ...

(٢٠) نُسب هذا الرأي إلى ابن عصفور في الارتشاف ١: ٣٨٥.

(٢١) في الأصل (وجعلها) والواو زائدة مقحمة كما هو ظاهر.

(٢٢) ابن خروف النحوي ٥٢٤ ـ ٦٠٩ هـ علي بن محمد بن عليّ بن محمد الحضرمي، أبو الحسن توفي بإشبيلية وهو من أهلها. وله شرح على سيبويه وشرح على الجمل للزجاجي. ورأي ابن خروف منقول بنصّه من الارتشاف ١: ٣٨٥.

(٢٣) عبارة أبي حيان في الارتشاف: (قال بعض أصحابنا: ويحتمل أن تكون بسيطة انتهى. وهذا الذي كنت أذهب إليه قبل أن أقف على قول هذا القائل) ١: ٣٨٥.

(٢٤) انظر على سبيل المثال: شرح المفصّل ٤: ١٣٤، ١٣٥ ـ وشرح الكافية ٣: ١٥١، ١٥٢ وتسهيل الفوائد: ١٢٥ ـ ارتشاف الضرب ١: ٣٨٨ والبحر المحيط ٣: ٧٢ والمحتسب ١: ١٧١.

(٢٥) السبعة هم القراء الذين رويت عنهم القراءات السبع وهم:

١– نافع: أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني تـ ١٦٩ هـ.

٢– ابن كثير: عبد الله بن كثير المكي تـ ١٢٠ هـ .

٣ – عاصم: أبو بكر عاصم بن أبي النجود الكوفي تـ ١٢٧ هـ.

٤– حمزة: حمزة بن حبيب الزيات الكوفي تـ ١٥٦هـ.

٥ – الكسائي: علي بن حمزة الكسائي الكوفي تـ ١٨٩ هـ.

٦ – أبو عمرو: أبو عمرو بن العلاء البصري تـ ١٥٤ هـ.

٧ – ابن عامر: عبد الله بن عامر اليحصبي إمام القراءة في الشام توفي بدمشق ١١٨ هـ.

انظر مقدمة ابن مجاهد لكتابه: كتاب السبعة في القراءات.

(٢٦) قال ابن مجاهد في كتابه: السبعة في القراءات:٢١٦: واختلفوا في الهمز من قوله «وكأيّن من نبيٍّ» فقرأ ابن كثير وحده (وكآئِنْ) الهمزة بين الألف والنون في وزن (كاعِن) وقرأ الباقون: (وكأيّن) الهمزة بين الكاف والياء مشددة في وزن كَعَيِّن.

وجاء في إتحاف فضلاء البشر: ج ١: ٤٨٩:

«واختلف في (كأيّن) حيث وقع، وهو في سبعة. فابن كثير وأبو جعفر بألف ممدودة بعد الكاف بعدها همزة مكسورة وهو إحدى لغاتها وافقهما الحسن فيما عدا الحج. وتقدّم تسهيل همزها لأبي جعفر، ووقف أبو عمرو ويعقوب على الياء. والباقون على النون.

وعن ابن محيصن (كأْنْ) بهمزةٍ واحدة مفتوحة بوزن كَمَنْ في السبعة (أي في المواضع السبعة التي وردت فيها) وافقه الحسن في الحج. وانظر النشر في القراءات العشر ٢: ٢٤٢.

(٢٧) ذكر في الارتشاف ١: ٣٨٨ أنّ المبرّد حكى (وكَئِن) وقال ابن يعيش ٤: ١٣٦: وأما كيءٍ بوزن كيعٍ فلغةٌ حكاها أبو العباس.

قال ابن يعيش: وكان أبو العباس المبرد يذهب إلى أن الكاف لما لحقت أول (أي)وجعلت معها اسماً واحداً بنوا منهما اسماً على زنة فاعل فجعلوا الكاف فاءً وبعدها ألف فاعل وجعلوا الهمزة التي كانت فاءً في موضع العين، وحذفوا الياء الثانية من (أي) والياء الباقية في موضع اللام، ودخل عليها التنوين الذي كان في (أي) فسقطت الياء لالتقاء الساكنين فصارت (كاءٍ) ولزمت النونُ عوضاً عن الياء المحذوفة.

(٢٨) المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس إمام أهل البصرة في زمانه وصاحب الكامل والمقتضب ولد سنة ٢١٠ هـ وتوفي سنة ٢٨٥هـ . البغية ١: ٢٦٩.

(٢٩) السيرافي: القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله شارح كتاب سيبويه. ولد بسيراف قبل السبعين ومئتين وتوفي ببغداد سنة ٣٦٨ هـ. البغية ١: ٥٠٧.وقد حكى المبرد في الكامل ١٢٥١ ثلاث لغات: كأيّن وكائن وكيئٍ بالقلب.

(٣٠) قال في الارتشاف ١: ٣٨٨: ... فاختلفوا في الوقف عليها في اللغة المشهورة وهي (كأيّنْ) فذهب الفارسي والسيرافي وجماعة من البصريين إلى أنه بحذف النون. وذهب ابن كيسان وابن خروف إلى أنه بإقرار النون. والوجهان منقولان عن أبي عمرو والكسائي.

(٣١) انظر الحاشية السابقة.

(٣٢) ابن كيسان: محمد بن أحمد بن إبراهيم، يحفظ المذهب البصري والكوفي في النحو نقل السيوطي عن الخطيب البغدادي أنّ وفاة ابن كيسان كانت سنة ٢٩٩هـ ونقل عن ياقوت أن وفاته كانت سنة ٣٢٠ هـ. البغية ١ : ١٨.

(٣٣) عبارة أبي حيّان في الارتشاف ١: ٣٨٨: واختلفوا أيضاً في الوقف على (كائن) وهي اللغة التي تلي الأولى في الشهرة فوقف المبرد وابن كيسان بالنون وجماعة بحذفها.

(٣٤) قال أبو حيان في الارتشاف ١: ٣٨٨: ومن غريب المنقول أن يونس ذهب في هذه

اللغة إلى أن (كاين) اسم فاعل من (كان) فعلى هذا لا يوقف إلا بالنون ويثبت خطاً ووقفاً وانظر شرح المفصل ٤: ١٣٦.

(٣٥) جاء في الارتشاف ١: ٣٨٨: وقال ابن يسعون (يوسف بن يبقى ت ٥٤٠ هـ): يجوز أن يكون اسم فاعل من كاء يكيء كيئاً وكيئةً إذا رجع وارتدع، فكاء من هذا اللفظ كجاء ثم ألزم الاستعمال بمعنى كم. ومن المفيد هنا أن نذكر ما جاء في كتاب «الحجّة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ج ٣ ص ٨١ وهو يتكلم على قراءة ابن كثير (وكائن):

«وكائن على وزن كاعن، كان الأصل فيه كأيٌّ، دخلت الكاف على أيٌّ كما دخلت على (ذا) من (كذا) و (أنّ) من (كأنّ) وكثر استعمال الكلمة فصارت ككلمة واحدة، فقُلب قلب الكلمة الواحدة، كما فُعِل في قولهم: لعمري ورعملي. حُكي لنا عن أحمد بن يحيى. فصار: كيّإن مثل كيّع، فحذفت الياء الثانية كما حذفت في (كيّنونة) فصار كيْءٍ بعد الحذف، ثم أبدلت من الياء الألف كما أبدل من طائيّ، وكما أبدلت من (آية) عند سيبويه، وكانت «أيّة» وقد حُذفت الياء من أيّ في قول الفرزدق:

تنظّرتُ نَصْراً والسِّماكين أيْهُما علَيَّ من الغيث استهلّتْ مواطرُهْ

... فأمّا النون في (أيٌّ) فهي التنوين الداخل على الكلمة مع الجر، فإذا كان كذلك فالقياس إذا وقفت عليه (كاءْ) فتكرّر الهمزة المجرورة للوقف، وقياس مَنْ قال: مررت بزَيْدِيْ أن يقول: كائي، فيبدل منه الياء.

ولو قال قائل: إنه بالقلب الذي حدث في الكلمة، صارت بمنزلة النون التي من نفس الكلمة، فصار بمنزلة لام فاعل فأُقرُّه نوناً في الوقف، وأجعلُه بمنزلة ماهو من نفس الكلمة كما جعلت التي في «لدُنْ» بمنزلة التنوين الزائد في قول مَنْ قال: لدن غدوة لكان قولاً. ويقوّي ذلك أنهم لما حذفوا الكلام في قولهم (إمّا لا) جعلوها بالحذف ككلمةٍ واحدةٍ حتى أجازوا الإمالة في ألف (لا) كما أجازوها في التي تكون من نفس الكلمة في الأسماء والأفعال. وسمعت أبا إسحاق يقول: إنها تقال مُمالةً، فجعل القلب في (كائن) بمنزلة الحذف في (إمّا لا) لاجتماعهما في التغيير، لكان قولاً؛ فيقف على كائن بالنون، ولا يقف على النون إذا لم تُقلب، كما لاتُميل الألف في (لا) إذا لم تَحذِفْ معها».

(٣٦) اللغات الأربع إضافةً إلى كأيّن فيكون في كأيّن خمس لغات سيرد الكلام عليها .

(٣٧) في الأصل: أقول .

(٣٨) في الأصل: وهو.

(٣٩) شيخي زاده هو عبد الرحمن بن محمد ت ١٠٧٨ هـ ويقال له (الداماد) فقيه

حنفي من أهل كليبولي بتركيا، من قضاة الجيش. له: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ونظم الفرائد في مسائل الخلاف بين الماتريدية والأشعرية. عن الأعلام.

(٤٠) البيضاوي: عبد الله بن عمر ناصر الدين البيضاوي ت ٦٨٥هـ صاحب تفسير البيضاوي الموسوم بـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

(٤١) قال البيضاوي لدن تفسيره الآية ١٤٦ من سورة آل عمران في تفسيره ص ٩١: «وكأيّن أصله «أيّ» دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى (كم) والنون تنوينٌ أُثبت في الخط على غير قياس. وقرأ ابن كثير: «وكائن» ككاعن، ووجهه أنه قلب الكلمة الواحدة كقولهم: (رعملي) في (لعمري) فصار (كيأن) ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الأخرى ألفاً كما أبدلت من طائي».

(٤٢) قال ابن الشجري في الأمالي ١: ١٦٠ في المجلس السادس عشر:

قالوا في معنى (كم) الخبرية: كأيّن وكائن، مثل: كاعِن، لغتان كثر استعمالهما، إلا أنّ الخفيفة أكثر في الشعر، والثقيلة أكثر في القراءة ولم يقرأ من السبعة بالخفيفة إلا ابنُ كثير وحده.

(٤٣) جرير بن عطية اليربوعي التميمي ٣٠هـ – ١١٤هـ.

(٤٤) البيت في ديوانه: ٢٤٤ ق ٣٤ ب ١٢ من قصيدة يمدح بها الحجاج بن يوسف أولها:

سئمتُ من المواصلة العتابا وأمسى الشيب قد ورث الشبابا

والشاهد تعاورته كتب النحاة. انظر على سبيل المثال: كتاب الشعر للفارسي تح: الطناحي ١: ٢١٣، ٢١٤ وأمالي ابن الشجري تح الطناحي ١: ١٦٠ والإيضاح للفارسي ٢٢٥ والبغداديات ٤٠٢ والخزانة ٥: ٣٩٧ وشرح المفصل ٣: ١١٠– ٤: ١٣٥ ...

(٤٥– ٤٦) انظر الحاشية: ٣٥.

(٤٧) الصبّان: محمد بن علي أبو العرفان، عالم بالعربية والأدب. مولده ووفاته بالقاهرة. له حاشية على شرح الأشموني على الألفية. ت ١٢٠٦هـ.

(٤٨) الأشموني علي بن محمد بن عيسى تـ نحو ٩٠٠هـ. نحويّ، من فقهاء الشافعية له شرح على الألفية.

(٤٩) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٤: ٦٠.

(٥٠) قوله أي قول الأشموني.

(٥١) الخليل بن أحمد الفراهيدي تـ نحو ١٧٥ هـ؟

(٥٢) في الأصل للالتقاء. والصواب من حاشية الصبان.

(٥٣) في الحاشية: الأخيرة.

(٥٤) في الأصل: أذهبها والصواب من حاشية الصبان.

(٥٥) أي هنا ينقل الصبان عن الشمنّي والشمنّي هو أحمد بن محمد الإسكندري. توفي بالقاهرة سنة ٨٧٢هـ . وفي الأصل: ش . صبان .

(٥٦) في الأصل: اللذان.

(٥٧) يُقيله من الإقالة وهي الادعاء على آخر بأنه قال كذا وكذا. وفي الأصل: (يقلْه) مجزوماً ولا وجه لجزمه .

(٥٨) مابين المعقوفتين مستدرك من هامش المخطوط .

(٥٩) الشهاب الخفاجي أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. توفي بمصر سنة ١٠٦٩هـ .

(٦٠) مؤلف هذه الرسالة ينسب إلى الشهاب ماحصّله من كلامه، والنص كما ورد في حاشية الشهاب المسماة بعناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ٣: ٦٩:

قال الشهاب معلقاً على قول البيضاوي (أصله أيّ...) اختلف في هذه الكلمة هل هي بسيطة وضعت كذلك ابتداءً والنون أصلية وإليه ذهب أبو حيّان وغيره، وعليه فالأمر ظاهر موافق للرسم. وقيل: إنها كلمة مركبة من أيّ المنوّنة والكاف. واختُلف في (أيّ) هذه فقيل هي (أيّ) التي في قولهم (أيّ الرجال) وقال ابن جنّي رحمه الله: إنها من قولهم: أوى يأوي أوياً، فأعلّت بالإعلال المشهور وحدث فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من (كمْ) كما حدث في (كذا) بعد التركيب معنىً آخر، فـ (كم) و (كأيّن) بمعنى واحد. وعلى هذا فإثبات تنوينها في الوقف والخط على خلاف القياس لأنه نُسخ أصلها، وفيها لغات...إلخ.

(٦١) شرح المفصل لابن يعيش ٤: ١٣٤.

(٦٢) الزمخشري، محمود بن عمر، أبو القاسم، جار الله، صاحب الكشّاف والمفصّل وأساس البلاغة تـ ٥٣٨ هـ.

(٦٣) في الأصل: السماع.

(٦٤) سورة الفرقان ٢٥: ٧٢.

(٦٥) الرضي: رضي الدين الإستراباذي نجم الأئمة شارح الكافية. وفاته نحو سنة ٦٨٤ أو ٦٨٦هـ . البغية ١: ٥٦٧، ٥٦٨.

(٦٦) شرح الكافية ٣: ١٥١.

(٦٧) في شرح الكافية: بنوا من الكلمتين لما ركبوهما.

(٦٨) في الشرح: فاءَ أي.

(٦٩) عبارة: ثم حذفت، ليست في الشرح.

(٧٠) الهِنَّة: الشدة.

مراجع التحقيق

– إتحاف فضلاء البشر. أحمد بن محمد البنّا. تح د. شعبان محمد إسماعيل عالم الكتب. بيروت ١٩٨٧م.

– ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب. أبو حيان الأندلسي. تح د. مصطفى أحمد النماس مكتبة الخانجي. القاهرة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

– إعراب الحديث النبوي. أبو البقاء العكبري. تح عبد الإله نبهان. دار الفكر. دمشق ١٩٨٩م.

– الأعلام. خير الدين الزركلي. ط ٣.

– الأمالي الشجرية. ابن الشجري. تح د. محمود محمد الطناحي– الخانجي– القاهرة.

– البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي. الرياض.

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. السيوطي. تح محمد أبو الفضل إبراهيم. البابي الحلبي– القاهرة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

– البيان في غريب إعراب القرآن. أبو البركات بن الأنباري. تح د. طه عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا. الهيئة المصرية العامة ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

– تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة. تح السيد أحمد صقر. دار التراث. القاهرة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

– تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك. تح محمد كامل بركات. الهيئة المصرية– القاهرة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

– حاشية الشهاب المسماة بعناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي. مصر. ١٢٨٣هـ.

– حاشية الصبان على الأشموني. المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٥ هـ.

– الحجة للقراء السبعة. أبو علي الفارسي. تح بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي ومراجعة عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق. دار المأمون للتراث. دمشق ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

– حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. عبد الرزاق البيطار. تح محمد بهجة البيطار مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م .

– دراسات لأسلوب القرآن. محمد عبد الخالق عضيمة: مط السعادة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

– ديوان جرير. بشرح محمد بن حبيب. تح د. نعمان محمد أمين طه. دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.

– السبعة في القراءات. ابن مجاهد. تح د. شوقي ضيف. دار المعارف بمصر ط٢ ١٩٨٠م .

– شرح التسهيل. ابن مالك. تح د. عبد الرحمن السيد ود محمد بدوي المختون. هجر. القاهرة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

– شرح جمل الزجاجي. ابن عصفور. تح د. صاحب أبو جناح. بغداد ١٩٨٢ .

– شرح الرضي على الكافية. الرضي الإستراباذي. من عمل يوسف حسن عمر جامعة قار يونس. ليبيا ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

– شرح المفصل. ابن يعيش. دار الطباعة المنيرية .

– الصاحبي ابن فارس. تح السيد أحمد صقر. البابي الحلبي القاهرة ١٩٧٧ م.

– فهارس كتاب سيبويه. محمد عبد الخالق عضيمة مط السعادة– القاهرة ١٣٩٥هـ .

– الكامل. المبرد. تح محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٩٨٦ .

– كتاب سيبويه. وبهامشه تعليقات السيرافي. ط بولاق .

– لسان العرب. ابن منظور. ط دار صادر. بيروت .

– المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها. ابن جني. تح علي النجدي ناصف. ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٣٨٦ هـ.

– مغني اللبيب ابن هشام. تح د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ومراجعة سعيد الأفغاني. دار الفكر. دمشق ١٩٧٩م.

– المقرّب. ابن عصفور. تح أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري.بغداد: ١٩٧١.

– النشر في القراءات العشر. ابن الجزري. بإشراف علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية. لبنان .

المصطلح الأدبي

في

الثقافة العربية الحديثة

مشكلات الدلالة ومواجهتها

د. عبد النبي اصطيف

يروي أبو حيان التوحيدي في «الليلة الخامسة والعشرين» من **«الإمتاع والمؤانسة»** أن الوزير ابن سعدان أحبّ أن يسمع «كلاماً في مراتب النظم والنثر، وإلى أي حدّ ينتهيان، وعلى أي شكل يتفقان، وأيهما أجمع للفائدة، وأرجع بالعائدة، وأدخل في الصناعة، وأولى بالبراعة»[1]، فكان جواب التوحيدي «أن الكلام على الكلام صعب»، وسبب ذلك بيّن:

«لأن الكلام على الأمور المعتمد فيها على صور الأمور وشكولها، التي تنقسم بين المعقول وبين مايكون بالحس ممكن، وفضاء هذا متسع، والمجال (فيه) مختلف. فأما الكلام على الكلام فإنه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعضه، ولهذا شقّ النّحو وما أشبه النحو من المنطق، وكذلك النثر والشعر[2]».

فضلاً عن أن الكلام على الكلام كما يصفه لاحقاً:

«المنتهى منه غير مطموع فيه، ولا موصول إليه»[٢].

إن الكلام على الكلام الذي يشير إليه التوحيدي ليس **غير النقد الأدبي الذي يدور على نفسه،** لأنه إنشاء لغوي على إنشاء لغوي آخر هو الأدب[٣]، وهو لهذا ينتمي إلى عالم الـ «ميتالغة»[٤] (meta-language)، مثله في ذلك مثل النحو والمنطق، اللذين يدوران على الإنشاء اللغوي، الذي ينشئه الناس، ويتدبّران بهما قواعد التركيب، ونواظم التفكير فيه. وبعبارة أخرى إن دارس الأدب أو ناقده، في ممارسته للنقد الأدبي، إنما ينشئ كلاماً يديره على كلام آخر هو الأدب، ويستعمل في ذلك أداة شائعة غاية الشيوع هي اللغة الطبيعية (natural language) التي يستعملها موضوعه، الأدب نفسه، وهذا يجعل الكلام الذي ينشئه يلتبس بالكلام الذي أنشأه الأديب، ويتداخل معه في علاقة وثيقة، بل حميمة، تمنحه هويته (إذ يُسمى النقد الأدبي، نسبة إلى الأدب موضوعه وموضع اهتمامه، بل شغله الشاغل، ومسوّغ وجوده)، وتجعله يخالف في ذلك أنواع النقد الأخرى، من مثل النقد الموسيقي، والنقد التشكيلي، والنقد الفني عامة، والتي تستعمل أداة مختلفة عن أدوات الفنون التي تنقدها، وتحتفظ بذلك لنفسها بفسحة أمان تقيها تبعات الالتباس بموضوعها على هذا النحو الوثيق، وهذا يساعدها على الحفاظ على تميّزها بوصفها فعالية فكرية مهمة في حدّ ذاتها، ومهمة بالنسبة إلى موضوعها، في آن واحد.

والواقع أن اشتراك الكلام الذي ينشئه الناقد (أو الإنشاء النقدي critical discourse) والكلام الذي ينشئه الأديب (أو الإنشاء الأدبي literary discourse) بالأداة المستعملة من جانب كل منهما، لا يؤدي إلى التداخل وحده، بل إلى الاشتراك كذلك في المكوّنات[٥]

(constituents)، فتغدو بذلك مكوِّنات النص النقدي المنتمي إلى تقليد نقدي قومي ما، هي نفسها مكوِّنات النص الأدبي المنتمي tradition للأدب القومي الذي يعنى به هذا النص النقدي. فمكوِّنات النقد العربي الكلاسي، على سبيل المثال، هي نفسها مكوّنات الأدب العربي الكلاسي. وليس من المبالغة القول إنهما بذلك يمثّلان وجهين اثنين لعملة واحدة، هي الفكر الأدبي العربي الكلاسي في وجهي نظريته وممارسته، في التزامه ضمناً ـ من جانب الأدباء العرب الكلاسيين ـ بوصفه نظاماً متماسكاً يُقرأ في ضوئه هذا الإنتاج، ويُشرح، ويُحلّل، ويُفسَّر ويُقارن بغيره، وفي نهاية المطاف، يُحكم عليه.

ولكن هذا الاشتراك في الأداة (أو اللغة الطبيعية الإنسانية) والمكوِّنات، لا يمنع من استعمال مصطلحين مختلفين للإشارة إلى كل من الإنشاء الأدبي، والإنشاء النقدي. فالكلام الذي يُنشئه الأديب نسميه أدباً، والكلام الذي ينشئه الناقد (على هذا الإنشاء) نسميه نقداً أدبياً. وليس ثمة مايسوِّغ هذين الاستعمالين لولا أن هناك فروقاً مهمة بينهما، وإلا لكان التمييز بينهما عبثاً من غير طائل. وبعبارة أخرى، إن الاختلاف في الدالّ (الذي هو، في هذه الحال، الأدب والنقد الأدبي) ليس غير إفصاح عن الاختلاف في المدلول (الذي هو ماينطوي تحت كل من الأدب والنقد الأدبي من معان ودلالات)، ولا شك أن الوقوف على هذا الاختلاف مفيد في ترسيخ فهمنا لطبيعة كل من هذين الإنشاءين: الأدب والنقد الأدبي.

يستطيع المتأمل في طبيعة الأدب أن يتبين أن أداته، أو اللغة الطبيعيّة فيه، تؤدي عدة وظائف تتفاوت بين نص أدبي وآخر، وأن ثمة وظيفة محدَّدة من هذه الوظائف تقع منها موقع الذروة من الهرم، فهي أبرزها، وأظهرها، وأكثرها أهمية، وهي المهيمنة، والسائدة والمتحكِّمة (Dominant)[٦]

بغيرها والمحدِّدة لأوضاعها وعلاقاتها فيما بينها. هذه الوظيفة هي الوظيفة الجمالية التي تقف وراء أدبية النص الأدبي، أو تجعل منه أدباً ينتمي إلى أسرة الفنون الجميلة (Fine Arts) وهذا طبيعي، فنحن نقرأ الأدب بسبب من هذه الوظيفة، على الرغم من تقديرنا للوظائف الأخرى ووعينا وجودَها. فعلى سبيل المثال لا يقرأ المرء ثلاثية نجيب محفوظ ليعرف أحوال مصر الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، أو ليتبيَّن مدى العلاقة القائمة بين شخصية من الشخصيات مثل (كمال) وشخصية نجيب محفوظ، أو لغير ذلك من الوظائف التي تؤديها الثلاثية بطبيعة الحال. ولكنه يقرؤها لما تنطوي عليه من تجربة فنية تتجسد باللغة الروائية وتتحوَّل في نفسه إلى تجربة جمالية يغتني بها، ويسرّ، ولعله ينتشي أحياناً. والشيء نفسه يمكن أن يُقال عن قصيدة للمتنبي، أو قصة لزكريا تامر، أو مقالة ساخرة لمحمد الماغوط، أو مسرحية لسعد الله ونوس، أو قطعة نثر فني لإدوارد الخراط أو غير ذلك. فنحن نقرأ جميع هذه النصوص لما تثيره فينا من تجارب جمالية تجسّدها لغتها التي يجهد مستعملوها من الأدباء لتؤدي وظيفتها الجمالية هذه على خير وجه.

وبالمقابل فإن منعم النظر في طبيعة النقد الأدبي يرى أن اللغة الطبيعية فيه تؤدي وظائف عديدة ، تتميز واحدة من بينها بالسيادة والهيمنة والتحكم بسائر الوظائف الأخرى، وهذه الوظيفة هي وظيفة تيسير التفكير المنظَّم في شؤون الأدب نظراً وتطبيقاً. ذلك أن النقد الأدبي مجموعة عمليات ذهنية تشمل الاختيار والشرح والتحليل والتركيب والموازنة والمقارنة والتفسير والحكم وغيرها، تتم بأداة محدَّدة، هي اللغة، التي تستعمل لتيسير هذه العمليات، أو بعبارة أخرى تيسير التفكير في الأدب إنتاجاً واستهلاكاً، بتقديم أداة تتسم بالوضوح والدقة والتماسك تمكِّن الناقد من أن يدير كلاماً

منظِّماً على الكلام الآخر، الذي هو الأدب، يصفه ويشرحه ويحلِّله ويركِّبه ويوازن بينه وبين غيره، ويقارنه بسواه، ويفسِّره ويحكم عليه، ويكون في ذلك كله واضحاً ودقيقاً ومتسقاً ومفهوماً. ولذلك كانت لغة النقد في مجملها لغة مصطلحات (terms أو idioms) ومفهومات (concepts) يرتبط كل منها مع غيره بشبكة من الوشائج، تمنحه قيمته ومدلوله ووظيفته. وهي تشبه في هذا الوجه، كما تقدّم آنفاً، لغة النحو والمنطق، لأن لغات هذه الحقول المعرفية المتميزة (النقد الأدبي، والنحو، والمنطق) لغات شارحة، واصفة، أو هي تنتمي إلى ما يسمى عادة بـ (meta – language)، فهي لغة عن اللغة، مقابل اللغة الموصوفة المشروحة، التي هي موضوعها ، اللغة الطبيعية الإنسانية بأشكالها المختلفة، وصورها العديدة في الحياة الإنسانية.

إن النقد الأدبي، بوصفه لغة مصطلحات ومفهومات تستعمل لوصف الأدب ومختلف إجراءات دراسته، يقترب إلى حد كبير من النقد المالي في عالم الاقتصاد والتجارة. ولا يظنَّنَّ امرؤ أن هذه الاستعارة هي مجرد تعبير عن النظرة المادية التي تسود مجتمعنا الاستهلاكي الراهن. ذلك أن وراءها سبباً أهم وأكثر جوهرية فحواه أن على المتعامل بهما – بنظام النقد الأدبي الذي يكوِّنه مجموع مصطلحاته ومفهوماته، ونظام النقد المالي الذي تكوِّنه وحداته المختلفة – أن يعرف القيمة الاصطلاحية لكل وحدة من وحداتهما، حتى يكفل لممارسته، سواء أكان ذلك في ميدان النقد الأدبي، أم في ميدان النقد المالي، قسطاً معقولاً من النجاح، ويتجنَّب على أيّ حال الإفلاس في النهاية. فلكل مفهوم في النقد الأدبي قيمته الدلالية، التي ينبغي على كلٍّ ممارس له أن يحرص عليها، حرص المتعامل بالنقد المالي على معرفة قيمة الوحدات النقدية الخاصة به. ومثلما يجب على المتعامل بالنقد المالي أن

يعرف النظام النقدي المحدّد لقيمة وحداته النقدية التي يتداولها، بالقياس إلى بعضها بعضاً من جهة، وبالقياس إلى الوحدات النظيرة الأخرى في النظم النقدية الأخرى من جهة ثانية، وبالقياس إلى قيمتها الشرائية في أي مجتمع من المجتمعات من جهة ثالثة، فإنه يجب على المتعامل مع النقد الأدبي أن يكون على وعي بالنظامين النقدي والأدبي، اللذين يحكمان دلالة المفهومات النقدية والأدبية – هذه المفهومات التي نصطلح على دلالاتها ضمن إطار من هذين النظامين، ونلتزم بها امتثالاً لاتفاق أهل المعرفة والرأي عليها، ونُلزِم بها، على نحو آخر، جميع العاملين في ميدان الأدب والنقد، حتى نكفل الحد الأدنى من التفاهم والتواصل والحوار المجدي فيما بينهم.

والحقيقة أن المتفحّص لمادة الإنشاء النقدي العربي الحديث، أي للغة هذا النقد، أو مفهوماته، أو مصطلحاته، يجدها منحدرة من التقليد النقدي العربي، والتقاليد النقدية الخاصة بالآخر(the other)، التي تتكامل في دورها في تشكيل الفكر الأدبي والنقدي العربي الحديث.

وإذا ما رغب المرء في التركيز على المفهومات، أو المصطلحات النقدية المستمَدّة من مواريث الآخر (وهو في هذه الحالة الغرب الذي شُغل الوطن العربي بمواجهة شاملة معه منذ أواخر القرن الثامن عشر) فإنه يجد أن النقاد العرب المحدثين على وجه الإجمال، وعلى خلاف حال المتعاملين مع وحدات النقد المالي الذين يحسنون استخدامها وتثميرها، على قسط متواضع جداً من النجاح في التعامل مع وحدات النقد الأدبي في الثقافة العربية المعاصرة.

فهم، أولاً، غير متفقين على تسمية هذه الوحدات النقدية والأدبية، أو الدوالّ، أو المصطلحات والمفهومات .

وهم، ثانياً، غير متفقين على تحديد دلالات هذه الوحدات.

وهم، ثالثاً، على معرفة محدودة (تكاد تقرب من الصفر لدى بعضهم) بالنظم الأدبية والنقدية والفكرية التي نبعت منها هذه الوحدات، والتي حكمت دلالاتها، وضبطت علائقها فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين هذه النظم من جهة أخرى.

من هنا يبدو للمرء أن تجاوز هذا الوضع غير المرضي للنقد العربي الراهن لا يمكن أن يتحقق إلا بإصلاحٍ جذري للنظام الذي يحكمه، إصلاح يشمل:

– تثبيت المصطلح النقدي العربي الحديث، أو توحيد «الدالّ» في هذا المصطلح .

– تحديد دلالات هذا المصطلح، أو تحديد «المدلول» فيه.

– الوقوف على محدِّدات هذا المصطلح، أو البنية التحتيّة التي تحكمه.

وهي وجوه مهمة، لا سبيل إلى ممارسة نقدية عربية ذات جدوى من غير تدبُّرها على نحو فعّال. ولذا فربما كان من الحكمة الوقوف عندها ملياً، لما في ذلك من فائدة للمعنيين بالممارسة السليمة للنقد العربي المعاصر، سواء أكانوا منتجين لهذا النقد، أي نقاداً للأدب، أم كانوا مستهلكين، أي قراءً للأدب والنقد، أم منتجين لموضوعه من الأدباء أوالكتاب.

تثبيت مصطلح النقد العربي الحديث

والمقصود به تحقيق حد أدنى من الاتفاق (لا غنى عنه لأي معنيّ بالحقل المعرفي لهذا المصطلح، سواء أكان هذا المعنيّ كاتباً. أم مؤلفاً، أم ناقداً، أم قارئاً) على استعمال لفظة عربية محدَّدة مقابل كل مصطلح مستوحى أو مستلهَم أو مستعار من التقاليد الأدبية والنقدية الخاصة بالآخر.

لقد سئم المعنيون بالنقد الأدبي العربي الحديث، وبحق، فوضى

المصطلح التي تسوده، والتي قادتهم، وبدرجات متفاوتة، إلى حيرة مربكة، تشمل التفكير، والتعبير، والفهم، والتواصل، والتحاور، والتناظر. وماذا يبقى من جوهر النقد الأدبي، إن تعرضت جوانبه المختلفة هذه، لهذا الاضطراب المقلقِل؟

وكيف لهم ألا يسأموا هذه الفوضى، والعرب المحدثون يستعملون، على سبيل المثال، للإشارة إلى مصطلح (Romanticism) الإنكليزي، و(Romantisme) الفرنسي مفردات مثل «الرومنتيكية، والرومنطيقية، والرومنتيقية، والرومنسية، والرومانسية، والرومانتية، والرومنتية. وكذلك يترجمونها مرة بالإبداعية، وثانية بالابتداعية، وأحياناً «التفلّتية»[٧]؟!

ومالهم لا يحارون، وهم يرون العرب المحدثين يستعملون للدلالة على كلمة(structuralism) الإنكليزية، و (structuralisme) الفرنسية مفردات من مثل البنائية، والهيكلية، والبنيوية وغيرها؟! وماذا تراهم يستطيعون فعله غير أن يحوقلوا عندما يرون العرب المحدثين يستعملون مقابل مصطلح (poetics) الإنكليزي و (poétique) الفرنسي - وهو مصطلح قديم قدم الأدب اليوناني، ونقده، ومتجدد بتجدد الاهتمام به في مختلف التقاليد النقدية الغربية في هذا القرن، ولا سيما في النصف الثاني منه - أكثر من عشر ترجمات، على الرغم من وعيهم أن لتفاعل الثقافة العربية مع التراث اليوناني، ولتوظيف العرب لهذا المصطلح، تاريخاً طويلاً امتد أكثر من ثلاثة عشر قرناً؟! وهاهو حسن ناظم[٨] يحصي هذه الترجمات لدى النقاد العرب المحدثين في شرقي الوطن العربي وغربيه فيذكر: الشعرية، والإنشائية، والشاعرية، وعلم الأدب، والفن الإبداعي، والإبداع، وفن النظم، وفن الشعر، ونظرية الشعر، وبويطيقا، وبويتيك. ويمكن للمرء أن

يضيف إليها الشعريات، ونظرية الأدب، ونظرية الأدب الداخلية، وغيرها.

والحقيقة أن هذا الاختلاف في استعمال المصطلح النقدي، المستلهَم من التقاليد النقدية والأدبية الخاصة بالآخر، قد يبلغ أحياناً درجة عابثة لا يكاد المرء يتصوَّرها عندما يتصل بمصطلح مهم جداً من مثل (linguistics) الإنكليزي، ونظيره الفرنسي(linguistique). فقد أحصى الباحث العربي التونسي عبد السلام المسدي ثلاثة وعشرين مقابلاً عربياً لهذا المصطلح ، نذكر منها: « اللانغويستيك، وفقه اللغة، وعلم اللغة الحديث، وعلم اللغة العام، وعلم اللغة العام الحديث، وعلم اللغات العام، واللسانيات، والألسنيات، والألسنية، وعلم الألسن[٩] وغيرها. ويبدو أن ثمة رغبة دفينة لدى بعض العاملين في حقل النقد الأدبي العربي الحديث في الاختلاف، والمغامرة في الاجتهاد الشخصي، والبدء دائماً من الصفر في سك المصطلحات، والاستبعاد غير المسوَّغ لجهود الآخرين، حتى إن المرء ليجد أن ناقدين من مجموعة واحدة، أو فريق واحد من الزملاء في مؤسسة جامعية أو ثقافية، أو إعلامية، أو حتى مجمعية واحدة، يستعملون مصطلحات مختلفة. وهذا مايجده المرء في إشارة بعضهم إلى مصطلح (Deconstruction) الإنكليزي، ونظيره الفرنسي(Déconstruction) عندما يستعمل «التفكيك»، في حين يستعمل زميله «التشريح»، ويفضل زميل ثالث مصطلح «التقويض»[١٠]. ويمكن للمرء أن يضيف إليه مصطلح (discourse) الإنكليزي، و(discours) الفرنسي، الذي تصر الكثرة الكاثرة من النقاد العرب المحدثين على استعمال مصطلح «الخطاب» عديلاً له، وتصرُّ قلَّة منهم على استعمال مصطلح «الإنشاء»، وكل يغنّي على ليلاه.

أما المصطلح الإنكليزي (semiology)، أو (semiotics)، والمصطلح الفرنسي(sémiologie)، فالعرب المحدثون يستعملون مفردات

من مثل علم العلامات، وعلم الأدلة،وعلم العلامة، وعلم الإشارة، والدلائلية، والسيميولوجيا، والسيمياء، والسيميائيات، والسيميائية، والسيميات، وغيرها[١١]. وواقع الحال أن الأمثلة لا تحصى على هذا الاختلاف، الذي لا يكاد ينجو منه أبسط المصطلحات النقدية.

ولربما تبدو المسألة لبعضهم مسألة اختيار مفردة لا غير، ولكن الحقيقة هي أن اختيار كلمة ما، أو لفظة ما، للدلالة على مصطلح نقدي معيَّن يعني بالضرورة اختيار مجموعة من المشتقات المتصلة بها للإشارة إلى اسم الفاعل، واسم المفعول، وإلى الصفة تحيل على من يقوم بالفعل، وإلى الصفة تحيل على ما يتصف به، وإلى المصدر الصناعي للإشارة إلى النزعة المنسوبة إليه، وإلى الفعل وهكذا. فإذا ما اخترنا مصطلح «الهيكل» للإشارة إلى مصطلح (structure) مثلاً، كان معنى ذلك اختيار «هَيْكَلَ» للفعل، و «هيكلية» للمصدر الصناعي، و «هيكلي» صفة للعاقل، و «هيكلي» صفة لغير العاقل، وهكذا. وإذا ما اخترنا مصطلح «الخطاب» للإشارة إلى مصطلح (discourse) كان معنى ذلك اختيار مصطلح «خطابي» للإشارة إلى ما يتصف به، كأن نصف به تقنية فنقول عنها إنها « تقنية خطابية»، بمعنى(discursive technique)، وعندها قد يفهم القارئ منها ما يفهمه عادة من صفة «خطابي» المتصلة بالخطابة العربية، وهي جنس نثري مهم من أجناس النثر العربي القديم والحديث معاً، وهذا يُحدِث خللاً في اتساق فهم القارئ للنص الذي بين يديه، ويسهم في قلقلة فهم الدلالة العامة لهذا النص، الذي يفترض أن يرسِّخ لديه (بوصفه نصاً نقدياً) عملية التفكير المنظَّم في الأدب. وللمرء أن يفكر في دلالات مصطلحات مشتقة من الجذر نفسه، من مثل مخاطِب ومخاطَب، ونزعة خطابية ، وتحليل خطابي، وغيرها مما يمكن أن يختلط في ذهن المتلقي بدلالات أخرى نتيجة اشتراكها جميعاً

في حقل دلالي واحد.

ومعنى هذا أن على المرء أن يفكر قبل اختيار مصطلحه الجديد بجميع دلالات مشتقاته المستمدة منه، وبآليات التفريق والاختلاف فيما بينها وبين مماثلاتها في اللغة العربية الحديثة، إذا ما حرص حقاً على تجنب الإسهام في فوضى المصطلح النقدي، أو في اضطراب التفكير النقدي العربي في الأدب العربي وسواه من الآداب قديمها وحديثها. وهكذا فإن على الناقد العربي، الذي يفكر في اختيار مصطلح «التفكيك» ترجمة لـ (deconstruction) أن يفكر في «المفكِّك» صفة للناقد (اسم الفاعل)، و«المفكَّك» صفة للنص (اسم مفعول)، وفي «فكّك» (فعلاً) يصف به الفعل الذي يؤديه الناقد الممارس لهذا الضرب من النقد الأدبي، وفي «التفكيكية» (مصدراً صناعياً) يصف بها نزعته هذه، وهكذا، وإلا كان إدخال أي مصطلح وبالاً على اللغة، لا إغناء لها، ولا أظن أن العربية الحديثة بحاجة إلى خدمة كهذه من ناطقيها المحدثين .

إن على العاملين في ميدان النقد الأدبي (منتجين ومنتفعين بهذا الإنتاج من كتّاب وقراء) أن يبذلوا قصارى جهدهم من أجل تحقيق حد أدنى من الاستقرار لمصطلحهم يكفل له في نهاية المطاف نوعاً من الثبات، الذي يرجى له أن يؤدي إلى استعمال دالّ واحد للإشارة إلى مدلول واحد في العملية النقدية. صحيح أن الناقد الحصيف حريص أشد الحرص على دقة مصطلحاته ووضوحها، وبالتالي على تطويرها في هذا الاتجاه، وأن ذلك قد يقوده إلى تفحُّص مصطلحه باستمرار ومراجعته وتنقيحه وصقله، أي أنه يجعله في حالة من الاستنفار الدائم أو القلق المحكوم بالطموح نحو الأفضل، ولكن لا بأس من ترشيد هذا القلق، وجعله قلقاً منتجاً بعيداً كل البعد عما سماه حسام الخطيب، وبحقّ فيما يبدو لي، بمفهوم «التفرد الاجتهادي»(١٢)، **(خالف تعرف)** وذلك

بغرض الوصول إلى حد أدنى من الإجماع، أو الاتفاق على الأقل، ييسّر التواصل والتفاهم والحوار المجدي، الذي ينتهي بنتيجة إيجابية وبناءة.

ولا شك في أن صعوبات كثيرة تقف في طريق تحقيق هذا الإجماع المرغوب فيه من جانب العاملين في ميدان النقد الأدبي العربي الحديث، وهي في معظمها صعوبات غير مقصورة على المصطلح النقدي الحديث المستوحى من التقاليد النقدية الخاصة بالآخر، بل تشمل المصطلحات الأخرى في العلوم الإنسانية والطبيعية والرياضية والطبية والبحتة.

وأولى هذه الصعوبات أن اللغة العربية الحديثة أو المعاصرة، لغة غير مخدومة، بل هي في وضع بائس حقاً، إذا ما قورنت بغيرها من اللغات الحيَّة. لقد كتب الدكتور حسام الخطيب، في معرض حديثه عن «اللغة العربية والهموم المقلقة»(١٣) تحت عنوان فرعي، مؤكداً هذا الواقع المؤسف فقال:

«نحن نتحدث دائماً عن لغتنا العربية الجميلة، وبملء أشداقنا نتغنّى بأمجادها وفضائلها، فهي أمّ اللغات وزينتها، أغناها بالمفردات وأقدرها على التوليد عن طريق الاشتقاق، وأحلاها جرساً وأجلاها بياناً، وأقربها إلى الأصل وأنضرها شباباً مع ذلك. وهي اللغة التي نقرأ بها آيات الله البيِّنات، ولغة العبادات والصلوات، وهي لغة أهل الجنة أيضاً. وهي لغتنا القومية، وعامل وحدتنا وعروبتنا، ووارثة ثقافتنا الأصلية وحامية تراثنا وحضارتنا، وواسطة اتصال ماضينا بحاضرنا، ولغة شعرنا ونثرنا، وهجائنا ومدحنا وغزلنا أيضاً، وغير ذلك ... وكل أولئك حقٌّ وأكثر. ولكن بالمقابل ماذا عملنا حتى الآن لحفظ هذه اللغة وصيانتها، ولتطويرها، ولتمكينها من مجابهة ظروف الحياة المستجدَّة، ولدعمها لتقوى على الصمود أمام منافسة اللغات الحيَّة في هذا العالم الذي لا يرحم(١٤)».

وبعد أن يذكّر بتقصير العرب في خدمة لغتهم تربوياً، يضيف «أن التقصير الأشد فداحة هو العجز عن خدمتها لغوياً (تقنياً). إن أبناءنا لا يقبلون على اللغة العربية، نعم، ولكن ليس لأنهم جاحدون وطائشون. إنهم كأترابهم من أجيال العالم المعاصر يتعلمون بشكل أفضل مايحبونه أكثر، وعلينا أن نجعل اللغة العربية محبَّبة إليهم عن طريق خدمتها تربوياً ولغوياً»(١٤).

وبعد أن يدعونا إلى رفع شعار «لنخدم اللغة العربية، وخدمة مشروعة أيضاً، لنخدمها كما تخدم سائر اللغات»، يقول: «إن لغتنا تعيش بلا صيانة مع الأسف»، وأكبر دليل على ذلك «عدم وجود معجم عصري للغة العربية من مختصر أو متوسط أو مطوّل، مما يمكن أن يعتبر مرجعاً متعارفاً عليه ومقبولاً من الجميع كما هو شأن (لاروس) فرنسا، أو (أكسفورد) إنكلترة»، وعدم وجود «معجم تاريخي يستطيع أن يساعد طالب اللغة العربية ومتذوق النصوص والدارس على معرفة عمر المفردات العربية وكيفية استعمالها في القديم والحديث والتطورات التي طرأت على معانيها أو إيحاءاتها، بحيث يتجنب الشادن(*) إسقاط مفهومات حديثة على مفردات مستعملة في نصوص قديمة أو العكس»(١٥)، وعدم وجود «دراسات صوتية مرضية حتى الآن». وثمة مسألة الإملاء وغيرها مما يستوجب حملة إصلاحية ملحّة وإلا «فإن العربية ستستمر في الانحدار، وقد تصل إلى نقطة يكون الإصلاح عندها متخلفاً عن أوانه»(١٦) ولربما اعتقد بعضهم أن في ما أشار إليه الدكتور الخطيب شيئاً من المبالغة، وأن اللغة العربية بخير وعافية، فالله تكفّل بحفظها، أو لم يقل في كتابه العزيز الذي اختارها لساناً له ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾. وخير ما يجاب به هؤلاء هو أن ذلك حقّ وصدق، وأن من

(*) كذا في الأصل، ولعله خطأ مطبعي، وربما أراد المؤلف «الشادي».

الحق والصدق أيضاً أن نفهم أن علينا واجباً تجاهها، وبذلك وحده نأخذ بحديث النبي محمد ﷺ «اعقلها وتوكّل». وخير ما يدعونا لهذا الواجب تلك الصعوبات التي يواجهها كل من يحاول الترجمة من اللغات الأجنبية إليها، إذ يجد أن هذه اللغة تكاد تكون قاصرة عن استيعاب كثير من المصطلحات المولّدة في العلوم الإنسانية المعاصرة، بَلْهَ العلوم الطبيعية، أو الرياضية، أو الطبية، أو البحتة، أو التطبيقية. وليس ذلك القصور ناجماً عن عجز متأصل في نظامها اللغوي المشهود له بتطوره وكفاءته، بقدر ما هو ناجم عن تقصير العاملين فيها عن التفكير في آليّات الاستجابة الكامنة فيها لما يستجدّ في مختلف العلوم والمعارف من تطورات حديثة ومعاصرة، والتعبير عنه على نحو واضح ومحدّد ودقيق.

وثاني هذه الصعوبات أن عملية التعريب أو الترجمة تقوم في الغالب على أكتاف أفراد. وهي لذلك حصيلة محاولات فردية غير منظّمة أو متقصّية، وبالتالي فإنها تخضع لما يخضع له أي جهد فردي مما يتصل بالشرط الإنساني. أما المصطلحات التي تتبنّاها المؤسسات الجامعية، والثقافية، والمجمعية، فإنه لا سبيل إلى فرضها على الأفراد، لأن هذه المؤسسات لا تملك غير سلطتها الأدبية التي يسهل تجاهلها، ولا سيما عندما لا تنسجم مصطلحاتها مع اجتهادات هؤلاء الأفراد وآرائهم. هذا إن وجدت هذه المصطلحات سبيلها إليه على مستوى الوطن العربي في المقام الأول، وهي لا تكاد تصلهم حتى على المستوى القطري. فالعزلة الثقافية السائدة في الوطن العربي تكاد تكون خانقة، وأساليب عمل فريق البحث، أو العمل الثقافي الجماعي، متخلفة غاية التخلف في هذا الوطن، لافتقار المؤسسات الجامعية والثقافية والإعلامية للعادات البحثية العلمية الصحية والسليمة والمعافاة.

وثالثها أن هذه المصطلحات متصلة بالتقاليد الأدبية الأجنبية. ومعنى

هذا أنها تعاني مما تعاني منه حركة ترجمة هذه التقاليد في الثقافة العربية الحديثة، وليس ثمة فسحة كافية للحديث عن هذه المعاناة. ويكفي المرء أن يشير إلى أنها تلقي بظلّها على حركة ترجمة المصطلح الأدبي والنقدي، وتضيف بذلك مشكلات أخرى إلى مشكلات النقد الأدبي العربي الحديث، وتزيد من بؤس وضعه، فتدفعه دركات بعد دركات إلى هاويته التي يتردى فيها. ويبدو أنه في هذا غير بعيد عن مصير النقد المسرحي العربي، الذي يعاني بدوره من تنوع المرجعيات، التي يستقي منها المسرحي العربي معرفته، عندما يقدّم ممارسته المسرحية تأليفاً أو نقداً. لقد كتب فقيد المسرح العربي، المؤلِّف والناقد المسرحي سعد الله ونوس، في تقديمه للمعجم المسرحي، الذي أعدته الدكتورة ماري الياس والدكتورة حنان قصاب حسن، فقال :

«ولم تعان التجربة المسرحية العربية من التقطُّع وعدم المراكمة فقط، وإنما عانت أيضاً من تشتت الجهود، وغياب آليات ثقافية تضمن تواصل التجارب في تنوعها وتعدُّدها من مغرب الوطن العربي إلى مشرقه. ومن هنا تعدَّدت الاجتهادات في تحديد المصطلحات ترجمة وإبداعاً، ثم فاقم التعدد والاختلاف تنوُّع المرجعيات التي يستقي منها المسرحي، كاتباً كان أو ناقداً»(١٧).

والحقيقة أنه فضلاًعن أهمية تثبيت المصطلح النقدي المستلهَم من ثقافات الآخر في توفير لغة مشتركة، تكون أداة مشتركة في التفكير والتعبير والحوار، فإن تثبيت الاصطلاحات العلمية الخاصة في أي حقل معرفي مهم جداً، وذلك «حتى لا تتبدل الحقائق بتبدُّل الألفاظ التي أفرغت فيها». ذلك أن الألفاظ، كما يشير إلى ذلك صاحب **المعجم الفلسفي**، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق، المرحوم العلّامة جميل صليبا، «حصون المعاني. وتثبيت الاصطلاحات العلمية هو الحجر الأساس في بناء العلم. فإذا أقيم هذا البناء

على أساس متحرك، لم يبلغ الغاية التي أنشئ من أجلها»[١٨]. وهذا بالطبع إلى جانب الفوائد العديدة الأخرى، التي لا تقتصر على العلماء العاملين في هذا الحقل المعرفي، بل تشمل كذلك المعلمين والمتعلمين وجهود القراء. ومعنى هذا أن له فائدة تربوية وأخرى اجتماعية، كما يؤكد ذلك الدكتور صليبا نفسه، الذي يضيف شارحاً ضرورة استعمال اللفظ في ما وضع له، والدلالة على المعنى الواحد بلفظ واحد، فيقول إن في ذلك تيسيراً «لعمل المعلمين والمتعلمين معاً، لأن المعاني، إذا كانت محدَّدة، سهل على المعلم شرحها، وعلى المتعلم فهمها، وكذلك الألفاظ، إذا كانت مطابقة للمعاني، صار استعمالها أدق، ووضوحها أتم»[١٩]. ولا ننسى بالطبع أن «تحديد معاني الألفاظ يسهِّل على الناس التفاهم فيما بينهم، فلا يتكلمون بما لا يعلمون، ولا يمارون في ما لم يتضح لهم من المعاني[١٩]. وما أكثر ما يتكلم بعضهم في مسائل النقد العربي الحديث دون أن يعلموا، وما أكثر ما يمارون في ما اتضح لهم، وفي ما لم يتضح، لأن المشكلة في الأساس هي اللغة المشتركة التي تيسِّر التفكير والتعبير والتواصل.

تحديد دلالات المصطلح النقدي

إن الإجماع على لفظة معيَّنة للدلالة على مفهوم معيَّن لا يكفي من أجل القيام بممارسة نقدية سليمة أساسها التفاهم، إذ لا بد له من أن يترافق مع إجماع، أو على الأقل اتفاق مبدئي، على دلالة هذه اللفظة. صحيح أن هناك دائماً فسحةً للخلاف، وهامشاً للنقاش واختلاف وجهات النظر، حتى في التقاليد الغربية التي نستوحي منها هذه المصطلحات، ولكن ثمة بالإضافة إلى ذلك اتفاق على الحد الأدنى من دلالة كل مصطلح، لا سبيل إلى قيام حوار بناء مُجْدٍ بين المتعاملين به دون تحقيقه.

وإذا ماتذكّر المرء أن أغلب المصطلحات النقدية العربية الحديثة

مستوحاة من تقاليد أدبية ونقدية مختلفة، ومن لغات أجنبية متعددة (كالإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، والروسية، والإسبانية، والإيطالية، واليونانية، واللاتينية وغيرها) فإن مجال الاختلاف فيها واسع، وهو أمر يتفهمه المرء، ولكنه، من جهة أخرى، لا يمكن أن يرى فيه عاملاً مساعداً على تطوير الحركة النقدية العربية المعاصرة. إن هذا الاختلاف يقف حجر عثرة في طريق هذا التطوير، لأنه يزعزع أساساً هاماً من أسس الحوار البنّاء، والنقد حوار وعلاقة في جوهره.

وربما كان السبيل الأمثل لمعالجة اختلاف النقاد حول دلالات المفهومات الأدبية والنقدية إعداد موسوعة نقدية أدبية تضيّق من فسحة الخلاف بينهم، وتكفل حداً أدنى من اللغة المشتركة بين العاملين في ميدان الأدب والنقد، إنتاجاً واستهلاكاً. إن المرء لَيفاجأ حقاً بغياب موسوعة حيوية كهذه في المكتبة العربية. صحيح أن هناك مجموعة من المعاجم الأدبية (كمعاجم ناصر الحاني[٢٠]، ومجدي وهبة[٢١]، وحمّادي صمود[٢٢]، ومجدي وهبة وكامل المهندس[٢٣]، وجبور عبد النور[٢٤]، وسعيد علوش[٢٥]، وإبراهيم فتحي[٢٦]، وإميل يعقوب وبسام بركة ومي شيخاني[٢٧]، وميجان الرويلي وسعد البازعي[٢٨]، وغيرهم[٢٩]، إلا أنها لا تؤدّي الفائدة المرجوة منها، وخاصة مسألة إعداد هذه اللغة المشتركة المشار إليها آنفاً.

فمعجم الحاني، على الرغم من أنه جهد رائد، محدود في مجاله وتطلُّعاته، وهو جدّ قديم، ولا أظن أن هناك اليوم من يستطيع أن يزعم أن هذا المعجم، الذي لا تكاد صفحاته تصل إلى المئة والخمسين صفحة، لم يستنفد أغراض وجوده. وكذا الشأن في طبعته الثانية التي ظهرت تحت عنوان **المصطلح في الأدب الغربي**[٣٠]. والتي لا تحقّق تقدماً ملحوظاً بالمقارنة مع

سابقتها، خلا حذف بعض المداخل، والتنقيح الصياغي لبعضها الآخر، واختيار قطع أصغر رفع من عدد صفحاته، ولكنه لم يجعله أكثر جدوى، على الرغم من مضي نحو عقد من السنين على الطبعة الأولى.

أما معجم وهبة ثلاثي اللغات الهام، فهو معجم مداخل موجزة مركّزة غاية التركيز، لا تشتمل على شروح كافية تشفي غليل القارئ المختص، وبالتالي لا تسهم بالمقدار المتوخى منها في توضيح المصطلحات النقدية والأدبية، وبيان حدود دلالاتها.

وأما معجم حمّادي صمود الموسوم بـ «معجم مصطلحات النقد الحديث»، فهو محاولة جزئية تتسم بقدر كبير من التواضع في تصوّرها، ومنطلقاتها، والجهد الموظَّف فيها، وفي النهاية حصيلتها، التي لا يبدو أنها ذات نفع كبير للناس. والحقيقة أن هذا المعجم يعاني من جملة أمور تحول بينه وبين تقديم أي حصيلة ذات جدوى. فهو، أولاً، لا يهتمّ إلا بما نسميه النقد الهيكلي (ويعني به حمّادي صمود النقد البنيوي) ويقتصر منه على ما استوقفه من مصطلحه عند قراءته لبعض المحاولات العربية (وهو معدّ قبل عام ١٩٧٧م، أي في بداية تعرض النقد العربي الحديث لرياح البنيوية). وهو، ثانياً، في معالجته لهذا الجزء اليسير، يقتصر على مجموعة كتب لا تكاد تبلغ العشرة ، وجميعها يتصل بالتقليد النقدي الفرنسي الحديث، أو مصادره، وخاصة نصوص الشكليين الروس Russian Formalists ، التي اختارها وترجمها تودوروف إلى قارئ اللغة الفرنسية في الستينات. وهو، ثالثاً، في تناوله لما سمّاه بالمصطلحات المنهجية العامة، أو المصطلحات المتصلة بوصف الرواية، مجتهد مبتدئ، لا توحي ترجماته الصوتية لأسماء من يقتبس منهم، ولا ترجماته لعناوين كتبهم أو أبحاثهم، ولا اقتراحاته العربية لمصطلحاتهم، بأنه قد استوعب حقاً ما يكتب عنه. وصفوة القول إن جهد

حمّادي صمود، على الرغم من ريادته في الاهتمام بالنقد البنيوي ومصطلحه، جهد متواضع.

وأما معجم وهبة والمهندس، فإنه أكثر تقدُّماً في مجال تقديم الشروح الوافية لمعظم المداخل المستمَدَّة أساساً من معجم وهبة الثلاثي اللغات، ولكنه يبقى بعيداً عن الوفاء بحاجة القارئ العربي، فهو ضئيل الحجم نسبياً، لا يكاد يستوعب إلا القليل من هذه المصطلحات. فقد طمح مصنِّفاه إلى الإحاطة بالمصطلحات العربية للغات والآداب الغربية، التي تهمّ الباحث العربي، والمصطلحات المتعلِّقة بعلوم اللغة العربية (من معان وبيان وبديع، ونحو وصرف، وعروض وقواف، ولهجات) وآدابها في مختلف العصور، إضافة إلى المصطلحات المتصلة بالتجويد، والتوحيد والفرق والتفسير والحديث[٣١]، وكل ذلك فيما لا يتجاوز خمساً وسبعين ومئتي صفحة من القطع الكبير. وهذا طموح لا يمكن أن ينهض به جهد الباحثين المحمود، لأنه بحاجة إلى جهود فريق أكبر. وربما كان من الجدير بالذكر، في هذا المقام، أن طموح الباحثين قد دفع بهما إلى إخراج طبعة منقَّحة ومزيدة من معجمهما، صدرت بعد مضي خمس سنوات على ظهور طبعته الأولى. ولكن الطبعة الجديدة[٣٢]، وهي تقدُّم ملموس على سابقتها، تظل دون الوفاء بحاجة القارئ العربي لمعجم موسوعي، يقدِّم له المصطلح الأدبي والنقدي المستلهَم من التقاليد الغربية تقديماً يتسم بالعمق والغنى والشمول والمعاصرة في آن واحد. وهذا عمل يقتضي جهداً جماعياً، ترعاه مؤسسة عامة أو خاصة، تنفق على إعداد مواده، وتسند تجديده إلى فريق من خبراء المصطلح في الوطن العربي، وتصدره في طبعات مختلفة تناسب أنواع القراء في الوطن العربي.

أما معجم عبد النور فإنه معجم يستند إلى التقاليد الأدبية الفرنسية

أساساً، وهي أضيق من أن تستوعب المصطلح النقدي والأدبي الحديث. وكذلك فهو جهد غير متأنٍّ تأني جهد مجدي وهبة الجيد ذي الدقة والشمول والاستقصاء.

وعلى الرغم من نظرة سعيد علوش الناقدة لأعمال وهبة، وصمود، وعبد النور، وغيرها، ووعيه ثغراتها، التي يشير إليها بشيء من التفصيل في مقدمته لمعجمه، وعلى الرغم من سعيه لتجاوزها، مستعيناً بمجموعة من المعاجم الإنكليزية والفرنسية المدرسية من جهة، والحديثة والمعاصرة من جهة أخرى، فإن عمله، الذي أراده معجماً مسايراً للإنتاج الأدبي العربي المعاصر، ينزع– كما يعترف هو نفسه– «نحو نظرية المعرفة، ومجال الكلِّيات الإنسانية»[٣٣]، وهو العيب الذي يأخذه على معجم وهبة[٣٤]. وكذلك فإن المصطلح فيه يعبِّر عن «ممارسة أدبية لم تترسخ بعد في حقلنا المعرفي، بالإضافة، إلى افتقادها لإنتاج يدعمها في العالم العربي»[٣٥]، أي أنه، بعبارة أخرى، لا يساير الإنتاج الأدبي العربي المعاصر، وبالتالي لا يحقِّق هدفه، الذي يعلن عنه في المقدمة. وفضلاً عمّا تقدم، فإن مصطلحاته لا تصاحبها أمثلة توضيحية لأسباب يذكر منها:

١ ـ تَخوُّفه من إثقال المصطلح.

٢ ـ واقتناعه بمؤشرية المصطلح، لا بنهائيته.

٣ ـ ولضرورات تقنية ثالثاً[٣٦].

وهو بهذا يستغني طوعاً عمّا يمكن أن تقدمه هذه الأمثلة من فائدة توضيحية في تقريب المفهوم النقدي من ذهن القارئ العربي، الذي يحاول أن يستوعب مدلولات هذه المصطلحات، فيلجأ إلى معجم أدبي مختص. إن من المؤسف حقاً أن يتحوَّل معجم علوش، الذي بدأ واعداً جداً في مقدمته، إلى مجرد سرد لجملة من المصطلحات مرتَّبة هجائياً، ومُقَدَّمة بلغة برقية،

تكاد تستعصي حتى على القارئ الخبير بهذه المصطلحات. وهو مسرد قائم على اجتهادات غير متأنية، تنطلق من نقطة الصفر. فمصطلح النقد العربي الحديث، على سبيل المثال، لم يعد يستخدم الأوتوبيوغرافيا، والبيوغرافيا[٣٧]، وإنما السيرة الذاتية والسيرة. وكذلك فإن معظم المداخل، التي يتضمنها المعجم (الذي لا يتجاوز حجمه الفعلي مئة وعشرين صفحة)[٣٨]، لا تعني الكثير للقارئ العربي الذي لا يألف مسمّياتها. أما القارئ الخبير فإنه مضطر للرجوع إلى أصولها ـ الفرنسية أو الإنكليزية ـ عبر الإحالات الرقمية في بداية كل مدخل، حتى يستبين له ما يتحدث عنه صاحب المعجم[٣٩].

وأما معجم ابراهيم فتحي الموسوم بـ **«معجم المصطلحات الأدبية»**، فهو جهد لا يتعدى الإعداد (كما يشير إلى ذلك غلاف الكتاب الداخلي والخارجي). ويبدو أنه كان جهداً متعجلاً، أملته الحاجة لمعجم كهذا، ولذا جاء دون مقدمة أو ثبت بالمصادر والمراجع، أو حتى إشارة إلى الأصول التي أعدّه منها. والمرجح أنه ترجمة لجملة من المصطلحات من معاجم أدبية ونقدية إنكليزية متنوعة. وهذه المعاجم كثيرة، وموفورة، ومتنوعة في حجمها، ومستواها، وغرضها، ودرجة استقصائها[٤٠]، وهي دونما شك، ذات فائدة كبيرة، إذا ما كان الوعي هو الناظم لعمل مراجعها.

وأما قاموس **المصطلحات اللغوية والأدبية**، الذي تعاون على تأليفه فريق مؤلف من الدكتور إميل يعقوب والدكتور بسام بركة والباحثة مي شيخاني، فيسعى أساساً إلى خدمة المثقفين العرب، الذين يعملون في ميدان الترجمة إلى الفرنسية أو إلى الإنكليزية، أو منهما إلى العربية (ص٥)، ولذلك فإنه يرى في قاموس المصطلحات الخاصة بعلم من العلوم أو فنّ من الفنون مجرد وسيلة تساعد المترجم على نقل مايعترضه منها عند ترجمته من لغة إلى لغة، بصرف النظر عن أهمية المصطلح الفني بوصفه مفهوماً (Concept)

تطوّر ضمن سياقات نوعية محددة خاصة بالأمّة التي وضعته، أو بتلك التي نقلته إلى لغتها، ووظّفته فيها لخدمة أغراض محدّدة تمليها عليها حاجات خاصة بها. وهكذا أثبت الفريق كل ما توصّل إليه من مصطلحات اللغة والأدب، واضعاً أمام كل مصطلح عربي ما يقابله في اللغة الإنكليزية، ثم ما يقابله في اللغة الفرنسية، ومقدّماً بعد ذلك ماتيسّر له من تعريف بهذا المصطلح، أو شرح لمدلوله أو مدلولاته، أو إيضاح لها، صادراً في ذلك كله عن الخبرات السابقة لعضوين من أعضائه[٤١] في ميدان التأليف في المصطلح اللغوي؛ وعن **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** لمجدي وهبة وكامل المهندس - الذي اعتُمِد عليه اعتماداً أساسياً، كما يقرّ بذلك أعضاء الفريق في المقدمة (ص ٥)– وعن عدد من المعاجم العربية والفرنسية الخاصة باللغة والأدب، وهي بالتحديد معاجم عبد النور، وتودوروف، ودوكرو، وغريماس، وكورتيس، وموريه (Morier)، ودوبوا (Dubois)، وآخرين، وعدد آخر من المعاجم اللغوية العربية والإنكليزية والفرنسية، مما هو متداول ومعروف[٤٢]، فضلاً عن اجتهادات أعضائه الخاصة، التي حاولوا فيها أن يجدوا النظيرين الإنكليزي والفرنسي للمصطلح العربي، الذي ملأت مداخله أكثر من أربعمئة صفحة، توزّعت على أبواب بعدد حروف الهجاء العربي.

ويبدو للناظر في هذا المعجم للوهلة الأولى أنه معجم واعد، بسبب خبرة مؤلفيه السابقة في ميدان التأليف الاصطلاحي، ولكونه حصيلة جهد جماعي، غالباً ما نفتقده في المعاجم العربية (خلا **المعجم الوسيط** ومعجم آخر). ولكنه سرعان ما يتبيّن له، عند مراجعته، أنه جهد غير متأنٍّ، ويكاد، في مصطلحات الأدب والنقد، ينطلق من نقطة الصفر، لو لم يكن للمصطلحات اللغوية، ولتلك المتصلة بعلوم اللغة العربية بشكل خاص، نصيب الأسد. والغالب في عمل المؤلفين إيرادهم للمصطلح العربي، وإتباعه بالترجمة الإنكليزية فالترجمة الفرنسية إن تيسرتا، أو بالمصطلحين الإنكليزي

فالفرنسي إن عرفا، وإلا فإن من السهل عليهم الاكتفاء بالمدخل العربي والتعقيب عليه بما يرون من تعريف أو شرح أو إيضاح. وإذا ما اكتفى المرء بالتمثيل على هذا العمل من **باب الألف**، فإنه يستطيع أن يورد الملاحظات العجلى التالية (وله في ذلك أسوة بالمؤلفين) على المصطلحات الأدبية والنقدية واللغوية الواردة فيه، مما يمكن أن يعرض للقارئ العادي. أما القارئ المختص فلا شك في أنه سيعثر على الكثير مما يختلف فيه مع المؤلفين.

فالإباحية مذهب ديني وفنّي مرتبط بأزمنة وأمكنة محدَّدة أتى على ذكرها وهبة والمهندس في الطبعة الثانية من معجمهما[٤٣]وعلى نحو يشفي غليل القارئ، وليس على النحو المقتضب الذي قدمه المؤلفون (ص ٨)، والذي لا يسمن ولا يغني من جوع، فضلاً عن التشويه والاضطراب في مدلوله.

و **الأبجدية** هي حقاً كما شرحت بالعربية (ص ٩)، ولكن نظيريها الإنكليزي والفرنسي ليس ما ذكره المؤلفون، وهو (alphabet)،خاصة أنهم يكررونه نظيراً لمصطلح الألفباء العربي في الصفحة (٨١)، وهذا ما يثير حيرة القارئ إزاء هذا التباين في دلالة المصطلحين الإنكليزي والفرنسي.

و**الإبداعية** ليست نظيراً للرومانسية والرومنطيقية (romanticism) أو (romanticisme) (ص ١٠)، لأنها مصطلح يتجاوز كل ماعرف في الثقافة العربية الحديثة من خلاف حول هذا المصطلحين، كما أنه مصطلح قيمي (من القيمة) يوحي بقصر الإبداع على هذه المدرسة، فضلاً عن أن خصائصها التي يوردها المؤلفون لاتحظى بالإجماع.

و**الإبهام، الغموض** ، ونظيراه الإنكليزي والفرنسي على ماذكره المؤلفون (ص ١٤)، ولكنه مصطلح له تاريخ طويل يبرز فيه الناقد الإنكليزي ويليام إمبسون (william Empson) بروزاً صارخاً، وهو صاحب الكتاب

المشهور **سبعة أنماط من الغموض** (Seven Types of Ambiguity، 1930)، وشَرْحُه على النحو الوارد في القاموس شرح قاصر ومضطرب.

و**الأثر الخالد** (ص١٧) ليس نظيراً موفَّقاً لمصطلح (master piece)، الذي أجمع العرب المحدثون على اختيار مصطلح الرائعة (وجمعها الروائع) نظيراً له.

و**الاحتجاج بالقرآن والحديث** (ص ٢٠) شأن مهم جداً في الثقافة العربية الإسلامية، لا يترجم حرفياً على النحو الذي أورده المؤلفون.

و**الأخذ** (ص ٢٢) ليس مصطلحاً موفَّقاً لمصطلح (plagiarism)، الذي يعني الانتحال أو النحل في اللغة العربية.

و**أداة التشبيه** (ص ٢٤) لا تترجم بـ (particle of comparison)، لأن التشبيه هو (simile)، وليس (Comparison)، التي تعني الموازنة أو المقارنة.

و**أدب الرواية** (ص ٢٥) ليس نظيراً صحيحاً لـ (history of Literature)، أو تاريخ الأدب، والفارق أوضح من أن يشار إليه.

و**الأدب العالمي** (ص ٢٦) نظيره بالإنكليزية هو (world Literature)، وليس (Universal Literature)،كما يقترح المؤلفون.

و **الأدب القصصي** (ص ٢٦) نظيره بالإنكليزية هو (Fiction) ، وليس (narrative Literature) ، الذي يترجم بالأدب السردي.

و**أدونيس** (ص ٢٨) شاعر معاصر،كان الأولى بالمؤلِّفين ذكر تاريخ مولده ، وأسماء عدد من دواوينه، وليس كتابين نقديين له .

والاستقبال (ص ٣٩) ونظيراه الإنكليزي والفرنسي جميعها صحيح، ولكنه متصل اليوم باتجاه نقدي تتزايد أهميته في عصرنا يوماً بعد يوم. وإغفال هذا الجانب من المصطلح قصور غير مسوّغ في معجم لمصطلحات الأدب.

والأقصوصة (ص ٧٥) هي القصة القصيرة في الثقافة العربية الحديثة، ولا يصحّ استخدام مصطلح (novella) نظيراً لها، لأنه يعني الرواية القصيرة، وبالتالي فإن شرحها كما أورده المؤلفون لا يستقيم.

والالتزام هو ماذكره المؤلفون (في ص ٧٨)، ولكنه مصطلح ندين به لجان بول سارتر، الذي لم يخطر لمؤلفينا على الإطلاق حتى إيراد اسمه، على الرغم من إشارتهم إلى الفلسفة الوجودية.

وألف ليلة وليلة هي ماذكره المؤلفون (ص ٨٠) ولكن الشائع في الإنكليزية أن يشار إليها بـ (Arabian Nights) أو الليالي العربية.

والأنموذج (ص ٨٦) ليس الـ (pattern)، الذي هو النسق.

ولا أظن إلا أن هذه التعليقات العجلى تجعل المرء يفكر أكثر من مرة قبل الرجوع إلى هذا القاموس للاستعانة به في ترجمة المصطلح الأدبي والنقدي.

وأما ميجان الرويلي وسعد البازعي فإنهما يحاولان في **دليل الناقد الأدبي**، «تقديم مجموعة من أبرز المصطلحات والمفاهيم والاتجاهات الشائعة في النقد الأدبي المعاصر، في عرض متوسط الحجم، يفوق العرض المعجمي أو القاموسي المقتصد في تفاصيله، ولكنه لا يصل إلى مستوى المناقشة المستفيضة، التي تتسم بها المقالات التحليلية» (ص ١٠). ومعيارهما في انتقاء هذه المصطلحات والمفهومات والاتجاهات هو «أهمية المفهوم أو الاتجاه ودرجة تأثيره وانتشاره». أما عملهما فيقوم على تقديم رؤية تفسيرية وتقويمية

بعيدة عن وهم الموضوعية من ناحية، والمعالجة الايديولوجية الفجّة من ناحية أخرى. وقد اختار المؤلفان واحداً وثلاثين مصطلحاً، وقاما بشرح كل واحد منها في عدد محدود من الصفحات، تفاوت بين الصفحة الواحدة والخمس والعشرين (مصطلح التقويضية). وعلى الرغم من معاصرة هذا الدليل بالقياس إلى غيره من المحاولات السابقة، هذه المعاصرة التي تتبدّى أساساً في تقديم بعض الموجات الأخيرة من مصطلحات النقد، على حدّ تعبير جابر عصفور، فإن الدليل يشكو من ضعف حس النسبة في توزيع صفحاته على المداخل، مثلما يشكو من انعدام الاتساق في مصطلحه (فالمؤلفان، على ما يبدو، ما يزالان حائرين في اعتماد مقابل عربي لمصطلح (intertextuality) ، ولذلك فإنهما يراوحان بين «التناص» و«العبرنصّية»، و «المابين نصّية»، ص١٠٠)، واتكائه المسرف على عملين شائعين في العالم الأنكلو ـ أمريكي (لأبرامز، ولينتريشيا وماكلوهان) وإغفاله جهداً عربياً امتدّ عدة عقود من التأليف المعجمي الخاص بالمصطلحات الأدبية والنقدية، وأمور أخرى أشار إليها جابر عصفور في مراجعته السمحة لعملهما، عندما قال:

«إن **دليل الناقد الأدبي**، ليس سوى دليل للقارئ، الذي يطالع النقد الأدبي المعاصر، ويعاني من رطانة عباراته وغموض مصطلحاته الجديدة. والدليل مفيد من هذه الناحية إلى حدّ. أما طموحه إلى أن يكون **دليل الناقد الأدبي**، فهو طموح يحتاج إلى أضعاف الجهد الذي بذل، في طبعة أخرى أكثر قدرة على مخاطبة الناقد الأدبي، وأكثر تمكناً من المعارف الصعبة المعقّدة التي يحتاج إليها الناقد الأدبي المعاصر. ولكن إذا نظرنا إلى الدليل من منظور القارئ العادي، وهو منظور لا ينبغي لأحد التقليل من شأنه، فإننا نقترح على الباحثين مراجعة بعض اجتهاداتهما في الترجمة، والإفادة من الإنجازات التي سبقتهما، والتي لم يطّلعا عليها، وذلك كي يكتمل هدفهما،

وهو المساعدة في تنمية المثاقفة النقدية، ويؤكد ذلك أن القائمة الببليوغرافية الملحقة بالدليل في حاجة إلى المزيد من الإكمال والتدقيق والتمييز بين الكتب المترجمة والمؤلفة، والمقالات المؤلفة والمترجمة في الوقت نفسه. وأتصور أن الحس اللغوي السليم للباحثين سوف ينأى بهما، في الطبعة القادمة من الكتاب، عن بعض الصيغ التي قد يشاركني الكثيرون في عدم الارتياح إليها، .. وقريب من ذلك التردد الذي قد يربك القارئ، ويدلّ على عدم حسم المؤلفين في الاختيار، مثل الحديث عن «علم الإشارة أو علم العلامة»، أو «العبرنصّية، أو الما بين نصّية، أو التناص». والأحكم الاقتصار على مصطلح واحد، خاصة أننا ندخل في باب ما أصبح متعارفاً عليه بين النقاد. وقريب من ذلك نطق الأعلام الأجنبية...»(٤٤).

ومعنى هذا أن العمل الواعد لايمكن أن يفي بالحاجة لأنه قائم على العجلة والإسراف في الثقة بالنفس، فضلاً عن محدوديته واضطراب مادته وصعوبة تواصلها مع القارئ.

وعندما ينتقل المرء إلى معجم محمد عناني الموسوم ب **المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزي– عربي** فإنه يجد أن ينطلق فيه من وعي معرفي متقدم في مسألة المصطلح النقدي عامة، وفي إشكالاتها المختلفة في الثقافة العربية الحديثة خاصة. وهكذا نراه يكتب في تصديره له:

«هذا معجم من لون جديد، فهو لايعرّف المصطلحات الأدبية مفردة، بل يلقي عليها الضوء في سياقاتها الحيّة، مبرزاً الاختلاف في مفهومها في إطار مايسمى بالنظرية الأدبية أو النقدية الحديثة، والتي شاعت الإشارة إليها بلفظ «النظرية» theory وحسب.

وهو ينقسم إلى قسمين متكاملين: مقدمة عامة ترصد الجذور وتتناول المشاكل الخاصة بترجمة المصطلحات وتعريبها؛ ومعجم وجيز يتضمن أهم

المصطلحات التي شاع استعمالها في ربع القرن الماضي، وبالتحديد من عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٩٥. وإن كنت قد أبحت لنفسي أن أدرج مصطلحات نشأت قبل ذلك في لغات أوربا الشرقية وآدابها، ولم يكتب لها أن تشيع إلا عند ترجمتها إلى لغات أوربا الغربية» (ص ١) .

وأما المقدمة التي «طالت فأمعنت في الطول»، على حدّ قول العناني فإنها:

«تتضمن أبواباً كان يمكن أن أدرجها في متن المعجم، ولكنها تعود بالقارئ إلى بدايات المدارس التي أتت بالنظرية، فهي أسبق تاريخاً من الحدّ الزمني الذي وضعته للمصطلحات؛ وهي تتضمن كذلك بعض المسائل المتعلقة بفنون ترجمة المصطلح، ونبذة تاريخية بالغة الإيجاز عن دخول مصطلحات النقد الأوربي والأمريكي إلى العربية، ثم عرضاً موجزاً للشكلية الروسية، ومدرسة براغ، ومدرسة موسكو– تارتو، والبنيوية في فرنسا وأمريكا، والتفسيرية أو (الهرمانيوطيقا)، والتفكيكية، ثم علم العلامات أو (السيميوطيقا)، وأخيراً كلمة موجزة عن النقد النسائي» (ص ٣).

وأمّا المعجم فقد اتبع فيه العناني منهج مايسمى ب «معجم المقالة»، أي كتابة مذكرات موجزة عن كلّ مذهب يضمّ عدداً من المصطلحات ، توضح معانيها في غضون عرضها. وبسبب من هذا الإيجاز كانت المقدمة مطوّلة، امتدت حتى بلغت (٢١٦) صفحة، في حين ان المعجم لم يتجاوز مئة وأربعاً وعشرين صفحة. ومعنى هذا أن المقدمة والمعجم يتكاملان تكاملاً وظيفياً يخدم القارئ العربي، الذي كثيراً مايضلّ في متاهات التوليد الاصطلاحي المسرف، الذي يبدأ من نقطة الصفر متجاهلاً بذلك جهود السابقين. وهو ماحاول العناني أن يتجنبه، فنراه يبدأ من حيث انتهى مجدي وهبة في **معجم مصطلحات الأدب**. وهو لايكتفي بتقفي خطاه، والاستعانة

بسفره النفيس، كما يصفه، في إيضاح الغامض الغريب في مصطلحات النظرية الحديثة، بل يهديه معجمه الجديد **آية عرفان بالجميل رحب لايموت.** وكيف لايفعل ذلك ومجدي وهبة قد «فتح الطريق وأرسى الأسس». وهكذا نراه يتجنب المصطلحات الأدبية الواردة في معجم وهبة إلا «ماتغير معناه واقتضى التنويه به» (ص ٢)، ويقدم المصطلحات الأدبية والنقدية الحديثة مقترحاً ترجماته التي يقرّ بأنها ترجمات غير نهائية. ذلك أن القصد أن تمثل هذه الترجمات «معاني تلك المصطلحات فحسب؛ ابتغاء تقريبها من قارئ العربية المعاصرة». ولذلك فإن المعجم كثيراً مايتضمن «أكثر من ترجمة واحدة للمصطلح الواحد»، وفقاً للمعاني أو ظلال المعاني التي استطاع استخلاصها من كتابات النقاد عنه، مشفوعة بالشرح وبالشواهد التي تستند إليها الترجمة.

والحقيقة أنه على الرغم من معاصرة هذا المعجم ومجاراته لأحدث تطورات النقد ونظرياته في العالم الغربي، وانطلاق مؤلفه من معرفة خبيرة في شؤون المصطلح وشجونه، وحرصه على الدقة والوضوح في كل ماأورده لقارئه، الذي يحتفي به حفاوة كبيرة، بخدمته على النحو الأمثل، وبخاصة في مسرده (ص ١٣٩– ١٥٨)، الذي يشفع به معجمه، وفي ثبتي مراجع المقدمة (ص ٢١٠– ٢١٦)، والمعجم (ص ١٢٥– ١٣٨)، اللذين يشيان بجهد قلَّ نظيره في التأليف العربي الحديث، فإن من البيِّن أن معجماً كهذا لايمكن أن يشفي غلة القارئ العربي إلى معجم موسوعي واف بكل مصطلحات النقد الحديث والمعاصر، التي وفدت إلى المشهد النقدي العربي في القرن العشرين. فضلاً عن أن اعتماده المسرف على معجم جيرمي هاوثورن **مسرد مختصر للنظرية الأدبية المعاصرة** "A Concise Glossary of Contemporary Literary Theory"، على أهميته، وإغفاله

معاجم موسوعية في غاية الأهمية، من مثل **موسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعرية** (١٩٩٣)، و**موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة: مقاربات، باحثون، مصطلحات** (١٩٩٣)، و**دليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد** (١٩٩٤) وغيرها مما سيشار إلى أهميته لاحقاً، ربما حرماه من مصادر غنية ومهمة جداً في حقل تأليفه. وبالطبع فإن المرء لايسعه إلا أن يحمد للمؤلف عودته إلى الكثير من المعاجم المتخصصة التي يثبتها في خاتمة معجمه (ص ١٢٤– ١٢٥)، ومراجعته لعشرات المؤلفات النقدية العالمية (ص ١٢٥– ١٣٨ و ٢١٠– ٢١٦)، ولكنه من جهة أخرى يأسف لأن المؤلف لم يتيسر له الاطلاع على طبعاتها الأحدث كما في معجم «Cuddon» الذي صدرت منه طبعة موسعة ومنقحة حملت عنواناً جديداً هو **معجم المصطلحات الأدبية والنظرية الأدبية** في عام (١٩٩١)، أو في مسرد **ريموند ويليامز**، الذي صدرت منه طبعة موسعة عام (١٩٨٣)، أو في مؤلف لينتريشيا ورصيفه ماكلوغلين، الذي صدرت منه طبعة موسعة عام (١٩٩٥) وغيرها، وهذا يشير إلى المشقة التي ينبغي للباحث العربي أن يتكبدها إذا مارغب في جعل بحوثه راهنة حقاً، وبخاصة في ظل تخلف المكتبات العامة والبحثية في الوطن العربي عن مجاراة حركة التأليف العالمي. وهكذا فإن هذا المعجم الوجيز والقيّم في آن واحد يعدّ بحق خطوة متقدمة نحو تأليف معجم موسوعي لمصطلحات النقد والأدب، ولكنها تظل خطوة فردية، بكل وجوه العمل الفردي الإيجابية والسلبية، وكيف للجهد الفردي أن ينهض بحاجة مجتمع متلهف للّحاق بركب العصر المعرفي.

ولا شك في أن هذه الجهود مهمة ومفيدة، ولكن الغالب على معظمها أنه جهد فردي، بعيد، للأسف، كل البعد عن عمل الفريق الخبير، الذي يقوده محررٌ خبير، قادر، تدعمه مؤسسة علمية عريقة، ويتوجّه إلى جمهور واسع من المعنيين بالعملية الأدبية إنتاجاً واستهلاكاً. وعندما يتذكر

المرء مايتيسر للباحث العربي عامة (باستثناء دول مجلس التعاون الخليجي) في أي ميدان من تسهيلات بحثية ومعرفية، فإنه لا يمكن إلاّ أن يتواضع في توقّعاته من الجهود الفردية، ويشفق على أصحابها مما سعوا إلى النهوض به من جهة، ويكبر من جهة أخرى جهودهم، ويشدّ على أيديهم، لأن هذه الجهود يحركها الإيثار والغيرية.

إن المكتبة العربية ما زالت بحاجة إلى معجم موسوعي شبيه بموسوعة **برنستون الجديدة للشعر والشعرية** (الصادرة عام ١٩٩٣)، أو **بموسوعة النظرية الأدبية المعاصرة: مقاربات، باحثون، مصطلحات** (الصادرة عام ١٩٩٣)، أو **بدليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد** (الصادر عام ١٩٩٤)، يضمّ بين جنباته مجموعة وافية من المقالات المركّزة عن المصطلحات والمفهومات الأساسية في هذا الحقل المعرفي المهمّ، ولا يكتفى فيه بوضع النظير العربي للمصطلح الأجنبي أو بالشرح الموجز البسيط لمحتواه ودلالته. ولعل الحديث برقياً عن هذه الآثار الجمعية، التي نهضت بها مؤسسات جامعية عريقة، وأعدت مداخلها مجموعة من الخبراء الثقات في حقل النظرية النقدية، وتولّت تحريرها هيئات عرفت كيف توظّف جهود المسهمين فيها لتحقيق هذه الإنجازات المعتبرة في عالم التأليف الجمعي، يعطي الباحثين العرب العاملين في هذا الميدان فكرة عن عوامل نجاحها.

فأما **موسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعرية**(٤٥) فقد صدرت بحلّتها الجديدة في نحو ثلاثة أرباع المليون كلمة، وثمانمئة مدخل (تتفاوت في حجمها بين المدخل الموجز، الذي لا يتعدّى بضع مئات من الكلمات، والمدخل الموسّع، الذي يبلغ عشرين ألفاً)، مرتّبة هجائياً، كتبها فريق من الباحثين الدوليين في الشعر والشعريات الشرقية والغربية، القديمة والحديثة، يضمّ أكثر من ثلاثمئة وخمسين باحثاً من الحجج الثقات في ميدان الشعر

ونقده، وكانت بحق ذخيرة في غاية الغنى، من المعرفة الواضحة الدقيقة عن الشعر وفنّه عبر العصور، وفي مختلف بقاع كوكبنا الأرضي. لقد كانت، كما تصفها المقدمة:

«كتاب معرفة، وحقائق، ونظريات، وقضايا، وأحكام خبيرة، عن الشعر. غرضه تقديم مرجع شامل، ومقارن، ومتقدّم إلى درجة معقولة، ولكنه مقروء لجميع الطلاب أوالأساتذة أو الباحثين، أو الشعراء، أو القرّاء العامين المعنيين بتاريخ أي شعر في أي أدب قومي في العالم، أو بأي وجه من تقنية الشعر أو نقده. وهو يحوي مسوحاً للشعر في ١٠٦ قوميات، وأوصافاً للأشكال والأجناس الشعرية، سواء منها الكبرى أم الصغرى، التقليدية أم الحديثة العهد أم المنبثقة مجدّداً، وشروحاً تفصيلية لتقنيات العروض والبلاغة، وعروضاً مجملة لجميع مدارس الشعر قديمها وحديثها، غربيّها وشرقيها. إنه ييسّر عروضاً متوازنة وشاملة للحركات والمسائل الرئيسية في النقد والنظرية الأدبية، ومناقشات لصلات الشعر المتعدّدة الجوانب والمستويات بالحقول الأخرى للنشاط والفكر الإنسانيين ـ التاريخ، والعلم، وعلم السياسة، والدين، والفلسفة، والموسيقى، والفنون البصرية» (ص٧).

والحقيقة أن قارئ الموسوعة لا يمكن أن يتردد لحظة في أن يغبط محرريها على نجاحهم في مسعاهم المعرفي هذا، بل وفي أن يهنئهم التهنئة الحارة اللائقة على إنجازهم الرائع. فقد استطاعت هذه الموسوعة الضخمة (ذات المجلد الواحد، ذي الصفحات الثلاث والثمانين والثلاثمئة والألف)، التي نشرت أول ما نشرت عام ١٩٦٥، ثم ظهرت في طبعة ثانية مذيّلة بملحق موسّع عام ١٩٧٤، وبعدها في طبعة جديدة عام ١٩٩٣، بعد مراجعة شاملة ومتخللة لنحو ٩٠٪ من مادتها، وإضافة بلغت ١٦٢ مدخلاً جديداً، أن تستجيب على نحو إيجابي لمختلف التطورات التي خضعت لها

التقاليد الشعرية القومية، وأساليب دراستها وتحليلها ونقدها، خلال ربع القرن الأخير. وربما كان من الجدير ذكره، في معرض الحديث عن أهمية هذه الموسوعة للقارئ العربي، أن ثمّة عدداً لا بأس به من المداخل الموسّعة المتصلة بالتقاليد الشعرية العربية ونقدها، من مثل الشعرية العربية، والشعر العربي، والعروض العربي، والشعر العربي الأندلسي، والقصيدة، والزجل، والموشّح، أعدّها مختصون معروفون من غرب العالم وشرقه.

وأما **موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة، مقاربات، باحثون، مصطلحات**(٤٦)، فقد صدرت عن جامعة تورنتو الكندية عام ١٩٩٣، وأعيد طبعها في أعوام ١٩٩٣، و ١٩٩٤، و ١٩٩٥، وشارك في كتابة مداخلها نحو مئة وسبعين باحثاً، كوّنوا مع المحرِّرة والمجلس الاستشاري للموسوعة فريقاً سعى إلى تقديم المشهد النقي المعاصر في مقارباته الأساسية، والعاملين البارزين فيه، فضلاً عن مصطلحاته ومفهوماته الرئيسية، بمقالات مركّزة تروي ظمأ الشادي والخبير معاً، وتضعهما على بداية الطريق الصحيح لاستكشاف عوالم هذا المشهد وشخصياته والأنظار التي تحكمه.

وأما **دليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد** (٤٧)، فقد صدر عام ١٩٩٤، عن مطبعة جونز هوبكنز الأمريكية، مصدَّراً بمقدمة مهمة للناقد المعروف ريتشاردز ماكزي، وشارك في إعداد مداخله، التي تتجاوز المئتين (٢٢٦)، نحو من مئتي مختص، استكتبوا من على جانبي الأطلسي، وسعوا مجتمعين إلى تقديم جرد مرتّب ألفبائياً لنقاد العالم الرئيسيين والمدارس السائدة في العصر الحديث، فضلاً عن العروض التاريخية للتقاليد النقدية القومية المختلفة، مع تركيز خاص على المشهد المعاصر، واهتمام كبير بإسهام العلوم الإنسانية المختلفة في هذا المشهد، وذلك بإفراد مداخل موسّعة لعدد من الفلاسفة والمنظِّرين السياسيين والأنتروبولوجيين وعلماء النفس، الذين كان

لهم إسهام مهم في تطور النظرية النقدية الحديثة.

ونتيجة الإعداد المتقن لمداخل هذا الدليل الموسوعي المهم للشخصيات والمدارس والحركات في هذا الحقل المعرفي المؤثّر والمتنامي في آن واحد، أحاط كل مدخل من مداخله بموضوعه إحاطة أصيلة وموثوقة ، لأن الذي قام بإعدادها خبير اختير بعناية ومعرفة. وكالعادة، وكما هو الشأن في الموسوعتين السابقتين، تضمن كل مدخل ببليوغرافية مختارة بالمصادر والمراجع المعتمدة، أو التي تُيَسِّر معرفة أوسع بمختلف وجوه الموضوع المدروس.

وربما كان يجدر بالمرء أن ينبّه على أن المعجم الموسوعي النقدي، الذي يطمح إليه العاملون في ميدان النقد الأدبي العربي الحديث ينبغي أن تتولى إصداره مؤسسة جامعية، أو مجمعية، أو ثقافية عامة، تهمُّها قضية التفكير الأدبي ومسألة تطويره في المجتمع العزبي الحديث، وأن يقوم عليه فريق منسجم من المحرِّرين ذوي الخبرة الواسعة بتاريخ النقد العالمي وتطوراته الراهنة من جانب، وبتاريخ النقد العربي الكلاسي والحديث وتطوراته وتفاعلاته مع التقاليد النقدية الأخرى عبر العصور من جانب آخر؛ وأن يقوم بإعداد مداخله خبراء وعاملون في ميدان النقد الحديث من جميع المؤسسات والمراكز العلمية في العالم كله، كما هو الشأن في الموسوعات التي تقدَّمَ الحديثُ عنها، وبذلك وحده نستطيع أن نسهم بحقّ الإسهام المرجوّ في تطوير الفكر النقدي العربي الحديث على نحو يكفل استمراريته من ناحية، وتواصله مع التقاليد النقدية الأخرى من ناحية ثانية. وقد يبدو طموح كهذا أقرب إلى الأحلام منه إلى عالم الممكن في الحياة العربية المعاصرة، التي تفتقر إلى التفكير في ما يمكن تسميته بالأمن المعرفي، وتحرص بالتالي على خلق آليات إنتاج المعرفة، التي يحتاجها المجتمع العربي. ولكن العبرة المستفادة من

تاريخ الأمم العظيمة أن العمل الدؤوب الجاد والمخلص والمثابر يستطيع أن يحوّل الأحلام إلى حقيقة، والطموح إلى واقع، وليس ثمة من خيار أمام العرب في هذا العصر غير هذا العمل، يتوسّلون به إلى الانتماء الحق إلى عصرهم.

* * *

الوقوف على مُحَدِّدات المصطلح النقدي

الإنشاء النقدي في معظمه مجموعة مفهومات ومصطلحات ينطوي كل منها على محتوى معين، وتضمُّنات محدَّدة، ودلالات اصطلح عليها من جانب العاملين في هذا الحقل المعرفي المهم، أملتها في الواقع «محدِّدات» (determinants) معيَّنة، لا بد من التنبه لها عند النظر إلى محتوى أي مفهوم نقدي، أو تفحُّص تضمناته، أو دراسة دلالاته.

ولما كان مصطلح النقد الأدبي الحديث في الثقافة العربية المعاصرة مستوحى، في جانب كبير منه، من الثقافات الأجنبية المختلفة، ولما كان مرتبطاً بجملة من المحدِّدات، فإن من المهمّ الوقوف على هذه المحدِّدات. إن هذا المصطلح مرتبط بالأمور الآتية:

١) الآداب الأجنبية المختلفة التي ولد بولادتها، ورافق تطورها ونموها وتحولاتها المختلفة. إن مصطلحاتٍ كالمحاكاة، والوحدات الثلاث، والتطهير، والمعادل الموضوعي، وسواها، مصطلحات مرتبطة بآداب معيَّنة، في عصور معيَّنة، ولا سبيل إلى فهمها بمعزل عن فهم هذه الآداب فهماً حقيقياً.

٢) المذاهب الفنية المتعددة التي شملت فنوناً مختلفة، كان من بينها فن الأدب مثل الرومنتية، والكلاسية، والرمزية، والسريالية، والمستقبلية

وغيرها.

٣) المذاهب الفكرية والفلسفية، التي حفزت ظهور هذه المذاهب الفنية، وألهمتها الكثير من قيمها وأعرافها ومعاييرها ونواظمها، كالوجودية والماركسية والفرويدية.

٤) التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي مرَّت بها المجتمعات التي تنتمي إليها هذه الآداب الأجنبية. ولا ننسى أن المصطلح الأدبي والنقدي، هو، بصورة من الصور، جزء من البنية الفوقية (super-structure) في تلك المجتمعات، وأن هذه البنية تتبادل التأثير مع البنية التحتية (Infrastructure). فالمصطلح المتصل بنهوض الرواية الأوربية في القرن التاسع عشر لا يمكن أن يفهم بمعزل عن استيعاب التحولات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي كانت وراء هذا النهوض.

٥) عملية المواجهة المتعددة الجوانب بين الثقافة العربية والثقافات الأجنبية على نحو خاص، وبين الوجود العربي وأشكال الوجود الأخرى من حوله. إن عملية الاستيحاء، التي قام بها المصطلح النقدي العربي الحديث للمصادر الأجنبية، تمت ضمن سياق (Context) من هذه المواجهة المتعدِّدة الوجوه والمستويات والأبعاد. وقد أثَّر هذا الأمر تأثيراً متفاوتاً في تسمية المصطلح وتحديد دلالته.

ومعنى هذا، باختصار شديد، أن عملية استيعاب هذه الشبكة المعقَّدة من المحدِّدات المتنوعة لدلالات مصطلح النقد العربي الحديث أمر هام عند النظر في قضيته. ولعل أحد أسباب تخبُّطنا في استخدام هذا المصطلح هو أننا أغفلنا هذه المحدِّدات، وظننا أن الأمر لا يعدو كونه نقل كلمة من لغة إلى لغة أخرى، ونسينا أن اللغة ثقافة وفكر، وليست مجرد وعاء نصبّ فيه ما نريد من محتوى.

* * *

وهكذا يتبيّن أن النهوض بالحركة النقدية العربية المعاصرة يتطلّب إصلاحاً للنظامين النقدي والأدبي، اللذين يحكمان عمليتي الإنتاج النقدي والأدبي. وربما كانت أهم خطوة في إصلاح هذين النظامين هي تحديد المفهومات، التي يستندان إليها، أي العناية بالمصطلح النقدي والأدبي عناية تنصرف إلى تثبيته، وتحديد دلالته، والوقوف على محدّداته. إنّ الأخذ بجوانب هذا البرنامج، الذي أضعه بين أيدي العاملين في ميدان النقد الأدبي العربي المعاصر، هو أمر يبدو لي على غاية من الخطر في تقرير مستقبل هذا النقد. ذلك أننا إذا كنا، نحن معشر العاملين في هذا الميدان، نرى في هذا النشاط الفكري الهام حقلاً معرفياً مهماً ومتميزاً (discipline)، أو لنقل، إننا نرى فيه أحد العلوم الإنسانية، فإن من المهمّ أن نتذكر أن أي علم لا يقوم إلا بمصطلحه، ذلك أن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، كما يقول الدكتور عبد السلام المسدي:

«ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى. فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما يتميّز كل واحد منها عما سواها. وليس من مسلك يتوسّل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوالّ ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته، ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال. فإذا استبان خطر المصطلح في كل فن، توضّح أن السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي، الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع، فهو له كالسياج العقلي، الذي يرعى حرماته، رادعاً إياه أن يلابس غيره، وحاظراً غيره أن يلتبس به. ومتى تحلّى الدالّ بخصلتي الجمع والمنع، كان، على صعيد المعقولات، بمثابة الحدّ عند أهل النظر المقولي، الذين هم المناطقة، فيكون للمصطلح الفني في أي شعبة من شعاب شجرة المعرفة الإنسانية سلطة ذهنية، هي سلطة المقولات المجرّدة في علم المنطق: فلا شذوذ إذا اعتبرنا الجهاز المصطلحي لكل علم صورة مطابقة

لبنيـة قياساته، مـتى فسد فـسدت صورته، واختلّـت بنيته، فـيتداعى مضـمونه بارتكاس مقولاته»(٤٨).

الحواشي

(١) أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، الجزء الثاني، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت)، ص (١٣٠).

(٢) المرجع نفسه، الجزء الثاني، ص (١٣١).

(٣) انظر Roland Barthes, Critical Essays, Translated from French by Richard Howard (Northwestern University Press, Evanston, 1972), p. 258.

(٤) انظر Gérard Genette, Figures of Literary Discourse, Translated by Alan Sheriden, Introduction by Maria - Rose Logan (Basil Blackwell, Oxford, 1982), pp. 3 - 4.

(٥) انظر د. عبد النبي اصطيف، **في النقد الأدبي الحديث:** مقدمات، مـداخل، نصوص، الجزء الأول (منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٠ - ١٩٩١)، ص (١٥).

(٦) بالمعنى الذي يراه رومان جاكبسون في مقالته المشهورة «السائد» "Dominant" ، وانظرها في مؤلفه The Language in Litarature, Edited by Krystyna Pomorska and Stephen Rudy (Harvard University Press, Cambridge Ma., 1987), pp. 41 - 6.

(٧) انظر د. حسام الخطيب، **اللغة العربية إضاءات عصرية** (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥) ص (٢١ – ٢٢). وانظر أيضاً تعليق الدكتور إحسان عباس على تخبُّط العرب المحدثين في ترجمتهم أو تعريبهم لمصطلح romantic، واستعمالهم له صفة مشتقة من المذهب الرومنتي romanticism نتيجة اجتهادهم الخاطئ الذي يشيعه التداول، عندما يكتب:

«لقد حار الدارسون في ترجمة أو تعريب romantic، فبعضهم قال رومنتي، وبعضهم قال رومنتيكي، وفريق ثالث قال رومنطيقي، ثم ترك كل ذلك وشاع استعمال «رومانسي». ومع التقارب في أصل الكلمتين فإن البون بينهما واسع : romantic، نسبة إلى romanticism ، وهي حركة أدبية بدأت في أوربا عند نهاية القرن الثامن عشر، تتميَّز بالتعبير عن المواجد الذاتية (مخالفة بذلك الكلاسيكية) ،بينما romance تعني سرداً قصصياً طويلاً شعراً كان أو نثراً

للتغني بالحب والبطولة لدى أبطال ذلك النوع من القصص، ومع ذلك لم يأبه الكتاب في الأدب والنقد لهذا الخطأ، ولم يحتج عليه القراء، ولو حدث مثل هذا في العلم لكان حوباً كبيراً».

وانظر: د. إحسان عباس ، «دور عضو هيئة التدريس في تعريب التعليم العلمي الجامعي» (محاضرة ألقيت في ٢٦ نيسان ١٩٨٦ في مجمع اللغة العربية الأردني في عمان)، **الموسم الثقافي الرابع لمجمع اللغة العربية الأردني**، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ١٩٨٦، ص (١١٦ - ١١٧).

(٨) انظر حسن ناظم، **مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم**، ط١ (المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤)، ص (١٤ - ١٦).

(٩) انظر كشفاً كاملاً بهذه المقابلات العربية للمصطلح في: د. عبد السلام المسدي، **قاموس اللسانيات: عربي - فرنسي، فرنسي - عربي، مع مقدمة في علم المصطلح** (الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤)، ص (٧٢).

(١٠) الإشارة هي إلى استعمالات من سموا أنفسهم **«كتّاب النص الجديد»** في المملكة العربية السعودية، والذين يصدرون مجلة خاصة بهم، تحمل عنوان **«النص الجديد»**. فقد استعملوا كلاً من «التشريحية» (د. عبد الله الغذامي)، و «التقويضية» (د. ميجان الرويلي)، و«التفكيكية» (د. معجب الزهراني) نظيراً لمصطلح «Deconstruction» ، في ملف العدد الذي قدّم له د. سعد البازعي بعنوان موحٍ هو «محور التقويض أم تقويض المحور» . وانظر إسهاماتهم المختلفة في العدد الخامس من المجلة الصادر في نيسان (أبريل) من عام ١٩٩٦، عن دار الخشرمي في قبرص، الصفحات (١٨٤ - ١٩٠) و (١٩١ - ٢٣٠) و (٢٣١ - ٢٥٢) و (٢٥٣ - ٢٦٨).

(١١) انظر مناقشة الدكتور عبد السلام المسدي للاستعمالات العربية، الشرقية منها والغربية، لهذا المصطلح في مؤلفه: **المصطلح النقدي** (مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٤) وبخاصة فصل «تجريد المماثلة» ص ٩٧ - ١١٢.

(١٢) انظر د. حسام الخطيب، المرجع السابق، ص (٢١).

(١٣) انظر د. حسام الخطيب، المرجع نفسه، ص (٥١ - ٧٤).

(١٤) المرجع نفسه، ص (٧٠).

(١٥) المرجع نفسه، ص (٧٢).

(١٦) المرجع نفسه، ص (٧٤).

(١٧) سعد الله ونوس مقدماً **«المعجم المسرحي»**، «من لعثمة الرواد إلى بيانات المسرحيين المحدثين»، **الحياة** (لندن)، العدد (١٢٥٧٨)، الخميس ٧ آب ١٩٩٧، الموافق ٤ ربيع الآخر

١٤١٨هـ، ص (١٦).

(١٨) د. جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية** (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢)، الجزء الأول، ص (٨ - ٩).

(١٩) د. جميل صليبا، المرجع السابق، ص (٩ - ١٠). ولا ينفرد الدكتور صليبا في دعوته هذه، فهذا هو الدكتور إحسان عباس يؤكد أن من الخير أن يظل المصطلح مقصوراً على مقابل له في لغة أجنبية ما أمكن ذلك. وانظر د. إحسان عباس، المرجع السابق، ص (١١٦ - ١٢٢).

(٢٠) انظر د. ناصر الحاني، **من اصطلاحات الأدب الغربي**، (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩).

(٢١) انظر د. مجدي وهبة، **معجم مصطلحات الأدب**، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤).

(٢٢) انظر حمادي صمود، **«معجم لمصطلحات النقد الحديث: قسم أول»**، **حوليات الجامعة التونسية** (تونس)، العدد (١٥)، ١٩٩٧، ص (١٢٥ - ١٥٦).

(٢٣) انظر مجدي وهبة وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩).

(٢٤) انظر د. جبور عبد النور، **المعجم الأدبي**، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩).

(٢٥) انظر سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**: عرض وتقديم وترجمة، (مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، ١٩٨٤).

(٢٦) انظر إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، (المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس/ تونس، ١٩٨٦).

(٢٧) انظر د. إميل يعقوب، د. بسام بركة، مي شيخاني، **قاموس المصطلحات اللغوية**، عربي - إنكليزي - فرنسي (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧).

(٢٨) انظر د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي، **دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من ثلاثين مصطلحاً وتياراً نقدياً أدبياً معاصراً** (الرياض، ١٩٩٥).

(٢٩) انظر د. محمد عناني، **المصطلحات الأدبية الحديثة**، (الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ١٩٩٦).

(٣٠) الدكتور ناصر الحاني، **المصطلح في الأدب الغربي** (منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ١٩٦٨).

(٣١) انظر د. مجدي وهبة وكامل المهندس، **المرجع السابق**، ص (٧).

(٣٢) انظر د. مجدي وهبة وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، الطبعة الثانية (منفحة ومزيدة)، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤).

(٣٣) انظر سعيد علوش، المرجع السابق، ص (١٥).

(٣٤) المرجع نفسه، ص (٩).

(٣٥) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٦) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٧) المرجع نفسه، ص (١٧ و ٢٧).

(٣٨) المرجع نفسه، ص (١٧ - ١٣٦).

(٣٩) من الجدير بالذكر أن طبعة مشتركة من معجم الدكتور سعيد علوش قد صدرت عن دار نشر لبنانية وأخرى مغربية في عام ١٩٨٥، وهي لا تكاد تقدم جديداً وانظر: د. سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة** (عرض وتقديم وترجمة) (دار الكتاب اللبناني، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٥) وهي لا تشير إلى طبعة عام ١٩٨٤ المشار إليها آنفاً.

(٤٠) يمكن للمرء أن يشير إلى المعاجم التالية على سبيل المثال:

N. H. Abrams, A Glossary of Literary Terms, 3 rd Edition. (holt, Rinehart and Winston, New York, 1971), Chris Baldick, The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms (Oxford University Press, 1991).

J. A. Cuddon, A Dictionary of Literary Terms, Revised Edition. (Penguin Books, Harmondworth, Middlesex, 1982),

وطبعته الثالثة التي صدرت تحت عنوان: معجم للمصطلحات الأدبية ونظرية الأدب، عام ١٩٩١.

Roger Fowler (ed.) A Dictionary of Modern Critical Terms (Routeldge & Kegan Paul, London, 1973), وطبعته المنقحة والموسعة الصادرة في عام ١٩٨٧ عن دار النشر نفسها:

Jeremy Hawthorn, A Concise Glossary of Contemporary Literary Theory, Second Edition (Edward Arnold,London, 1994).

John Peck &Martin Coyle, Literary Terms and Criticism: A Students Guide (Macmillan, London, 1984).Joseph T . Shipley (ed.) Dictionary of World Literary Terms,Enlarged and Completely Revised Edition (George Allen & Unwin, London, 1979).

إضافة إلى المعجمين الفرنسين التاليين، اللذين ترجما إلى الإنكليزية، والمستخدمين على نطاقٍ واسع من قبل حمادي صمود، وسعيد علوش:

Oswald Ducrot and Tzvetan Todorov, Encyclopedic Dictionary of the Sciences of Language, Translated by Catherine Porter (Blackwell, Oxford, 1981).

A. J. Gremas and J. Courtes, Semiotics and Language: An Analytical Dictionary, Translated by Larry Crist and Daniel Patte, and others (Indiana University Press, Bloomongton & London, 1982). وموسوعات برنستون، وجونز هوبكنز، وتورنتو وغيرها، التي سيشار إليها لاحقاً في هذا البحث.

(٤١) انظر للدكتور إميل يعقوب، **موسوعة النحو والصرف والإعراب** (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦)، وللدكتور بسام بركة، **معجم اللسانية** (جروس برس، طرابلس - لبنان، ١٩٥٨).

(٤٢) انظر **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، ص (٤٧٧ - ٤٧٩).

(٤٣) انظر مجدي وهبة وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ، ص (٣٤٦).

(٤٤) انظر د. جابر عصفور، «**أوراق أدبية: دليل الناقد الأدبي المعاصر**»، العربي (الكويت)، العدد ٤٨٨، مارس ١٩٩٦، ص (٨٠ - ٨١). وانظر أيضاً رد الدكتور ميجان الرويلي الذي نشرته صحيفة الرياض (الرياض)، تحت عنوان: «رداً على د. جابر عصفور: د. ميجان الرويلي يكشف ويحاور: «لن أستبدل التقويضية بالتفكيك فقط لأن المفردة شاعت»»، العدد (١٠١٤٦)، الخميس ١٦ ذو القعدة ١٤١٦هـ، ٤ نيسان (أبريل) ١٩٩٦..

(٤٥) انظر Alex Preminger and T.V.F.Brogan, The New Princeton Encyclopedia of Poetry and Poetics (Princeton University Press, Princeton, 1993).

(٤٦) انظر Irena R. Makaryk, General Editor and Compiler Encylopedia of Contemporary Literary Theory: Approaches, Scholars, Terms (University of Toronto Press, Toronto - Buffalo - London, 1993).

(٤٧) انظر the Johns Hopkins Guide to Literary Theory and Criticism, Edited by Michael Groden and Martin Kreiwirth (the Johns Hopkins University Press, Baltimor and London, 1994).

(٤٨) انظر د. عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص ١١.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم الثالث عشر)(*)

وفاء تقي الدين

باذَرُوج(**)

باذروج	١: ١٥١، ١٥٦، **٢٧٤**، ٣١٤، ٣٨١/ ٢: ١١٢، ١٤١، ٢٦٧، ٢٨١، ٣٠٧/ ٣: ١١٥، ٢٢٥، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٧
بادورج وهو الحوك	٢: ١٥٩
البادروج اليابس	٢: ٥٠٥

(*) نشرت الأقسام الاثنا عشر السابقة في مجلة المجمع (مج ٦٧: ص ٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص ٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و مج ٧٣: ص ١١٧).

(**) كتاب ديسقوريدس ٢٠٥ (اوقمن وهو الباذروج)، ٤٨ (صنعة اوقيمينون وهو دهن الباذروج)، وكتاب النبات ١: ١٣٩، والحاوي ٢٠: ١٦٧، والملكي ١: ١٨٤/ ٢: ١٠٧، والصيدنة ٨٧ ومختارات البغدادي ٢: ٣٧، وشرح اسماء العقار ٨، والمنتخب ٦٩ ومفردات ابن البيطار ١: ٧٦، ومفيد العلوم ١٥ . والمعتمد ١٤، والشامل ٦٦، ومالا يسع الطبيب جهله ٧٣ ٢٤٥ (دهن الباذروج)؛ ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس (حوك =

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال فيه: «هو الحَوْك، وهو معروف، ودهنه في قوة دهن المرزنجوش، ولكنه أضعف منه، وفيه قوى متضادة..»

الباذروج بقل عطر الرائحة من فصيلة الشفويات، عرفه العرب منذ القديم، وذكره ديسقوريدس في كتابه باسم (اوقمن)، اسمه العلمي Ocimum basilicum مأخوذ من الاسم اليوناني. ذكرته المراجع العربية وعددت أسماءه التي يعرف بها، من ذلك ماقاله أبو حنيفة في كتاب النبات «الحوك الباذروج، وزعم بعض الرواة أنه يُسمّى الضَّوْمَران»، وابن البيطار في مفرداته: «باذروج وهو الحوك، وهو ريحان معروف»، وابن الحشاء في مفيد

= وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٦٤، ومعجم د. عيسى ١٢٦ (٤) والمعربات الرشيدية ١٢٨ وبرهان قاطع ١: ٢١٠، ومعجم الشهابي ٧٨، والمعجم الكبير ٢: ١٧، وتركيب مالا يسع الطبيب جهله ٤٥ ب (دهن الباذروج). وانظر حوك.

العلوم «باذروج هو صنف من الحبق عزيز الوجود معروف بالمغرب ويسمى الحبق الريحاني» وذكر أيضاً في برهان قاطع وقيل إن اسمه بالعربية ضومر ومفرح القلب المحزون .

لفظة باذروج معرّبة من الفارسية نجدها في الكتب العربية بإهمال الدال وبإعجامها مفتوحة في الحالين. وهي بالفارسية بِدالٍ مهملة ساكنة حسبما ضبطت في برهان قاطع. وهي بمعنى گل بستان أفروز) أي الورد المنور البستان .

باذمهرج(*)

باذمهرج ٣: **٣٢٩**، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢.

هذا اللفظ اسم لدواء مركّب، ذكره ابن سينا مفصلاً في المقالة الخاصة بالترياقات والمعاجين الكبار، وقال: «منافعه كمنافع الدحمرثا، أخلاطه: يؤخذ زرنباد ودرونج وأفيون وحبذبادستر.. من كل واحد ستة دراهم، حلبة ثمانية دراهم.. يدق وينخل ويعجن بعسل».

بعد العودة إلى المراجع يظهر أن ما نَعَتَهُ ابن سينا هنا هو نسخة لمعجون اسمه (دحمرثا) ميزها ابن سينا عن النسخة الأصل باسم (بادمهرج)، وفي الملكي سمى أبو العباس المجوسي هذا الدواء باسم (الحمرثا الحلوة) وأخلاطه ومقاديرها هي نفس ماذكره ابن سينا في باذمهرج إلا بعض تغيير في الألفاظ كأن يقول ابن سينا مثلاً (لُبنى) بينما قال المجوسي (ميعة) وهما اسمان لعقّار واحد، وكأن يحدد ابن سينا كميات كل من هذه الأخلاط بالدراهم، بينما هي عند المجوسي بالمثاقيل... وذكر هذا الدواء أيضاً ابن جزلة في منهاج البيان باسم (معجون الدحمرثا) ملتزماً بألفاظ المجوسي، والبغدادي في

(*) الملكي ٢: ٥٤١ (الدحمرثا الحلوة)، ومنهاج البيان ١١٠ب (معجون الدحمرثا)، ومختارات البغدادي ٢: ٢٤١ (المعجون المسمى باذمهرج)، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٤٢ب (الدحمرثا الصغير). وانظر مادة (دحمرثا) في هذا الكتاب.

مختاراته باسم (باذمهرج) بلفظ ابن سينا، أما ابن الكتبي فقد ذكر في تركيب مالايسع الطبيب جهله أن الدحمرثا نوعان صغير وكبير؛ فذكر نسخة الصغير بلفظ المجوسي ثم قال: «وهذا المعجون سماه الشيخ الرئيس بادمهرج وذكر الدحمرثا بنسخة أخرى..»

كتبت اللفظة في المراجع بالدال مهملة ومعجمة، ولم أجدها مضبوطة إلا في تركيب مالا يسع الطبيب جهله، وفي النسخة الخطية الأخرى (مالايسع الطبيب جهله) بكسرة تحت الدال المهملة.

باذِنْجان(*)

باذنجان	١: ٩٧، ١٧٨، ٢٣٠، **٢٧٢**
باذنجان حديث	١: ٢٧٢
باذنجان صغير	١: ٢٧٢
باذنجان عتيق	١: ٢٧٢
باذنجان مطبوخ في الخل	١: ٢٧٢
جوف الباذنجان	١: ٢٧٢ ٢: ٢٨٠
سحيق أقماع الباذنجان المجففة	١: ٢٧٢

ذكر ابن سينا الباذنجان في الأدوية المفردة فقال: «الماهية: معروف» ثم ذكر أنواعه وخواصه فعزا إليه كثيراً من الأضرار كإفساد اللون وتوليد

(*) كتاب النبات ١: ٦٦، والملكي ١: ١٨٦، والصيدنة ٨٨، ومنهاج البيان ٤١أ والمنتخب من مفردات الغافقي ٦٤، ومفردات ابن البيطار ١: ٨٠، والمعتمد ١٥، ولسان العرب (أنب، حدق، معذ، وغيرها)، ومالايسع الطبيب جهله ٧٦، وتاج العروس (أنب، حدق، معذ، وغد وغيرها)، وحديقة الأزهار ٥٥ (٥٠)، وتذكرة داود ١: ٦٤، وشفاء الغليل ٦٨، والألفاظ الفارسية ١٥، وبرهان قاطع ١: ٢٠٣ (باتنگان)، ٢١٣ (بادنگان)، ومعجم أحمد عيسى ١٧١ (١٢، ١٦)، والمساعد ٢: ١١٢، ومعجم الشهابي ٦٥، والمعجم الكبير ٢: ١٨، والمعجم الموحد ١٦، ٦٨، والمعربات الرشيدية ١٩٥ .

الصُّداع والسرطان والجُذام إلا إذا طُبخ بالخل وغيره من المُصْلِحات..
الباذنجان ضرب من البقول البستانية نباته من نوع الجَنْبة من الفصيلة الباذنجانية تؤكل ثماره، وأنواعه كثيرة فمنه الأسود الشديد السواد، ومنه مائل إلى الحمرة، ومنه مدحرج، ومنه طويل. ذكرته المراجع الطبية ودوّنت أسماءه العربية الكثيرة ومنها: الأَنَب، والحَدَق، والمَغْد وغيرها، ولم يرد أي من هذه الأسماء في القانون، فقد اقتصر ابن سينا على استعمال كلمة باذنجان للدلالة على هذا النبات ثمرِه، كما ذكرت معجمات اللغة أيضاً الباذنجان في شرحها لأسمائه الأخرى لكنها لم تدونه في باب الباء. وقد عدّدَ الأب الكرملي في معجمه المساعد المواضعَ التي ذكر فيها الباذنجان، ومنها علاوة على ماذكرت آنفاً: الكهكب والكهكم والقهقب والشرجبان والإنفحة وغيرها ..

لفظة الباذنجان معربة من الفارسية باتنگان أو بادنگان، بكاف فارسية، وقد ضُبِطَت في المراجع بكسر الذال وفتحها معجمة ومهملة وقال الخفاجي في شفاء الغليل : «وهو بكسر الذال، وبعض العجم يفتحها، ذكره في المصباح».

بارخس

الباء ليست من أصل الكلمة. انظر مادة (ارخس) في باب الهمزة.

بارد

انظر (مبرد)

باردس

باردس سفاريطيقي ١ : ٣٩٠ تصحيف والصواب ناردين..
انظر مادة (ناردين)

بارفاسيس

بارفاسيس ١: ٣٦٨

جاء في الأدوية المفردة في ترجمة (مر): «.. وقد يُغَشّ ببعض اليَتُّوعات[1] القتّالة فيصير قتّالاً، وهذا اليتّوع يُسمَّى بارفاسيس، وهي شجرة قتالة». كذا في طبعتي رومة وبولاق وفي المخطوطة (١) پادناسبوس، والذي ظهر لي أن هذا الكلام منقول عن جالينوس، فقد جاء في مفردات ابن البيطار، في ترجمة (مر) ٤: ١٥٤ «جالينوس... وقال في الأدوية المقابلة للأدواء: هو صنفان، ويخلط به لبن شجرة بأرض فارس [كذا] وهي شجرة قتالة فيصير هذا المر إنْ أُكِل قتالاً لكنه عجيب في الأكحال». وفي ترجمة (مر) أيضاً في الصيدنة (ص ٣٤٥) كلام مشابه عُزي إلى الأُرَّجاني وهو: «قد يُغش ببعض اليتوعات فيصير قتالاً» وفي منهاج البيان (٢٤٥ب): «مر... ويغش ببعض اليتوعات القتالة فيصير قتالاً، وهذا النوع يسمى باربارسين وهي شجرة قتالة»

لم أتمكن من تمييز الاسم الصحيح في هذه الروايات المختلفة، ويستفاد منها جميعاً أن هذا الاسم الذي ذكره جالينوس يدل على شجرة يتّوعية. أي ذات لبن – تعتبر شجرة سامّة ولعل اللفظة يونانية.

بارْزَد(*)

بارْزَد ٢: ١٣٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧/ ٣:

(١) جمع يَتّوع، وهو اسم من أصل سرياني، يطلق على كل نبات له لبن حاد مسهل.. انظر مادة (يتوع) في هذا الكتاب.

(*) الحاوي ٢٠: ١٧٠، والملكي ٢: ١٢٦، ومنهاج البيان ٤٠ب، ومفردات ابن البيطار ١: ٨٣، والشامل ١٢٦، ولسان العرب وتاج العروس (قنن)، وبرهان قاطع ١: ٢١٥ (بارزد)، ٣٣٤ (بيرزد)، وتذكرة داود ١: ٦٦، ومعجم د. أحمد عيسى ٨٢ (١٢)، ومعجم الشهابي ٢٧١ . وانظر مادة (قنة) في كتابنا هذا .

	١٣٣، ١٢٨، ١٨٢، ١٨٣،
	٢٠٥، ٢٤٨، ٣٠٣، ٣١٢، ٣١٣،
	٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٨،
	٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣٧
بارزد صافٍ نقيّ	٣: ٣٣٨، ٤٢٨

بارزد هو القِنَّة، وهي صمغة تستخرج من نبات طبي من الفصيلة الخيمية Ferula galbuniflua . ذكرها ابن سينا في أدويته المفردة باسم (قنة) فانظرها في باب القاف .

لفظة بارزد معربة من الفارسية بارزد أو بيرزد. ذكرته معجمات اللغة الفارسية وضُبِط فيها بسكون الراء وفتح الزاي.

البَازي(*)

خرء البازي	٢: ٨٦/ ٣: ٢٧٠
ذرق البازي	٢: ٥٧٨، ٥٨٤/ ٣: ١٢٨، ٢٣٤
زبل البازي	١: ٣٠٨
مرارة البازي	٢: ١٤٠

لم يذكره ابن سينا في الأدوية المفردة، ولكنه أورد في أثناء كلامه على الأمراض ومعالجاتها مايُتداوى به من هذا الطائر وهو ذرقه ومرارته. وقد نبه في أحد المواضع (١: ٣٠٨) على قلة استعمال ذرقه لشدة إفراطه في الحرارة.

(*) الحيوان للجاحظ ٢: ١٨٧/ ٤: ٢٢٩/ ٦: ٤٧٨ وغيرها كثير، وعجائب المخلوقات للقزويني ٢: ٢١٤، وتاج العروس ولسان العرب (بزا)، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ١: ٩٤، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٦٥، ٢: ٥٨ وما بعدها (بزو) ومعجم الحيوان ٢، ٢١، ١٠٢، ١١٧، والمعجم الكبير ٢: ٣٠١

والبازي طير جارح استخدم منذ القديم للصيد لأنه قوي سريع التعلم وتقول العرب للبزاة والشواهين وغيرها مما يصيد صقوراً، وتتميز البزاة من الصقور بأن «الصقور سود العيون محددة الرؤوس طوال الأجنحة قصار الأرجل. والبزاة صفر العيون مدورة الرؤوس، قصار الأجنحة طوال الأرجل» قاله الفريق أمين المعلوف في معجم الحيوان. والاسم العلمي لهذا الطائر هو Accipiter gentilis، وفي المراجع العربية القديمة في البزدرة كثير من التفضيلات عن هذا الطائر وشكله وأخلاقه وعاداته. وفي اسمه لغات ذكرتها معجمات اللغة، ففي اللسان: «البازي واحد البُزاة.. قال ابن بري: قال الوزير: بازٍ، وبازٌ، وبازيّ على حد كرسي. قال ابن سيده والجمع بوازٍ وبُزاة» وجاء في حياة الحيوان للدميري أن «أفصح لغاته (بازي) مخففة الياء، والثانية (بازٌ)، والثالثة (بازيّ) بتشديد الياء.. ولفظه مشتق من البز وهو الوثب..»

باسَلِيقُون(**)

أ) الشياف(١):

باسليقون	٢: ١٣٣، ١٣٥، ١٣٧/ ٣: **٤٢٣**
باسليقون الحاد	٢: ١٢٧
دواء باسليقون أي الملكي	٣: **٤٢٣**

ب) المرهم(٢):

(**) الملكي ٢: ٥٩٦ (الباسليقون الأكبر، والباسليقون الأصغر)، ٦٠١ (مرهم الباسليقون)، ومنهاج البيان فيما يستعمله الإنسان ٤٢أ (باسليقون)، ٢٤٩أ (مرهم الباسليقون)، وأقرباذين القلانسي ٥١ (الباسليقون)، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ١٨أ ، (باسليقون، باسليقون الملوك)، وتذكرة أولي الألباب ١: ٦٦ (باسليقون)، ٢٨٣ (مرهم الباسليقون) .

(١) الشياف ويقال اشياف اسم لنوع من الأدوية المركبة الجافة. انظر مادة (شياف) في كتابنا هذا.

(٢) المرهم اسم للأدوية المركبة التي تجمع أخلاطها الجافة بعضها إلى بعض بالشمع وما يشبهه. انظر مادة (مرهم).

باسليقون	٢: ١٥٤، ٥٩٩/ ٣: ١٧٢
مرهم باسليقون	٢: ١٥٧، ٤١٥، ٤٨٤، ٥٧٨، ٥٩٠، ٦٠٨/ ٣: ١٢٦، ١٨٣، ٣٠٩، ٤٣٩.
مراهم باسليقونية	٣: ١١٦
مرهم الباسليقون الصغير	٢: ٥٩٨/ ٣: **٤٠٥**
مرهم الباسليقون الكبير	٣: **٤٠٤**

يطلق اسم (باسليقون) على دواءَين مركبين:

الأول شياف الباسليقونِ، ذكره ابن سينا في كتاب الأدوية المركبة، في المقالة الخاصة بأدوية العين، وفصّل تركيبه على نسختين يدخل في تركيب كل منهما: الإقليميا، والإسفيداج، والملح، والنوشادر وغيرها. تُدَقّ الأدوية جافةً وتسحق وتكحل بها العين. وذكر من فوائد هذا الشياف أنه يجلو البصر ويحفظ البصر الصحيح. وفي الملكي نسختان للباسليقون سماهما المجوسي الباسليقون الأكبر، والباسليقون الأصغر. وسماه ابن سينا (دواء باسليقون أي الملكي)، وعند ابن الكتبي: باسليقون وباسليقون الملوك، وقال القلانسي في تفسير هذا الاسم اليوناني: «الباسليقون من أدوية العين، ومعناه الروشنائي لأنه ينفع من ظلمة البصر»، أما الأنطاكي فقال في تذكرته: «باسليقون هو من الأكحال الملوكية صنعه بقراط.. وقيل معناه الملوكي..»

والثاني هو مرهم الباسليقون، اشتهر بفائدته الكبيرة في معالجة القروح والجروح، ذكر ابن سينا نسختين له سماها: مرهم الباسليقون الكبير، ومرهم باسليقون الصغير، ومن أخلاطهما الشمع والزفت والراتينج والزيت وغيرها. وذُكر أيضاً في الملكي باسم مرهم الباسليقون، ومرهم باسليقون أصغر، وفي منهاج البيان، وفي تذكرة دواد الأنطاكي الذي قال: «مرهم الباسليقون عجيب الفعل في القروح والجروح، وهو من المشاهير في القراباذين

اليوناني..وصنعته..».

باشَق(*)

زبل الباشق ١: ٣٠٨

ذكر ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة (الزبل) فقال: «... وزبل البازي والصقر والباشق وسائر الجوارح تستعمل لأنها مفرطة جداً» يريد: في حرارتها.

الباشق طائر معروف من الجوارح، ذكر في كتب اللغة والحيوان، ووصفه القزويني في عجائب المخلوقات فقال: «طائر حسن الصورة ، أصغر الجوارح جثةً، يصطاد العصافير ومافي حجمها. دماغه ينفع من الخفقان...»

ضبط اسمه بفتح الشين. جاء في تاج العروس: «الباشق كهاجر اسم طائر أعجمي، معرَّب باشه (بالفارسية).. والواشق لغة فيه. وروى السيوطي في ديوان الحيوان كسر الشين أيضاً».

باقِلاَّء(**)

(*) الحيوان للجاحظ ٢: ١٨٨/ ٣: ١٨٠، ومعجم الحيوان ٢: ١٠٢، ٢٣٢، وعجائب المخلوقات ٢: ٢١٥، ولسان العرب، وتاج العروس (بشق)، وتذكرة أولي الألباب ١: ٦٦، ومعجم برهان قاطع ١: ٢٢٢ (باشه)، والمعرّبات الرشيدية ١٧٩.

(**) كتاب ديسقوريدس ١٨٣ إ (قيامس النيكس وهو الباقلى)، وكتاب النبات لأبي حنيفة ١: ٥٤، والحاوي ٢٠: ١٤٩، ١٥٤ (باقلى مصري)، والملكي ١: ١٨٢/ ٢: ١١٢، ومنهاج البيان ٤٠ أ (باقلى)، و ٤٠ ب (باقلى مصري)، والمختارات ١: ٢٣١، ومفردات ابن البيطار ١: ٧٦، والمعتمد ١٤ (باقلا)، و ١٥ (باقلا مصري)، والشامل ٦٨، وما لايسع الطبيب جهله ٧٤ (باقلا)، وحديقة الأزهار في ماهية العشب والعقّار ٥٤ (٤٨)، ولسان العرب، وتاج العروس (بقل)، وتذكرة أولي الألباب ١: ٦٦، وقاموس الأطبا وناموس الألبا ١: ٣٣٣ (بقل)، ومعجم أسماء النبات ١٨٩ (١) باقلاء، و ١١٢ (١٣) باقلاء مصري، ١٢٦ (٥) باقلى قبطي، ومعجم الألفاظ الزراعية ٢٧٥ (باقلاء)، و ٤٠٠ (جرجر مصري)، و ٤٠٩ (باقلا قبطي)، والمعجم الكبير ٢: ٤٦٧.

ذكر ابن سينا الباقلّى في الأدوية المفردة فقال في ماهيته: «منه المعروف، ومنه المصري، ومنه نبطي، ومنه هندي. والنبطي أشد قبضاً، والمصري أرطب وأقل غذاء..» وفي كلامه على الترمس (١: ٤٤٤) قال: «وهو الباقلّى المصري».

ذكرت أكثر المراجع الباقلا وقالت «معروف» وذكرت خواصه وصفاته وعددت من أسمائه الفُول والجَرْجَر– قال في اللسان: هو حملُه– والجُمَّى، لم يستعملها ابن سينا بل استعمل الباقلى، وذكره باسم الفول مرة واحدة. وهو «نبات عشبي سنوي زراعي مشهور من الفصيلة القرنية والقبلية الفراشية، تؤكل قرونه الخضر مطبوخة وكذلك حبوبه» خضراء ويابسة، قاله الأمير شهابي، وهو يوافق مافي سائر المراجع قديمها وحديثها. ولكن الاختلاف وقع في أنواع الفول، وبخاصة الباقلى المصري، فابن سينا عده–

كما سبق– من أنواع الباقلى، ثم قال إنه الترمس! وتابعه في هذا ابن جزلة في منهاج البيان. وجاء في مفردات ابن البيطار قوله: «باقلا قبطي وأهل مصر تعرفه بالجامسة، وغلط من قال هو الترمس»، وفي المعتمد (ص ١٥) باقلا مصري: ع[١] تعرفه أهل مصر بالجامسة، وغلط من قال هو الترمس، وقال ج[٢] هو الترمس». وفي مالا يسع الطبيب جهله «.. ومن هذا الباقلا نوع يسمي باقلى قبطي ويسمونه جامسة وهو صغير قريب إلى التدوير، وغلط من قال إنه الترمس».. وهكذا يظهر أن الباقلاء القبطي (في المراجع عدا القانون) هو الباقلى المصري وهو الجامسة وهو نوع متميز من الباقلاء ولكنه ليس الترمس، وقد وضح صاحب الشامل الأمر فقال: «الباقلّى يقال على جسمين أحدهما هو الفول، وهو المتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظ الباقلى وهو معروف مشهور.. وثانيهما وهو الجامسة وهو الباقلى المصري والباقلى القبطي، وليس المراد بذلك الفول المصري والفول القبطي بل نبات آخر يشبه الفول وليس به وليس أيضاً هو الترمس..»

مما سبق يظهر أن الباقلاء الذي هو الفول هو مايسمى علمياً Vicia faba، والباقلى القبطي أي الجامسة Nymphaea melumbo وهو نبات مائي من فصيلة النيلوفر لم يذكره ابن سينا هنا، والباقلى المصري الذي يسمى ترمساً هو Lupinus termis وهو – كالفول – من الفصيلة القرنية والقبيلة الفراشية، وقد يسمى البسيلة للمرارة التي فيه، وهو الذي ذكره ابن سينا في كلامه على الترمس. أما الباقلى الهندي فهو Canavalia glandiata، ويدعى أيضاً لوبياء هندي كما في معجم الدكتور عيسى ص ٣٨ (٢)، والنبطي نوع من الفول. جاء في تذكرة داود: «باقلا: المصري هو الترمس، والنبطي الفول» .

(١) أي الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار.

(٢) أي ابن جزلة في منهاج البيان.

وردت الباقلاء في كتاب ابن سينا بالألف مقصورة وممدودة وكذلك في سائر المراجع. جاء في اللسان: «الباقلاء والباقلى: الفول اسم سوادي، وحمله الجرجر، إذا شددت اللام قصرت، وإذا خفت مددت فقلت الباقلاء، واحدته باقلاة وباقلاءة، وحكى أبو حنيفة الباقلى بالتخفيف والقصر..»

باله

باله ٣: ١٤٥

وردت هذه اللفظة في كلام ابن سينا على معجون السلاخة «وهو دواء هندي ينفع في علاج الجذام وتناثر الأشفار وبياض الشعر.. ونسخته: سلاخة.. هليلج.. بليلج.. فلفل.. قرفة.. بسباسة وعود وباله وديكارة وطباشير..» كذا وردت اللفظة في القانون بطبعتيه والمخطوطة (١).

لم أجد هذه اللفظة ولا التي تليها (ديكارة) في كتب الأدوية المفردة، كما لم أعثر على هذا المعجون الهندي في الأقرباذينات أو كتب الطب التي تصف أدوية الجذام (كالحاوي والملكي)..

بان(*)

بان ١: ٢٦٤/ ٢: ٥٢٦، ٥٤٨/ ٣: ٣٥٠

ثجير[1] حب البان ٣/ ٢٨٠، ٢٨٩

(*) كتاب ديسقوريدس ٤٠ (دهن البان)، ٣٥٨ (بالانس موريسقى وهو حب البان)، وكتاب النبات ١: ٤٨، والملكي ٢: ١١٣ (حب البان)، والحاوي ٢٠: ١٦٠، ومنهاج البيان ٤١ب، ٨٠ب (حب البان) والمنتخب لابن العبري ٥٩، ومفردات ابن البيطار ١: ٧٩، ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس (بون، نشم، شوع) ومفيد العلوم ١٧، وعجائب المخلوقات ٦، وما لايسع الطبيب جهله ٧٥، والمعتمد ١٧، ١٧١ (دهن البان)، وقاموس الأطبا ٢: ١٤١، وتذكرة داود ١: ٦٤، ومعجم أحمد عيسى ١٢٠ (١٨، ١٩، ٢٠)، والمساعد ٢: ١٣٣، ومعجم الشهابي ٨٢، ٤٣٣.

(١) الثجير ثفل كل شيء يعصر.

ثمرة البان	١: ٢٦٤
حب البان	١: ٢٦٤، **٣٢١**/ ٢: ٢٨٠، ٣٢٩، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٩٤، ٤١٥، ٤٥٠، ٥٣٩/ ٣: ٤٨، ٥٥، ٧٢، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٤٥، ٣٩٢
حب البان المسحوق	٣: ٢٨٨
حب البان المقشّر	٣: ٣١٩، ٣٢٨
دهن البان	١: ١٥٨، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٩٦، ٣٦٧، ٤٧٠/ ٢: ٢٠، ٥٧، ١٥٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٦، ٢٧٠، ٣٠٠، ٤٦٠، ٥١٦، ٥٢٦، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٦٦، ٥٩٤، ٦٠٢/ ٣: ٦٤، ١٣٥، ١٣٩، ٢٢٩، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٩٤، ٤٠١.
طبيخ أصل البان	١: ٢٦٤
عصارة البان	١: ٢٦٤
قشر البان	١: ٢٦٤
لب البان	١: ٢٦٤
لب حب البان	٢: ٤١٥

ذكر ابن سينا البان في الأدوية المفردة فلم يصف الشجرة بل وصف حبها وهو المشهور استعماله في الطب فقال: «بان، الماهية: حبه أكبر من

الحمّص إلى البياض ماهو وله لب لين دهني». وذكر ديسقوريدس حب البان في كتابه ووصف شجرته فقال: «بالانس موربسقى. هو ثمر شجرة شبيه الطرفاء وهذه الثمرة شبيهة البندق، وقد يعتصر ماداخلها مثلما يعتصر اللوز المر فيخرج منه رطوبة تستعمل في الطيوب المرتفعة مكان الدهن، وقد تنبت هذه الشجرة ببلاد الحبش ومصر وبلاد العرب وبموضع من فلسطين الذي يسمى بطرا..» ثم ذكر من فوائد حب البان ماذكره ابن سينا وغيره كفائدته في علاج أمراض الجلد كالجرب والبهق والكلف والبثور.. وفي علاج أورام الطحال، وأمراض العصب.. وفي كتاب النبات عرف أبو حنيفة البان بقوله: «البان شجر يسمو ويطول في استواء نبات الأثل، وورقه أيضاً هدب كهدب الأثل، وليس لخشبه صلابة.. وثمرته تشبه قرون اللوبياء إلا أن خضرتها شديدة، وفيها حب، ومن ذلك الحب يُستخرج دهن البان..» والاسم العلمي لهذين الصنفين من البان هو Moringa patrygospuam , MOringa apetra. ويطلق اسم البان أيضاً على جنس آخر من الشجر نبه عليه المؤلفون كابن الكتبي في مالايسع الطبيب جهله حيث قال: «.. وما يقوله العوام من إطلاقه على هذا النوع من الخلاف الذكي الرائحة زهراً ويسمون ورده ورد البان فهذا لااعتبار به مع أنهم يسمون الماء المستقطر منه ماء الخلاف».

للبان أسماء عربية أخرى منها الشُّوع والمنشم والميسم وغيرها، وقد ذكر ابن سينا المنشم مادة مستقلة بذاتها في الأدوية المفردة فانظرها في موضعها.

كلمة البان كلمة عربية، وقد رأى الأب الكرملي أن هذه الكلمة معرّبة عن اليونانية ولكن غيره أظهر فساد هذا الرأي، ونجد هذا الرأي ومعارضه في المساعد وحاشيته.

(التعريف والنقد)

التنبيه على أوهام الباحثين
في
ذِكْرِهم مُصَنَّفات العُكْبَري

(القسم الثاني)

الدكتور: يحيى ميرعلم

نشرت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق القسم الأول من هذا المقال[1] الذي وقفته على تعريف أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٥٣٨/٦١٦هـ) وبيان مكانته وتقدُّمه في علوم العربية والدين، ووفرة مصنفاته وتنوعها، متوخّياً في ذلك الإيجاز والتوثيق، ثم أتبعت ذلك بالتنبيه على ضروب من السهو والوهم والخطأ وقعت في كلام بعض المحدثين على مصنفات أبي البقاء دون ما فشا في كثير من مؤلفاته المطبوعة من أخطاء مختلفة، فذلك ما لا سبيل إليه لخروجه عن القصد وبعده عن الاستقصاء والحصر. وقد ظهر فيما سبق، وسيظهر فيما يأتي، ما نتج عن وقوع مثل تلك الأوهام في ترجمة آثاره، من زيادة مصنفات لم تصح نسبتها إليه، ومن إسقاط مؤلفات صحت نسبتها إليه، وذلك لأسباب عدة، من أهمها: فشو ظاهرة تعدد تسميات الكتاب الواحد واختلافها طولاً وقصراً، وتفاوت

---

(١) مجلة المجمع، المجلد ٦٨، الجزء الثالث، ص ٥٢٩-٥٤٢.

المصادر في مبلغ ما تورده، ومنها تعدد مؤلفاته في الموضوع الواحد مع اتفاقها أو تقاربها في الغايات، مثل عنايته بتصنيف عدد من كتب المقدمات في النحو والعروض، وباختصاره بعض المطولات من أصول المتقدمين، ومنها وقوع بعضهم في وَهْم في فهم كلام الأقدمين في حديثهم عن كتبه، ومنها متابعة المحدثين فيما وهموا فيه دون تمحيص أو تدقيق أو تحرير، أو متابعة أخطاء النساخ التي انتقلت إلى المطبوع من كتب التراجم، وأشياء أخرى تلحق بما سبق. لقد انتهت جملة ما نبَّهت عليه في القسم الأول إلى (١٢) وهماً، لزمت في عرضها التوثيق بما فيه مقنع، وبما لا يتطرق إليه الشك، وسأتابع هنا من حيث توقفت ثمة، ملتزماً-في ذلك المنهج نفسه:

اقتصر محقّق الجزء الأول من كتاب «اللباب في علل البناء والإعراب» على إيراد آثار أبي البقاء في النحو، وصدَّرها بإثبات جملتها في إحصاء الدكتور عبد الإله نبهان، وهي (٥٥) كتاباً، وأنها بلغت في إحصاء غيره (٥٩) كتاباً، ونص بعدها على قصر عنايته على إيراد ما كان منها في النحو، وأنها انتهت في إحصائه لها إلى (١٩) كتاباً، وهذا لفظه، أورده بتمامه، ثم أعقّبُ عليه ببيان ما جانب فيه الصواب، مثبتاً وجه الحق في ذلك، ومدللاً عليه بما يقتضيه: (قال الدكتور عبد الإله نبهان: «خلف أبو البقاء مؤلفات كثيرة بلغ تعدادها بحسب إحصائي لها في مختلف المصادر خمسة وخمسين مؤلفاً» وأوصلها غيره إلى تسعة وخمسين، ولا يعنينا منها إلاّ ما ألفه في النحو. أحصينا ما بلغنا من آثار العكبري في النحو فتحصَّل لنا تسعة عشر كتاباً ما بين مطبوع ومخطوط ومذكور في كتب التراجم،

وهي: ...»)[١] ثم سرد تسعة عشـر كتابـاً مقتصـراً في توثيـق أغلبهـا علـى (نكت الهِمْيان) و(بغية الوعـاة)، وفي بعضهـا أحيانـاً علـى (البلغـة) و(إنبـاه الرواة) و(كشف الظنون)[٢]، ويتجه على كلام المحقق الفاضل المتقـدِّم جملـة ملحوظات أوجزها فيما يأتي:

أوَّلاً: ثمة نظر في عدوله عن إيراد جميع مصنفات أبي البقاء وترجمتهـا موثقة من كتب التراجم والطبقات، والتنبيه علـى مـا وقـع فيهـا مـن أوهـام وتصحيحها، على تفاوت ما بينها من حيث الاستقصاء والدقـة والتوثيـق = إلى الإحالة على مبلغها في إحصاء محقق الجـزء الثـاني مـن كتـاب (اللبـاب) الدكتور عبد الإله نبهان في (إعراب الحديث) وعلى مبلغها عند غيره، وهـو الدكتور عبد الرحمن بن عثيمين محقق (التبيين)، أقول: هذا العدول والإحالة إليهما يعني أنهما كفياه مؤونة ذلك، وأنه يسلم لهما بصحة ما أورداه، إذ لم يتحفظ ولم ينبه على شيء في إحصائهما. والمنهـج العلمـي يقتضـي - فيمـا أرى- أن يترجم لمصنفات العكبري كاملة، ويصحح ما فات غيره من سـهو أو خطأ نتج عنه زيادة كتاب أو نقص آخر، ويفيد مما صـدر مـن كتـب محققـة ومقـالات ظهـرت بعـد هذيـن المرجعين اللذيـن أحـال عليهمـا، تنـاولت آثـار العكبري، ونبَّه أصحابها علـى مـا شـاب تلـك الآثـار مـن الأوهـام والأخطـاء، فالكلام المعزو إلى د. عبد الإله نبهان منقول من مقدمة تحقيق كتـاب (إعـراب الحديث) طبعة دار الفكر بدمشـق ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م[٣] والمرجـع الثـاني

---

(١) اللباب في علل البناء والإعراب ١/١٦.

(٢) انظر تسميات الكتب التسعة عشرة وتوثيقها في اللباب ١/ ١٦-١٨.

(٣) صدرت قبل ذلك طبعتان للكتاب في مجمع اللغة العربيـة بدمشـق بتحقيـق د. عبـد

كتاب (التبيين) الذي صدرت طبعته الأولى عن دار الغرب الإسلامي في بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ومن تلك الكتب والمقالات التي تضمنت تنبيهاتٍ على كثير مما شاب آثار أبي البقاء من أوهام كتابُ (العكبري: سيرته ومصنفاته) الذي صدرت طبعته الأولى عن دار العروبة في الكويت ودار ابن العماد في بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ومنها القسم الأول من هذا المقال (التنبيه على أوهام الباحثين في ذكرهم مصنفات العكبري) الذي نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ٦٨، الجزء ٣ عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣) ومنها مقدمة تحقيق كتاب (إعراب القراءات الشواذ) للعكبري الذي صدر عن عالم الكتب في بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ للدكتور محمد السيد أحمد عزوز.

ثانياً: إن انتهاء مبلغ إحصائه لآثار العكبري في النحو إلى (١٩) كتاباً ما بين مطبوع ومخطوط وغير ذلك[1] ليس دقيقاً البتة، وأحسب أن من جملة

الإله نبهان، الأولى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، والثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، وطبع الكتاب نفسه في مكتبة ابن سينا بالقاهرة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م بتحقيق محمد إبراهيم سليم بعنوان: «إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث» كما حققه ودرسه د. حسن موسى الشاعر وأصدره في طبعتين، ثانيهما ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م عن دار المنارة بجدة.

(١) أذكر تماماً للفائدة تسميات الـ (١٩) كما وردت عنده:

الأربعة في النحو، الإشارة في النحو، إعراب الحديث، إملاء ما منَّ به الرحمن، الإيضاح عن معاني أبيات الإيضاح، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، الترصيف في علم التصريف، تلخيص التنبيه، التلخيص في النحو،

ما قاده إلى هذا عدم استقصائه في ترجمة آثاره، واقتصاره في توثيقها على قدر يسير منها، على ما فيها من تفاوتٍ من حيث عدد المؤلفات التي يذكرها كلٌّ منهم في ترجمته للعكبري[1] ومما يدل على ذلك أن ثمة كتباً أخرى عديدة في النحو والصرف أوردتها مصادر ترجمته، وسقطت من إحصاء محقق (اللباب) ولا غرابة في ذلك، فقد بلغت مصنفاته الستين، كما نص على ذلك بعض المتقدمين[2] وكانت علوم العربية أوفرها حظاً، إذ وصلت إلى (٤٤) مؤلفاً، جلُّها في النحو والصرف.

وسأورد فيما يأتي جملة ملحوظات، يستقل كلٌّ منها باستدراك مؤلَّف من آثار العكبري النحوية التي شرط محقق (اللباب) على نفسه

التلقين في النحو، التهذيب في النحو، شرح أبيات كتاب سيبويه، شرح الإيضاح والتكملة،شرح الحماسة وإعرابها، شرح لامية العرب، شرح اللمع، شرح المفصل، اللباب في علل البناء والإعراب، مقدمة في النحو. انظر اللباب ١/١٦-١٨.

(١) ترتيب مصادر ترجمته تبعاً لما أوردته من آثاره:
الوافي (٥٠) كتاباً، النكت وطبقات النحاة (٤٦) كتاباً، طبقات المفسرين (٤٠) كتاباً، الذيل (٣٥) كتاباً، المنهج الأحمد (٣٤) كتاباً، البغية (٢٦) كتاباً، الشذرات (٢١) كتاباً، الإشارة والسير وتاريخ الإسلام (١٦) كتاباً، المستفاد (١٤) كتاباً، الوفيات (١٢) كتاباً، المرآة (١٠) كتب، الإعلام (٩) كتب، الإنباه (٨) كتب، ذيل الروضتين (٧) كتب، البداية والغربال (٦) كتب، التكملة (٤) كتب. وانظر كتاب العكبري ص ١٤٦ ح (١).

(٢) انظر مثلاً: ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة ٣٢٩ مع أنه لم يذكر منها إلا (٤٦) كتاباً.

إيرادها، **غير أنها سقطت منه:**

١- إعراب القراءات الشواذ:

طبع في مجلدين بتحقيق الأستاذ محمد السيد أحمد عزوز[١].

٢- الإعراب عن علل الإعراب:

ذكره ابن رجب الحنبلي[٢] والعليمي[٣] والداودي[٤] وهو غير كتاب (اللباب عن علل البناء والإعراب) موضوع الكلام، خلافاً لما ذهب إليه محقق (التبيين) الذي عدَّهما كتاباً واحداً، وأحال في الأول على الثاني[٥] وخلافاً لما ذكره محقق (إعراب الحديث) بعد أن أورده وأحال فيه على (طبقات المفسرين) قائلاً: «قلت: ولعله هو نفسه كتاب اللباب الذي ورد ذكره في مؤلفاته المطبوعة[٦]» وخلافاً لما صنعه محقق الجزء الأول من (اللباب) الذي أغفل الإشارة إليه، وأسقطه من جملة مؤلفاته النحوية، وكأنه بذلك يتابع محقق (التبيين) فيما صنع من عدِّهما كتاباً واحداً، وكان متوقعاً

---

(١) صدرت طبعته الأولى عن عالم الكتب في بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، وقد شاب ترجمته لآثار العكبري، على تأخره، وكبير جهده في استقصاء توثيقها، غيرُ قليلٍ من السهو والخطأ.

(٢) الذيل ٢/١١٢.

(٣) المنهج الأحمد ٢/ ٢٤٦.

(٤) طبقات المفسرين ١/ ٢٢٦.

(٥) التبيين ٣٩، ٦٣.

(٦) إعراب الحديث ١٦ (ط. دار الفكر).

منه أن ينبِّه على ما نتج عن ذلك من لبس أو مجانبة للصواب، مما وقع فيه بعض الباحثين، على تقارب الكتابين في التسمية والموضوع.

ومما يقطع بصحة أن (الإعراب عن علل الإعراب) و(اللباب عن علل البناء والإعراب) كتابان لا كتاب واحد أن المصادر الثلاثة المتقدمة في التوثيق ذكرت الكتابين معاً، ولو كانا مصنفاً واحداً لما وقع مثل هذا، ومما يشعر بهذا اختلافُ التسميتين مبنى ومعنى، على ما بينهما من اتفاق في علل الإعراب، ومن اختلاف نجده في تخصيص الأول وقصره على علل الإعراب، وفي تعميم الثاني واستغراقه لعلل البناء والإعراب، ومعلوم أن الانتقال من الخاص إلى العام أمر منطقي، لذلك لا يبعد أن يكون (الإعراب) أسبق من (اللباب)، ويمكن أن نضيف إلى ما تقدم ما نعلمه عن مصنفات العكبري من فشوِّ ظاهرة تعدُّد المؤلفات في الموضوع الواحد، مما تقارب في حجمه وغايته، مثل كتب المقدمات التي ترك فيها ثلاثة في الفرائض هي (الناهض، البلغة، التلخيص) وخمسة في النحو هي: (الإشارة، التلخيص، التلقين، التهذيب، مقدمة في النحو)[1].

٣- شرح التلقين:

ذكره ابن رجب[2] والعليمي[3] والداودي[4]، وهو في شرح كتابه

---

(١) العكبري ١٢٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٩.

(٢) الذيل ٢/ ١١١.

(٣) المنهج الأحمد ٢/ ٣٤٦.

(٤) طبقات المفسرين ٢/ ٢٢٦.

(التلقين) الذي أورده أكثر مترجميه[١]، وهما كتابان لا كتاب واحد خلافاً لمن أثبت الأول وحده وأسقط الثاني من عدة مؤلفاته كمحقق كتابه (إعراب الحديث)[٢]، ومما يؤكد صحة ذلك ما تقدم من أن الداودي ذكر الكتابين معاً فقال: «التلقين وشرحه» وقد سبقني إلى التنبيه عليه د. ابن عثيمين محقق (التبيين)[٣].ولا وجه من الصواب لتشكيك محقق (إعراب القراءات الشواذ) بعد أن أورد الكتابين منفصلين في قوله عن (شرح التلقين): «ولعله التلقين السابق»[٤].

وكتاب (التلقين) الأصل من مؤلفات أبي البقاء المتميزة، يؤكد ذلك عناية صاحبه به، وتصنيفه شرحاً عليه، وكذلك عناية خالفيه من النحاة الذين توفروا على شرحه.أيضاً، ومن شروحه: شرح جمال الدين يوسف بن جامع (٦٨٢هـ)[٥] وشرح إسماعيل بن محمد الغرناطي (٧٧١هـ)[٦]. وتجدر الإشارة إلى أنه تصحف اسم كتاب (التلقين) في بعض المصادر إلى

---

(١) انظر توثيق ذلك في العكبري ٩٣.

(٢) وذلك في ثلاث طبعات نشرها للكتاب، طبعة المجمع الأولى (ز- ح- ط) وطبعة دار الفكر الأولى ١/١٤- ١٩، وأما طبعة المجمع الثانية فقد قصرها على ذكر ما طبع من آثاره.

(٣) التبيين ٤٦.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ١/٤٩ و٥١.

(٥) الذيل ٢/ ٣٠٢.

(٦) الوفيات لابن رافع السلامي ٢/٣٥ (٨٩٠)، والكشف ١/ ٤٨٢.

(التعليقين)[١] مما نتج عنه أن اعتمده بعض المحدثين ونسب إلى السيوطي أنه ذكر لأبي البقاء كتابين سماهما (التعليقين)[٢].

٤- مسائل الخلاف في النحو:

ذكره بهذه التسمية الصفدي[٣] وابن قاضي شهبة[٤]. ومما يحسن التنبيه عليه أن مصادر ترجمة العكبري لم تذكر له في الخلاف النحوي إلا هذا الكتاب[٥]. وأمَّا ما حققه المرحوم الدكتور محمد خير الحلواني فعنوانه (مسائل خلافية في النحو) وهي تسمية حملتها الورقة الأولى من نسخة الأصل المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم (٢٨ نحو)، وبين التسميتين فرق ظاهر، فالأولى تدلُّ على استغراق الكتاب لمسائل الخلاف، والثانية تدلُّ على تضمن الكتاب مسائل خلافية، قليلة كانت أو كثيرةً، وما حققه المرحوم

(١) وقع ذلك في طبعتي كتاب الأشباه والنظائر: الطبعة الهندية الثانية ٢/٥٢، وطبعة المجمع ٢/٥٨. انظر كتاب العكبري ص ٩٤.

(٢) انظر مسائل خلافية في النحو ٢٣، والعكبري ٩٤.

(٣) النكت ١٨٠، والوافي بالوفيات ١٧/ ١٤٢.

(٤) طبقات النحاة ٣٢٨.

(٥) لا صحة لما ورد في تحقيق كتاب مسائل خلافية في النحو ص ١٢ معزواً إلى الصفدي من أن لأبي البقاء كتابين في الخلاف النحوي، هما (تعليق في الخلاف) و(مسائل الخلاف في النحو) لأن الصفدي لم ينص على أن الأول في الخلاف النحوي، وذكره بتسميته المختصرة، والكتاب الثاني في الخلاف الفقهي، بدليل ورود ذلك في تسميته الوافية التي ذكرتها بعض مصادر ترجمته، وهي (التعليق في مسائل الخلاف في الفقه) انظر توثيق ذلك في العكبري ١٢٦.

د.الحلواني يشتمل على خمس عشرة مسألة تطابق المسائل الخمس عشرة الأولى في كتاب (التبيين) الذي يشتمل على (٨٥) مسألة خلافية، وأما تسمية (التبيين) فقد وردت في عنوان النسخة المعتمدة في تحقيقه وفي بعض مصادر النحو المتأخرة مثل (الأشباه والنظائر) و(تذكرة النحاة)[1]. وهذا التطابق بينهما يؤكد أن الثاني مجزّأ من الأول، ولا يبعد أن تكون هذه سنة أبي البقاء في تجزئة مؤلفاته الصغيرة من أصول كبيرة، إذ تشتمل آثاره على مختصرات لبعض الكتب الكبيرة مثل: (تلخيص أبيات الشعر لأبي علي) و(لباب الكتاب) و(مختصر أصول ابن السراج) و(المنتخب من كتاب المحتسب). ولهذا وغيره عدّهما غير واحد من الباحثين كتابين اثنين[2].

٥- مسائل نحو مفردة:

وهو مؤلف صغير يشتمل على خمس رسائل متفاوتة في الحجم والمادة، نشرت سنة ١٩٨٢م بتحقيق الأستاذ ياسين السواس[3]، ولهذا المؤلف تسميتان وردتا في غير ما مصدر، فيهما اختلاف ذو مغزى، لم يشر

---

(١) تفصيل ذلك وتوثيقه تجده مفصلاً في العكبري ٧٨- ٨١، ٨٥-٨٧.

(٢) ذهب إلى ذلك كل من: د. ابن عثيمين في التبيين ٦٦، ٧٢، ود. محمد السيد أحمد عزوز في إعراب القراءات الشواذ ١/٤٧-٥٦، ود. عبد الإله نبهان في إعراب الحديث النبوي ١٤ (ط. دار الفكر) ود. حسن موسى الشاعر في الكتاب نفسه ٢٧ (ط دار المنارة) وكاتب البحث في كتاب العكبري ٧٨-٨١.

(٣) مجلة معهد المخطوطات العربية، م٢٦، ج٢، ص٦٢٥-٦٤٣، وانظر العكبري ٨٧-٨٨.

إليهما المحقق لاقتصاره في التوثيق على الصفدي في (نكت الهِمْيان) أولاهما (مسائل نحو مفردة)[١]، وثانيهما مختصرة (مسائل مفردة)[٢].

٦- لباب الكتاب:

ذكره بهذه التسمية الصفدي[٣] والسيوطي[٤] والداودي[٥] وحاجي خليفة[٦] والخوانساري[٧] والبغدادي[٨]. وذكر اليماني وابن قاضي شهبة تسمية أخرى هي (لباب شرح الكتاب)[٩] وبين التسميتين فرق كبير، إذ تدلُّ الأولى على أن المؤلَّف اختصار لكتاب سيبويه، وتدلُّ الثانية على أنه اختصار لشرح من شروحه، لم يُحدد صاحبه ولا يُعلم من هو؟ وليس في مصادر ترجمة العكبري على كثرتها ولا في تراجم شُرَّاح كتاب سيبويه ما يدلُّ على أنه اختصر واحداً من شروحه، لذا فالراجح أن تكون لفظة (شرح) مقحمة في تسميته الأخرى التي لم ترد إلا في المصدرين المتقدمين، ولا يبعد أن تكون تلك الكلمة أقحمت في نسخة كتاب اليماني (٧٤٣هـ)

---

(١) النكت ١٨٠، والوافي ١٧/١٤٢، وطبقات النحاة ٣٣٠.

(٢) الذيل ٢/١١٢، والمنهج الأحمد ٢/٣٤٦، وطبقات المفسرين ١/٢٢٦.

(٣) النكت ١٨٠، والوافي ١٧/ ١٤١.

(٤) البغية ٢/٣٩.

(٥) طبقات المفسرين ١/٢٢٦.

(٦) الكشف ٢/١٤٢٨.

(٧) روضات الجنات ٤٥٤.

(٨) إيضاح المكنون ٢/٣٩٩.

(٩) إشارة التعيين ١٦٣، وطبقات النحاة ٣٣٠.

ونقلها عنه ابن قاضي شهبة (٨٥١هـ).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن محقق (التبيين) أسقط هذا الكتاب من جملة آثار أبي البقاء، وأحال في موضعه على (شرح الكتاب) الذي نسبه إليه بغير دليل، وشكك في ترجمته متسائلاً: هل هو لباب الكتاب؟ ثم شكك ثانية في مضمونه[1]، وهو بهذا جانب الصواب مرتين: مرة في إسقاطه ما ثبتت نسبته إليه، وهو (لباب الكتاب)، ومرة ثانية في زيادته ما لم تقم بيِّنة على صحة نسبته إليه، وهو (شرح الكتاب).

ولأبي البقاء كتاب آخر جعل مادته كتاب سيبويه، هو (شرح أبيات كتاب سيبويه) ذكرته أغلب مصادر ترجمته[2] ولكن سقطت كلمة (أبيات) من تسميته في مطبوعتي (البلغة) و(الهدية) وآلت إلى (شرح كتاب سيبويه) وتابعهما محقق (التبيين) وزاد عليهما فنسب ذلك إلى ابن قاضي شهبة، وليس في كتابه (طبقات النحاة) ما عزاه إليه، لأن كلمة (أبيات) ثابتة في هامش نسخة الظاهرية المعتمدة لديه[3] ولكنها مستدركة في الهامش، ولو صحَّ أن للعكبري شرحاً للكتاب لحفل به مترجموه وقدَّموه على كثير من مؤلفاته، فضلاً عن أنه لم يذكره أحد من المتقدمين والمحدثين بين من عنوا بشرح كتاب سيبويه[4].

---

(١) انظر التبيين ٥٠.

(٢) انظر توثيقه في العكبري ١٣٠.

(٣) طبقات النحاة ٣٣٠.

(٤) انظر زيادة بيان وتوثيق في العكبري ١٣٠-١٣١ و١٣٥-١٣٦.

٧- نزهة الطرف في إيضاح قانون الصرف:

ذكره الصفدي[١] وابن قاضي شهبة[٢] وحاجي خليفة[٣] والبغدادي[٤]، وقد تصفحت كلمة (الصرف) إلى (الظرف) في مطبوعتي (النكت) و(الهدية)، ونقل بعض المحدثين ما وجده فيهما دونما تنبيه عليه[٥].

٨-إعراب الحماسة:

صنف العكبري مؤلَّفين جعل مادَّتهما كتاب الحماسة، أحدهما: (إعراب الحماسة) وقد ورد بهذه التسمية في عدة مصادر، وله تسمية ثانية ذكرتها مصادر أخرى، وهي (إعراب شعر الحماسة)[٦]. وثانيهما: (شرح الحماسة) الذي ورد في أكثر مصادر الترجمة على وفرتها[٧]، ولا ريب أنهما كتابان، يؤكد ذلك أن بعض من ترجم للعكبري أثبت الكتابين معاً[٨]. لذا

(١) النكت ١٨٠، والوافي ١٤١/١٧.

(٢) طبقات النحاة ٣٢٨.

(٣) الكشف ١٩٤٣/٢.

(٤) الهدية ٤٥٩/١.

(٥) انظر مقدمات تحقيق: المشوف المعلم ٢٣/١، والتبيين ٦٨، وإعراب الحديث (ط. المجمع الأولى) (ح) و(ط. دار الفكر) ١٩/١، وفيه نبه على احتمال تصحيفها عن (الصرف).

(٦) تفصيل ذلك وتوثيقه في العكبري ٩١-٩٢، ومجلة المجمع م٦٨، ج٣، ص ٥٣٢-٥٣٣.

(٧) انظر تفصيل ذلك وتوثيقه في العكبري ١١٠-١١١.

(٨) تقدم توثيقه في مجلة المجمع م٦٨، ج٣، ص٥٣٢ حاشية (٧) وانظر الحاشيتين السابقتين.

فقد جانب محقق (اللباب) الصواب في جعله الكتابين كتاباً واحداً بتسمية ملفقة من مجموع التسميتين، ولفظها (١٤- شرح الحماسة وإعرابها: ورد ذكره في النكت ١٧٦، والبلغة ١٠٨ وغيرهما)[١] ومن المعلوم أن الأول (شرح الحماسة) لا يصحُّ إدراجه ضمن مصنّفاته النحوية، ولعله تابع في هذا ما صنعه محقق (التبيين)، إذ أسقط (إعراب الحماسة) من عدة مؤلّفات أبي البقاء وأحال فيه على (شرح الحماسة) وجعلهما كتاباً واحداً، وقد سبق التنبيه عليه في القسم الأول[٢].

ثالثاً: ثمّة تنبيهات أخرى تتعلّق ببعض الكتب التي أوردها محقق (اللباب) لا تدخل فيما تقدَّم من تنبيهات عرضت لما سقط من آثار العكبري النحوية مما شرطه على نفسه، أوجزها فيما يأتي:

١- وهم المحقق الفاضل فنسب إلى أبي البقاء كتاباً سمّاه (الأربعة في النحو) وعزاه إلى السيوطي في (البغية)، وجعله أول مصنّفاته النحوية ترتيباً، ونصُّه (١- الأربعة في النحو: ذكره السيوطي في البغية ٢/٣٩)[٣] متابعاً في ذلك محقق (التبيين) في قوله (٢-الأربعة في النحو ذكره السيوطي في البغية ٢/٣٩)[٤]، وكلاهما مجانب للصواب في نسبته إلى العكبري ما لم يصنّفه، ثم في نسبته مسؤولية ذلك إلى السيوطي، فالسيوطي لم يذكره لا في (البغية)

---

(١) اللباب ١/١٧.

(٢) مجلة المجمع م٦٨، ج٣، ص٥٣٢-٥٣٣، وانظر العكبري ٩١-٩٢.

(٣) اللباب ١/١٦.

(٤) التبيين ٣٦.

ولا في غيره من كتبه، و لم يرد في أيٍّ من مصادر ترجمته على وفرتها، ومرجع هذا وَهْم في فهم عبارة السيوطي، على وضوحها وخلوِّها من اللبس، ولفظ السيوطي ثَمَّة (الإشارة، التلخيص، التلقين، التهذيب، والأربعة في النحو)[1] فقد سرد أسماء أربعة مؤلَّفات نحوية صغيرة (من كتب المقدِّمات)، متتابعة بلا عاطف ثم نبَّه على موضوعها، فقال: (والأربعة في النحو) على عادته في الجمع بين الأشباه والنظائر، وقد تقدم التنبيه على هذا، وعلى نظيره، وهو زيادة كتاب (الثلاثة في الفرائض) وذلك فيما أوردته من تنبيهات على كتاب (التبيين)[2].

٢- ذكر محقق (اللباب) كتاب (إعراب الحديث) وترجم له بالنص على محققه، وأنه طبعه طبعتين، صدرت ثانيهما عن دار الفكر ١٩٨٦، ونصُّه (٣- إعراب الحديث: حققه الدكتور عبد الإله نبهان، وطبعه طبعتين، الثانية منهما تَمَّت في دار الفكر بدمشق سنة ١٩٨٦). والصواب أن الكتاب المذكور طبع ثلاث طبعات بتحقيق د. عبد الإله نبهان، وهو شريكه في تحقيق الكتاب، فقد صدرت عن مجمع اللغة العربية بدمشق الطبعتان الأولى ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م، والثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ثم أعيد طبعه مرة ثالثة في دار الفكر بدمشق، جاءت موسومة بالطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

وللكتاب تحقيقان آخران تقدمت الإشارة إليهما، أولهما: تحقيق الدكتور حسن موسى الشاعر، وقد طبعه طبعتين، صدرت الثانية منهما عن

---

(١) البغية ٢/٣٩.

(٢) مجلة المجمع، م٦٨، ج٣، ص٥٣٦ القسم الأول من البحث.

دار المنارة في جدة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م والثاني: تحقيق محمد إبراهيم سليم، وقد صدرت طبعته عن مكتبة ابن سينا في القاهرة ١٤١٠هـ /١٩٨٩م، وحملت هذه الطبعة عنواناً غريباً، هو (إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث). وذلك لأن هذه التسمية لم ترد في أي من مصادر ترجمة أبي البقاء على وفرتها، واقتصر ورودها على غلاف نسخة الأصل المعتمد المحفوظ في دار الكتب المصرية برقم (٢١٦٠) ولم ينبه على ذلك محققها، واكتفى بإيراده الكتاب ضمن تصانيف العكبري بتسميته المشهورة (إعراب الحديث على حروف المعجم) كما لم يشر إلى هذه التسمية الدكتور نبهان محقق الكتاب في طبعاته الثلاث المتقدمة.

وقد ظهر مما تقدم أن أغلب ما وقع في هذا القسم الثاني، من تنبيهات على أوهام وأخطاء وسهو شاب كلام بعض المحدثين على مصنفات أبي البقاء العكبري، ورد في مقدمة تحقيق كتاب (اللباب عن علل البناء والإعراب) لأسباب مختلفة مضى بيانها، وكان المأمول أن يجيء الكتاب خلواً من ذلك، لأنه حظي بعناية عالمين فاضلين، لكل منهما قدم راسخة في باب التحقيق، فضلاً عن أن ثانيهما د. نبهان معنيٌّ بأبي البقاء وآثاره منذ عهد بعيد، فقد سبق إلى تحقيق كتابه (إعراب الحديث النبوي) ولم يقع في كلامه على آثاره ما وقع هنا في (اللباب)، وهو مما جعلني متحيِّراً في التماس تفسير لذلك، أحسب، وأرجو أن أكون مخطئاً، أنه لم يقرأ ما كتبه شريكه محقق الجزء الأول، أو قرأه متعجلاً، إذ استقل كل منهما بجزء، وأثبت اسمه عليه وحده تحديداً للمسؤولية، يؤنس بهذا أنه لم ينص صراحة، فيما كتبه في بداية الجزء الثاني، على أنه قرأ عمل شريكه، فقد اقتصر في (التوطئة) على

قوله (... فقد كنت اتفقت مع أخي الفاضل الدكتور غازي مختار طليمات على منهج ومصادر محددة للعمل في الكتاب، ثم انفرد هو بالعمل في الجزء الأول-بتجزئتنا وقسمتنا- وانفردت بالعمل في الجزء الثاني... لذلك كان من مقتضيات العمل ومستلزماته أن يصدر الدكتور طليمات الجزء الأول بما له علاقة بالمؤلف والكتاب، وحسناً فعل، وكان الرأي أن يُقتصر على ما قدمه الدكتور طليمات بأسلوبه الرشيق الرصين...)[1] ثم أتبعه بنحو ذلك تحت عنوان (في حضرة الكتاب): (لم يعد لي بعد أن استوفى أخي الفاضل الدكتور غازي مختار طليمات الكلام عن أبي البقاء العكبري ومؤلفاته ومنهجه في مقدمته للجزء الأول إلا أن أختصر القول معرفاً برؤوس موضوعات الجزء الثاني...)[2]. وظاهر ما تقدم لا يدل صراحة على قراءة مُنْشِئِه للجزء الأول، على ما فيه من استحسان لما صنعه شريكه، ووصفه لعمله بالاستيفاء، فالأول أقرب إلى المجاملة، والثاني ليس دقيقاً، يدل على ذلك ما سلف صدر البحث من بيان عمل محقق الجزء الأول في ترجمته لآثار العكبري، فقد اقتصر على إيراد جملتها لدى شريكه د. نبهان في (إعراب الحديث) ولدى غيره، وأنه لا يعنيه منها إلا ما ألفه في النحو، وأنه أحصاه فانتهى إلى (١٩) كتاباً، أوردها مقتصداً جداً في توثيقها كما سبق بيانه، على الرغم مما أسقطه منها، وذلك ما نبهت عليه، بل إن أغلب ما وقع من مآخذ في مقدمة تحقيق الجزء الأول سببها عدم الاستقصاء والاستيفاء في ترجمة مصنفات العكبري وفي توثيقها، لذلك فما تقدم بعيد جداً من

---

(١) اللباب ٢/٥.

(٢) اللباب ٢/٧.

الاستيفاء، وهو أدخل في باب المجاملة أو التجوز في العبارة.

وأما ما ذكره شريكه محقق الجزء الأول د. طليمات فيفهم من ظاهره اشتراك المحققين في المسؤولية العلمية عن جميع ما ورد في الكتاب، غير أن التدقيق فيه يوحي بخلاف ذلك، فقد صدره بالإشارة إلى أن اشتراكهما في هذا التحقيق جاء على هدي تجربتهما السابقة في تحقيقهما للجزأين الأول والثاني من كتاب (الأشباه والنظائر)، وأتبعه ببيان وجه القسمة بينهما، واستقلال كل منهما بجزء، ثم دافع عن قسمة الكتاب بين محققين اتفقا على خطة العمل، وأعقبه بإيراد ما رآه من وجوه الفائدة التي تعود بها المشاركة على الكتاب، وهذا لفظه بتمامه: (بعد أن أنجزت مع أخي الدكتور عبد الإله نبهان تحقيق الجزأين الأول والثاني من الأشباه والنظائر في النحو سنة ١٩٨٠م، وجدنا الاشتراك في التحقيق أعود بالفائدة على الأثر من أن يحتجنه محقق واحد، فوقع اختيارنا على كتاب (اللباب في علل البناء والإعراب) لأبي البقاء العكبري، وجعلناه شركة، نحققه معاً على هدي من تجربتنا السابقة، أخذت الجزء الأول الخاص بالنحو، واستقل الدكتور عبد الإله بالجزء الثاني الخاص بالصرف، وتقسيم الكتاب بين محققين اتفقا على خطة العمل لا يضير الكتاب بل ينفعه، إذ يضعه تحت بصرين وبصيرتين، فإن تفلت الصواب من بصر اعتلقه الآخر، وإن عميت إحدى البصيرتين عن الحق بصرتها الثانية به..).

وظاهر مما تقدم أنه يخلو من أيّ نص صريح يدل على أن أحداً من المحققين قرأ أو راجع جزء شريكه، وما ورد من كلام حول المشاركة

وفوائدها أدخل في باب العموم، إذ يصدق على أيِّ كتاب شبيه بهذا، فضلاً عن أن حقيقة المشاركة السابقة التي جرى التحقيق على هديها تدل على استقلالية المسؤولية العلمية لكل منهما عن جزئه فحسب، لأن المشاركة في تحقيق كتاب (الأشباه والنظائر) كانت - كما هو معلوم - بين أربعة من طلاب الدراسات العليا، انفرد كل منهم بتحقيق جزء منه، ونال به درجة الماجستير من جامعة دمشق، ومثل هذه المشاركة الجامعية لا تجاوز معالم المنهج الرئيسية، لأنها تقتضي تحديد المسؤولية العلمية لكل من المحققين الأربعة بالجزء الخاص به دون غيره، وهو ما كان في دفاع كل منهم عن أطروحته يوم مناقشته، وهذا دليل على أن مفهوم المشاركة بينهما في كتاب (اللباب) قريب من هذا المعنى، وإلا فمن العسير جداً التماس تفسير لما وقع في كلام محقق الجزء الأول على مصنفات أبي البقاء العكبري، برغم اعتماده على ترجمة شريكه لتلك الآثار في طبعاته لكتاب (إعراب الحديث النبوي) على خلوها مما وقع فيه. وهو ما يقتضي إعادة النظر فيما كتبه، وتصحيح ما شابه من سهو وقصور وأخطاء، والإفادة من الدراسات اللاحقة التي استقصى أصحابها في ترجمة آثار أبي البقاء العكبري كما سلف بيانه، وذلك ما يجعل مقدمة التحقيق مساوقة لتحقيق نص الكتاب دقةً وجودةً، وذلك عهدنا بالمحققين الفاضلين.

ثبت المصادر والمراجع

-إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي اليماني، تحقيق د. عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط. أولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٤م.

-الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. وطبعة مجمع اللغة العربية بدمشق العام نفسه.

-إعراب الحديث النبوي، أبو البقاء العكبري، تحقيق د. عبد الإله نبهان، مجمع اللغة العربية بدمشق ط. الأولى: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، والثانية: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، وط. أولى دار الفكر بدمشق ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، وتحقيق د. حسن موسى الشاعر، ط. ثانية، دار المنارة، جدة ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م، وتحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، عنوانها (إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث).

-إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط. أولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- الإعلام بتاريخ أهل الإسلام، ابن قاضي شهبة، مصورة عن نسخة مكتبة كوبرولي لدى الدكتور عدنان درويش.

-إنباه الرواة على أنباه النحاة، الحسن بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

-إيضاح المكنون، إسماعيل باشا، مصورة دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

-البداية والنهاية، ابن كثير، بعناية فئة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

-بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط. أولى،١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

-تاريخ الإسلام، محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د. بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

-التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، أبو البقاء العكبري، تحقيق د. عبد الرحمن بن عثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

-التكملة لوفيات النقلة، عبد العظيم المنذري، تحقيق د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ثانية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

-الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، صححه حامد

الفقي، مطبعة السنة، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

-الذيل على الروضتين، أبو شامة المقدسي، تحقيق عزة العطار، الجيل، بيروت، ط. ثانية، ١٩٧٤م.

-روضات الجنات، محمد باقر الخوانساري، ط. حجرية، ١٣٠٧هـ

-سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، الجزء ٢٢، تحقيق د. بشار عوا ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣١٥هـ.

-طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، تحقيق علي محمد عمر مكتبة وهبة، ط. أولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

-طبقات النحاة واللغويين، ابن قاضي شهبة، نسخة مخطوطة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

-العكبري: سيرته ومصنفاته، د. يحيى ميرعلم، مكتبة دار العروبة الكويت، ودار العماد، بيروت، ط. أولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

-غربال الزمان في وفيات الأعيان، يحيى اليماني، تصحيح محمد ناجي العمر، دار الخير، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

-اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق أ. غازي مختار طليمات ود. عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط. أولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

-مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٨، الجزء الثالث.

-مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، المجلد ٢٦، الجزء الثاني.

-مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله بن أسعد اليمني، مطبعة دار المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن.

-مسائل خلافية في النحو، عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق د. محمد خير الحلواني، دار المأمون للتراث، دمشق، ط. ثانية، بلا تاريخ.

-المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، انتقاء أحمد بن أيبك الدمياطي، تحقيق محمد مولود خلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

-المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، أبو البقاء العكبري، تحقيق ياسين السواس، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

-المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، عبد الرحمن بن محمد العليمي، مصورة نسخة مخطوطة لدى الأستاذ محمود الأرناؤوط.

-نكت الهِمْيان في نُكَت العميان، صلاح الدين الصفدي، وقف على طبعه أحمد زكي، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، مصورة دار المدينة بلا تاريخ.

-هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

-الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، اعتناء دوروتيا كرفولسكي، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ٢٠٠٠م (رمضان ١٤٢٠هـ)

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الدكتور شاكر الفحام «رئيس المجمع»	١٩٧١
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الدكتور محمد إحسان النص «نائب رئيس المجمع»	١٩٧٩
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد الله واثق شهيد «أمين المجمع»	١٩٨٨
الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٨٨
الدكتور مختار هاشم	١٩٨٨
الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨
الدكتور عادل العوا	١٩٩١
الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٩١
الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١

* * *

ب- الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

	تاريخ دخول المجمع
المملكة الأردنية الهاشمية	
الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة	١٩٨٦
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة	١٩٨٦
الجمهورية التونسية	
الأستاذ محمد المزالي	١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة	١٩٨٦
الدكتور محمد سويسي	١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي	١٩٨٦
الأستاذ أبو القاسم محمد كرو	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم شبوح	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد	١٩٩٣
الدكتور سليم عمار	١٩٩٣
الجمهورية الجزائرية	
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح	١٩٧٧
الدكتور أبو القاسم سعد الله	١٩٩٢
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ حمد الجاسر	١٩٥١
الأستاذ حسن عبد الله القرشي	١٩٩٢
الأستاذ عبد الله ين خميس	١٩٩٢
جمهورية السودان	
الدكتور محيي الدين صابر	١٩٨٥
الدكتور عبد الله الطيب	١٩٨٥
الأستاذ سر الختم الخليفة	١٩٩٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله	١٩٩٣
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور قسطنطين زريق	١٩٥٤
الدكتور صلاح الدين المنجد	١٩٩٢
الدكتور عبد الله عبد الدايم	١٩٩٢
الأستاذ عبد المعين الملوحي	١٩٩٢

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد السلام العجيلي	١٩٩٢
الدكتور عبد الكريم الأشتر	١٩٩٢
الدكتور عمر الدقاق	١٩٩٢
الدكتور خالد الماغوط	١٩٩٢

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٦٩
الدكتور عبد اللطيف البدري	١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري	١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور محمد تقي الحكيم	١٩٧٣
الدكتور إبراهيم السامرائي	١٩٩٣
الدكتور حسين علي محفوظ	١٩٩٣

فلسطين

الدكتور إحسان عباس	١٩٧٢
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني	١٩٩٣
الدكتور إدوارد سعيد	١٩٩٣

	تاريخ دخول المجمع

الكويت

الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣
الدكتور خالد عبد الكريم جمعة	١٩٩٣

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الدكتور محمد يوسف نجم	١٩٩٣

الجماهيرية الليبية

الدكتور علي فهمي خشيم	١٩٩٣
الدكتور محمد أحمد الشريف	١٩٩٣

جمهورية مصر العربية

الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
الدكتور شوقي ضيف	١٩٩٢
الدكتور كمال بشر	١٩٩٢
الدكتور محمود علي مكي	١٩٩٣
الدكتور أمين علي السيد	١٩٩٣
الأستاذ مصطفى حجازي	١٩٩٣
الأستاذ محمود فهمي حجازي	١٩٩٣

المملكة المغربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال	١٩٧٨
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الأستاذ محمد المكي الناصري	١٩٩٣
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	١٩٩٣
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣

الجمهورية العربية اليمنية

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥

* * *

ج- الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

الاتحاد السوفييتي «سابقاً»

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٨٦

ازبكستان

الدكتور نعمة الله إبراهيموف ١٩٩٣

إسبانية

الدكتور خيسوس ريو ساليدو ١٩٩٢

ألمانية

الدكتور رودلف زلهايم ١٩٩٢

إيران

الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦

الدكتور محمد باقر حجتي ١٩٨٦

الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

باكستان

الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي ١٩٦٦

الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

الدكتور أحمد خان ١٩٩٣

تاريخ دخول المجمع

تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧

الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو ١٩٨٦

الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

فرنسة

الأستاذ اندره ميكيل ١٩٨٦

الأستاذ جورج بوهاس ١٩٩٣

الأستاذ جيرار تروبو ١٩٩٣

الأستاذ جاك لانغاد ١٩٩٣

الهند

الدكتور مختار الدين أحمد ١٩٨٥

الدكتور عبد الحليم الندوي ١٩٨٦

* * *

رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ – ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ – ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ – ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ – ١٩٨٦)

* * *

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ- الأعضاء العاملون

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠

	تاريخ الوفاة		تاريخ الوفاة
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠	الدكتور حسني سبح	
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١	«رئيس المجمع»	١٩٨٦
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢	الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥	الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الدكتور شكري فيصل		الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
«أمين المجمع»	١٩٨٥	الدكتور عدنان الخطيب	
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦	«أمين المجمع»	١٩٩٥
		الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩

* * *

ب- الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية(*)

	تاريخ الوفاة
المملكة الأردنية الهاشمية	
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الجمهورية التونسية	
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥
الجمهورية الجزائرية	
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣

	تاريخ الوفاة
جمهورية السودان	
الشيخ محمد نور الحسن	
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سلمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوارد مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ الوفاة
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد «بدوي الجبل»	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى	١٩٩٧

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣

	تاريخ الوفاة
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢
الشيخ محمد بهجة الأثري	١٩٩٦

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٩٦

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢

	تاريخ الوفاة
الأستاذ بشارة الخوري	
«الأخطل الصغير»	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٦

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥

	تاريخ الوفاة
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٩٧

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١

* * *

ج- الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
«سابقاً»	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوارد دو فيتش)	١٩٥٧
إسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٩٥
ألمانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريتشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
إيران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٩٥
إيطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو (كارلو)	١٩٣٨
الأستاذ غبريلّي (فرنسيسكو)	١٩٩٧
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢

	تاريخ الوفاة
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د.س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون أ.ر.)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاد بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك.ف.)	١٩٥٣
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦

	تاريخ الوفاة
سويسرة	
الأستاذ مونتة (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح.ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧
فنلندة	
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	

	تاريخ الوفاة
المجر	
الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس)	١٩٢١
الأستاذ ماهلر (ادوارد)	
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النروج	
الأستاذ موبرج	
النمسا	
الدكتور اشتولز (كارل)	
الأستاذ جير (رودلف)	١٩٢٩
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٦١
الهند	
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٧
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٩٩
هولاندة	
الأستاذ هورغرونج (سنوك)	١٩٣٦
الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس)	١٩٤٣
الأستاذ اراندونك (ك. فان)	١٩٤٧
الأستاذ شخت (يوسف)	١٩٧٠
الولايات المتحدة الأمريكية	
الدكتور مكدونالد (ب)	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج)	١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد)	١٩٧١

* * *

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الرابع من عام ١٩٩٩م

أ - الكتب العربية

خلود العقاد

- **الاتجاه الآخر: قصص عربية /** د . فواز مزيك ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.
- **أثر ظاهرة التنكير والتعريف في السياق اللغوي /** إعداد محمود فؤاد؛ إشراف د. سعيد جاسم الزبيدي ـ عمّان: جامعة آل البيت، ١٩٩٩.
- **أدب السيرة والمذكرات في الأردن: ملتقى جامعة آل البيت الثقافي الثاني ١١ ـ ١٢ أيار ١٩٩٨ /** تحرير عبد القادر أبو شريفة وآخرين ـ عمّان: جامعة آل البيت، ١٩٩٩ ـ (٥٣).
- **الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها /** تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة؛ رواية أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي؛ تحقيق ياسين محمد السواس ـ ط١ ـ بيروت؛ دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩.
- **الإصلاح /** تصنيف أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي؛ باهتمام د. حسن مينوچهر، د. مهدي محقق ـ طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٥٧] ـ (سلسلة دانش إيراني؛ ٤٢).
- **انتماءات /** ناتالي ساروت؛ ترجمة ريم منصور الأطرش ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.
- **أهواء غامضة: قصص/** شاكر الأنباري ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة،

١٩٩٩ - (قصص وروايات عربية؛ ٨٩).

- **أوجيني غراندة: دراسة طبائع مشاهد من حياة المقاطعات/** بلزاك؛ ترجمة ميشيل خوري- ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ - (روايات بلزاك؛ ١٧).

- **أوراق في تاريخ بلاد الشام: ١ - شمال الجزيرة العربية في العهد الآشوري /** إعداد إحسان عباس، محمود أبو طالب - عمّان: جامعة اليرموك. لجنة تاريخ بلاد الشام، ١٩٩١.

- **أوقات الغريب: شعر /** حسن وسوف - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ - (من الشعر العربي؛ ٦١).

- **باكراً بعد صلاة العشاء: قصص /** عاصم الباشا - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ - (قصص وروايات عربية؛ ٩٠).

- **الببليوجرافية الوطنية السعودية ١٩٩٧/** تنسيق إدارة التكشيف والببليوجرافية الوطنية - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩ - الجزء الثامن عشر، (السلسلة الثالثة؛ ٢٠).

- **بحوث تاريخية دينية أدبية /** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص- ط١ - العطشانة: دير مار يعقوب البرادعي، ١٩٩٨ - جزءان.

- **بيان الحق بضمان الصدق /** أبو العباس فضل بن محمد اللوكري؛ تحقيق إبراهيم ديباجي - طهران؛ كوالا لامبور: المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، ١٩٩٥ - (الفكر الإسلامي؛ ٢).

- **تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار /** تأليف ضامن بن شدقم الحسيني المدني؛ تحقيق كامل سلمان الجبوري - طهران: مرآة التراث، ١٩٩٩ - (ميراث مكتوب؛ ٦٣. تاريخ وجغرافية؛ ٦).

- **ترجمات القرآن الكريم إلى لغات الشعوب والجماعات الإسلامية: أوراق الندوة الدولية التي عقدت في جامعة آل البيت ١٨- ٢١ أيار ١٩٩٨ /** تحرير محمد م. الأرناؤوط - عمان: جامعة آل البيت، ١٩٩٩ - (٥١).

- **التعريب والتأصيل في الشعر العربي الحديث (أبو القاسم الشابي نموذجاً): دراسة نقدية للشعر والميثولوجيا /** د. نذير العظمة - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ - (دراسات أدبية عربية؛ ٢٤).

- **تقرير الدورة العشرين ٢٧ - ٢٨ أيار ١٩٩٩، المجلس الاقتصادي والاجتماعي: الوثاق الرسمية ١٩٩٩، ملحق رقم ٢١ /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **تقرير اللجنة الفنية عن أعمال دورتها الحادية عشرة /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، المجلس الاقتصادي والاجتماعي - [نيويورك]: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **تقييم دور المنظمات غير الحكومية في الأراضي المحتلة ... /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - نيويورك: الأمم المتحدة: ١٩٩٩.

- **تقييم نقدي لتجارب تنمية المجتمعات المحلية في الوطن العربي /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي – نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **التلفزيون، البرمجة، المشاهدة: آراء ورؤى /** د. نصر الدين العياضي - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ - (دراسات اجتماعية؛ ٣٨).

- **تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك على منهج العدل والإنصاف في شرح مسائل الخلاف/** أبو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي؛ تحقيق أحمد بن محمد البوشيخي - [الرباط]: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٨ - ٥ مجلدات.

- **جامعة آل البيت في عامها الرابع ١٩٩٧ - ١٩٩٨ /** عمّان: جامعة آل البيت.

- **جامعة آل البيت في عامها الخامس ١٩٩٨ - ١٩٩٩: الفوج الأول (فوج الحسين) /** عمّان: جامعة آل البيت.

- **الجعران الذهبي: رواية للشباب /** وليم آدغار آلان بو؛ ترجمة غادة الأشقر - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **حدوث العالم: المناظرة بين فخر الدين الرازي وفريد الدين الغيلاني /** عمر بن غيلان؛ اهتم بنشرها د. مهدي محقق ـ طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي– (سلسلة دانش إيراني؛ ٤٣).

ـ **حصاد المواعظ /** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص ـ ط١ ـ دمشق: بطريركية السريان الأرثوذكس، ١٩٨٤ ـ ١٩٨٨، جزءان.

ـ **حق اللجوء: قصص عالمية /** اليخوكار بنتيير؛ ترجمة علي أشقر ـ ط١ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **الحمامة: مختصر في ترويض النساك /** تأليف مارغريغوريوس يوحنا أبو الفرج الملطي (ابن العبري)؛ تحقيق أغناطيوس زكا الأول عيواص ـ ط٣ ـ دمشق: الكاتب العربي، ١٩٩٣.

ـ **الحياة والغربة وما إليها: قصص عربية /** وليد إخلاصي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **الخروج من جنة عدن من أجل أن نحمي الأرض ونتدبر شؤونها /** يوان جورج نيسبت؛ ترجمة حسن كامل بحري ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضلاء أهل أصفهان /** تأليف عماد الدين الأصفهاني ؛ تحقيق عدنان محمد آل طعمة ـ ط١ ـ طهران: مرآة التراث، ١٩٩٩ ـ جزءان، (ميراث مكتوب؛ ٥٢).

ـ **خيول الضوء والغربة: شعر** / إباء إسماعيل ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ ـ (من الشعر العربي؛ ٦٥).

ـ **الدارة المغلقة /** مايك انكلش؛ ترجمة هبة الله الغلاييني ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **دراسات في مصادر تاريخ العرب الحديث: محاضر الندوة التأسيسية لدراسة مصادر تاريخ العرب الحديث ٢٩ ـ ٣٠ نيسان ١٩٩٧ /** إعداد وتحرير هند غسان أبو الشعر ـ عمّان: جامعة آل البيت، ١٩٩٨ ـ (٣٧).

- **دراسة عن إدماج البعد البيئي في الخطط الإنمائية /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩ - جزءان.

- **الدعم الطبيعي للمشاركة المجتمعية /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - [نيويورك]: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **ذكاء الإعلام في عصر المعلوماتية /** الأخضر إيدروج - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية. زغوان: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ١٩٩٩ - (السلسلة الثانية؛ ٣٤).

- **الذهب /** أندريه أنيكين؛ ترجمة د. إلياس حاجوج - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ - (دراسات اجتماعية؛ ٣٩).

- **رائحة المسيح الذكية /** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص - ط١ - دمشق: بطريركية السريان الأرثوذكس، ١٩٨٤.

- **الربيع وفصول أخرى: قصص عالمية /** لوكليزيو؛ ترجمة يوسف شلب الشام - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **رحلة التزلج: قصة عالمية /** إيما نويل كارير؛ ترجمة معن أحمد عاقل - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **رحماك إسبانيا خلصيني من هذا العذاب /** ثيسار باييخو؛ ترجمة محمد عبد الله الجعيدي - ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ - (من الشعر العالمي الحديث، ٦).

- **ريدكا يكتشف طريقة: رواية /** نيقولا أتاروف؛ ترجمة نتيجة الحلاق - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **سلامة عبيد الأديب الإنسان /** فوزي معروف - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **الشامل في أصول الدين /** أبو المعالي الجويني؛ تحقيق ر. م. فرانك - طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، ١٩٦٠ - (سلسلة دانش إيراني؛ ٢٧).

- **شرح الإلهيات من كتاب الشفاء /** مهدي بن أبي ذر النراقي معروف

بـ ملا مـهدي نراقي؛ باهتمام مهدي محقق ـ طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٤٥] ـ (سلسلة دانش إيراني؛ ٣٤).

ـ **شرح كتاب القبسات ميرداماد** / أحمد بن زين العابدين العلوي؛ تحقيق حامد ناجي أصفهاني ـ كوالا لامبور: المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية. طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٥٦] ـ (الفكر الإسلامي؛ ١١).

ـ **شرخ الكلام: قصص** / ربيعة ريحان ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ ـ (قصص وروايات عربية؛ ٩١).

ـ **الشعر طقس حضارة: دراسة لنتاج جوزف حرب ـ محمد الفيتوري ـ أحمد المجالطي ـ معين بسيسو ـ عمر أبو ريشة** / محيي الدين صبحي ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ ـ (دراسات أدبية عربية؛ ٢٣).

ـ **شيطان القمقم: قصص** / روبيرلويس ستيفنس؛ ترجمة معن أحمد عاقل ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **صفحات مشرقة من تاريخ الكنيسة** / مار أغناطيوس زكا الأول عيواص ـ ط١ ـ العطشانة: دير مار يعقوب البرادعي، ١٩٩٧ ـ الجزء الأول.

ـ **صمود دمشق أمام الحملات الصليبية** / د. قتيبة الشهابي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **طائر مايلين: قصص للشباب** / ك.م. بيتون؛ ترجمة نجوى ربيع ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **طريف النداء في دمشق الفيحاء** / د. قتية الشهابي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **علم الجمال: نظرية وتطبيق في الموسيقا والمسرح والفنون التشكيلية** / د. غازي الخالدي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

ـ **غيوم الدماء السومرية: شعر** / كريم الأسدي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ ـ (من الشعر العربي؛ ٦٢).

ـ **فرويد وتوسك عن أصول علم النفس التحليلي** / بول روزان؛ ترجمة علي محمد الجندي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ ـ (دراسات فكرية؛ ٤٥).

- **الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية /** مارتان هيدجر؛ ترجمة د. فاطمة الجيوشي - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ - (دراسات فكرية؛ ٤٤).

- **فهرس منشورات وزارة الثقافة ١٩٦٠-١٩٩٧ /** إعداد سحبان العمر - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **في بناء النص ودلالته: محاور الإحالة الكلامية /** مريم فرنسيس - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ - (دراسات لغوية؛ ٢).

- **القبرة الطائرة: قصص للشباب /** ايلفرد اڤيبونت؛ ترجمة د. حسين جمعة عيسى - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **القديس مار بطرس هامة الرسل في كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية /** أغناطيوس زكا الأول عيواص - ط١ - دمشق: بطريركية السريان الأرثوذكس، ١٩٩٦.

- **قصائد: شعر /** نديم دانيال الوزة - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ - (من الشعر العربي؛ ٦٤).

- **القَنْد في ذكر علماء سمرقند/** تأليف نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي؛ تحقيق يوسف الهادي- ط١- طهران: مرآة التراث، ١٩٩٩- (ميراث مكتوب؛ ٦٤. ميراث ماوراء النهر؛ ٤).

- **قوة الحي: مبادئ في علم البيئة/** جان دورست؛ ترجمة ميشيل خوري- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (دراسات علمية؛ ٣٥).

- **الكشاف الوطني للدوريات السعودية ١٩٩٥- ١٩٩٧/** إعداد إدارة التكشيف والببليوغرافية الوطنية- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩- المجلدان الخامس والسادس.

- **كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية وقانونية المجامع المسكونية/** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص- ط١- العطشانة: ديرمار يعقوب البرادعي، ١٩٩٧.

- **كيف تصير رجلاً طيباً/** كارلوس يغيا زاريان؛ ترجمة لوسي قصّابيان، غسان كجّو- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **كيف تقوي قدراتك الدماغية وتصل إلى ذروتك في الذكاء والذاكرة والإبداع/** روجر.ب. يابسن الابن؛ ترجمة جميل الضحاك - ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (دراسات علمية؛ ٣٧).

- **المبدأ والمعاد/** ابن سينا؛ باهتمام عبد الله نوراني- طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٤٣]- (سلسلة دانش إيراني؛ ٣٦).

- **المتروك جانباً : شعر/** محمد فؤاد- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (من الشعر العربي؛ ٦٣).

- **المتسلل: قصص للشباب/** جون روتاونسند؛ ترجمة د. حسين جمعة عيسى- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **مجاز غوتنبورغ: شعر/** محمد عفيف الحسيني- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (من الشعر العربي؛ ٦٦).

- **محبوب القلوب: المقالة الأولى في أحوال الحكماء وأقوالهم من آدم إلى بداية الإسلام/** تأليف قطب الدين محمد الديلمي اللاهيجي؛ تقديم وتصحيح د. إبراهيم الديباجي، د. حامد صدقي- ط١- طهران: مرآة التراث، ١٩٩٩- (علوم ومعارف إسلامية؛ ٢).

- **مسارات الوجع: شعر/** د. صالح الرحال- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩- (من الشعر العربي؛ ٦٧).

- **مشاركة المجتمعات المحلية في التنمية الحضارية/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٨.

- **مصابيح على الطريق/** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص- ط١- دمشق: بطريركية السريان الأرثوذكس، ١٩٨٤.

- **مغامرات تشيبو للينو/** جياني روداري؛ ترجمة عياد عيد- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **مفاهيم العلم والعمل والتكافل الاجتماعي في الفكر العربي الإسلامي/** حسن حنفي- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٨- (سلسلة دراسات التنمية البشرية؛ رقم ٩).

– **مفتاح الطب ومنهاج الطلاب/** أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو؛ باهتمام مهدي محقق، محمد تقي– طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٤٨]– (مجموعة تاريخ علوم در إسلام؛ ١).

– **مقالات في العربية/** مازن المبارك– ط١– دمشق: دار البشائر، ١٩٩٩.

– **مكتبات كليات المعلمين مع تركيز خاص على مكتبات كليات المعلمين في المملكة العربية السعودية/** د. سعد بن عبد الله الضبيعان– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩– (السلسلة الأولى؛ ٣٠).

– **ملخص الدراسة التي أجريت عن التكنولوجيا الحيوية في بلدان الإسكوا/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا– نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

– **من أمالي الشريف المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد/** الشريف المرتضى؛ اختار النصوص د. محمد علي دقة– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (المختار من التراث العربي؛ ٨٠).

– **من أناشيد السفر المنسي: شعر/** ثائر زين الدين– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (من الشعر العربي؛ ٥٩).

– **من بيدر المواعظ/** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص – ط١– العطشانة: دير مار يعقوب البرادعي، ١٩٩٧– الجزء الأول.

– **المناهج في المنطق/** أبو محمد صائن الدين علي بن محمد ابن تركه الخجندي الأصفهاني الشافعي؛ تحقيق د. إبراهيم الديباجي– كوالا لامبور: المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية. طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٥٦]– (الفكر الإسلامي؛ ١).

– **منشورات وزارة الثقافة ١٩٩٨/** مديرية المطبوعات والنشر في وزارة الثقافة– دمشق: الوزارة، ١٩٩٩.

– **ميزانية الجامع الأموي لسنة ١٣٢٦هـ–١٩٠٨م/** تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي– عمّان: جامعة اليرموك. لجنة تاريخ بلاد الشام، ١٩٩٢.

- **الناب الأبيض/** جاك لَندَن؛ ترجمة عدنان حسن- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (روايات عالمية؛ ٦٦).

- **ناحية القدس الشريف في القرن ١٠هـ- ١٦م/** تأليف محمد أحمد سليم اليعقوب- عمّان: البنك الأهلي الأردني، ١٩٩٩- جزءان.

- **نخبة من المناشير البطريركية/** أصدرها مار أغناطيوس زكا الأول عيواص- ط١- العطشانة: دير مار يعقوب البرادعي، ١٩٩٧.

- **نزل شبيسارت: رواية للفتيان/** فيلهيلم هاوف؛ ترجمة عياد عيد- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **نقوش إسلامية شاهدية بمكتبة الملك فهد الوطنية/** موضي بنت محمد علي البقمي- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩.

- **نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية/** سليمان بن عبد الرحمن الذييب- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩.

- **نهاية الحرب الباردة: مدلولها وملابساتها/** مايكل جي هوغان؛ ترجمة محمد أسامة القوتلي- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (دراسات سياسية؛ ٤٣).

- **واقع مكتبات المدارس الثانوية للبنين بمدينة الرياض: دراسة مقارنة بين المدارس الحكومية والأهلية/** عبد الله بن إبراهيم المبرز- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩- (السلسلة الأولى؛ ٢٩).

- **وثيقة مشروع حول إعادة تأهيل القطاع الزراعي في الأراضي الفلسطينية/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **الوقف الصرفي: مايوقف عليه وما لايوقف/** تأليف محمد خليل الزروق- ط١- بنغازي: جامعة قان يونس، ١٩٩٩.

ب - المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الاسبوع الأدبي	من ٦٧١- ٦٧٥	١٩٩٩	سورية
التراث العربي	٧٦	١٩٩٩م	سورية
رسالة العلوم	(٣- ٤) عدد ممتاز	١٩٥٩- ١٩٦٠	سورية
صوت فلسطين	٣٧٩	١٩٩٩	سورية
عالم الذرة	٦٣	١٩٩٩	سورية
مجلة باسل الأسد لعلوم اللغات وآدابها	٣	١٩٩٩	سورية
مجلة طب الفم السورية	(١- ٢)	١٩٩٩	سورية
مجلة المعلومات	من ١٠٤- ١٠٨	١٩٩٩	سورية
المعرفة	٤٣١	١٩٩٩	سورية
المعلم العربي	٥ (١٩٦٨)، ٣، ٤ (١٩٦٩)، ٢، ٥ (١٩٧٠)، ١٠ (١٩٧٨)، ٣ (١٩٨١)، ٤ (١٩٩٠)	١٩٩٩	سورية
الموقف الأدبي	٣٤٠	١٩٩٩م	سورية
الأنباء	٧٨٣، ٧٨٤	١٩٩٩م	الأردن
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني	٥٦	١٩٩٩	الأردن
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية	١ (١٩٩٠م)، ٧ (١٩٩٣م)، ١١ (١٩٩٥م)، ١٢ (١٩٩٦م)		الإمارات
المجلة العربية العلمية للفتيان	- الأعداد التجريبية: [١. ٢ (١٩٩٥)، (٣، ٤) ١٩٩٦]. - ١ (١٩٩٧)		تونس

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المجلة العربية للعلوم	٥ (١٩٨٤)، ٢٧ (١٩٩٦)، ٣٣ (١٩٩٩)		تونس
مجلة المعجمية	١١ (١٩٩٥م)، (١٢- ١٣) ٩٦- ١٩٩٧		تونس
مجلة الدرعية	١، ٢	١٩٩٨	السعودية
المجلة العربية	٢٦٨	١٩٩٩م	السعودية
الشراع	٨٩٣، ٨٩٤ (عدد خاص)، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٨	١٩٩٩	لبنان
الفكر العربي	٩٧	١٩٩٩	لبنان
أخبار التراث العربي	مج ٥ (٦٠) عدد خاص ١٩٩٢م، مج ٦ (٦١- ٦٢- ٦٣)/ ١٩٩٤م		مصر
رسالة اليونسكو	شباط	١٩٩٩	مصر
الشرق	٢٤	١٩٥٩	مصر
نشرة الإيداع	كانون الثاني، شباط	١٩٩٩	مصر
تراثنا	١(٤٩)، (٢-٣) (٥٠- ٥١)	١٤١٨هـ	إيران
	(١-٢) (٥٣- ٥٤)، (٣-٤) (٥٥- ٥٦)	١٤١٩هـ	إيران
أصوات	٨	١٩٦٢	لندن

ج – الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:

- The Age of Ideology/ by Henry Aiken.- U. S. A , 1956 .
(About The 19 Th Century Philosophers.)
- The complete Works of Homer, The Iliad and The Odyssey/ by Homer.- Newyork, no date.
- Dictionary of Scientific Terms / by C. M. Beadnell london, 1942.
- Dictionary of International Biography, 1968, comp iled by Ernest Kay.- london, 1968.
- Ethics / By p.H. Nowell - Smith.-England, 1961.
- Greek Political Theory/ by Ernest Barker. - London, 1960.
- Greek - English Lexicon / by Liddel & Scott. - Oxford, 1949.
- How Greek Science passed To The Arabs / by De Lacy O´ Leary . - London, 1948.
- History, ist purpose and MeThod / by G.J. Renier.- london, 1950.
- History versus Anti - History / by N. p. Mikeshin.- Moscow, 1977.
- A History of Europe from The Reformation to The Present day / by Ferdinand Schevill.- New york, 1941, illus.
- How To read History / by Archibald Robertson.-

London, 1952.

- History of The Persian Empire / by A. T. Olmstead.- Chicago, 1943.

- A History of Greece te The Death of Alexander The Great / by J. B. Burry.- Newyork, No date.

- The Idea of History / by R. G. Collingwood.- Oxford, 1963.

- Ibn Khaltün in Egypt, A Study in Islamic Historiography / by Walter J. Fischel.- U. S. A, 1967.

- The Legacy of Islam / ed. by Thomas Arnold And Alfred Guillaume.- Oxford, 1931, illus.

- Liberal Education in a Technical age.- london, 1955.

- Man´s Great Adventure, Revised by Edwin W. Pahlow.- U. S. A, 1942, illus.

- The Mind in The Making / by James Harvey Robinson.- London, 1960.

- The New Society, The Anatomy of The Industrial Order / by Peter F. Drucker.- London, 1951.

- The Origins of Scientific Thought / by G. De Santillana.- U. S. A, 1961.

- Progressive Methods of Teaching in Secondary Schools / by Nelson L. Bossing.- U. S. A., 1944, Volumes 1, 2.

- Progress and Archéology / by Gordon V. Childe.- London, 1945.

- The Psychology of Development and Personal Adjustment / by John E. Anderson.- London, 1950.

- The Proper Study of Manlind / by B. A. Howard.-

London, no date.

- Revolutionary Change and Modernization in the Arab World / by Safouh AL. Akrass.- Damascus, 1972.

- A Study of History / by Arnold toynbee.- Oxford, 1951.- (Abridgment of Vols I - V I).

- Sociology / by Emory Bogardus.- 4 Thed, Newyork, 1954.

- World History / by Arthur E. Book and Others.- U. S. A, no date, illus.

....

2- Periodicals

- Annals of Japan Association for Middle East Studies.- Tokyo.

- No. (14), 1999.

- Beijing Review, china.

No. (16), (17), (18), VOL. 42, 1999.

- Bulletin Officiel, Geneve.

Série B, no2, Serie B, Vol. LxxxI, 1998.

Publ. by: Bureau International Du Travail.

- Bulletin on Vital Statistics in The Escwa Region.

No. (1), 1998.

Publ. by: United Nations Evonomic and Social Commission For Western Asia.

- Le Courier Unesco.

No. (septmbre), 1999.

- Deutschland, Magazine on Politics, Culture, Business and Science, Köln, Germany.

No. (4), 1999.

- Information, Bulletin de L´unisist, Unesco
No. (2), 1998.
- Korea and World Affairs, A quarterly RevieW.
No. (1), 1999.
- Review of International Affairs A monthly Journal Published by The FBIRTY International Politics,
Belgrade, Yugoslavia.
No. 1077, 1999.
- Orientalia Suecana, Uppsala, Sweden.
Vol .XLVII, 1998
Publ by: Department of Asian and African Languages.
- Samsung Magazine, Korea.
No. (June), 1999.
- Das Schweizer Buch Switzerland.
Nos.: (14), (15), 1999.
(Bibliographie national Suisse.)
- Self - Realization, A Magazine Devoted to Healing of
Body, Mind, and Soul, los Angeles, U. S. A.
No. (summer), 1999
- Skipping Stones, A Multicultural Children´s
Magazine, U. S. A.
No. (3), 1999.
- Sources Unesco, Paris.
No. (114), 1999.
- Travail, le Magazine De l´oit Geneve.
No. (30), 1999.
Publ. by: Bureau Interational Du Travail.

فهرس الجزء الأول من المجلد الخامس والسبعين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٤١ تحقيق سكينة الشهابي

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تحقيق نشاط غزاوي

عبد الله كنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)

كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تحقيق وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي

ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر

بقية الخاطريات لابن جني (وهي مالم ينشر في المطبوعة) تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي

حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ ـــ ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي

حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ ـــ ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٤

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية (١٩٩٢ ـــ ١٩٩٣)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٥

كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي (أربعة أجزاء)

النجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي، تحقيق مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٤ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

NO.1 VOL LXXV

REVUE

DE L' ACADEMIE ARABE DE DAMAS

B.P (327)

E-mail: mla@net.sy

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٦

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٥ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٧

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٧، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ج٢، دراسة وتحقيق د. مراياتي، د.مير علم، د. الطيان

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤ ــ ١٩٩٥م

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٣٥ ــ ٣٦، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٨

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٥ ــ ١٩٩٦

كتاب بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، تأليف عبد القادر الشاذلي، تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٩

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٨، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٩، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

السعر: ٤٠ ل.س داخل القطر

مطابع دار البعث

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



ذو الحجة ١٤٢٠ هـ

نيسان (ابريل) ٢٠٠٠ م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م	**١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية** **١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية** **١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية**

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح، أو مطبوعة على الآلة الراقنة، أو مطبوعة على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابةَ في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



ذو الحجة ١٤٢٠ هـ

نيسان (ابريل) ٢٠٠٠

لجنة المجلة

الدكتور شاكر الفحام
الدكتور محمد إحسان النص
الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة
الدكتور محمد بديع الكسم
الدكتور محمد زهير البابا
الأستاذ جورج صدقني

أمين المجلة
الأستاذ مأمون الصاغرجي

الطرثوث في خبر البرغوث

تأليف:

الجلال السيوطي

تقديم وتحقيق:

د. عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية

تقديم

لايستطيع الإنسان العادي أن يتصور كيف أن صدر الإمام السيوطي يتسع للاهتمام بالتأليف حول مواضيع ربما اعتبرت عند البعض هامشية إن لم تكن من لغو القول وفضول الكلام! وإن إلقاء نظرة عابرة على ماتتضمنه اللائحة الطويلة والعريضة مما ألفه الجلال السيوطي لتجعل المرء يتساءل عن مدى البعد الثقافي الذي كان يتمتع به هذا الرجل العظيم الذي أعطانا بالدليل الملموس معنى صفة (المشارك) التي كان علماؤنا القدامى يطلقونها على بعض فطاحلهم.

لقد ألف في القرآن وما إليه، وفي الحديث وما حواليه، وفي الفقه وما يتصل به، وفي الأصول والخلاف، وفي الأدبيات وما يتبعها وما ينضاف إليها، وفي الموسوعات والمجاميع والمعاجم والفهارس، وفي التاريخ، وفي عدد من المواضيع المستظرفة، إلى كتب أخرى مجهولة الفحوى. وقد كان له في علم الجنس بضعة تآليف مغرية منشطة كان منها على سبيل المثال (نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمر)[1].

وقد كان مما أثار انتباهي من كتبه تأليف في علم الحيوان (الزولوجيا) LaZoologie يحمل عنوان (الطرثوث في خبر البرغوث)، وقد كان ضمن قائمة المخطوطات العربية النادرة التي وقع الاختيار عليها من بين الموجودة

(1) د. أحمد الشرقاوي إقبال: مكتبة الجلال السيوطي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1397هـ = 1977 م.

بالخزانة العامة للكتب والمستندات بالمغرب والتي قامت بتصويرها على الميكروفيلم الهيئة المتنقلة التابعة لليونيسكو(1).

وهذه الرسالة تقع ضمن مجموع يحمل رقم كـ/ 37 أي إن المجموع كان أصلاً من مكتبة الكتاني، وتوجد المخطوطة في القائمة اليونيسكية تحت خانة علم الحيوان (LaZoologie) ، وهي من ست صفحات مسطرتها 23 سطراً – 20 سنتيما على 14. كتبت بخط مشرقي لايخلو من أخطاء. كانت النسخة الوحيدة التي اعتمدتُ عليها، ولذلك فإنها كلفتني شططاً! وقد فصلها الجلال السيوطي على ثلاثة أقسام: المقدمة، والمقصد، والخاتمة.

لقد بدأ السيوطي مقدمته بالقول: بأنه كان في عمله هذا مقلداً لسلفه أبي الفضل ابن حجر الذي ألف كتاباً في الموضوع غير أنه أي السيوطي أضاف «زيادة» على سلفه...

ومع الأسف فإنه لم يكن في الإمكان الوقوف على ماألفه ابن حجر حول البرغوث، حجماً ومضموناً(2)، إلا أننا من جهة أخرى نجد أن الجلال السيوطي استفاد من كل من الجاحظ والدميري في تآليفيهما حول الحيوان، ولو أنه أي السيوطي لم يذكر اسم الدميري الذي يذكر في صدر الذين اهتموا من العرب بالزولوجيا...

لقد خصص الجلال السيوطي المقدمة لذكر أسماء البرغوث وكناه، ونحن نعلم أن العرب أثرياء في إعطاء الأسماء للحيوانات: القط والأسد والصقر إلخ. وبالرغم من صغر حجم الرسالة البرغوثية التي لم تتجاوز ست ورقات إلا أنها مع ذلك تحتوي على ذكر عدد من الشخصيات ممن لها صلة

(1) وثيقة تحمل تاريخ 1962، الرباط، نسخة خاصة.

(2) توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة ليدن (هولاندا).

بالبرغوث وأخبار البرغوث... وصلت إلى نحو سبع وسبعين! هذا إلى عدد من المصادر والتآليف التي ذكرها ضمن المخطوطة والتي وصلت إلى نحو من أربعة وعشرين مصدراً! علاوة على عدد من الأعلام الجغرافية التي وردت كأماكن يشتكى فيها من وجود البرغوث مثل بغداد ومدينة الفسطاط مما نحتاجه عند الحديث عن الجغرافية الطبيعية...

وقد تضمنت هذه الرسالة طائفة من الأمثال العربية التي قيلت في البرغوث الأمر الذي يؤكد أنه أي البرغوث ظل مشغلة للناس بالرغم من أن الرؤية لاتكاد تستوعبه في بعض الأحيان!

ومن ذا الذي يمكن أن يهتم بالبرغوث غير أهل العلم الذين يشعرون أكثر من غيرهم بمضايقته وتمكنه من فرض نفسه عليهم عندما يقطع أفكارهم ويشوش على تخيلاتهم وتصوراتهم...

برغوث واحد يغشى مجلساً يمكن أن يحوله إلى قوم واقفين مائلين قاعدين يبحثون عن هذا الطارئ الذي قد يحمل معه الحمى والطاعون، علاوة على مايحمله– بالتأكيد– من أرق وسهر!!

وقد أمكنني أن أقوم بجولة عابرة في بعض كتب التراث عما قيل في البرغوث فكانت مفاجأتي كبيرة وأنا أقرأ عن هذه الشونيزة أو نقطة المداد التي تستحل دم الكافرين والمسلمين على حد تعبير الثعالبي في يتيمة الدهر(1).

ونحن في المغرب، وأعتقد أن البلاد الأخرى لاتختلف عنا، نتوفر على

(1) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة– ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد كبير من المرددات الشعبية التي تتصل بالبرغوث وذكائه المفرط وحيله غير المتناهية التي يتذرع بها للنجاة والتي يذكر في صدرها أنه يقفز أحياناً إلى الوراء على نحو طائرة الميراج!! وعلى نحو كلمة (الكرك): تقرأ ذات اليمين وذات اليسار، حيله التي تذكر في صدرها أنه خبير بكل وسيلة قد تتخذ لمنعه من رزقه، فهو لايعبأ بالناموسيات المرتفعة المتعالية، ولا بالقمصان الطويلة الأردان والأبدان على حد تعبير الجاحظ...

ولكثر مااهتم الناس بالبرغوث أعطوا اسمه لبعض رجالاتهم من أمثال برغوث أبي عبد الله محمذ الجهمي أحد المناظرين للإمام أحمد وقت المحنة(1).

وقد اشتهرت حلقات ساحة جامع الفناء في مدينة مراكش بأحد رواتها المرموقين ممن حملوا اسم برغوث، كان يتوفر على كل مايتصف به البرغوث من جسم صغير قميء، ومن حركات وسرعة ولسع وصعوبة إمساك، هزلي لايضاهى، بطن بارز تحت جبة من قطن أبيض، يلبس سروالاً ضيقاً ملوناً وقصيراً لايتجاوز ركبتيه، ساقان مكشوفتان، تعلو رأسه شاشية حمراء دقيقة الرأس من النوع الذي يحمله أعوان الحكومة، لحية نقرها الشيب وعين تعبر عن دهاء وذكاء، كل ملامحه وحركاته تبعث على الضحك، إذا لم يضحك فالناس يبتسمون وإذا ابتسم يضحكون وإذا ضحك يقهقهون، وإذا بكى يهيجون!

وكان من خصائصه في حلقته أن يختار أحد ذوي العاهات فيجلسه وسط الحلقة يستدر به شفقة المحلقين عليه لينفحوا المريض بصدقاتهم على

(1) الذهبي سير أعلام النبلاء، ج 10، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1402– 1982.

إيقاع ضرب الدفوف في جو من المجون والكلمات البذيئة اللاذعة...

ومن خصائصه التي سجن من أجلها أحياناً أنه، وقد حدث أن بعض الجهال أسند إليه منصب عال، قد جعل دُعاءه– وكانت العادة عند سائر الحلايقية أن يختموا جلستهم بأدعية تقليدية عادية– جعل دعاءه هكذا: (يارب امسخْ هذه الدنيا حتى يصبح برغوث من كبارها)![1].

وبعد المقدمة يأخذ الجلال السيوطي في (المقصد) أي المقصود بالذات من الكتاب، ويتعلق الأمر بالناحية الشرعية والفقهية، وهنا نقف على أزيد من عشرة أحاديث نبوية تتعلق بالبرغوث[2]، وتبرير وجوده في دنيا الناس، وأن علينا أن نضبط مشاعرنا فلا نتناوله بسب، ولا نستنزل عليه لعنة! والسيوطي يذكر إلى جانب هذا بعض «التمائم»– إذا صح التعبير– للتغلب على أذى البراغيث، وهي مروية عن بعض رجال العلم والذكر: وكان فيها مايحمل هذه الآية الكريمة: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا...﴾ [سورة إبراهيم، الآية ١٢] .

على أن الحافظ السيوطي إلى جانب هذه التميمة التي رواها، لم يتردد في الالتجاء إلى العلامة النباتي الشهير ابن البيطار لينقل عنه «وصفة» طبية تتلخص في تلطيخ نحو عود بمادة لزجة من شحم الثعلب، يركز ذلك العود وسط البيت فلا يلبث البرغوث أن ينجذب إلى تلك المادة فيلصق هناك، تماماً على نحو مايباع اليوم في بعض المخازن العصرية التي تهتم بما يطرد الحشرات...

ولا نلبث أن نجد السيوطي هنا بين علماء التعديل والتجريح يعمل على

(1) ابن الشرقي: ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، ج 2، ص 158.

(2) في جلسة خاصة في عمان مع المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألباني سألته ضبطَ هذه الأحاديث فأعدَّ لي حفظه الله «تقييداً» على ماسنذكره عند الاقتضاء...

تزكية رواية دون أخرى... وقد حصل منه هذا عندما استطرد– فلسفياً– بذكر نازلة تتصل بقتل البرغوث وبالإجهاز على الحيوان عموماً... وهل إن نهاية الحيوانات هي على حد سواء مع نهاية الإنسان، كل من عند الله أو إن أمر الإنسان بيد ملك الموت، بينما الحيوانات الأخرى لها منحى شرعي خاص؟ إن المبتدعة يقولون بالتفرقة بين الأرواح: بمعنى إن بعضها موكول إلى خلقه وبعضها موكول إلى الله ذاته، حديث طويل هنا يتناهى فيه إلى الكل بيد الله...

هذا كل مافي الفصل المعنون بالمقصد... أما الفصل الذي يحمل عنوان الخاتمة، فقد ساق فيه عدداً لايستهان به من ضروب الشعر مما يطول أو يقصر وعلى مختلف البحور والأوزان... وكله يدور حول البرغوث... ويشعر المرء بمتعة زائدة وهو يستمع إلى أولئك الشعراء وهم يعبرون بمختلف الطرق عما يحسون به إزاء ذلك البرغوث !! زهاء إحدى وعشرين قطعة..!

ففيهم من استوقفته جرأة البرغوث وجسارته على المضي قدماً في أداء مهمته غير مكترث بأسر أو حصار أو قتل! إنه من لصوص الليل الذين يستغلون فرصة الظلام لينتزعوا أثمن ماعندك! ليفقدوك الراحة والاطمئنان!

وهناك شاعر آخر يقول: إنها أي البراغيث أشبه ماتكون بالجرافات التي تأتي على الآكام فتهدها.!!

والطريف في بعض هذا الشعر أنه يعيد إلى ذاكرتنا تراثاً علمياً أصيلاً بل بالغ الأصالة، ويتعلق الأمر بالخطاب عن طريق إشارات أصابع اليد وإشارات عقداتها (La dactylonomie) على نحو ما نراه اليوم في التلفزة الموجهة إلى البكم والصم، عندما تقف المذيعة أو المذيع ليقدم للنظارة الأخبار والأحاديث عن طريق حركات أياديه وأصابعه..!

فعلاً وجدنا اثنين من الشعراء: أحدهما من القرن الخامس الهجري والثاني من القرن السادس والسابع، هذان الشاعران هما: الخوافي وابن مطروح، عندما كانا يتحدثان عن طريقة انتقامهما من البرغوث، عوض أن يقولا إنهما فركاه بين أصابعهما فركاً... عوض ذلك استعملا طريقة تراثية ما أجدرنا اليوم أن نبعثها من مرقدها مرة أخرى، وهكذا فعوض أن يقولا إن البرغوث وقع بين سبابتهما وإبهامهما، عوض ذلك عبرا بقبضة الثلاثين، وقبضة السبعين... ومعلوم أن العرب في سالف عهدها كانت إذا أرادت التعبير عن رقم ثلاثين عمدت إلى جمع رأس الإبهام برأس السبابة، وإذا أرادت أن تعبر عن رقم سبعين وضعت رأس الإبهام على العقدة الوسطى من السبابة... والحالتان معاً تصوران وضع الإنسان وهو يفرك البرغوث بعد أن يظفر به..!

يقول الخوافي:

تسلمه الثلاثون اختمارا ... إلى سبعين في أسر المنون!

ويقول ابن مطروح:

أمكنت قبضة الثلاثين منه ... فسقته الحمام في سبعينا!!

ويضيف هذا الأخير متحدثاً عن «العنت» الذي كان يشعر به وهو يتلقى لسعات البرغوث فيقول إنه كان يشعر بأن قلبه في قبضة التسعين من جراء تلك اللسعات، رقم التسعين كما قلنا يؤدى –بمقتضى حساب عقد الأصابع– بوضع طرف السبابة على قاعدة الإبهام(1).

(1) أخبرني الزميل د. رمضان عبد التواب عميد جامعة عين شمس 1993/10/07 أنه كتب مقالاً حول هذا الموضوع في آخر عدد من مجلة معهد المخطوطات العربية... لكن لم أتمكن من الوقوف عليه...

وهناك شاعر آخر يشبه البراغيث– على صغرها– بالأفاعي الرقش! وهذا يعبر عن مدى المرارة التي يحس بها الإنسان وهو يحرم من النوم حتى ليستقبل صباحه وأجفانه على حال من الانتفاخ وسوء الحال! عدو يصارعك في الظلام وأنت لاتراه، لكنه يراك بحسه المرهف! يغدو فراشك الوثير وكأنه مفروش بحسك!! يحملك ذلك على أن تزهد في ذلك الفراش لتنزوي في ركن تشتكي مما لحقك من ظلم!

وفي الشعر ماتتحسس فيه العنصرية التي كانت تطبع حياة الناس في العصور الوسطى، فالشاعر وقد وجد نفسه بين جيش من البراغيث السود يشبه نفسه بملك الروم (الأبيض) الذي نُصب له كمين من قبل الصنف الأسود، كأن هذا الصنف يحسد ملك الروم على لونه الأبيض، ولذلك فإن هذا الأخير يتعرض للنهش من قبل السود!!

ومن الشعراء من وضع رسماً كاريكاتورياً لحالة طبقة معينة من المجتمع، فشبه البراغيث– وهي تمتص دماء الأبرياء– ببعض الحكام الذين يجدون في أموال المحاجير التي تناهت إليهم، يجدون فيها مرتعاً للاستغلال!

وقد تكرر أداء هذه الفكرة حيث وجدنا شاعراً آخر يشبه البراغيث وهي تمتص من دم الناس بما يقوم به بعض الشهود من ابتزاز أموال القاصرين!!

ومنهم من تواطأت عليه أسراب الناموس والبرغوث معاً. فالناموس يشرب من دمه والبرغوث يرن في أذنه فهو بين جحيمين اثنين!

وفي هذا المعنى أيضاً نجد أحدهم يشبه الاثنين: البرغوث والناموس برجلين انتشيا خمراً فأخذ أحدهما يغني وأخذ الآخر يرقص!!

والفرق بينهما أن السكران احتسى خمراً من عنب، بينما الحشرتان

انتشيتا من دم هذا الشاعر المسكين!!

وبعضهم- وقد راعه الحرمان من النوم- أخذ يصف الهجمات العشوائية للبرغوث والبعوض... بأنها نزو من غير ما شعور بلذة! وقول للشعر من غير ما احترام للقافية!!

وفي الناس من كان يتهيب حلول الليل الذي يقترن بالنفير الذي تعلنه البراغيث على الذين يجلسون للسمر إلى جانب الحبيب والقنديل!!

ولم يسلم بعضهم من أذى البراغيث حتى عند الظهيرة عندما يلجأ الناس إلى القيلولة... وفيهم من نحا في التشبه منحى آخر، فهو يقول إن البراغيث طغت عليها نشوة الشرب من دمه فعلَتْ بعدما نهلت، وبالغت في السكر حتى أخذت تتقيأ دمه على ثيابه في رائعة النهار!!

وفيهم من امتحن بالباءات الثلاث: البرغوث والبعوض والبق فوضع صورة طريفة لهذا الثلاثي الوقح بعد أن اشترك في امتصاص دمه الذي أسكره: فأخذ البرغوث يرقص أمام تزمير البعوض بينما كان البقّ مصيخاً بسمعه للزمر.

ونحن في الحديث عن إطلاق «الرقص» على وثب البراغيث نجد أحد الشعراء يذكر أن هذه البراغيث عندما ترقص فإن الناموس يجيبها بغنائه، وأن البق في هذه الأثناء يعتريه «التواجد» فيهوي على دم الضحية يحتسيه خمراً يزيد في طربه!!

وعندما زار أحدهم مدينة الفسطاط، كان يحلم بأنه سيعيش في سعادة زائدة عندما يقضي لياليه بالمدينة التاريخية، لكنه لم يلبث أن شعر بالخيبة وقد تعرض لغارات البراغيث! إنه أمسى يتمنى أن يرى الشمس التي تخلصه من شرور هذا الحيوان... إنه يتمنى أن يقضي ليلة واحدة فقط دون براغيث!!

ومن الشعراء من رأى أن يرفع عقيرته بالشكوى إلى أعظم سلطة في البلاد على نحو ما يرفع المظلومون شكاواهم إلى السلطان!! إنهم ماينفكون يحكون جلودهم وصدورهم وأفخاذهم.

وإذا كان هذا الشاعر قد توجه بشكواه إلى صاحب بغداد فإن شاعراً آخر استعصى عليه أن يعرف إلى من يتوجه بالشكوى من هذا الحيوان الذي أراق دمه وأرّق جفنه!

وفيهم من لمح إلى الموقف الفقهي من استباحة قتل البراغيث وهو في هذا الصدد يشير لمصرع الحجّاج بن يوسف الثقفي في الحرم، وكأنه برغوث كان هدرٌ دمه من الحلال الطيب! وفي هؤلاء من استوحى في شعره من الفكرة القائلة: إن البرغوث إنما يمتص الدم الفاسد الزائد!! وإن لسعاته ذات فائدة على المعضوضين لأنها تنبههم لأوقات الصلاة!!

ومنهم من يرى في البراغيث عظة للذين يغترون بقوتهم فيحتقرون الضعيف لمجرد أنه قميء ضعيف، ألا ترى أن البرغوث– على صغر حجمه– كان في استطاعته أن ينتقم من هذا الإنسان القوي أعظم انتقام، ويحرمه من لذائذ المنام.

وقد شبهه أحدهم بالأفعوان، وأعطاه آخر صفة الليث في وثباته، ولقد تحمل بعضهم عناء الصبر، والبرغوث يغرز مخالبه في أجسامهم، لكنهم لم يطيقوه عندما يتسرب إلى آذانهم... ونحن نعلم أن الأدب الفرنسي يضرب المثل في الإزعاج والقلق بهذا الحال: « Avoir la puce a' L' oreille» .

فإذا ماأضفنا إلى هذه الأشعار جملة وافرة مما ورد عند الجاحظ في (كتاب الحيوان)(1)، وعند الدميري في (حياة الحيوان الكبرى) وما ورد في

---

(1) ينظر على الخصوص الجزء الخامس بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، طبع دار الجيل، بيروت، ودار الفكر، ص 373–384 وما بعدها إلى 392.

(نفح الطيب) للمقري(1). وجدنا أنفسنا أمام شبه ديوان من الشعر ثري واسع مما قالته العرب في البرغوث!!

هذا طبعاً إلى إسهام النثر الرفيع في وصف هذا القزم العملاق في آن واحد، الذي خلقه الله وكأنه جزء لايتجزأ من الليل، يكمن نهاره ويسري ليله...؟ يجر ذيله على الجبابرة، ويهتك ستر كل الأبواب، ولا يحفل ببواب، ولا تمنع منه أميرة ولا أمير!!

وبين هذا وذاك نقرأ في المخطوطة سطوراً عن الجانب العلمي في حياة الحيوان La Zoologie ... فهو يذكر أن عمر الذباب أربعون يوماً، وأن عمر البعوض ثلاثة، والبرغوث خمسة... وأن أصله أي البرغوث من التراب... وأنه صورة مصغرة جداً لشكل الفيل الأمر الذي تؤيده المعلومات الحديثة وأنه من الحيوانات التي تطيل السفاد شأنه في ذلك شأن الحشرات المشابهة(2)، التي تبيض وتفرخ... والذي نريد أن نقوله بهذه المناسبة إن معظم هذه

---

(1) كان مما قاله ابن الخطيب وقد انتابه البرغوث:

زحفت إلي ركائب البرغوث ... ثم الظلام بركبها المحثوث
بالحبة السوداء قابل مقدمي ... لله أي قرى أعد، خبيث
جيشان من ليل وبرغوث، فهل ... جيش الصباح لصرختي بمغيث؟

وقد أورد ابن الخطيب في الإحاطة شعراً عن برغوث، فيه التجنيس:

بتنا نكابد هم القحط ليلتنا ... وأنجد السهد والكرب البراغيثا
وكان يحمد ماكنا نكابده ... من المشقة لو أن البَرَى غيثا!!

النفح، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968، ج 6، ص 484.

ابن الخطيب: الإحاطة 4، 517 .

(2) ذكر لي زميلي العزيز د. محمود حافظ المتخصص في علم الحشرات ونائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن مرد ذلك إلى اشتباكات عضوية تجعل من الصعب على البرغوث أن ينفصل عن البرغوثة قبل مرور بعض الوقت...

المعلومات العلمية كانت تعززها المعلومات التي قدمتها إلينا الموسوعات المتخصصة...

وهكذا فإن المخطوطة تكون إسهاماً جيداً في أخذ فكرة عن مدى حضور الفكر العربي في كل مناحي الحياة اليومية، وكل الاهتمامات التي تشغل بال الناس آناء الليل وأطراف النهار وبالتالي فإنه إسهام جيد في العلم الذي أصبح معروفاً اليوم باسم الزولوجيا...

كتاب الطرثوث في خبر البرغوث ... السيوطي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد الف الحافظ العصر ابو
الفضل ابن حجر جزءاً سماه البسط المبثوث في خبر البرغوث وهذا جزء فيه افادة تحتوي على ذلك
وزيادة يسمى بالطرثوث في فوايد البرغوث فيه مقدمه وفصل وخاتمه المقدمة البرغوث
بضم الباء اكثر من كسرها وفتحها وثاؤه مثلثه والواحدة برغوثه وجمعه براغيث ومن اسمايه القذة
والقذذ والجمع قذان بالكسر والاخير بوزن كتان والقذان بالكسر وتشديد الذال المهملة قال الراجز
يا ابتا ارقني القذان فالنوم لا تطعمه العينان ويقال له طامر بن طامر ويكني ابا طال وابا عدي وابا
الوثاب وهو من الحيوان الذي له الوثب الشديد ويثب الى وراية ... الجاحظ عن يحيى البرمكي
انه من الخلق الذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل وهو يطيل الفساد ويبيض ويفرخ بعد ان
ينمو الدود ويخشا ... من التراب وسلطانه اخر فصل الشتاء واول فصل الربيع ومن كلام بعض البلغا
اذى البراغيث اذا البراغيث وهو احدب نزا ويقال انه على صورة الفيل وله انياب يعض بها
وخرطوم يمص به وقالوا في الامثال اظهر من برغوث واطير من برغوث ولا افعل حتى يحج البرغوث
ذكره القمي في الامثال المقصد روى احمد والبخاري في الادب المفرد والبزار والطبراني في الدعا
والبيهقي في شعب الايمان عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه
فانه ايقظ نبيا من الانبيا لصلاة الفجر وروى الطبراني في معجمه والبيهقي في شعب الايمان عن انس
قال ذكرت البراغيث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انها لتوقظ للصلاة وروى الطبراني
عن علي قال نزلنا منزلا فاذتنا البراغيث فسببناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوها فنعمت الدابة فانها ايقظتكم لذكر الله واخرج البيهقي عن انس قال لعن رجل برغوثا عند النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لا تلعنه فانه ايقظ نبيا من الانبياء للصلاة وروى المستغفري في الدعوات
عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اذاك البرغوث فخذ قدحا من ماء واقرا عليه سبع مرات وما
لنا الا نتوكل على الله الاية فان كنتم مومنين فكفوا شركم واذاكم عنا ثم ترشه حول فراشك
فانك تبيت آمنا من شرها وروى الديلمي في مسند الفردوس انا ابو سعيد ثابت بن احمد
ابن عقيل الصيرفي انبا ابو الحسن محمد بن القاسم الفارسي ثنا عبد الرحمن بن محمد الانصاري ثنا
بشر بن احمد ثنا داود بن الحسين ثنا عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي ثنا عاصم بن عبد الله
ثنا

الصفحة الأولى من مخطوطة الجلال السيوطي
"الطرثوث في خبر البرغوث"
عن الخزانة العامة – الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى:

وبعد، فقد ألف حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر جزءاً سماه (البسط المبثوث في خبر البرغوث)(1). وهذا جزء فيه إفادة تحتوي على ذلك وزيادة، يسمى (الطرثوث(2) في فوائد البرغوث)، فيه مقدمة، ومقصد وخاتمة.

المقدمة :

البرغوث بضم الباء أكثر من كسرها وفتحها، وثاء مثلثة والواحدة: برغوثة وجمعه براغيث.

ومن أسمائه القُذَّة والقُذَذ، والجمع قِذّان بالكسر، وتشديد الذال المهملة(3)؟ قال الراجز:

يـاأبـتـا أرقـنـي الـقـذّان فـالنـوم لا تطيـقـه العيـنان

(1) لم تذكر المصادر معلومات عن تأليف ابن حجر هذا (ت 852=1449)، وذكره السخاوي والسيوطي كما ترى وحاجي خليفة، انظر الجواهر والدرر– الورقة 152ب. نظم العقيان 47– كشف الظنون، مجلد 245/1 وتوجد نسخة منه في جامعة ليدن.
Thelibrary of the University of Leiden P. 500 Brock-lomann G.L.S II 94.

(2) الطرثوث : خصص لسان العرب لهذه الكلمة حصة مسهبة، وملخصها أن الطرثوث نبت يؤكل، أشبه مايكون بالفطر والكمأة، دباغ للمعدة نافع لها، واحدته طرثوثة، وقال أبو زياد الطراثيث تتخذ للأدوية. وتطرثث القوم: خرجوا يجتنون الطراثيث، كمأة مالطة: (Champignion de Malte).

(3) لعل كلمة (المهملة) خطأ من أحد التلامذة الذين نسخوا الكتاب فإن الذي في كتب اللغة المتداولة أن الذال معجمة.

ويقال له: طامر بن طامر[1]، ويكنى أبا طافر وأبا عدي وأبا الوثاب، وهو من الحيوان الذي له الوثب الشديد، ويثب إلى ورائه[2]! وذكر الجاحظ عن يحيى البرمكي أنه من الخلق الذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل[3] ، وهو يطيل السفاد[4]، ويبيض ويفرخ بعد أن يتوالد، وينشأ أولاً من التراب، وسلطانه آخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع، ومن كلام بعض البلغاء: (أذى البراغيث إذا البَرَى غيث)[5]! وهو أخدب نزاء، ويقال: إنه

(1) من التعابير السائدة أنه يقال للرجل طامر بن طامر: إذا لم يدر من هو– على نحو هيان بن بيان، والطمور: شبه الوثوب في السماء أو التحفز إلى الأعلى.

(2) معلومة عن (حياة الحيوان الكبرى) للشيخ كمال الدين الدميري ولو أن السيوطي لم يذكر الدميري. طبعة دار الفكر، لبنان، ج 1، ص 133، وتؤكد المصادر العلمية الحديثة أن البرغوث لايتوفر على أجنحة وإنما يعتمد على الوثوب...

(3) كتاب الحيوان تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ج 5، بتحقيق وشرح الزميل الراحل عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 373، ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1970ج 3، ص 470، وعن يحيى بن خالد البرمكي، انظر كذلك الوفيات ج 6، ص 219– 129.

(4) معلومات عن الدميري... وتذكر الكتب العلمية أن الأنثى من البيض تبيض مئة بيضة تقريباً: 10 في كل ولادة، يقع البيض في الغالب على الأرض ولا يلصق بجسم الإنسان وخلال ثلاثة إلى عشرة أيام– حسب الحرارة– تخرج الفراخ (اليساريع)، تخرج بدون أرجل، كثيرة الحركة، وعلى رأسها شوكة بها توصلت لكسر البيضة عند خروج تلك اليساريع... ويلاحظ أن المخطوطة ترسم (الفساد) عوضاً عن (السفاد)... ومن الطريف أن نقرأ في كتاب الحيوان للجاحظ أن البراغيث تتناكح وهي مستديرة ومتعاظلة، وهي من الجنس الذي تطول ساعة كومه! هذا وقد دفع بي هذا الموضوع إلى تتبع (حياة الحيوان) فيما يتصل بالممارسة الجنسية، وكان من أطرف ما وقفت عليه بالنسبة للتمساح أنه إذا أراد السفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيلقيها على ظهرها ويستبطنها فإذا فرغ قلبها لأنها لاتتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها ويبس ظهرها!! حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري، ج 1، ص 122– 163، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(5) يعني أن البرغوث يظهر عندما ينزل الغيث (المطر) على البرى أي التراب، والتعبير تأكيد لما قرره قبل قليل من أن سلطان البرغوث يكثر آخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع.

على صورة الفيل؛ وله أنياب يعض بها، وخرطوم يمص به[1]!

وقالوا في الأمثال: (أطمر من برغوث)[2]، و (أطير من برغوث)، و(لا أفعله حتى يحج البرغوث)! ذكره القمي[3]، في الأمثال.

المقصد :

روى أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبزار والطبراني في الدعاء والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس أن النبي ﷺ سمع رجلاً يسب برغوثاً، فقال: لاتسبه، فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء لصلاة الفجر...

وروى الطبراني في معجمه والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس، قال: ذكرت البراغيث عند رسول الله ﷺ، فقال: إنها لتوقظ للصلاة[4].

---

(1) تؤكد المعطيات العلمية الحديثة هذه المقولات وتؤكد أن له خرطوماً كخرطوم الفيل يمتص به دم الضحية بعد أن يخرقها بأنيابه.

(2) مجمع الأمثال للميداني 1، 441.

(3) ورد هذا المثل في كتاب (المستقصى في الأمثال للزمخشري)، هذا ولم يتضح لي القصد من القمي الذي أسهم في تراث الأمثال– رياض عبد الحميد مراد: معجم الأمثال العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1407=1986.

(4) كما سبق أن قلت في تعليق سابق استنجدتُ حول هذه الأحاديث بخبرة الشيخ الألباني أبي عبد الرحمن الذي مهد لجوابه بأن هناك قواعد علمية مقررة في علم مصطلح الحديث بمقتضاها وعلى أساسها يمكن أن يصحح الحديث أو يضعف، وبعد أن يذكر أن الحافظ السيوطي لم يكن موفقاً البتة من الناحية الحديثية يفيد أن هذه آفة ظاهرة معروفة في كتبه، ومن هنا عقب الألباني على الحديث الأول المروي عن أنس بما ملخصه أن السيوطي تابع للدميري والحافظ السخاوي، وأنه لم يصح شيء عن النبي ﷺ في شأن البراغيث ويحيل الشيخ في الأخير على المجلد الثالث عشر من سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ثم يذكر أن الحافظ ابن حجر الذي ينقل عنه السيوطي أنكر عزو حديث أنس إلى أحمد... إلى تعقيبات أخرى كانت من توافق الخواطر بين ابن حجر والألباني. الأمر الذي يؤكد أن القواعد العلمية المقررة في علم مصطلح الحديث تظل هي القول الفصل فيما يتصل بصحة أو ضعف الحديث.

وروى الطبراني عن علي، قال: نزلنا منزلاً وآذتنا البراغيث فسببناها، فقال رسول الله ﷺ: لاتسبوها، فنعمت الدابة فإنها أيقظتكم لذكر الله[1]!

وأخرج البيهقي عن أنس قال: لعن رجل برغوثاً عند النبي ﷺ، فقال: لاتلعنه فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء للصلاة.

وروى المستغفري في الدعوات عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: إذا آذاك البرغوث فخذ قدحاً من ماء واقرأ عليه سبع مرات: ﴿وما لنا أن لانتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾ [سورة إبراهيم، الآية ١٢]، فإن كنتم مؤمنين فكفوا شركم عنا، ثم ترشه حول فراشك فإنك تبيت آمناً من شرها[2].

وروى الديلمي في مسند الفردوس[3]: ثنا أبو سعيد ثابت بن أحمد ابن عقيل الصيرفي (ثنا) أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسي (ثنا) عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ثنا) بشر بن أحمد ثنا داوود بن الحسين (ثنا) عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي (ثنا) عاصم بن عبد الله (ثنا) إسماعيل بن حكيم عن أبي مريم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: يا أبا الدرداء، إذا آذاك البراغيث فخذ قدحاً من ماء واقرأ عليه سبع مرات: ﴿وما لنا ألا نتوكل على

---

(1) يعلق الشيخ الألباني على حديث علي رضي الله عنه بأن في سنده متهماً بالوضع وهو سعد بن طريف الذي كان يضع الأحاديث علاوة على أن هذا الحديث يختلف تماماً عن متن حديث أنس فإنه يتحدث عن قصة وقعت للصحابة وليس لنبي من الأنبياء...

(2) الحديث عن أبي ذر وكذا الحديث الآتي بعده عن أبي الدرداء، يقول عنه الشيخ الألباني: إن إسناده مظلم لأن فيه عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي الذي يقول عنه أبو نعيم: إن في حديثه نكارة... ثم يحيل الشيخ مرة أخرى على المجلد الثالث عشر سالف الذكر.

(3) مسند الفردوس أو مختصر فردوس الأخيار لأبي نصر الديلمي... اختصره الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وسماه تسديد القوس (في) مختصر مسند فردوس– كشف الظنون ج 2، طبعة مكتبة المثنى، بغداد: ص 1583– 1684.

الله﴾ الآية، فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم وأذاكم عنا، ثم ترش حول فراشك فإنك تبيت تلك الليلة آمناً من شرهم.

وروى ابن أبي الدنيا في «التوكل» أن عامل إفريقية(1)، كتب إلى عمر ابن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه: وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ الآية، قال زرعة بن عبد الله أحد رواته: وينفع من البراغيث.

مسألة:

روى الحافظ أبو بكر الخطيب في رواية مالك عن سليمان بن مهير الكلابي، قال: حضرت مالك بن أنس، وسأله رجل عن البراغيث: أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق طويلاً، ثم قال: ألها نفس؟ قال: نعم، قال: فإن ملك الموت يقبض أرواحها، ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [سورة الزمر، الآية ٤٢].

وأيده بعضهم بما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم كلاهما في (معرفة الصحابة) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه **عن الحارث ابن الخزرج عن أبيه**(2)، أن رسول الله ﷺ نظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال: طب نفساً وقرَّ عيناً... الحديث وفيه: والله لو أردت قبض

(1) القصد إلى إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الذي قدم القيروان سنة مئة وقد كان خير أمير وخير وال كما يذكر ذلك المؤرخون... وذكر أبو العرب في تاريخ إفريقية أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في الدين. هذا وقد علق الألباني على الأثر الذي عزي لابن أبي الدنيا وفيه قول زرعة: وينفع من البراغيث، بأن زرعة مع كونه ليس صحابياً ولا تابعياً فهو مجهول ضعيف الحديث.

(2) يعلق الشيخ الألباني على حديث الحارث بن الخزرج عن أبيه بأنه موضوع، آفة سنده عمرو الذي كان يروي الموضوعات ولذا قال الحافظ: متروك الحديث.

روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو يأذن بقبضها!

وقال الجزولي المالكي في شرح الرسالة[1]: مما يجب اعتقاده أن ملك الموت يقبض الأرواح من الجن والإنس والبهائم وجميع المخلوقات خلافاً للمبتدعة الذين يقولون: لايقبض إلا أرواح الثقلين: الإنس والجن.

وأورد القرطبي في التذكرة حديث جعفر بن محمد السابق ثم قال: وفي هذا الخبر مايدل على أن ملك الموت هو الموكل بقبض كل ذي روح.

وأورد ماأخرجه أبو نعيم في الحلية عن ثابت البناني[2]، قال: الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، ليس منها ساعة تأتي على ذي روح إلا ملك الموت قائم عليها فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب، ثم قال: وهذا عام في كل ذي روح.

ثم نقل عن ابن عطية[3]، أنه قال: روي في الحديث أن البهائم كلها يتوفى الله أرواحها ذون ملك الموت لأنه يعدم حياتها، قال: وكذلك الأمر

(1) القصد إلى أبي زيد عبد الرحمن الجزولي المتوفى (741= 1340) والذي كان من تلامذة أبي الحسن الصغير وأستاذاً للشيخ يوسف بن عمر الأنفاسي، وله شروح على رسالة الشيخ أبي زيد القيرواني: الأول في سبعة أجزاء، والثاني في ثلاثة، والثالث في جزئين. هذا- د. التازي: المغراوي وفكره التربوي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج 1407=1986، ص28.

(2) يعلق الألباني على أثر ثابت البناني الذي عزاه لأبي نعيم في الحلية بأن ثابتاً ولو أنه تابعي ثقة فهو أثر مقطوع موقوف عليه... إلى آخرها. أورد الشيخ عن محمد بن الحسن بن علي ابن بحر الذي يوجد ضمن سند الأثر المذكور...

(3) القصد بابن عطية إلى القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المتوفى سنة 546هـ وهو مؤلف التفسير المعروف به المسمى المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز الذي طبعته أخيراً وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتحقيق من المجلس العلمي بفاس ابتداء من عام 1395=1975.

في بني آدم إلا أنه شرف بتصرف ملك الموت وملائكة معه في قبض أرواحهم، انتهى.

والحديث الذي أشار إليه أخرجه أبو الشيخ في (كتاب العظمة)(1)، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أيوب البغدادي (ثنا) أبو زيد القراطيسي (ثنا) الوليد بن موسى القرشي (ثنا) الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن الحسن عن أنس(2)، قال: قال رسول الله ﷺ: آجال البهائم وخشاش الأرض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها والبقر وغير ذلك(3)، آجالها في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس إلى ملك الموت منها شيء.

وقال العقيلي في (الضعفاء) ثنا يوسف بن يزيد (ثنا) الوليد بن موسى الدمشقي فذكره بسنده ومتنه سواء، ثم قال: لاأصل له من حديث الأوزاعي

---

(1) أبو الشيخ الأصبهاني عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الحافظ أبو محمد الوزان المعروف بأبي الشيخ ابن حبان توفي سنة 369هـ. من تصانيفه طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها كما هو على غلاف مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق وكما طبع منها أخيراً في بيروت على ماأفاده الشيخ الألباني، وكذا كتاب العظمة وغير ذلك. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، إستانبول 1951. جزء 1، ص 447.

(2) يعلق الشيخ الألباني على حديث أنس: آجال البهائم بأنه حديث موضوع ويحيل مرة أخرى على تأليفه سالف الذكر حول الأحاديث الضعيفة. وقد نص الحافظ السيوطي نفسه على هذا في متن النص...

(3) تطرح في هذه الأيام مسألة ذكاة بعض الحيوانات عن طريق سلقها في الماء الحار... مثل الجنَّان (Langouste) والحلزون... إلى آخره وهل إن في ذلك تعذيباً للحيوان... ومعلوم أن كتب الفقه نصت على أن الحيوان الحلال الأكل لا مناقشة في طريق ذكاته ذبحاً أو نحراً أو إخراجاً من الماء أو سلقاً في الماء الحار...

ولا غيره، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: موضوع، والمتهم به الوليد: أحاديثه بواطل يروي عن الأوزاعي ماليس من حديثه.

وقال الذهبي في (الميزان): الوليد بن موسى قال فيه الدارقطني منكر الحديث، وقواه أبو حاتم وقال غيره: متروك ووهاه العقيلي وابن حبان وله حديث موضوع انتهى. هذا الحديث مما أورده صاحب الفردوس، وعز تخريجه على ولده فبيض له في مسنده ولم يذكر له إسناداً وهو في كتابين شهيرين[1]، كما ترى [2].

الخاتمة :

من الأمثال المشتهرة العربية: أكلوني البراغيث، وهي لغة طيِّئ، وفي التبيان لابن العماد: كان أبو هريرة يفلي ثوبه فيبدأ بالبراغيث ثم يعود إلى القمل، فقيل له في ذلك، فقال: أبدأ بالفرسان ثم أكر على الرجالة! وفي بعض المجاميع قال بعضهم: عمر الذباب أربعون يوماً، والبعوض ثلاثة أيام، والبرغوث خمسة أيام[3]...

---

(1) يعني كتاب الضعفاء للعقيلي وكتاب (العظمة)...

(2) لعل من تمام الفائدة بعد انتهاء الكلام عما يتصل بالأحاديث أن نذكر أن الشيخ الألباني، ذكر أنه كان على الحافظ السيوطي أن يحاول دعم ما قد يكون في تلك الأحاديث أو بعضها من معنى صحيح قد يوجد في النصوص الأخرى الثابتة ما يشهد له فيكتفي بها عن الاحتجاج بمثل تلك الأحاديث الواهية. هذا وعملاً بالحكمة السائرة «استتمام المعروف خير من ابتدائه» تطوع الشيخ الألباني بذكر بعض الأحاديث التي تنهى عن سب الدهر وسب الريح ولعن الديك ونحوه مما لايستحق اللعن...

(3) لم تتعرض الكتب العلمية الحديثة التي تتوفر عليها للأمد الذي يمكن أن تعيشه هذه الهوام.
Encylcopae Dia Universalis, Vol 2, P: 113, Vol 12, P: 818, Vol 16, P: 443- J. C. Beacournu: Bulletin de l'Institut Scientifique- Rabat 1978, N 2, P: 85- 86.

وقال علاء الدين الوداعي(1): (متقارب)

براغيثنا فيهم جرأةٌ فبالأسر والقتل لايرجعون
كثيرو الإساءة مع أنهم قليلاً من الليل مايهجعون!

وقال أيضاً مضمناً: (طويل)

براغيث تسري في الظلام كأنها حرامية من مص مايسفك الدم،
قوارص تأتيني فيحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم!

وقال أيضاً: (طويل)

براغيث فيها كثرة فكأنها علينا من الآكام يحتفرونها
يقولون لي: صفها! فقلت: أعندكم قوارص تأتيني فتحتقرونها؟!

وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح(2): (خفيف)

رب برغوث ليلة بت منه وفؤادي في قبضة التسعينا!
أمكنت قبضة الثلاثين منه! فسقته الحمام في سبعينا(3)!!

---

(1) هو علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي، ويقال له ابن عرفة، كان عارفاً بالحديث والقراءات له (التذكرة الكندية) أدركه أجله بدمشق عام 716= 1316.

(2) القصد إلى جمال الدين بن مطروح أبي الحسن يحيى بن عيسى... من أهل صعيد مصر... وتنقلت به الأحوال... واتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب... وهو صاحب القصيدة في الفرنسيين عندما سمع بتأهبهم مرة ثانية لحرب مصر! ترجمه ابن خلكان الذي كان من أصدقائه ومن مراسليه، وهو الذي قال عنه: إن أدواته جميلة... وقد ذكر من طرفه ماأوردنا بعضه في دراستنا لحديث الرحالة المغاربة عن القدس والخليل.

(3) من الطريف أن نقف في شعر ابن مطروح الذي أورده السيوطي هنا، على إشارة جد هامة لما عرفه العرب في حسابهم القديم مما عرف باسم حساب العقد أو العقود وهو أن =

وقال ابن عساكر في تاريخه: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن منصور الموصلي الشاعر الضرير لنفسه في البراغيث: (بسيط)

ماللبراغيث أشباه تقاس بها ... إلا أفاعٍ بقيعان الفلا رقش
ورب ليل طويل بت ساهره ... حتى الصباح وليلي طاير دَغِش
وللبراغيث جيش قد ضنيت به ... على قتالي في الظلماء منكمش
كأن ظهر فراشي حين يفرش لي ... منهن بالحسك المبثوث منفرش!
فلو رأيت انفرادي في الظلام وما ... فنيهن إلا ظلوم واثب هرش!
حسبتني ملكاً للروم أوقعه ... صرف الزمان بأرض أهلها حبش(1)!
فأنكروا منه لوناً غير لونهم ... فكلما ملئوا من لحمهم نهشوا!!
أنظر إلى مقلتي من طول ماسهرت ... منهن كيف اعترى أجفانها العمش!!

= يؤدي المرء الأرقام التي يريدها عن طريق اتخاذ أوضاع خاصة لعقود أصابعه: (La dac-tylonomie)، مثلاً إذا أراد أن يقول 30 جمع طرفي الإبهام والسبابة، وإذا أراد التعبير عن 70 وضع طرف إبهامه على العقد الوسط من سبابته، وإذا أراد التعبير عن 90 وضع طرف سبابته على قاعدة إبهامه. وأنت إذا عرفت أن الشاعر يتحدث عن طريقته للانتقام من البرغوث، وتصورت مع هذا وضع الأصابع وإحكامها القبضة على هذا البرغوث، تصورت إذن معنى مايقصده من ضيق صدره الذي أمسى لا يتجاوز قبضة التسعين وما يقصده من عرك البرغوث في قبضة الثلاثين ثم القضاء عليه في قبضة السبعين. – د. التازي: الرموز السرية.

CH. Pellat: Hisab al Akd,Ency . de l'islam, nouvelle édition T. III, P: 482, 1965.

(1) يمكن أن نتصور التشبيه في هذا الشعر إذا ماجعلنا نصب أعيننا منظراً لوجود لأصحاب القبعة الزرق حالياً– غشت 1993– في الصومال... هذا وقد وجدنا على هامش الورقة رقم 5 طرة تتضمن شعراً ناقصاً من البحر الخفيف لاصلة له بالبرغوث وهي تقول:

يالجسم من لطفه أودع الجمـ ... ـر خفا يا الحشا وطيب الهواء
فغدا حسه مراتع أنهـ ... ـر الـهـوى...

وقال صاحب الشهاب المنصوري: (منسرح)

أذى البراغيث لم يدع أحدا   يرقد ليلا إذا البَرَى غِيثا[1]!
فيأكلون إلى الصباح كما   تأكل حكامنا المواريثا!!

وقال أيضاً: (طويل)

وليل طويل بات همي مجمعا   به، ومنامي في دجاه تشتتا
إذا شرب الناموس خمر دمي شدا   وإن دخل البرغوث أذني زغرتا!!

وقال أيضاً: (متقارب)

وليل تغوص براغيثه   بلحمي، وناموسه أعرص
إذا شربوا من حميا دمي   ترى ذا يغني، وذا يرقص!!

وقال أيضاً ابن صارة[2]: (مخلع البسيط)

ليل البراغيث والبعوض   ليل «طويل» بلا غموض
فذا ينزي بلا سرور   وذا يغني بلا عروض!!

(1) ينبغي أن نعود إلى التعليق الذي ينص على أن سلطان البرغوث يكثر مع نزول الغيث. ولا أدري ماذا يقصد بصاحب الشهاب المنصوري، وهل أنه معيار الديلمي صاحب شهاب الدولة منصور (ت 450= 1058).

(2) أبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني، وربما كتب بالسين سارة، سكن إشبيلية وتعيش بالوراقة وتجول في بلاد الأندلس. المقري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، ج 1، ص 499، بيروت 1388= 1968- د. حسن الوراكلي: ابن صارة الشنتريني، تطوان 1406= 1986.

وفي تاريخ ابن عساكر أنشد أبو العيناء[1]، لآدم بن عبد العزيز في البراغيث ببغداد: (طويل)

تطاول في بغداد ليلي ومن يبت ... ببغداد يلبث ليله غير راقد
بلاد إذا زال النهار تناقزت ... براغيثه من بين مثنى وواحد

وقال آخر: (خفيف)

للبراغيث صار جسمي مقيلا ... ففؤادي من شرهم في عذاب
طفح السكر والشراب عليهم ... فتقايوا دمي على أثوابي!!

وقال آخر: (طويل)

بعوض وبرغوث وبق[2] لزمنني ... حسبن دمي خمرا فلف بها الخمر!!
فيرقص برغوث لزمر بعوضة ... وبقهم سكت ليستمع الزمر!!

---

(1) أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي أديب فصيح من ظرفاء العالم، اشتهر بنوادره وطرائفه... أصله من اليمامة ومولده بالأهواز... ومنشؤه ووفاته بالبصرة، كف بصره بعد الأربعين من عمره... أدركه أجله عام 283= 896. هذا وقد روى الشعر عند الجاحظ هكذا:

بلاد إذا جن الظلام تقافزت ... براغيثها من بين مثنى وواحد

– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 4، ص 33.

(2) ينبغي لكي نقدر فظاعة مثل هذه الهوام أن الفقهاء يذكرون أن البق عيب من عيوب الدور يخول الإقالة في البيع، قال راجزهم:

والبق عيب من عيوب الدور ... ويوجب الرد على المشهور

هذا ولم يفت الفقهاء أن يخصصوا حيزاً كبيراً للدم الذي تخلفه البراغيث على ثياب الإنسان وعلى جسمه، وهكذا وجدنا الدميري يذكر أنه يعفى عن قليل الدم في الثوب والبدن لعموم البلوى به وتعذر الاحتراز منه... والحكم على هذا النحو فيما يتصل بالبق والبعوض وما=

وقال آخر: (كامل)

رقصت براغيث الشتا فأجابها (م) الناموس يشدو بالغناء المعلم
وتواجد البق الكثيف لطبعه طربا على شرب المدامة من دمي!

وقال آخر: (بسيط)

ليل البراغيث ليل لانفاد له لا بارك الله في ليل البراغيث!
كأنهن بجسمي مذ حللن به بدءا الشهود على مال المواريث[1]!!

وقال بعض الأعراب[2]، يصف البراغيث وقد سكن مصر: (طويل)

تطاول بالفسطاط[3] ليلي ولم أكن بأرض الغضا ليلي علي يطول

= أشبهه... ولشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام موقف أشبه بهذا الذي ذكرناه، وقد أفادنا الشيخ الألباني في (تقييده) أن هناك في أقوال السلف مايدعم هذا القول، قال: ويحضرني في ذلك ماأخرجه البخاري في صحيحه عن طريق عبد الرحمن بن أبي نُعم قال: كنت شاهداً لابن عمر، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: فمن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض. وقد قتلوا ابن النبي ﷺ... وسالم بن عبد الله بن عمر هو الذي قال: ياأهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة!!

(1) يروي الجاحظ هذين البيتين على هذا النحو:

ليل البراغيث عنَّاني وانصبني لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي إذ خلون به أيتام سوء أغاروا في مواريث!

-الزركلي: الأعلام ج 9، ص 203.

(2) نسب الجاحظ البيتين لأبي الرماح الأسدي: انظر كتاب الحيوان بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ص 389.

(3) كانت الفسطاط من أجل المدائن، أنشأها عمرو بن العاص بعد فتح مصر سنة 22 من الهجرة وهي أقدم من القاهرة، كان بها عدة مساجد محكمة البناء وعدة حوانيت وحمامات ومعاصر ومساكن جليلة... وحدث أنه في عام 564هـ. جاءت الأخبار بأن الفرنج جاءت إلى ثغر =

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة وليس لبرغوث علي سبيل[1]!!

وقال أبو منصور عبد الله بن سعيد بن مهدي الخواقي الكاتب[2]، في البرغوث: (وافر)

وأحدب ضامر يسري بليل إلى النوام مفتتن الجفون

تسلمه الثلاثون اختمارا إلى سبعين في أسر المنون[3]!!

= دمياط في سبعين مركباً... ثم كسروا عساكر الفسطاط ودخلوا القاهرة من خلف السور... وصاروا يقتلون من وجدوه من المسلمين وفرضوا على أهل مصر والقاهرة أموالاً جزيلة فعندئذ أشار الوزير (شاور) على الخليفة بإحراق الفسطاط خوفاً من أن يستولي عليها الفرنج فأذن لهم في حرقها حيث استمرت النار طوال شهرين فكان يرى دخانها من مسيرة ثلاثة أيام... وتحول الناس إلى القاهرة... ابن إياس: بدائع الزهور، طبعة الهيئة العامة للكتاب 1402=1982، ص 232.

(1) نسبت هذه الأبيات في كتاب الحيوان للجاحظ إلى أبي الرماح الأسدي، وقد روي البيت الأول هكذا:

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن بحنو الغضى ليل علي يطول

هذا وقد ذكرت بهذين البيتين أيامي في السجن في أعقاب المطالبة باسترجاع الاستقلال عام 1944، عندما كنا نصلى بجحيم هذه الطفيليات وقد كان مما أنشدته:

على كل خيط من قميصي قملة تروح على رغمي بجسمي تنحت

فأحصدها في منجل الظفر بكرة وعند المَسَالِمْ أذْرِها كيف تنبت؟!

(2) كان أبو منصور هذا فرضياً حاسباً وهو منسوب إلى خواف من نواحي نيسابور، سكن بغداد وبها أدركه أجله عام 480= 1087من كتبه خلق الإنسان، رتبه على حروف المعجم.

– ابن خلكان: الوفيات ج 1، ص 96 /97.

– الزركلي: الأعلام ج 4، ص 223/222.

(3) راجع التعليق السابق [ص ٢٤٩]حول حساب العقد الذي كان مستعملاً عند العرب لأداء الأرقام...

وقال ابن دريد في أماليه(1): أنشدنا الرياشي، قال: بلغني أن ابن أبي الزوائد، قال وهو ببغداد: (خفيف)

يابن يحيى(2) ماذا بدا لك؟ ماذا؟ أمقاماً أرادت أم انجباذا؟
فالبراغيث قد تنور منا سامر ماتلوذ منه ملاذا!
فنحك الجلود طورا فتدمى ونحك الصدور والأفخاذا!
فسقى الله طيبة الوبل سحا وسقى الكرخ والهراة الرذاذا

وقال مجد الدين المبارك بن كامل بن منقذ(3)، في البراغيث: (بسيط)

---

(1) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أئمة اللغة العربية والأدب، صاحب المقصورة الدريدية، ولد في البصرة، وانتقل إلى عمان، فأقام بعض الوقت ثم رحل إلى نواحي فارس، ثم رجع إلى بغداد واتصل بالمقتدر العباسي، وهناك أدركه أجله عام 391=933 ، من كتبه الجمهرة، وتقويم اللسان والأمالي، ذكر أنه كان مواظباً على شرب الخمر، قال ابن شاهين: كنا ندخل عليه فنستحي لما نرى عنده من العيدان والشراب المصفى، أما الرياشي فهو العباس بن الفرج ابن علي بن عبد الله الرياشي البصري، لغوي، راوية عارف بأيام العرب، وقد أدركه أجله بالبصرة أيام فتنة صاحب الزنج عام 257= 871، له كتاب «الإبل والخيل» وغير ذلك مما روى عنه المبرد...

(2) القصد إلى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي (ت 187= 803) وزير هارون الرشيد، انقادت له الدولة، فكان يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه إلى أن نقم الرشيد على البرامكة فكان في مقدمة الذين صفاهم... والبرامكة يرجعون في أنسابهم إلى الفرس.

(3) أورد الدميري هذين البيتين كلغز، وهما منسوبان لمجد الدين أبي الميمون الكناني، ولا شك أن القصد إلى سيف الدولة ابن منقذ، المسمى المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، كان معاصراً للأمير **مرهف سفير** صلاح الدين إلى المغرب وهو من أمراء الدولة الصلاحية بمصر، ولد بقلعة شيزر، وذهب مع توران شاه إلى اليمن وناب عنه في زبيد عام 569... ثم رحل إلى دمشق ثم إلى مصر... للشعراء فيه كثير من المدائح، أدركه أجله بالقاهرة عام 589= 1193.

=

ومعشر يستحل الناس قتلهم كما استحلوا دم الحجاج في الحرم!
إذا سفكن دما منهم فما سفكت يداي من دمه المسفوك غير دمي!!

وقال بعضهم : (سريع)

لاتَسْبب البرغوث إن اسمه بِرٌّ وغَوْث لك لو تدري:
فبرُّه مص دم فاسد(١) وغوثه الإيقاظ في الفجر!

= هذا وقد أورد الجاحظ مجموعة مهمة من الشعر الذي قيل في البرغوث مما يدل على أن هذا الحيوان– على صغر حجمه– ظل مشغلة للناس مقلقاً لراحتهم في أعز الأوقات التي ينشدون فيها راحتهم.

وهكذا روي لمحبوب بن أبي العشنط قطعة كان منها قوله:

الليل نصفان: نصف للهموم فما أقضي الرقاد، ونصف للبراغيث

ونقل عن آخر قوله:

لقد علم البرغوث حين يعضني ببغداد أني بالبلاد غريب!

وعن آخر قوله:

وإن امرأ تؤذي البراغيث جلده ويخرجنه من بيته لذليل !! إلخ

وبدوره أورد الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى طائفة من الأشعار كان فيها مالم يأخذه السيوطي، وقد كان من لطائف ذلك ماقاله أبو الحسن بن سكرة الهاشمي المتوفى سنة 385، في مليح يعرف بابن برغوث:

بليت ولا أقول بمن؟ لأني متى ما قلت مَن هو يعشقوه!
حبيب قد نفى عني رقادي فإن أغمضت أيقظني أبوه !!

(١) يتحدث العلم الحديث عن الحذر ما أمكن من لسعة البرغوث التي قد تكون سبباً في نقل أمراض خطيرة إلى الإنسان، أبرزها الطاعون والتيفوس والحمى.

وقال عز الدين أحمد بن موسى بن قرصة الفيومي(1): (بسيط)

لا تحقرنَّ من الأعداء من قصرت يداه عنك وإن كان ابن يومين!
فإن في قرصة البرغوث معتبرا فيها أذى الجسم والتسهير للعين!

وقال السديد محمد بن فضل الله بن كاتب المرج(2): (طويل)

لمن أشتكي البرغوثَ، ياقوم؟ إنه أراق دمي ظلما وأرق أجفاني!
وما زال بي كالليث في وثباته إلى أن رماني كالقتيل وعراني!!
إذا هدأت في صبرت تجلدا ويخرج عقلي حين يدخل آذاني!!

وقال الصلاح الصفدي(3)، في (أعيان العصر): ذكر أصحاب الخواص أن البرغوث إذا دخل في أذن أحد وضع الإنسان أصبعه في سرته، وقال: سبقتك فإن البرغوث يخرج منها!

وقال أبو عامر بن شهيد(4)، يصف برغوثاً: «أسود زنجي وأهلي

(1) أحمد بن موسى بن محمد عز الدين المعروف بابن قرصة: أديب مصري كثير النظم، كان لايتكلم إلا معرباً، مولده الفيوم، كان ناظراً للديوان بقوص وبها أدركه أجله عام 710= 1311، له ديوان شعر وكتاب من الأدب اسمه «كتف المذاكرة وتحف المحاضرة».

(2) [هو محمد بن فضل الله بن أبي نصر القبطي، سديد الدين المعروف بابن كاتب المرج الصعيدي، تعانى الآداب والكتابة، ونظم الشعر، وولي وكالة بيت المال بقوص. مات سنة بضع وأربعين وسبع مئة. اظر ترجمته في الدرر الكامنة ٥/ ٣٩٥ – ٣٩٧./ المجلة].

(3) الصلاح الصفدي هو خليل بن أيبك بن عبد الله أديب مؤرخ كثير التصانيف الممتعة على نحو السيوطي، ولد في صفد بفلسطين وتعلم بدمشق... وتولى ديوان الإنشاء في صفد وحلب ومصر وأدركه أجله بدمشق وهو يتولى وكالة بيت المال عام 764= 1363 له زهاء مئتي مصنف، منها الوافي بالوفيات...

(4) أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد من أشجع فهو أبو عامر الأشجعي وزير أكابر الأندلسيين أدباً وعلماً مولده ووفاته بقرطبة عام 426=1035، له تصانيف بديعة... منها حانوت عطار، والتوابع والزوابع، الأخيرة في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تأليف ابن بسام =

وحشي: ليس بوان ولا زميل، وكأنه جزء لايتجزأ من ليل، أو شونيزة أو بنتها عزيزة، أو نقطة مداد، أو سويداء قلب فؤاد، شربه عب، ومشيه وثب، يكمن نهاره، ويسري ليله، يدارك بطعن مؤلم، ويستحلّ دم كل كافر ومسلم، مساور للأساورة، يجر ذيله على الجبابرة، يتكفر بأرفع الثياب، ويهتك ستر كل حجاب، ولا يحفل(1) ببواب، يرد مناهل العيش العذبة! لايمنع منه أمير! ولا ينفع فيه غيرة غيور، وهو أحقر كل حقير، شره مبثوث، وعهده منكوث، وكذلك كل برغوث! كفى بهذا نقصاً للإنسان، ودالاً على قدرة الرحمن...! » في مفردات ابن البيطار عن ابن زهر(2)، أن شحم الثعلب إذا طلى به سوط أو عود وجعل في إحدى زوايا البيت فإن البراغيث يجتمعن عليه.

انتهى التأليف وتمّ والله أعلم

= 542. القسم الأول المجلد الأول، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان– ص 295، يتيمة الدهر ج2 ص 53.

(1) لايحفل: لايكترث...

(2) هذا كلام نقله ابن البيطار عن خواص ابن زهر– وليس ابن زهير كما في المخطوط، هذا ويلاحظ أن في عداد مبيدات الحشرات والهوام اليوم نصب نحو شريط ملطخ بمادة لزجة تغري البعوض والذباب وما أشبه بلحسها فتلصق بها...

وقد ورد في الدميري مايقرب من هذا حيث أورد فائدة مجربة صحيحة للقضاء على البراغيث وهي أن تأخذ قصبة فارسية وتلطخها بلبن حمارة وشحم تيس وتغرسها في وسط الدار فإنها تجتمع إلى العود.

– ابن البيطار: الأول من كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، طبعة القاهرة 1291–1875.

الملك الظاهر بيبرس

في

شعر معاصريه

الدكتور أحمد فوزي الهيب

مقدمة:

هو السلطان الملك الظاهر[١]، ركن الدكن أبو الفتوح بيبرس[٢]، بن عبد الله البندقداري[٣]، الصالحي النجمي الأيوبي[٤]، التركي سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية[٥].

ولد عام ٦٢٠هـ[٦]، وقيل: عام ٦٢٥هـ [٧]، في صحراء القپچاق[٨]، والقپچاق قبيلة تركية عظيمة، طلبت عام ٦٤٠ هـ من ملك أولان التركماني أن يجيرها من التتار الذين هددوها، ولكنه غدر بها، فأغار عليها، وقتل وسبى الكثير منها، وكان بيبرس فيمن أسر، فبيع ونقل إلى بلاد السلطنة الأيوبية حيث اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، ثم انتقلت ملكيته إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بعدما صادر ممتلكات أيدكين عام ٦٤٤هـ [٩]، فجعله من مماليكه البحرية[١٠]، وسرعان ما ظهرت مواهبه[١١]، فترقى واستمر في ذلك إلى أن صار أستاذه أيدكين من جملة أمرائه[١٢].

كان بيبرس طموحاً جداً، وقد وفقه هذا إلى المشاركة في كثير من الأحداث الهامة والحروب التي كانت تقوم كثيراً بين المماليك أنفسهم من

جهة(١٣)، وبينهم وبين أعدائهم من جهة ثانية، حتى صار له شأن عظيم مع الملك الناصر يوسف والملك المغيث الأيوبيين، ومما يدل على ذلك أنه لما دخل إلى القاهرة قبيل موقعة عين جالوت ركب السلطان الملك المظفر قطز للقائه، وأنزله في دار الوزارة، وأقطعه قصبة قليوب(١٤)، وكان آخر هذه الأحداث الهامة التي أسهم فيها إسهاماً كبيراً قبل أن يصل إلى السلطنة هو اشتراكه مع المظفر قطز في معركة عين جالوت في ٢٥ من رمضان عام ٦٥٨ هـ، والتي انتصر فيها المماليك على التتار لأول مرة انتصاراً كاسحاً، وقتلوا قائدهم (كتبغانوين) مع كثيرين منهم، ثم تبعوهم يقتلونهم في كل موضع (١٥). وأظهر فيها بيبرس شجاعة نادرة(١٦)، كما أرسله قطز في أثرهم يتتبعهم إلى أطراف البلاد(١٧). وهكذا أعاد قطز الأمن إلى نصابه في جميع بلاد الشام وأقيمت الخطبة له فيها(١٨)، وصار سيد الموقف في بلاد الشام كلها من الفرات إلى مصر(١٩).

وكان السلطان المظفرقطز قد وعد بيبرس بنيابة حلب، ولكنه رفض أن يعطيه إياها ولم يف بوعده له ليضعف مركزه، وأعطاها لصاحب الموصل، فحقد عليه بيبرس(٢٠)، واتفق على قتله مع جماعة من المماليك، وسنحت لهم فرصة تحقيق ذلك قبل وصولهم مع قطز إلى القاهرة في مكان اسمه القُصَير، يقع اليوم في محافظة الشرقية بمصر(٢١).

وبعد مقتل قطز من البدهي أن تصير السلطنة إلى قاتله ركن الدين بيبرس اتباعاً للعرف السائد آنذاك، ولأنه أقوى أمراء المماليك البحرية، وصاحب فكرة القتل، بالإضافة إلى مواقفه المشرفة في محاربة المغول(٢٢). لذلك صعد إلى قلعة الجبل لتتم مراسيم استلامه للسلطنة رسمياً، وكان ذلك في يوم الأحد ١٧ من ذي القعدة عام ٦٥٨هـ (٢٣).

وعلى الرغم من أن الظاهر بيبرس رابع سلاطين الدولة المملوكية

الأولى[٢٤]، فإنه يعد المؤسس الحقيقي لها، وذلك لما فعله من أعمال عظيمة في مختلف المناحي خلال فترة سلطنته التي بلغت ما يقرب من عشرين عاماً[٢٥]، لأنه توفي يوم الخميس ٢٨ من المحرم عام ٦٧٦ هـ بدمشق [٢٦]، الأمر الذي جعله من أعظم سلاطين المماليك[٢٧].

ولقد فصّل المؤرخون القدامى والمعاصرون من عرب وأجانب الحديث عن أعماله العظيمة المتنوعة الشاملة، وملؤوا في ذلك الصفحات الكثيرة[٢٨]، الأمر الذي يدل على جدارته بالسلطنة، وعلى سبقه لسابقيه وللاحقيه من السلاطين. ويكفي أن نعلم أنه استطاع أن يقضي على أعدائه في الداخل والخارج، أو أن يخمدهم، وأنه أقام علاقات طيبة مع معظم الدول المجاورة، وتميز من جميع حكام المسلمين آنذاك بحمايته للحرمين الشريفين وللخلافة العباسية التي أحياها في القاهرة من جديد بعدما قضى عليها التتار في بغداد عام ٦٥٦ هـ، وأن حدود دولته امتدت من أقصى بلاد النوبة جنوباً إلى الفرات شمالاً، ومن برقة غرباً إلى العراق شرقاً[٢٩].

الشعر الذي قيل في الملك الظاهر بيبرس:

كنت أتمنى لو أن الشعر المتصل بالظاهر بيبرس الذي وصل إلينا قد أنصفه، أو أعطاه حقه من الذكر مثلما فعل التاريخ والمؤرخون، ولكنه لم يفعل. و الذي أرجحه أن الشعر والشعراء قد أعطوه كثيراً من هذا الحق، أو أكثر مما وصل إلينا من الشعر، بيد أن هذا الشعر لم يصل إلينا كاملاً لأسباب عدة، منها:

١ ـ ضياع مخطوطاته لأسباب كثيرة. وما أكثر المخطوطات الضائعة.

٢ ـ مخطوطات كثيرة ذات صلة بما تقدم تنتظر من ينفض عنها الغبار، ويحققها ويطبعها وينشرها.

٣ ـ كتب كثيرة تتعلق بهذا الموضوع تحتاج إلى تحقيق وطباعة جديدة، بعد أن قدم العهد بها حتى غدت نادرة جداً، لا يستطيع الباحثون أن يصلوا إليها إلا بصعوبات بالغة، فضلاً عن أنها قد طبعت منذ زمن طويل طبعات غير دقيقة أو علمية.

٤ ـ كتب طبعت محققة، ولكن بأعداد قليلة جداً سرعان ما تلاشت واختبأت في بعض المكتبات العامة أو الخاصة في البلاد العربية والأجنبية، الأمر الذي حال بينها وبين الباحثين، وجعل وجودها كعدمها.

٥ ـ ضياع كثير من الشعر بفعل الشعراء أنفسهم أو مؤلفي الكتب، وبخاصة أصحاب الطبقات والمؤرخون وغيرهم الذين أكثروا من حذف قصائد المديح أو أبياته بعامة عند حديثهم عن أصحابها، وهذه ظاهرة تحتاج إلى دراسة مستقلة في غير هذا الموضع.

ولا شك إضافة إلى ذلك في أن لعجمة الملك الظاهر بيبرس، ولضعف مستواه الثقافي والأدبي، ولغرقه حتى أذنيه في الأعمال العسكرية والسياسية والإدارية والاقتصادية وغيرها دوراً في ذلك.

ولكننا ينبغي ألا نبالغ في تضخيم هذا الدور، وذلك لأن الظاهر بيبرس وأكثر سلاطين المماليك قد تعربوا، واتخذوا العربية لساناً رسمياً لهم، فضلاً عن أنهم أبقوها لغة رسمية لدولتهم ودواوينها ومراسلاتها، وقلدوا أسلافهم الأيوبيين في استماعهم للشعراء، واتخاذ شعرهم وسيلة إعلامية، تقف بجانبهم، ليفيدوا مما لديها من إمكانات إيجابية، وبخاصة إنهم يعيشون في بلاد عربية، ويحكمون شعباً عربياً باسم دين، لغته ولغة قرآنه الكريم وحديثه النبوي الشريف العربية، الأمر الذي يجعلهم يختلفون إلى حد كبير عن السلاطين العثمانيين الذين وإن شابهوهم في بعض الجوانب فإنهم يختلفون عنهم في عدم اتخاذهم العربية لغة رسمية لدولتهم، كما لم يتخذوا

إحدى المدن العربية عاصمة لدولتهم، إضافة إلى غير ذلك من الاختلافات. لذلك يجب أن نميز بين موقفيهما من اللغة العربية وآدابها.

وفي هذا البحث لن أقترب مما قاله المؤرخون في رسمهم لصورة الملك الظاهر بيبرس وأعماله إلا بالقدر الذي يضيء الطريق أمام فهم ما قاله الشعراء عنه وعنها. وسأكتفي بما وصل إلينا، أو بما استطعت الوصول إليه من شعر تحدث عنه وعن انتصاراته وأعماله وغير ذلك، وقد بلغ مئة وثمانين بيتاً تقريباً، جمعته من المصادر المشار إليها. ورجوت من وراء ذلك الوصول إلى صورة الملك الظاهر بيبرس في شعر عصره، أو كيف كان الشعراء يرونه؟ وكيف استطاعوا التعبير عن هذه الرؤية؟ ولعل هذا يؤكد أقوال المؤرخين، أو يضفي عليها زيادة ما في هذا الجانب أو ذاك. وكلا الأمرين لا يخلو - كما أعتقد - من فائدة ما للأدب العربي من جهة، وللتاريخ من جهة ثانية.

الملك الظاهر بيبرس في شعر معاصريه:

من البديهي أن يكون تركيز الشعراء في أشعارهم على الجانب العسكري، وما يتصل به من صفات وأعمال لدى الملك الظاهر بيبرس أكثرَ من تركيزهم على غيره من الجوانب، وذلك لأن هذا الجانب وما يتعلق به كان أكبر وأوضح من غيره من الجوانب في شخصية عظيمة ذات جوانب متعددة ثرية، ويتضح هذا بجلاء إذا رجعنا إلى أي مصدر أو مرجع يتحدث عن ذلك.

ولعل أكثر معارك الظاهر بيبرس العسكرية بعد سلطنته إثارة لشاعرية الشعراء، هي المعركة التي حدثت عام ٦٧١هـ بينه وبين التتار على نهر الفرات الذي خاضه مع جنده بخيولهم وأسلحتهم ودروعهم نحو التتار، وقتلوا وأسروا منهم الكثير، ولم ينج منهم إلا النزر اليسير، الأمر الذي كان له أطيب الأثر في نفوس المسلمين الذين لم تكسر عندهم بعد كسراً تاماً أسطورة التتار الذين لا يغلبون على الرغم من الانتصار في معركة عين

جالوت، لأنها حدثت بعدها بمدة قليلة.

ومن الشعراء الذين وصلت إلينا أشعارهم في هذه المعركة شهاب الدين محمود[٣٠]، الذي قال قصيدة رائية، وصفها ابن تغري بردي بأنها طنانة[٣١]، وليتها وصلت إلينا كاملة.

بدأها الشهاب محمود بقوله مخاطباً الظاهر بيبرس[٣٢]:

سِرْ حيثُ شئتَ لكَ المهيمنُ جارُ   واحكمْ فَطَوْعُ مرادِكَ الأقدارُ
لمْ يبقَ للدينِ الذي أظهرتَهُ   يا ركنَهُ عندَ الأعادي ثارُ

وهذه البداية تظهر الروحَ الدينية التي كانت سائدة قوية في ذلك العصر، ولا غرو في ذلك، فالشاعر لا تربطه بالممدوح ـ شأنه في ذلك شأن الأمة العربية ـ إلا رابطة الدين الذي كان يحكم باسمه الملوك شعوبهم آنذاك، والذي كانت الحروب تشتعل باسمه حقاً أو باطلاً. كما تبين هذه المقدمة أيضاً صورة بيبرس في عين الشاعر، وهي صورة تتميز بالسطوة والقوة ونفاذ الأحكام، ويبدو هذا عندما جعل الشاعر الأقدار طوع أمر بيبرس تأتمر بأمره، ولا تخالف له أمراً، وهذه المبالغة التي قد يعترض عليها بعضنا كانت شائعة في ذلك العصر على الرغم من تضاؤل حدتها عما كانت عليه من قبل، وبخاصة لدى شعراء الدولة الفاطمية، ولا سيما ابن هانئ. ولا شك في اختلاف خلفيتها عند شعراء الفاطميين الذين كانوا يعبرون بها عن حقيقة اعتقادهم من خلال مذهبهم الإسماعيلي، وبالتالي فهي عندهم أقرب إلى الحقيقة ـ إن لم نقل هي الحقيقة ذاتها في نظرهم ـ منها إلى المبالغة، أقول لا شك في اختلاف خلفيتها لدى الشعراء الفاطميين عن خلفيتها لدى شعراء المماليك الذين أرادوا بها التفخيم والتعبير عن إعجابهم الكبير بما يرون.

وبعد ذلك انتقل الشاعر إلى وصف المعركة، فقال(٣٣):

لَمّا تراقصتِ الرؤوسُ وحُرِّكَتْ ... مِنْ مطرباتِ قِسيِّكَ الأوتارُ
خضْتَ الفراتَ بسابحٍ أقصى مُنَى ... هُوجِ الصَّبَا مِنْ نعلِهِ آثارُ
حملَتْكَ أمواجُ الفراتِ ومَنْ رأى ... بحراً سواكَ تُقِلُّهُ الأنهارُ
وتقطَّعَتْ فرقاً ولمْ يكُ طَوْدَهَا ... إذْ ذاكَ إلاَّ جيشُكَ الجرارُ
رشَّتْ دماؤهمُ الصعيدَ فلمْ يطرْ ... منهمْ على الجيشِ السعيدِ غبارُ

رسم الشاعر الشهاب محمود صورة للظاهر بيبرس تتميز بالشجاعة والفروسية، فعندما اشتد أوار المعركة اندفع في نهر الفرات الغزير العميق بحصانه الأصيل السريع الذي لا تستطيع الريح الشرقية الهائجة أن تشق له غبارا. ولم ينس الشاعر هنا صفة الكرم التي نجدها في تشبيهه بالبحر، وهي صفة تميز بها بيبرس، أتى بها الشاعر مغتنماً ذكر النهر وخوضَ بيبرس فيه، وصاغها بصيغة الاستفهام الإنكاري الذي زادها قوة وتأكيداً وجمالاً (ومن رأى بحراً سواك تقله الأنهار). وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن جيش الظاهر الذي قطع أمواج الفرات فرقاً، وشبهه بالطود، ووصفه بأنه جرار. ولكل ما تقدم إيحاؤه الجمالي والبلاغي. ثم تحدث عن دماء قتلى التتار وجراحهم الكثيرة التي بللت أرض المعركة فحالت دون تطاير الغبار.

وبعد ذلك انتقل الشهاب محمود إلى الحديث عن نتائج هذه المعركة، فقال(٣٤):

شكرتْ مساعيَكَ المعاقلُ والورى ... والتربُ والآسادُ والأطيارُ
هذي منعْتَ وهؤلاءِ حَمَيْتَهم ... وسقَيْتَ تلكَ وعمَّ ذا الأيسارُ

إنه جعل القلاع والناس والأرض والوحوش تشترك معاً في شكر الظاهر بيبرس، لأن فضله عمها جميعاً، وقد وضح كيفية ذلك في قوله:

هذي منعت وهؤلاء حَمَيْتَهم وسقيت تلك وعم ذا الأيسارُ

ثم ختم أبياته التي وصلت إلينا بقوله(٣٥):

فلأملأنَّ الدهر فيكَ مدائحا تبقى - بقيتَ - وتذهبُ الأعصارُ

إنه أخذ عهداً على نفسه أن يمدح الظاهر بيبرس مدائح كثيرة خالدة على مدى الأيام والعصور، ولم ينس أن يدعو له بالبقاء في أثناء ذلك، وتميز هذا الدعاء بالرشاقة والإيجاز والجمال.

وفي هذه الوقعة أيضاً قال الحكيم الموفق عبد الله بن عمر الأنصاري(٣٦):

الملكُ الظاهرُ سلطانُنَا نفديهِ بالأموالِ والأهلِ
اقتحمَ الماءَ ليطفي بهِ حرارةَ القلبِ منَ المغلِ

لقد عبر عن حب الناس الكبير للظاهر بيبرس، الأمر الذي جعلهم يفدونه بأموالهم وأهليهم، كما يبدو في قوله (سلطاننا) فخر الشاعر به وبما حققه، ثم وصف اقتحامه البطولي لمياه الفرات الغزيرة وراء التتار، وعلل ذلك تعليلاً له دلالته النفسية التي تعبر عما تغتلي به القلوب من كره وحقد تجاه المغول، لما فعلوه معهم من وحشية تسمو عليها الوحوش الكاسرة.

ووصف هذا الانتصار أيضاً محيي الدين بن عبد الظاهر قائلاً(٣٧):

تجمعَ جيشُ الشركِ منْ كل فرقةٍ وظنوا بأنَّا لا نُطيقُ لهم غَلْبَا
وجاؤوا إلى شاطي الفراتِ وما دَرَوا بأنَّ جيادَ الخيلِ تقطعُهَا وَثْبَا
وجاءت جنودُ اللهِ في العُدَدِ التي تميسُ لها الأبطالُ يومَ الوغى عُجْبَا
فَعُمْنَا بسدٍ من حديدٍ سباحةً إليهمْ فما اسطاعَ العدوُّ له نَقْبَا

وتبدو الروح الدينية واضحة في وصفه لجيش المغول بأنه جيش

الشرك، وفي نعته لجند الظاهر بيبرس بأنهم جند الله، كما تبدو أيضاً في ذلك الاقتباس بالبيت الأخير (فما اسطاع العدو له نقبا)[٣٨]. وتحدث كذلك عن ظن المغول الخاطئ بأن نهر الفرات سيحميهم، ولم يدروا أن خيل المسلمين لا يعجزها ذلك، كما تحدث عن عدة الجيش بعامة لأنها جزء هام من قوته. واللافت للنظر حديث الشاعر في البيت الأخير بأسلوب جمع المتكلمين (فعمنا)، مع أن المصادر لم تشر إلى اشتراكه في هذه المعركة، الأمر الدال على أنه كان يرى أن الظاهر بيبرس وجيشه يقاتلون باسمه واسم الأمة كلها، وأن هذه المعركة معركته، والانتصار انتصاره.

ولأنتقل بعد ذلك إلى شعراء من نوع آخر، وهم شعراء شهدوا هذه المعركة، ومنهم الشيخ ناصر الدين حسن بن النقيب الكناني[٣٩]، الذي قال فيها [٤٠]:

ولمّا ترامينا الفراتَ بخيلِنَا سَكَرْنَاهُ منَّا بالقُوى والقوائم

فأوقفتِ التيارَ عنْ جريانِهِ إلى حيثُ عُدْنا بالغِنَى والغنائم

وصف الشاعر هنا خيل المسلمين قد حبست مياه الفرات عن الجريان بقوتها وبقوائمها الكثيرة التي تحولت إلى سد منيع لا تستطيع المياه منه نفاذاً، لذلك سكنت وتوقفت إلى أن عاد الجيش بالغنائم الوفيرة منتصراً، وعلى الرغم من أنه من البدهي أن يتحدث الشاعر بأسلوب المتكلمين لأنه كان مشتركاً في المعركة، فإن لهذا أيضاً دلالته التي أشرنا إليها قبل قليل.

ومن الشعراء الذين شهدوا هذه المعركة أيضاً وخاضوا غمارها بدر الدين يوسف المهمندار[٤١]، وكان شيخاً متجنداً[٤٢]، الأمر الذي جعله شاهداً عليها، وأكسب شعره الواقعية والثقة، ونجده قد وصف غبار المعركة الذي كاد يمنع الرؤية لولا ضياء أسنة الرماح وظبات السيوف، كما وصف أيضاً جبن التتار وسوء تقديرهم للموقف وخيبتهم، ثم تحدث عن جيش المسلمين وعدته وقطعه للفرات وسرعته في الوصول إلى التتار

المهزومين وقتله لهم[٤٣]:

لو عـاينَتْ عـيناكَ يومَ نـزالِنا والخيلُ تطفحُ في العجاجِ الأكدَرِ
وسنا الأسنةِ والضياءُ منَ الظُّبى كَشَفَا لأعينِنا قتامَ العِثيَرِ
وقد اطلَخَمَّ الأمرُ واحتدمَ الوغى ووَهَى الجبانُ وساءَ ظنُّ المجتري
لرأيت سداً مِنْ حديدٍ ما يُرى فوقَ الفراتِ وفوقَهُ نارٌ تَري
ورأيتَ سيلَ الخيلِ قد بلغَ الزُّبى ومنَ الفوارسِ أبحراً في أبحرِ
طَفَرَتْ وقدْ منعَ الفوارسُ مدَّها تجري ولولا خيلُنَا لمْ تَطْفِرِ
حتى سبقْنَا أسهماً طاشَتْ لنا منهمْ إلينا بالخيولِ الضُمَّرِ
لم يفتحوا للرمْيِ منهمْ أعيناً حتى كُحِلْنَ بكلِّ لدنٍ أسمرِ
فتسابقوا هرباً ولكنْ رَدَّهُمْ دونَ الهزيمةِ رمحُ كلِّ غَضَنْفَرِ

ثم تحدث الشاعر بعد ذلك عن نهاية المعركة وكيف أن القتلى قد ملؤوا الفضاء الواسع، وسدوا الطرق، فقال[٤٤]:

ملؤوا الفضاءَ فعنْ قليلٍ لمْ ندعْ فوقَ البسيطةِ منهمُ مِنْ مُخْبِرِ
سدَّتْ علينا طُرْقَنَا قتلاهمُ حتى جَنَحْنَا للمكانِ الأوعرِ

كما وصف أيضاً خيل المسلمين وكيف تعثرت برؤوس المغول تعثراً منعها من أن تنطلق بأقصى سرعتها، وخاضت في بحور دمائهم التي جرت كالأنهار، فتلطخت حتى غدا أشهبُها أشقرَ[٤٥]:

ما كانَ أجرى خيلَنَا في إثرِهِمْ لَوْ أنَّها برؤوسهمْ لَمْ تعثُرِ
مِنْ كلِّ أشهبَ خاضَ في بحرِ الدما حتى بَدَا لعيونِنَا كالأشقرِ
وَجَرَتْ دماؤُهمُ على وجْهِ الثرَى حتى جَرَتْ منها مجاري الأنْهُرِ

كما تحدث أيضاً عن صرخات جند المسلمين التي فلقت بقوتها

الصخور[٤٦] :

كمْ قَدْ فلقنا صخرةً مِنْ صرخةٍ ولكمْ ملأنا مَحْجِراً مِنْ مَحْجَرِ

وبعد ذلك رسم صورة جميلة متميزة للظاهر بيبرس، وهو يتبع المغول بسيفه البتار الذي علته دماء قتلاهم وقد التصق بها الغبار، فغدا وكأنه في غمده لم يسل، ولكن أي غمد هذا[٤٧]!!

والظاهرُ السلطانُ في آثارِهِمْ يذْري الرؤوسَ بكلِّ عَضْبٍ أبترِ
ذهبَ العجاجُ معَ النجيعِ بصقلِهِ فكأنَّهُ في غمدِهِ لَمْ يُشْهَرِ

وختم قصيدته هذه مخاطباً غيره من الشعراء الذين وصفوا المعركة سماعاً من غير أن يحضروها مفتخراً ببلائه وبشعره، فما راءٍ كمن سمع[٤٨]:

إنْ شئْتَ تمدحهُ فقفْ بإزائِهِ مثلي غداةَ الروعِ وانظمْ وانثرِ

وبعد، فلقد تساءلتُ عن سبب إلحاح الشعراء على وصف هذه المعركة، وتركيزهم عليها خلافاً لغيرها من المعارك، ثم رجحت أن هذا الإلحاح ربما كان بسبب الوقت الذي حدثت فيه، فقد حدثت في ١٩ من جمادى الأولى عام ٦٧١ هـ تقريباً، وذلك لأن الظاهر قد رحل عن منبج في ١٨ من جمادى الأولى عام ٦٧١ هـ إلى الفرات[٤٩]، وهذا التاريخ يوافق ١٩ من كانون الأول (يناير) عام ١٢٧٢م[٥٠]، وهو وقت صعب لأنه يقع في فصل الشتاء الذي يتميز ببرودته الشديدة في هذا المكان من السلطنة المملوكية، الواقع في شمالي بلاد الشام، كما تكثر فيه مياه نهر الفرات، ويرتفع مستواها بسبب الأمطار الغزيرة التي تسقط على ينابيعه وعلى مايجاوره، الأمران اللذان يجعلان خوض الفرات عملية ليست عادية، وإنما عملية متميزة فريدة تحتاج إلى جرأة وشجاعة واقتدار.

ومن معارك الظاهر بيبرس التي نظم فيها الشعراء قصائدهم، تلك

المعركة التي حدثت بالقرب من نهر جيحان في بلاد الروم عام ٦٧٥ هـ، وتحالف فيها ضده التتار والروم والكرج وجيش البَرْوَاناه، وحمل فيها بنفسه بصدق[٥١]، وكان «يكر كالأسد الضاري ويقتحم الأهوال بنفسه، ويشجع أصحابه، ويُطيِّب لهم الموت في الجهاد إلى أن أنزل الله تعالى نصره عليه، وانكسر التتار أقبح كسرة، وقتلوا، وأسروا، وفر من نجا منهم، فاعتصموا بالجبال، فقصدتهم العساكر الإسلامية»[٥٢]. ومن القصائد التي وصلت إلينا في وصفها قصيدة الشهاب محمود التي استهلها بقوله[٥٣]:

كذا[٥٤] فلتكنْ في اللهِ تمضى العزائمُ   وإلا فلا تجفو الجفونَ الصوارمُ[٥٥]
عزائمُ حاذَتْها الرياحُ فأصبحتْ   مخلَّفَةً تبكي عليها الغمائمُ

والروح الدينية واضحة جلية تبدو في البيت الأول، وتحدث بعد ذلك عن ضخامة جيش الظاهر بيبرس، وسرعة تحركه اللتين تجعلان الأرض الواسعة الأرجاء ضيقة كالخاتم، الأمر الذي يدل على مدى اهتمام الظاهر بجيشه، وهذا جانب هام من جوانب شخصيته[٥٦].

بجيشٍ تظلُّ الأرضُ منهُ كأنَّها   على سَعةِ الأرجاءِ في الضيق خاتَمُ
كتائبُ كالبحرِ الخِضَمِّ جيادُهَا   إذا ماتهادَتْ موجُهُ المتلاطِمُ

وانتقل بعدذلك إلى الملك الظاهر بيبرس ، وصوره وقد أحاطت به هذه الكتائب،وجعل النصر عبداً يخدمه، والأقاليم تحن إليه تتمنى أن يفتحها[٥٧]:

تحيطُ بمنصورِ اللواءِ مُظَفَّرٍ   لهُ النصرُ والتأييدُ عبدٌ وخادمُ
مليكٌ لأبكارِ الأقاليمِ نحوَهُ   حنينٌ، كذا تَهْوى الكرامَ الكرائمُ

وتحدث أيضاً عن كثرة القلاع المنيعة التي افتتحها سلماً وحرباً على الرغم من حصانتها التي لم تحل بينهما وبين مصيرها المحتوم[٥٧].

فكمَ وطئَتْ طوعاً وكرهاً جيادُهُ معاقلَ قُرطاها السُها والنعائمُ

كما ألح على الجانب الديني، فصور الدين يلوذ بركن الظاهر بيبرس، وأفاد في ذلك من لقبه: وهو ركن الدين، كما أشار إلى أن للدين في كل ساعة من الظاهر بيبرس بشارة تسر الهدى، بينما تكون في الوقت نفسه للكفر مأتماً وللشيطان بكاء وحزناً(٥٨).

مليكٌ يلوذُ الدينُ مِنْ عزماتهِ بركنٍ لهُ الفتحُ المبينُ دعائمُ

مليكٌ لهُ بالدينِ في كل ساعةٍ بشائرُ للكفارِ منها مآتمُ

جلا حينَ أقذى ناظرُ الكفرِ للهدى ثغوراً بكى الشيطانُ وَهْيَ بواسمُ

وإضافة إلى ذلك تحدث عن تصميمه الذي لا يعرف إلا الوصول إلى هدفه مهما كلفه ذلك، وصور ذلك تصويراً جميلاً بقوله(٥٩):

إذا رام شيئاً لم يعقْهُ لِبُعْدها وشقتِها عنهُ الإكامُ الطواسمُ

فلوْ نازعَ النسرين أمراً لنالهُ وذا واقعٌ عجزاً وذا بعدُ حائمُ

ثم انتقل إلى وصف جيش الظاهر بيبرس وقد سالت الأرض بمواكبه المنتصرة، وأحاط الأعداء برماحه التي صارت سوراً منيعاً صلباً(٦٠):

وسالتْ عليهمْ أرضُهُمْ بمواكبٍ لها النصرُ طوعٌ والزمانُ مسالمُ

أدارت بهمْ سوراً منيعاً مُشَرَّفاً بِسُمْرِ العوالي مالَهُ الدهرَ هادمُ

وتحدث أيضاً عن أصل هذا الجيش التركي، وصور أفراده وكيف يجمعون بين صفة الجمال في السلم وصفة الشجاعة في الحرب(٦١):

مِن الترْكِ أمَّا في المغاني فإنَّهُمْ شموسٌ وأما في الوغى فضراغمُ

ومع ذلك فإن جيشهم إنما يظهر على أعدائهم بفضل قائدهم الملك الظاهر بيبرس(٦٢):

غدا ظاهراً بالظاهرِ النصرُ فيهمُ ... تبيدُ الليالي والعدى وهوَ دائمُ

وأخيراً صور ملوك الأعداء وأمراءهم في نهاية هذه المعركة أذلة قد غدت أموالهم غنائم للمسلمين(٦٣):

فكم حاكمٍ منهمْ على ألفِ دارعٍ ... غدا حاسراً والرمحُ في فيهِ حاكمُ
وكم مَلِكٍ منهمْ رأى وَهْوَ مُوثَقٌ ... خزائنَ مايحويهِ وَهْيَ غنائمُ

وختم قصيدته هذه بتهنئة الظاهر بيبرس ووصفه بأنه ملك الإسلام الذي غدت أيام نصره على أعدائه مواسم وأعياداً للمسلمين، والذي بذل روحه الغالية رخيصة في سبيل الله(٦٤):

فياملكَ الإسلامِ يامَنْ بنصره ... على الكفرِ أيامُ الزمانِ مواسمُ
تهنَّ بفتحٍ سار في الأرض ذكرُهُ ... سُرى الغيثِ تَحْدُوهُ الصَّبَا والنعائمُ
بذلْتَ لهُ في اللهِ نفساً نفيسةً ... فوافاك لا يثنيهِ عنكَ اللوائمُ

ثم تحدث عن نتائج هذه المعركة، وكيف أدت إلى استسلام الحصون التي كانت عاصية، والتي حلم بفتحها ملوك الأرض ولكنهم لم يستطيعوا إليها سبيلاً، وختم أبيات قصيدته هذه بدعائه لله تعالى أن تستمر انتصارات بيبرس على الكفر دائماً(٦٥):

ولمّا هزمْتَ القومَ ألْقَتْ زمامَهَا ... إليكَ الحصونُ العاصياتُ العواصمُ
ممالكُ حاطَتْهَا الرماحُ فكم سَرَتْ ... على رجلٍ فيها الرياحُ النواسمُ
تبيتُ ملوكُ الأرضِ وهْي مُنَاهُمُ ... وليسَ بها منهمْ معَ الشوقِ حالمُ
ولولاكَ ماأومى إلى برقِ ثغرِها ... لعزةِ مثواهُ منَ الشامِ شائمُ
أقمتَ لها بالخيلِ سوراً كأنَّها ... أساورُ أضحتْ وهْيَ فيها معاصمُ
فلازلتَ منصورَ اللواءِ مُؤيَّداً ... على الكفرِ ماناحَتْ وأبكَتْ حمائمُ

وتحدث شاعر آخر عن أصل الظاهر بيبرس التركي، وجعله أسد الترك وركنهم الذي أخذ الثأر من التتار بعد الخوف منهم، فقال(٦٦):

فيا أسدَ التركِ ويا ركْنَهُمْ ويا آخذَ الثارِ بعدَ المخافهْ

وذكر هذا الشاعر أيضاً بعض أعماله العظيمة المتميزة مثل انتصاره على الأعداء، وجبره للمحتاجين، وقطعه للفرات، ثم إحيائه للخلافة العباسية(٦٧) :

كسرتَ الطغاةَ جبرْتَ العُفاةَ قطعْتَ الفراتَ وصلْتَ الخِلافَهْ

وإضافة إلى ذلك تحدث الشعراء عن سرعة انتقاله من بلد إلى بلد في سلطنته الواسعة(٦٨)، الأمر الذي كان له أثره في تثبيت أركانها وفي القضاء على الأعداء، وقد وصف ذلك أحد الشعراء بقوله(٦٩):

يوماً بمصرَ ويوماً بالشآمِ ويو ماً بالفراتِ ويوماً في قُرى حلبِ

ووصف أيضاً اتساع سلطنته وحسن تدبيره لها، فقال(٧٠) :

تدبِّر الملكَ مِنْ مصرٍ إلى يَمَنٍ إلى العراقِ وأرضِ الرومِ والنُوَبِ

ولعل هذا هو الذي جعل محيي الدين بن عبد الظاهر يخاطبه بأنه ملك الأرض، وذلك عندما هنأه بفتحه لعكار سنة ٦٦٩ الذي كان له عزاء عن استعصاء عكا عليه(٧١):

يا مليكَ الأرضِ بُشرا كَ فقدْ نلتَ الإرادهْ
إن عكَّار يقيناً هوَ عكّا وزيادهْ

وجعل الشريف محمد بن رضوان الناسخ ينعته بأنه مالك الدنيا(٧٢):

ما الظاهرُ السلطانُ إلاّ مالكُ الـ ـدنيا بذاكَ لنا الملاحمُ تُخْبِرُ

وتحدث الشعراء أيضاً عن حسن معاملة الظاهر بيبرس لأمرائه وجنده

وكثرة عطائه لهم، الأمر الذي كان يدفعهم لبذل أقصى ما يستطيعون في جهاد الأعداء، والأبيات التالية تصور تمليكه الأراضي المفتوحة للأمراء المجاهدين بعد فتح قيسارية عام ٦٦٣(٧٣) :

فتىً جعلَ البلادَ منَ العطايا   فأعطى المدنَ واحتقرَ الضياعا
سمعنا بالكرامِ وقدْ أرانا   عياناً ضعفَ ما فعلوا سماعا
إذا فعلَ الكرامُ على قياسٍ   جميلاً كانَ ما فعلَ ابتداعا

وأما بالنسبة إلى الرعية فلقد أبطل الظاهر بيبرس ما كان قد أحدثه الملك المظفر قطز من ضرائب، وأقام العدل بينهم، فضج الناس له بالدعاء، ومالت إليه قلوبهم، فقال أحد الشعراء في ذلك(٧٤) :

لمْ يبقَ للجورِ في أيامكُمْ أثرٌ   إلا الذي في عيونِ الغيدِ مِنْ حَوَرِ

وإضافة إلى ذلك كان الظاهر بيبرس شديداً في قضائه على المنكرات التي كانت منتشرة في بداية سلطنته كالخمر والحشيش وغيرهما(٧٥)، فجعل الحد على ذلك القتل، ونفذ ذلك عندما أمسك ابن الكازروني وهو سكران، فأمر بصلبه وفي حلقه جرة خمر، وجعله عبرة لغيره، ووصف ذلك الحكيم شمس الدين بن دانيال(٧٦)، في قوله(٧٧) .

لقدْ كانَ حدُّ السكرِ منْ قبلِ صلبِهِ   خفيفَ الأذى إذْ كانَ في شرعِنا جَلْدَا
فلما بدا المصلوبُ قلتُ لصاحبي   ألا تُبْ فإنَّ الحدَّ قَد جاوزَ الحدَّا

ولا تخفى التورية في الشطر الأخير.

وتحدث عن ذلك أيضاً أبو الحسين الجزار(٧٨)، في قوله(٧٩):

قدْ عُطِّلَ الكُوبُ مِنْ حَبابِهْ   وأُخْلِيَ الثغرُ مِنْ رضابِهْ
وأصبحَ الشيخُ وَهْوَ يبكي   على الذي فاتَ مِنْ شبابِهْ

وصور ابن دانيال مدى جدية تطبيق قرار منع الخمر والحشيش وهيبة الظاهر التي تجاوزت الإنس الى الجن تصويراً طريفاً في قوله[٨٠]:

نهى السلطانُ عنْ شُرْبِ الحُمَيَّا ... وصيَّرَ حدَّهَا حدَّ اليماني
فما جسرَتْ ملوكُ الجنِّ خوفاً ... لأجلِ الخمرِ تدخلُ في القناني

وينبغي ألا نفهم من هذا اعتراض هؤلاء الشعراء على ذلك، وإنما الذي أرجحه أنهم قالوا ذلك تدفعهم روح الدعابة، والذي يرجح ذلك قول ناصر الدين بن النقيب[٨١]، الذي صور أثر ذلك على إبليس، وكيف قرر مغادرة السلطنة المملوكية إلى غيرها[٨٢]:

منعَ الظاهرُ الحشيش معَ الخمـ ... ـرِ فولّى إبليسُ مِنْ مصرَ يسعى
قال مالي وللمقامِ بأرضٍ ... لمْ أُمَتَّعْ فيها بماءٍ ومرعى

وقول ابن المُنَيِّر[٨٣]، في ذلك أيضاً مخاطباً الظاهر بيبرس[٨٤]:

ليسَ لإبليسَ عندنا أرَبُ ... غيرُ بلادِ الأميرِ مأواهُ
حَرَمْتَهُ الخمرَ والحشيشَ معاً ... حَرَمْتَهُ ماءَهُ ومرعاهُ

ويرجح ذلك أيضاً تناول ابن دانيال لهذا الموضوع بأسلوب قصصي فيه روح الدعابة والإضحاك واضحة بجلاء[٨٥]، وختم قصته بقصيدة صور فيها إبليس قد مات، وخلا منه الربع، فاستقامت الأمور، وصلحت، وأريقت الخمر، وكسرت أوانيها، كما تحدث عن الخلعاء ومواقفهم من ذلك فقال[٨٦]:

ماتَ ياقومُ شيخُنا إبليسُ ... وخلا منه ربعُهُ المأنوسُ
هو لو لم يكن كما قلتُ ميْتاً ... لمْ يُغَيَّرْ لأمرِهِ ناموسُ
أينَ عيناهُ تنظرُ الخمرَ إذْ عُطْـ ... ـلَ منها الراووقُ والمحريسُ
ومواعينُها تُكَسَّرُ والخمَّـ ... ـار مِنْ بعدِ كسرِهَا محبوسُ
وذوو القصفِ ذاهلونَ وقد كا ... دَتْ على سيلِها تسيلُ النفوسُ

كَمْ خليعٍ يقولُ ذا اليومُ يومٌ مثل ما قيلَ قَمْطَرِيرٌ عبوسُ
وفتى قائلٍ لقدْ هانَ عندي بعدَ هذا في شُرْبِها التجريسُ

وتحدث ابن دانيال أيضاً في هذه القصيدة عن قلع الحشيش وحرقه، فقال(٨٧):

أينَ عيناهُ والحشائشُ يُحْرَقْـ ـنَ بنارٍ تُراعُ منها المجوسُ
قَلَعُوها منَ البساتينِ إذْ ذا كَ صغاراً خضراءَ وهْيَ عروسُ

كما تكلم عما آلت إليه أمور البغاء وأهله بالطريقة نفسها(٨٨)، وطلب من هؤلاء جميعاً الرحيل من هذه البلاد، لأنها بلاد عفاف، فلا مقام لهم فيها بقوله(٨٩):

ارحلوا هذهِ بلادُ عفافٍ وسعودُ الخلاعِ فيها نحوسُ

ولم يجد أحد الشعراء الذين أضرت بهم هذه الإصلاحات إلا أن يستنجد بإبليس، ويستنهضه، ويطلب منه أن يحتال ليعيد الخمر والمعاصي إلى ما كانت عليه(٩٠):

الخمرُ يا إبليسُ إنْ لم تقمْ وتُوسعُ الحيلةَ في ردِّهَا
لأنْفَقَتْ سوقُ المعاصي ولا أفلحْتَ يا إبليسُ مِنْ بعدِهَا

وإضافة إلى ما سبق ذكره من إصلاحات اجتماعية أخلاقية عُني الظاهر بيبرس بالحياة الفكرية والثقافية والدينية، فبنى المدارس في نواحي بلاد سلطنته، ومنها المدرسة الظاهرية بالقاهرة التي لم يأذن بالشروع في بنائها إلا بعد أن رتب لها وقفها الذي يضمن لها الإيرادات المالية اللازمة لاستمرارها، كما أمر ألا يستعمل فيها أحد بغير أجرة، ولا ينقص من أجرته شيء. ثم افتتحها عام ٦٦٢هـ بعدما تم بناؤها، وزودت بخزانة كتب تشتمل على

أمهات الكتب في سائر العلوم وبنى بجوارها مكتباً لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى، وأجرى لهم الجرايات والكسوة(٩١)، وكان افتتاحها باحتفال رسمي حضره العلماء والقراء والمحدّثون والمدرسون والشعراء، وقررت فيه الدروس، وأقيمت المناظرات وأنشدت القصائد، ثم مُدَّتْ الأسمطة، فأكل الحاضرون ولقد كان أبو الحسين الجزار حاضراً ذلك، فوصفه قائلاً(٩٢):

ألا هكذا يبني المدارسَ مَنْ بنى وَمَنْ يتغالى في الثوابِ وفي الثنا
لقدْ ظهرَتْ للظاهرِ الملْكِ همَّةٌ بها اليومَ في الدارينِ قدْ بلغَ المُنى
تجمَّعَ فيها كلُّ حُسْنٍ مفرَّقٍ فراقَتْ قلوباً للأنامِ وأعْيُنَا

وكذلك حضر السراج الوراق هذا الاحتفال فوصفه، وتحدث عن حب الظاهر بيبرس للعلم والعلماء، وقارن هذه المدرسة بالمدرسة النظامية الشهيرة وفضلها عليها نظاماً، كما فضل الملك الظاهر على غيره من الملوك، وذكر حسنها وجمال محرابها وكرم بيبرس، فقال(٩٣):

مليكٌ لهُ في العلمِ حبٌّ وأهلِهِ فللهِ حبٌّ ليسَ فيهِ مَلامُ
فشيَّدَها للعلمِ مدرسةً غدا عراقٌ إليها شَيِّقٌ وشآمُ
ولا تذكرنْ يوماً نظاميَّةً لها فليس يُضاهي ذا النظامَ نظامُ
ولا تذكرنْ مَلْكاً فبيبرسُ مالكٌ وكلُّ مليكٍ في يديهِ غلامُ
ولمَّا بناهَا زعزعَتْ كلَّ بيعةٍ متى لاحَ صبحٌ ما استقرَّ ظلامُ
وقدْ برزَتْ كالروضِ في الحسنِ أنبأتْ بأنَّ يديْهِ في النوالِ غَمَامُ
أَلَمْ ترَ محراباً كأنَّ أزاهراً تفتَّحَ عنهنَّ الغداةَ كمامُ

وتحدث في هذه المناسبة أيضاً جمال الدين يوسف بن الخشاب، فنوّه بفضل الظاهر بيبرس، وبتفوقه على الملوك والخلفاء، وبفضل أمرائه وجنوده، ثم تحدث عن المدرسة الظاهرية وعلمائها، ودعا له بالبقاء والخلود وعلى حاسديه بالفناء(٩٤):

قصد الملوكُ حماكَ والخلفاءُ ... فافخرْ فإنَّ محَلَّكَ الجوزاءُ
أنتَ الذي أُمراؤُهُ بينَ الورى ... مثلُ الملوكِ وجندُهُ أمراءُ
ملكٌ تزيَّنَتِ الممالكُ باسمهِ ... وتجمَّلتْ بمديحهِ الفصحاءُ
وترفَّعَتْ لعلاهُ خيرُ مدارسٍ ... حلَّتْ بها العلماءُ والفضلاءُ
يبقى كما يبقى الزمانُ ومُلْكُهُ ... باقٍ لهُ ولحاسديهِ فَنَاءُ
دامتْ لهُ الدنيا ودامَ مخلَّدا ... ما أقبلَ الإصباحُ والإمساءُ

وبعدما أنشد الشعراء قصائدهم أفيضت الخلع، وكان يوماً مشهوداً(٩٥).

وفضلاً عن ذلك شملت إصلاحات الظاهر بيبرس السلطة القضائية، فجعل عام ٦٦٣هـ في مصر قاضياً لكل مذهب من المذاهب الإسلامية الأربعة الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، وكان لا يقضي بها قبل ذلك سوى قاض شافعي فقط، وسر الناس بذلك، وعبر أحد الشعراء عن ذلك بقوله(٩٦):

لقد سرَّنا أن القضاةَ ثلاثةٌ ... وأنكَ تاجَ الدينِ(٩٧) للقومِ رابعُ
فلا عجبٌ أنْ وسَّعَ اللهُ في الهدى ... مذاهبَنَا بالعلمِ فالشرعُ واسعُ
تفرَّقتِ الآراءُ والدينُ واحدٌ ... وكلٌّ إلى رأيٍ منَ الحقِ راجعُ
فهذا اختلافٌ صارَ للناسِ رحمةً ... كما اختلفتْ في الراحتينِ الأصابعُ
فكمْ رُخَصٍ أبدَوْا لنا وعزائمٍ ... هُدِينَا بها فهْي النجومُ الطوالعُ
بهمْ بُنْيَةُ الإسلامِ صحَّتْ وكيفَ لا ... تصحُّ وهُمْ أركانُها والطبائعُ

ومثلما رافق الشعر الظاهر بيبرس في حياته الحافلة بالأعمال الجليلة،رافقه أيضاً إلى مثواه الأخير، ورثاه بعد وفاته في دمشق في ٢٨ من المحرم عام ٦٧٦هـ[٩٨]، وإن اختلف مستوى الرقة. فهذا محيي الدين بن عبد الظاهر قد وصف فداحة الخطب الذي لا يستطيع القلب أن يتحمله، ولا الصبر الجميل أن يحيط به، لأنه مصيبة تنوء بحملها الجبال، فقال[٩٩]:

مَا مِثْلَ هذا الرزءِ قلبٌ يحملُ ... كلا ولا صبرٌ جميلٌ يجملُ
اللهُ أكبرُ إنَّها لمصيبةٌ ... منها الرواسي خيفةً تتقلقلُ

ثم تحدث عن مآثره التي كانت بها تطيب الدنيا، وعن مننه التي كانت تطوق أعناق الجميع، وعن آرائه الصائبة وعزائمه القوية[١٠٠] :

لهفي على الملكِ الذي كانت به الـ ... ـدنيا تطيبُ فكلُّ قفرٍ منزلُ
الظاهرُ السلطانُ مَنْ كانَتْ لهُ ... مِنَنٌ على كلِّ الورى وَتطَوُّلُ
لهفي على آرائِهِ تلكَ التي ... مثلُ السهامِ إلى المصالحِ تُرْسَلُ
لهفي على تلكَ العزائمِ كيف قدْ ... غفلَتْ وكانت قبل ذا لا تغفلُ

وبعدذلك انتقل إلى تصوير أثر موته على الرماح التي كانت ترافقه في جهاده[١٠١]:

ما لِلرماحِ تخولَّتْها رعدةٌ ... لكنَّها إذْ ليسَ تَعْقِلُ تعقلُ

كما تحدث أيضاً عن موته، وكيف كان سهماً أصاب مقاتل القلوب جميعها، ولم ير له مثيل من قبل[١٠٢]:

سهمٌ أصابَ وما رُئي مِنْ قبلِهِ ... سهمٌ لهُ في كلِّ قلبٍ مَقْتَلُ

ودفن الظاهر بيبرس في المدرسة الظاهرية بدمشق، ولما تزل إلى الآن قائمة معروفة باسم المكتبة الظاهرية الشهيرة، وكذلك لما يزل قبره معروفاً فيها واضح المعالم(١٠٣). وكانت هذه المدرسة من قبل داراً لرجل اسمه (العقيقي)، فاشتراها ابن الظاهر بيبرس الملك السعيد، وأمر أن تغير معالمها، وتبنى مدرسة للشافعية والحنفية(١٠٤). وقد ذكر ذلك محيي الدين بن عبد الظاهر أيضاً في قوله(١٠٥):

صاحِ هذا ضريحُهُ بينَ جفنيَّ م فزوروا مِنْ كلِّ فجٍ عميقِ
كيفَ لا وهْوَ منْ عقيقِ جفوني دفنوهُ منها بدارِ العقيقي

ولا شك في أن ما قيل في رثائه، أو ما وصلنا منه أقلُّ من القليل، ولا يتناسب مع كونه خير ملوك الترك على الإطلاق(١٠٦) . إذ لم يصل إلينا من رثائه سوى ما قاله محيي الدين بن عبد الظاهر، الأمر الذي يدل على إخلاص ابن عبد الظاهر ووفائه، ولكنه في الوقت نفسه يدعونا إلى أن نتساءل: ألم يرثه أحد من الشعراء غير ابن عبد الظاهر؟ وإن كان بعضهم قد رثاه فأين شعره؟ ولعلي أستطيع أن أعلل هذا بضياع هذا الرثاء مع غيره من الشعر الذي ضاع أو إلى خوف الناس من كبار أمراء المماليك الذين كانوا يطمعون بالسلطنة من جانب آخر، وعندما يصلون إليها فلن يرحموا أتباع الظاهر بيبرس والمخلصين له، أو على الأقل سيحرمونهم من وظائفهم أو عطاياهم. وربما يعترض على هذا الزعم معترض قائلاً: إن ابنه الملك السعيد محمد قد تولى السلطنة بعده. فأقول: هذا صحيح، ولكنه عندما تولى السلطنة كان صغيراً في الثامنة عشرة من عمره، وكثير من الناس ومن الشعراء كانوا يرجحون أن أمراء أبيه لن يمكنوه من الاستمرار في السلطنة، إن لم أقل إنهم كانوا متأكدين من ذلك، لما عرف من طيشه، ولما عرف من

طمعهم بالسلطنة، ولقد تحقق ذلك، إذ أجبروه على التنازل عن السلطنة بعد مدة وجيزة لأخيه الصغير سلامش الذي سرعان ما عزله أتابك العسكر قلاوون بعد أشهر قليلة من سلطنته(١٠٧).

والحقيقة أن هذا الشعر الذي وصل إلينا في الملك الظاهر بيبرس لم يوفه حقه، بل ولا جزءاً صغيراً من هذا الحق ولقد صدق القائل فيه بعد موته(١٠٨):

تاريخُهُ في الملوكِ أضحى يحيِّرُ العربَ والأعاجمْ
فاكتبْهُ بالتبْرِ لا بِحِبْرٍ واعجبْ لأخبارِهِ العظائمْ
اختارَهُ اللهُ مِنْ إمامٍ لقمعِ أهلِ الفسادِ صارمْ
قدْ أظهرَ العدلَ في الرعايا وأبطلَ الجَوْرَ والمظالمْ

ولقد كان جديراً بشاعر كالمتنبي أو أبي تمام أو غيرهما من الفحول يستطيع أن يوفيه حقه. ولكن لكل عصر شعراءه الذين يعيشون فيه، ويتأثرون بما فيه، ويدورون في فلكه، ويسمهم بميسمه. ومهما حلقوا فإن لقدرتهم على الطيران حدوداً لا يستطيعون تجاوزها من جهة، وإن لهم جمهورَهم وقيَمَه الفنية التي تفرض عليهم مسارهم وكيفية إبداعهم من جهة أخرى. وذلك لأنهم يقولون أشعارهم لجمهور عصرهم الذي لن يستحسنه إلا إذا كان موافقاً لما يريد ويستحسن من قيم فنية ومثل أدبية.

ومع ذلك كله فإن في هذا الشعر الذي تحدث عن الظاهر بيبرس خيراً كثيراً، ولا سيما إذا نظرنا إليه من خلال القيم الفنية والمثل الأدبية، التي كانت سائدة في ذلك العصر. ولقد وفق إلى حد كبير في أن يرسم صورة مشرقة واضحة - وإن كانت غير كاملة - لجوانب عدة من جوانب شخصية بطل شامخ من أبطال أمتنا، استطاع أن يغير وجه التاريخ، وأن يرد التتار على أدبارهم

خاسرين، وأن يسهم إسهاماً حاسماً في إسدال الستار على الفصل الأخير من فصول الحروب الصليبية الوحشية، وأن يمد في عمر الخلافة العباسية العربية مايزيد على قرنين ونصف من الزمن، وأن يقوم بأعمال جليلة في جميع المجالات السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية والثقافية وغير ذلك من المجالات.

الهوامش

(١) لقب نفسه أولاً بالملك القاهر، فقيل له: إن هذا اللقب لا يفلح من يلقب به ، فعدل عنه حينئذ إلى الملك الظاهر. (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٦).

(٢) بيبرس، بكسر الباء الأولى، وسكون الياء، ثم فتح الباء الثانية، وسكون الراء والسين. ومعناه باللغة التركية أمير فهد (النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤). وضبط الاسم بفتح الباء الأولى في دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦، وفي كتاب الأعلام للزركلي من غير إشارة إلى مصدر. لذلك أرجح الضبط الأول الوارد في النجوم الزاهرة.

(٣) نسبة إلى الأمير الذي اشتراه، وهو علاء الدين أيدكين البندقدار (النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤). والبندقدار: حامل كيس البندق خلف السلطان أو الأمير (العصر المماليكي في مصر والشام ٤٢٠).

(٤) نسبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب السلطان الأيوبي الذي صادره من أيدكين البندقدار (سمط النجوم العوالي ٤/ ١٨).

(٥) النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤.

(٦) العبر في أخبار من غبر ٥/ ٣٠٨ والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٤ ودائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦.

(٧) النجوم الزاهرة ٧/ ٩٥.

(٨) بكسر القاف وسكون الباء، وضبط القلقشندي القاف بالفتح (النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤).

(٩) النجوم الزاهرة ٧/ ٩٥ - ٩٦.

(١٠) نسبة إلى بحر النيل، لأن السلطان الصالح أيوب اختار لهم جزيرة الروضة وسط النيل لتكون لهم مستقراً (العصر المماليكي ٥).

(١١) دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦.

(١٢) سمط النّجوم العوالي ٤/ ١٨.

(١٣) دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦ - ٤٨٧.

(١٤) النجوم الزاهرة ٧/ ١٠١.

(١٥) البداية والنهاية ٧/ ٢٣٤.

(١٦) دولة الظاهر بيبرس ٤٠، دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٧.

(١٧) تتمة المختصر ٢/ ٢٩٧.

(١٨) دولة الظاهر بيبرس في مصر ٤١.

(١٩) العصر المماليكي ٣٧.

(٢٠) دولة الظاهر بيبرس في مصر ٤١.

(٢١) النجوم الزاهرة ٧/ ١٠١-١٠٢.

(٢٢) العصر المماليكي ٣٩.

(٢٣) النجوم الزاهرة ٧/ ١٠٢.

(٢٤) بدائع الزهور ١/ ٣٠٨.

(٢٥) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٧.

(٢٦) العبر في خبر من غبر ٥/ ٣٠٨.

(٢٧) تاريخ المماليك البحرية ٤٨.

(٢٨) لا أجد مجالاً للحديث عنها في هذا البحث، ويكفي أن ننظر إلى ثبت المصادر والمراجع التابع لهذا البحث على سبيل المثال.

(٢٩) انظر على سبيل المثال النجوم الزاهرة ٧/ ١٩٠، ودائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٧ وما بعدها، وكتاب دولة الملك الظاهر بيبرس في مصر.

(٣٠) شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الدمشقي الحنبلي (٦٤٤- ٧٢٥هـ) ولي الإنشاء في دمشق، ثم في مصر، ثم صار كاتب السر في دمشق إلى أن توفي فيها. وكان شيخ صناعة الإنشاء في عصره وإضافة إلى ذلك كان شاعراً. (فوات الوفيات ٤/ ٨٢).

(٣١) النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩.

(٣٢) البداية والنهاية ٧/ ٢٧٩.

(٣٣) النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩-١٦٠.

(٣٤) فوات الوفيات ١/ ٢٤٠.

(٣٥) النجوم الزاهرة ٧/ ١٦٠.

(٣٦) فوات الوفيات ١/ ٢٣٩.

(٣٧) فوات الوفيات ١/ ٢٣٨.

(٣٨) قال الله تعالى في سورة الكهف ٩٧: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾.

(٣٩) ناصر الدين الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن المعروف بابن النقيب النفيسي (... - ٦٨٧ هـ) شاعر قاهري من شعراء مذهب التورية (فوات الوفيات ١/ ٣٢٤).

(٤٠) البداية والنهاية ٧/ ٢٧٩ والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٠.

(٤١) بدر الدين يوسف بن سيف الدولة بن زماخ الحمداني، مهمندار العرب، (٠٠٠ بعد ٦٨٠ هـ) شيخ متجند، له شعر جيد. (فوات الوفيات ٤/ ٣٤٩).

(٤٢) فوات الوفيات ٤/ ٣٤٩.

(٤٣) فوات الوفيات ٤/ ٣٥٠.

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) فوات الوفيات ٤/ ٣٥١.

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩.

(٥٠) استخرجته بوساطة الحاسوب.

(٥١) النجوم الزاهرة ٧/ ١٦٨.

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٧٨.

(٥٤) تأثر الشاعر هنا بمطلع قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي، وهو:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر   فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

(ديوان أبي تمام ٦٧٠).

(٥٥) وتأثر في قصيدته هذه بسيفية المتنبي التي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم

(ديوان المتنبي بشرح العكبري ٣/ ٣٧٨).

(٥٦) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٧٨.

(٥٧) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٠.

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) المصدر نفسه.

(٦٠) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٧٩.

(٦١) المصدر نفسه.

(٦٢) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧١.

(٦٣) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٠.

(٦٤) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٨٠.

(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) بدائع الزهور ١/ ٣١٤.

(٦٧) المصدر نفسه.

(٦٨) انظر دائرة المعارف ٨/ ٤٨٩.

(٦٩) بدائع الزهور ١/ ٣٣٢.

(٧٠) السلوك ١/ ٦٣٨.

(٧١) المختصر في أخبار البشر ٧/ ١٠.

(٧٢) فوات الوفيات ١/ ٤٠٦.

(٧٣) السلوك ١/ ٥٣١.

(٧٤) بدائع الزهور ١/ ٣١١.

(٧٥) انظر السلوك ١/ ٥٥٣.

(٧٦) شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي الحكيم (٦٤٧- ٧١٠هـ) كان فاضلاً أديباً ذا نظم حلو ونثر عذب ونوادر عجيبة، له كتاب طيف الخيال، وكان له دكان كحل في القاهرة. (فوات الوفيات ٣/ ٣٣٠).

(٧٧) بدائع الزهور ١/ ٣٤٣.

(٧٨) أبو الحسين الجزار، يحيى بن عبد العظيم (٦٠٣ - ٦٧٩ هـ) شاعر مصري مشهور

من شعراء مذهب التورية، وكان زميلاً للسراج الوراق، وأصله جزار، والجزارة مهنة أهله، ولكنه تأدب ونجح في ذلك. (فوات الوفيات ٤/ ٢٧٨).

(٧٩) السلوك ١/ ٥٥٤.

(٨٠) فوات الوفيات ١/ ٢٤٦.

(٨١) مرت ترجمته من قبل [برقم (٣٩)، وانظر تعليق صاحب الاعلام في هامش ترجمته ٢ : ١٩٣ ، ٨: ٤٧ / المجلة] .

(٨٢) فوات الوفيات ١/ ٢٤٥.

(٨٣) هو القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد قاضي الإسكندرية (٦٢٠ - ٦٨٣ هـ) كان عالماً فاضلاً أديباً خطيباً شاعراً. قال عنه العز بن عبد السلام: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها. ابن المنير بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص. (فوات الوفيات ١/ ١٤٩).

(٨٤) فوات الوفيات ١/ ٢٤٥.

(٨٥) انظر بدائع الزهور ١/ ٣٢٦ وما بعدها .

(٨٦) بدائع الزهور ١/ ٣٢٧.

(٨٧) المصدر نفسه.

(٨٨) بدائع الزهور ١/ ٣٢٨.

(٨٩) المصدر نفسه.

(٩٠) فوات الوفيات ١/ ٢٤٦.

(٩١) خطط المقريزي ٢/ ٣٧٩.

(٩٢) السلوك ١/ ٥٠٤.

(٩٣) خطط المقريزي ٢/ ٣٧٩.

(٩٤) المصدر نفسه.

(٩٥) خطط المقريزي ٢/ ٣٧٩.

(٩٦) بدائع الزهور ١/ ٣٢١ - ٣٢٢.

(٩٧) أي تاج الدين بن بنت الأعز قاضي الشافعية.

(٩٨) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٥.

(٩٩) بدائع الزهور ١/ ٣٣٩.

(١٠٠) المصدر نفسه.

(١٠١) المصدر نفسه.

(١٠٢) المصدر نفسه.

(١٠٣) زرته ورأيته بنفسي كما زرت المدرسة الظاهرية أو المكتبة الظاهرية كما تسمى اليوم.

(١٠٤) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٦.

(١٠٥) فوات الوفيات ١/ ٢٤١.

(١٠٦) بدائع الزهور ١/ ٣٤٢.

(١٠٧) تتمة المختصر ٢/ ٣٢٤.

(١٠٨) بدائع الزهور ١/ ٣٤٢.

المصادر والمراجع

– ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ت: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

– ابن تغري بردي: يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م.

– ابن شاكر: محمد الكتبي، فوات الوفيات ت: ، إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م.

– ابن كثير: أبو الفداء الحافظ الدمشقي، البداية والنهاية، ت: أبو ملحم وزملائه، دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

– ابن الوردي: عمر بن المظفر، تتمة المختصر في أخبار البشر، ت: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٠م.

– أبو تمام: شرح ديوان أبي تمام، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١م.

– أبو الفداء: إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، دار الكاتب اللبناني، بيروت ١٩٦٠م.

– حسن: علي إبراهيم، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧م.

– حمزة: عبد اللطيف، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، دار الفكر العربي ١٩٦٨م.

– الذهبي: محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، ت: صلاح الدين المنجد، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٦م.

– الزركلي: خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

– سرور: محمد جمال الدين، دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٠م.

– عاشور: سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م.

– العصامي: عبد الملك بن حسين المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٨٠هـ.

– المتنبي: أبو الطيب أحمد، بن الحسين، ديوان المتنبي بشرح العكبري، ضبطه وصححه السقا والأبياري وشلبي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨م.

– المقريزي: أحمد بن علي، خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، طبعة مصورة عن طبعة دار الطباعة المصرية بالقاهرة ١٢٧٠هـ مكتبة المثنى ـ بغداد.

– السلوك لمعرفة دول الملوك: صححه وضبط حواشيه محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٧م.

– اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٩٦٠م.

– دائرة المعارف الإسلامية: إعداد وتحرير خورشيد والشنتناوي ويونس، القاهرة طبعة كتاب الشعب.

نظرات في كتاب

ما اتفق لفظه واختلف معناه

لابن الشجري أبي السعادات هبة الله بن علي (ت ٥٤٢هـ)

الدكتور محمّد أحمد الدّالي

الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي العلويّ الحسني المعروف بابن الشجري(*) (ت ٥٤٢ هـ) من جِلَّة أئمة العربية في المئة السادسة. نُشر من آثاره «الأمالي»(١) و «الحماسة»(٢) و «مختارات شعراء العرب»(٣).

ورابع هذه الآثار «ما اتفق لفظه واختلف معناه»، وقد حظي بعناية الدكتور عطية رزق، وهو الجزء ٣٤ من النشرات الإسلامية التي يشرف عليها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، وطبع بدار المناهل ببيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

ولم ينته إلينا من هذا الكتاب إلا نسخة يتيمة محفوظة في مكتبة برلين برقم (٣١٤٢)، وعِدَّة أوراقها ١٤٩ ورقة، وقد سقط منها الكراسة السادسة التي فيها بقية باب الراء وباب الزاي وأول باب السين (مقدمة المحقق ز).

جمع ابن الشجري في كتابه ١٦٧٠ لفظ مما اتفق لفظه واختلف معناه، وهو أجلُّ ما انتهى إلينا في بابه(٤) وأوسعه. قال مؤلفه يبيِّن منهجه فيه (ص ١):

هذا كتاب جمعتُ فيه من الكلم العربية ما وجدته مبدَّداً في الكتب

اللغوية مما اتفق لفظاً واختلف معنى، وأضفت إليه ذكر الشواهد عليه من الكتاب العزيز والشعر القديم وكلام الرسول عليه السلام وصحابته عمَّهم الله بالرضوان، وجعلته أبواباً كل باب منها في ضمن حرف من حروف المعجمة [كذا] ليتناول الكلمة طالبها من بابها».

بذل الدكتور المحقق جهداً عظيماً في قراءته في مخطوطته اليتيمة وفي التعليق عليه. فعارض مادة الكتاب ببعض المعجمات المطبوعة، وخرَّج ما عرف مصدره من أقوال اللغويين، وخرّج الآيات والأحاديث والأشعار، وصنع له الفهارس المفصلة. على أنها خلت من فهرس ما انفرد به الكتاب من مواد لغوية وفهرس المسائل النحوية اللذين ذكر المحقق في مقدمته (م) أنه صنعهما، وهما أعظم نفعاً للمعنيين باللغة والعربية من غيرهما، وهم إليهما في حاجة شديدة.

أمران تنبهت عليهما خلال قراءتي للكتاب:

أولهما: كثرة نقل ابن الشجري من «المجمل» لابن فارس وتعويله عليه في جمع مادة كتابه، سواء أصرَّح بنقله منه أو عن صاحبه أم لم يصرح. وسيأتي ذكر ذلك خلال المقالة (انظر ما يأتي برقم ١٤، ١٦، ١٩، ٢٢، ٢٣)

وثانيهما: نقل علم الدين السخاوي في كتابه «سفر السعادة وسفير الإفادة» من كتاب ابن الشجري. فقد صرَّح السخاوي بنقله عن ابن الشجري ولم يسمِّ الكتاب، قال في (سفر السعادة) (ص ٩١٨): «قال شيخ شيخنا أبو السعادات ...» هو أبو السعادات ابن الشجري شيخ أبي اليمن الكندي شيخ السخاوي، فنقل السخاوي كلام ابن الشجري في «عنقاء مغرب» من كتابه هذا ص ٢٥٩. وكنى عنه بـ «بعض علمائنا» في سفر السعادة (ص ١٠٠٧) ونقل كلامه في قول أبي تمام:

ليـاليـنـا بـالـرَّقْـمَـتـين وأهـلَـهـا سقى العهدَ منك العهد والعهد والعهدُ

وكلام ابن الشجري في كتابه هذا ص ٢٤٧.

وعوَّل السخاوي في كثير مما ذكره مما اتفق لفظه واختلف معناه خلال تفسيره لقصيدته «ذات الحُلَل ومَهَاة الكِلَل» (سفر السعادة ٨٧٨ ـ ١٠٧٩) على كتاب ابن الشجري هذا، انظر كلامه على الألفاظ الآتية:

اللفظ	سفر السعادة وسفير الإفادة	مااتفق لفظه واختلف معناه
الكنتي	٩١٥	٢٤٤
النصر	٩٢٨	٤٢٥ ـ ٤٢٦
العرارة	٩٣٤	٢٥٠
العقدة	٩٤٨	٢٥٣
الغار	٩٥٤	٣٠٧
الديك	٩٦٧	١٥٣

ووقفت خلال قراءتي في الكتاب في غير موضع من متن الكتاب ومن حواشي المحقق وعلَّقتُ على مواضع منهما. وهذا ذكر أمثلة منها تدل على ماوراءها.

١ ـ ص ٤ س ٣ ـ ٧ «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [سورة مريم ١٩:٣٨] قال ابن دريد: **تزعجهم** إزعاجاً. قال ابن فارس: تغويهم. وقال أبو إسحق الزجاج: **تزعجهم** حتى يركبوا المعاصي. وقال أبو عبد الرحمن اليزيدي: **تغويهم وتهيجهم** ...».

قال المحقق في التعليق عليه: «لم يذكر ابن دريد هذا التفسير في كتاب الجمهرة ولا في الاشتقاق المطبوعين، وربما كان ذلك في نسخة من

نسخهما المخطوطة، أو قد يكون المؤلف قد خلط بين قول ابن فارس وقول ابن دريد، إذ إن هذا التفسير الذي ينسبه إلى ابن دريد قد ذكره ابن فارس في المقاييس ١٣/١ (أز) نقلاً عن أهل التفسير كما يقول. ومع ذلك فقد نقل عن ابن دريد بيتاً للشاعر رؤبة شاهداً على ذلك. هذا وما نسبه المؤلف إلى ابن فارس .... في المجمل، راجع المجمل ٧٩/١ (أ). ثم إني لم أجد تفسيراً لهذه الآية في كتاب إعراب القرآن للزجاج. غير أن التهذيب ٢٨٠/١٣ (أز) قد أورد هذا التفسير رواية عن الفراء. قارن اللسان ١٧١/٧ (أز) وراجع معاني القرآن للفراء ١٧٢/٢ حيث قال: تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم بها» اهـ.

وفيما قاله المحقق في التعليق على مواضع من المتن أشياء:

أولها قوله «لم يذكر ابن دريد ... وربما كان ذلك في نسخة من نسخهما المخطوطة» وهو قول غريب فيه مجازفة. وذلك أن الجمهرة والاشتقاق لم يشتملا على كل كلام ابن دريد، فإن وجدنا له كلاماً هما مظنة له ولم يشتملا عليه جاز أن نظن أن المطبوع منهما غير تام. ومثل هذا لا يقال إلا بعد دراسة مخطوطات الكتابين. فإذا علمت أن الجمهرة طبعت عن نسخ عالية من رواية تلامذته، وهم أبو علي القالي، وأبو أسامة جنادة بن محمد الأزدي، وأبو سعيد السيرافي، وابن خالويه (انظر مقدمة تحقيق المجتنى 19 - 20) = صحّ عندك أن ذلك الظن ليس بشيء ولم يقم على معرفة بالكتاب. وأما الاشتقاق فليس بمظنة لتفسير ألفاظ القرآن.

والذي يمكن أن يقال هنا: لعل كلام ابن دريد في «غريب القرآن» له، ولم ينته إلينا (مقدمة تحقيق المجتنى 30).

وثانيها قوله: «أو يكون المؤلف قد خلط ... أهل التفسير كما

يقول». فلا يُقْدَمُ على توهيم المؤلف إلا بعد الوقوف على كتب ابن دريد. والذي يقال هنا: لم أجد ماذكره المؤلف فيما بين يدي من كتب ابن دريد.

وثالثها قوله «ومع ذلك نقل عن ابن دريد بيتاً للشاعر رؤبة». يريد مع ماذكره، ولا معنى له. ونقل ابن فارس بيتي رؤبة وهما بيتان من أرجوزة وكل مشطور منها بيت، وهما في الجمهرة ٥٦/١ (ط. دار العلم للملايين)

ورابعها قوله «ثم إني لم أجد تفسيراً لهذه الآية في كتاب إعراب القرآن للزجاج غير أن ...» إلى آخر كلامه. قلت: لم يقع كلام الزجاج في مطبوعة كتابه معاني القرآن و إعرابه. وقوله بعد ذلك:« غير أن التهذيب .... قد أورد هذا التفسير عن الفراء ...» غير دقيق، فما نقله ابن الشجري عن الزجاج ليس هو مما في تهذيب اللغة معزواً إلى الفراء، فالذي في التهذيب ٢٨٠/١٣: «قال الفراء: أي تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم» وكذا في معاني القرآن للفراء ١٧٢/٢. وعبارة الزجاج: تزعجهم حتى يركبوا المعاصي.

وقول أبي عبد الرحمن اليزيدي في غريب القرآن له ١١٢.

٢ ـ ص ٧ آخر سطر «وجاء عن ابن عباس: أزلزلت **الأُرْض أم** بي أُرض. والأُرْض باطن حافر الدابة»

ضبط في الموضعين بضم الهمزة، والصواب **«الأَرْض» بالفتح، انظر** المعجمات (أرض)، وسفر السعادة ٩٦٦ وأغلب الظن **أن السخاوي نقل عن** ابن الشجري .

٣ ـ ص٨ س ١ ـ ٢ «وفي تكملة الإيضاح: الأرض: ما حول حوافر الدابة، قال:

ولم يقلِّبْ أرضَها البَيْطارُ   لا لحبليه بها حَبارُ»

وعبارة أبي علي في تكملة الإيضاح له ١٣٩ ـ ولم يحل عليه المحقق ـ: وكذلك أرض الدابة لما يلي حوافرها ، قال:

ولم يقلّب أرضَها البيطارُ»

فأنشد هذا البيت وحده. ووقع في البيت الثاني سقط، وصوابه: «ولا لِحَبْلَيْه».

٤ ـ ص ١٣ س ٣ ـ ٦«والأبا مقصور: وجع يأخذ المعزى والضأن عن شمّ أبوال الأروى، قال:

فـقـلـت لـكـنّـازٍ تَـرَكَّـلْ فـإنَّـهـا أباً لا إخالُ الضَّأْنَ منه نَوَاجِيا

كذا وقع، والبيت لابن أحمر، والمؤلف إنما نقل من المجمل ٨٥، والذي فيه: توكَّلْ فإنه.

أما قوله فإنها فصوابه «فإنه»

وأما تركّل فقد وقع «توكل» كما في المجمل، في الجمهرة ١٠٩٠ (ط. دار العلم للملايين)، والمبهج ٨٥، وديوان الفرزدق (قطعة مصورة طبعت بمجمع اللغة العربية بدمشق، ص ١١)، وأصل مقاييس اللغة ٤٦/١ (وجعله المحقق تركل)، والتقفية ٩٩، وأصلين من أصول الأفعال للسرقسطي ١٢٢/١، والاقتضاب ١٣٢، والتاج (أ ب و)، وليس بتصحيف كما زعم الأستاذ عبد السلام هارون فيما علقه على المقاييس

ووقع «تدكل» بالدال في الهمز لأبي زيد ٢٩، وتهذيب اللغة ١١٩/١٠ و ٦٠٤/١٥، والأفعال للسرقسطي ١٢٢/١ عن بعض أصوله، واللسان (أ ب و ، د ك ل). وقال الأزهري في التهذيب ١١٩/١٠ عقب إنشاده إياه شاهداً على تدكل: إذا تدلّل وانبسط: «ويروى توكل، ومعناهما واحد»، ووقع في مطبوعة اللسان (د ك ل) عن هذا الموضع من التهذيب

«ويروى تركل» بالراء؟

وغيَّره جامع شعر ابن أحمر، فجعله «توقل» غير معتمد على مصدر رواه كذاك، ولم ينبّه على تغييره!!

وروي في الفصول والغايات ١٧١ «تبيّن». وروي في العين ٤١٨/٨ «تحمَّل».

ولا معنى لـ«تركل» بالراء، قال ابن فارس في المقاييس ٤٣٠/٢: «الراء والكاف واللام أصل يدل على جنس من الضرب بالرِّجْل». وأما التوكّل فقد قال فيه ١٣٦/٦: «الواو والكاف واللام أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك .... والتوكل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك». وأما «تدكل» فقد قال فيه ٢٩١/٢، «الدال والكاف واللام أُصَيْل يدل على تعظُّم، يقال: تدكّل الرجل: إذا تعظم في نفسه».

٥ ـ ص ١٣ س ٧ «الأروى: جمع الأُروية، وهي أنثى الوعل وهو تيس الجبل» علق المحقق عليه بقوله في الحاشية(٣): لم يذكر المؤلف سوى معنى واحد لهذا اللفظ [أي الأروى] وكان المنتظر أن يأتي بمعان أخرى له حتى يتفق وعنوان الكتاب. فهل سقط شيء من الناسخ؟.

قلت: لا، لم يسقط شيء! وإنما لم يذكر المؤلف سوى معنى واحد للأُروى لأنه ليس من هذا الباب [ما اتفق لفظه واختلف معناه]، وأخطأ المحقق فجعله من هذا الباب ورقمه برقم ٢٨ من أرقام مواد الكتاب. وابن الشجري إنما فسّر لفظ «الأُروى» المذكور في الكلام الذي نقله عن المجمل من غير تصريح «عن شمّ أبوال الأُروى» انظر التعليق الذي قبل هذا.

وضبط الأُروى والأُروية بضم الهمزة، والصواب «الأَرْوَى» بالفتح، «والأُرْوِيَّة» بضم الهمزة وكسرها، انظر الصحاح (روي) وغيره.

٦ ـ ص ١٤ س ١١ ـ ص ١٥ س ٧ «قال ابن دريد: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة، قال: لما فرغ أمير المؤمنين علي عليه السلام من حرب الجمل فرَّق في رجال ممن أبلى خمس مئة درهم. وكان فيمن أخذ رجل من بني تميم. فلما خرج إلى صِفين خرج ذلك الرجل معه، فرجع إلى الكوفة وقد عضَّته الحرب، فقالت له ابنته: أين خمس المئة؟ فقال:

إِنَّ أَبــاكِ فَــرَّ يَـوْمَ صِـفِّــيْـنْ » الثمانية الأبيات

قال المحقق في التعليق على قول المؤلف «قال ابن دريد» : لم ترد هذه القصة لا في الجمهرة ولا في الاشتقاق لابن دريد». قلت: بل هي في الاشتقاق ص ١٣٦، وانظر سفر السعادة ٣٩ وتخريج الخبر ثمة. وروى ابن الشجري هذا الخبر في أماليه ٢/٢٦٥. ونسبت الأبيات إلى زيد بن عتاهية التميمي في اللسان وعنه في التاج (ح ر ر).

٧ ـ ص ١٥ س ٥ قول الراجز التميمي المذكور

وحــاتماً يســتنّ في الطـائـينْ

هذا خطأ مخلّ بالوزن وصوابه «الطائيِّنْ». وقوله «حاتماً» كذا وقع أيضاً في أماليه، وسفر السعادة ٣٩، والذي في مطبوعة الاشتقاق «وحاجباً». وأخشى أن يكونا محرَّفين، والصواب «وحابساً» كما في اللسان والتاج. وهو حابس بن سعد الطائي، كان على الرجّالة من الميسرة من اللواء في جيش معاوية، انظر شرح نهج البلاغة ٣/٣٠٢ (وفيه حابس بن سعيد)، وانظر ترجمته ومصادرها في تهذيب الكمال ٥/١٨٣ برقم ٩٩٠

٨ ـ ص ١٥ س ٧ قول الراجز التميمي المذكور:

لا خَمْسَ إلا جَنْدَلُ الإِحَرِّينْ

علق المحقق بقوله «لم يرد في معجم البلدان جندل الإحرين اسماً

لموضع ما».

قلت: أنّى له أن يظن أن جندل الإحرين اسم مكان؟! وليس هو من أسماء الأمكنة فيورده ياقوت أو غيره ممن صنف في هذا الباب.

والجندل: الحجارة، والإحرين: جمع حرة، يريد: ليس لك اليوم إلا الحجارة والخيبة، عن النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٦٥/١.

٩ ـ ص ١٥ س ٧ قول الراجز التميمي المذكور.

والخَمْسُ قَدْ أَجْشَمَتْكَ الأَمَرَّيْنْ

كذا ضبطه، وهو خطأ يخل بالوزن، والأبيات من مشطور السريع، وعروضه موقوفة مخبونة « مَعُولانْ» فنقلت إلى «فَعُولانْ ». وصوابه: «أجْشَمَنْكِ» وكذا كان في أصل أمالي ابن الشجري [٢٦٥/٢] فغيَّره المحقق المدقق الدكتور محمود الطناحي ، فجعله « جَشَّمَنْكِ » أثبته من اللسان (ح ر ر) [وفي اللسان روايتان أخريان: تُجْشِمُكِ، يُجشِمنَكِ] وقال في التعليق عليه: «في الأصل أجشمنك، ولا يستقيم به الوزن» وهذا سهوٌ غريب منه على علمه وفضله، وأجْشَمَنْكِ وجَشَّمْنَكِ سواء في الوزن والمعنى والرواية.

ووقع في كتاب الشعر (أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب لأبي علي) ١٤٠ (بتحقيق الدكتور الطناحي) «يُجَشِّمُكِ» وهو خطأ مخل بالوزن، وضبطه الدكتور حسن هنداوي على الصواب(شرح الأبيات المشكلة الإعراب المسمى إيضاح الشعر ١٥٩) «يُجْشِمُكِ». وهو صواب على رواية ضبط أصلي كتاب أبي علي «الخِمْس» بكسر الخاء، وكذا ضبط في أصلي كتابه «لاخِمْسَ إلا..»، فقال الدكتور الطناحي في التعليق عليه، «وهو صحيح، من ورد الماء خِمْساً، ويضبط بفتح الخاء، قال الخطابي [غريب

الحديث له ٢/٢٠٣ والإحالة عليه من الدكتور الطناحي]: «والخَمْس بفتح الخاء أليقُ بمعنى الحديث، يعني الخمس المئات التي أخذوها يوم الجمل» اهـ ونقل ابن الأثير في النهاية ١/٣٦٥ كلام الخطابي بتصرف.

قلت: الصواب «لاخَمْسَ... والخَمْسُ» بفتح الخاء قولاً واحداً. وكسر الخاء خطأ ممن رواه أو ضبطه، وما لجندل الإحرّين والخِمْس بالكسر؟! وإنما أخطأ من أخطأ لأنه لم يعرف الخبر أو لم يحضره، أو لأنه لم يتأمل المعنى ولم يتنبه على أن الكلام مع كسر الخاء لامعنى له.

وضبطه الأستاذ عبد السلام هارون ـ رحمه الله ـ في وقعة صفين ١٦٩ «يجشّمك» مع ضبطه «والخَمْس» بالفتح، وهو خطأ مخل بالوزن وصوابه «تُجْشِمُكِ».

١٠ ـ ص ٦٠ س ١٠ ـ ١١ «وقرأ بعض أصحاب الشواذ ﴿إنَّ الباقِرَ تَشابَهُ علينا﴾ [سورة البقرة ٢: ٧٠] بضم الهاء لأنه أراد تتشابه.

لم يعلق المحقق على القراءة. وقراءة الجمهور ﴿إنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ علينا﴾. والقراءة التي ذكرها المؤلف ـ وهي «الباقر» و «تَشَابَهُ» بالتاء وبالشين المخففة وبضم الهاء ـ لم أجدها. والذي وجدته ﴿إن الباقر يَشَّابَهُ﴾ بالياء وتشديد الشين وضم الهاء، وهي قراءة عزيت إلى محمد ذي الشامة في مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ٧، والكشاف ١/٢٨٨، وعزيت إلى يحيى بن يعمر في إعراب القرآن للنحاس ١/٢٣٦ وعزا أبو حيان في البحر ١/٢٥٣ قراءة (الباقر) إلى عكرمة ويحيى، وعزا قراءة (تَشَابَهُ) بالتاء وبالشين المخففة وبضم الهاء إلى الحسن، وروي عنه (تَشَّابَهُ) بتشديد الشين، وهي قراءة الأعرج، وعزا قراءة (يَشَّابَهُ) بالياء وتشديد الشين وضم الهاء إلى ابن مسعود، وذكر أن محمداً المعيطي المعروف بذي الشامة قرأ (تَشَّبَّهُ).

١١ - ص ٦٣ س ١١ - ١٢ «قال الزجاج: وقرأ بعضهم ﴿وطور سيناء﴾ [سورة التين ٩٥: ٢]

لم يعلق المحقق على القراءة. وقول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له ٥/٣٤٣، ولم ينص على ضبط السين. وقال أبو حيان في البحر ٨/٤٨٩ - ٤٩٠: «وقرأ الجمهور ﴿سِينِينَ﴾ ... وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن سِيناءَ، بكسر السين والمد، وعمر أيضاً وزيد بن علي بفتحها والمد ...».

١٢ — ص ٩٦ آخر سطر قول الشاعر

غَـذَتْـهُ بَيْـنَ أنـهـار ونَـخْـل   وزرع بينـهـا وأُصـول جَـفْـنِ

كذا وقع، وهو تصحيف صوابه: غَذِيَّةٌ بينِ أنهار ..» كما في سفر السعادة ١٠٢٣. والبيت للنمر بن تولب، وقد خرّجه المحقق، وانظر تخريجه في سفر السعادة. ورواية شعر النمر «سَقِيَّةٌ بينِ» وهي الرواية في سائر المصادر وانظر شعر النمر (شعراء إسلاميون ٣٩٠). وغذيةٌ وسقية فَعيلة بمعنى مفعولة. وضبط في بعض المصادر سُقية بضم السين؟ ولا أعرف وجهه. وأجاز البكري في السمط ٤١٥ الرفع والنصب في «سقية»، والناصب لها قوله «تريك» في بيت قبله، وهو:

ألم تَرَهـا تـريكَ غـداة قـامت   بملء العين من كـرم وحُسْنِ
سَـقِـيَّـةَ ....البيت

١٣ - ص ٩٧ س ١٢ «وكان أبو عبيدة يقول: جمرات العرب ثلاث: بنو ضبّة بن أُدّ، وبنو نمير بن عامر، وبنو الحارث بن كعب .....» إلى آخر كلامه.

لم يعلق المحقق على قول أبي عبيدة في جمرات العرب. وقوله في

الديباج لـه ٧٧، والنقائض له ٩٤٦، والكامل ٧٧٨، والفصوص ٢٨٥/٣، وسفر السعادة ١٠٢٤، والمصادر المذكورة في الكامل.

١٤ ـ ص ١١٨ آخر سطر ـ ١١٩ س ٥ «الحوفزان: بقلة.والحوفزان: لقب رجل وهو الحارث بن شريك بن مطر من بني ذهل بن شيبان بن ثعلبة، ولقّب بذلك لأنه حفزه بالرمح قيس بن عاصم المنقري يوم جَدُود. والحفز: الطعن هذا قول المحققين من أهل الأخبار. وزعم أبو الحسين بن فارس أن الذي طعنه بسطام بن قيس. وقد سبقه إلى هذه الغلطة ابن قتيبة في أدب الكاتب [كذا]».

وقال المحقق في التعليق عليه: قارن المجمل ٢٢٤/١ [كذا] (حفز). أما في المقاييس ٨٥/٢ (حفز) فقد ذكر الحوفزان ولم يستكمل القصة، وقال محقق الكتاب في الحاشية: كذا ولعل في الكلام نقصاً، ثم أكمله من المجمل .... **وهكذا ترى أن ابن الشجري كان يملك نسخة كاملة من كتاب المقاييس** ليس بها تلك الثغرات التي نراها في النسخة المطبوعة .... إلى آخر كلامه.

قلت: هذا كلام غريب من كل وجه. فالمؤلف لم يصرح بنقله من كتاب مقاييس اللغة، ولم يذكر المقاييس في كتابه هذا؛ فأنّى للمحقق أن يدعي أنه نقل من المقاييس وأن لديه نسخة تامة منه نقل منها ما نقل ؟! والمؤلف إنما نقل عبارة ابن فارس في المجمل ٢٤٤ (ح ف ز)، ولفظه: «وسمي الحوفزان لأن بسطام بن قيس حفزه بالرمح.... والحوفزان بقلة». «أما نص المقاييس ففيه سقط ظاهر كما قال محققه رحمه الله.

هذا، ولم يسمِّ ابن الشجري كتاب ابن فارس الذي نقل منه كلامه مصرحاً بنقله عنه في ٦٥ موضعاً (انظر فهرس الأعلام فيه ص ٥٩٤) إلا في

موضع واحد [ص ٤٧٨] في المادة ذات الرقم ١٥٩٩ منه (الهَجْر) قال في آخرها: «كل هذا في **مجمل ابن فارس**». على أن كثيراً من مواد الكتاب أو غير قليل منها نقله ابن الشجري من المجمل وإن لم يصرح بذلك. ولو تتبع المحقق ذلك، أو تولاه من يعنى به.

وقال المحقق في آخر كلامه: هذا ويلاحظ أن المؤلف يسمي كتاب ابن قتيبة أدب الكتاب، والمعروف أن اسمه أدب الكاتب».

وفيما قاله شيئان:

أولهما أن المثبت في متن الكتاب هنا أدب الكاتب، فصوابه «أدب الكتّاب» وكذا سماه المؤلف فيما يأتي من كتابه ص ٣٢٠.

وثانيهما أن قوله «والمعروف أن اسمه أدب الكاتب» قول مرسل. فالمشهور في اسم كتاب ابن قتيبة فيما وقفنا عليه من كتب التراجم وماإليها في ذكره أو ذكر شروحه «أدب الكاتب» واسمه عند ابن الشجري في هذا الكتاب ١١٩، ٣٢٠ «أدب الكتّاب» وهذا اسمه عند ابن خلدون في مقدمته ٥٥٣، وعند ابن السيد البطليوسي في شرحه المترجم بـ «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب». ولا سبيل إلى القطع بأحدهما أن ابن قتيبة اختاره اسماً لكتابه (انظر مقدمة تحقيق أدب الكاتب ص ٩ - ١٠ م)

وما قاله ابن قتيبة أنّ حافز الحوفزان بسطام بن قيس = تابعه عليه ابن فارس في المجمل ٢٤٤، وأبو بكر الزبيدي في الاستدراك على سيبويه ص ١١٣ (بتحقيق د. حنا حداد)، وتابع أبا بكر الزبيدي علم الدين السخاوي في سفر السعادة ٢٤٠. والذي عليه المحققون ما قاله ابن الشجري أن حافزه قيس بن عاصم المنقري، انظر النقائض ١/٤٧، ١٤٦، ٣٢٨، والاشتقاق ٣٥٨، والاقتضاب ١٢٣، والأغاني ١٤/٨٠، وأمالي المرتضى ١/١١٣،

والمعجمات (ح ف ز).

١٥ ـ ص ١٢٣ س ٤ـ ٥ «قال ابن دريد: وكانت سادات العرب يصبغون العمائم بالزعفران. قال: وقد يريدون بالسِّبّ الشُّقَّة من الثياب ....».

قال المحقق: لم أجد هذا في الجمهرة والاشتقاق. قلت: بل هو في الجمهرة ١ / ٣١ (ط حيدر آباد) و ١/ ٧٠ (ط. دار العلم للملايين)، وفيما نقله ابن الشجري عنه تصرف يسير

١٦ ـ ص ١٤٤ س ١ ـ ٢ «وقال ابن فارس: الخِلَل جفون السيوف، قال: والخِلل أيضاً سيور تُلْبَس ظُهُورَ سِيَتَي القوس»

أحال المحقق في تعليقه على المقاييس ٢/٥٦ (خل).

وابن الشجري إنما نقل كلام ابن فارس من المجمل ٢٧٦، وهو لفظه فيه (كما في النسخ ص ج ط منه)، وأثبته محققه عن الأصل: «... السيور تلبس ظهور القسيّ على سِيَتِها» وكان فيه سيئها بالهمز، والوجه سِيَةٌ بغير همز، وفي اللسان (س ي ي): وكان رؤبة بن العجاج يهمز سئة القوس وسائر العرب لا يهمزونها ...».

أما المقاييس فعبارة ابن فارس فيه ٢/ ١٥٦: «والخِلة، جفن السيف والجمع خِلل، فأما الخِلل وهي السيور التي تلبس ظهور السيتين ..». ولفظ ابن فارس في المجمل ـ وهو ما حكاه ابن الشجري ـ غير لفظه في المقاييس

١٧ ـ ص ١٤٥ س ٤ ـ ٦ « وقال: الخال: الفحل الأسود من الإبل. والخال: الجبل الأسود. قال: حكاهما ابن الأعرابي»

قلت: وقع في مراتب النحويين ٦٦ وعنه في سفر السعادة ٨٩٤: الحبل الأسود، ولم أجد الخال الحبل الأسود ولا الجبل الأسود في التاج ولا

غيره من المعجمات. وحكي عن ابن الأعرابي أن الخال الجبل، انظر سفر السعادة ٨٨٦.

١٨ - ص ١٤٥ س ٧ «والخال جبل تلقاء الدَّثْنِيَّة»

كذا وقع، وصوابه: الدَّثِينَة» بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وياء مثناة تحتية، انظر معجم البلدان (الخال) ٣٣٩/٢، و (الدثينة) ٤٤٠/٢.

١٩ - ص ١٥٣ س ١ «والدِّيك طرف لسان الفرس، حكاه أبو عبيدة»

قال المحقق في التعليق عليه: لم أجد هذا المعنى للفظ في معاجم اللغة....

قلت : ما ذكره ابن الشجري نقله من المجمل ٣٤١ بلفظ صاحبه من غير تصريح بنقله منه. وعن ابن الشجري أخذه السخاوي في سفر السعادة ٩٦٧ من غير تصبريح بنقله عنه.

٢٠ - ص ١٦٧ س ٣ - ٧ «وقال أبو إسحق الزجاج: الساهرة وجه الأرض. وقال أبو عبد الرحمن اليزيدي في تفسير غريب القرآن كما قال أبو عبيدة: الساهرة الفلاة ووجه الأرض.» ... وقال ابن دريد: الساهرة الأرض البيضاء ...»

قلت: قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له ٢٧٩/٥، وكلام اليزيدي في غريب القرآن وتفسيره له ١٩٧ وهو لفظ أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢٨٥/٢. وقول ابن دريد في الجمهرة ٣٣٩/٢ (ط. حيدر آباد) ٧٢٣/٢ - ٧٢٤ (ط. دار العلم للملايين) قال ابن دريد: «هكذا فسر أبو عبيدة في التنزيل». وعبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن «الفلاة ووجه الأرض» كما ذكر ابن الشجري.

٢١ - ص ٢٠٨ س ١ - ٤ «الصوفة ..... وصُوفَةُ قوم كانوا في

الجاهلية ... قال أصحاب النسب: هم قبيلة. وقال أبو عبيدة: هم من أفناء قبائل فتشبكوا كما تشبَّكُ الصوفة»

قال المحقق في التعليق على قول أبي عبيدة: نقل المؤلف هذا القول عن ابن فارس، قارن بالمقاييس ٣/٣٢٢ (صوف).

قلت: بل نقل كلامه كله في هذه المادة من الجمهرة لابن دريد ٣/٨٣ (ط. حيدر آباد) ٢/٨٩٣ (ط. دار العلم للملايين). ونقل كلام ابن دريد ابن فارس في المجمل ٥٤٥ ـ ٥٤٦، والمقاييس ٣/٣٢٢ لكنه لم ينقل قول ابن دريد «قال أصحاب النسب هم قبيلة» الذي نقله ابن الشجري عنه.

٢٢ ـ ص ٢١١ آخر سطر «والصَّرْف: تزيين الكلام بالزيادة فيه في قول أبي عبيد القاسم بن سلاّم»

نقل السخاوي في سفر السعادة ١٠٠٤ ما ذكره ابن الشجري ولم يصرح بنقله منه. وفي الصحاح (ص ر ف) والمجمل ٥٥٤ (ص ر ف): «قال أبو عبيد: صرف الحديث [في نسخ من المجمل: الكلام]: تزيينه بالزيادة فيه». ولفظ أبي عبيد في غريب الحديث له ٤/٣٥٢ « .. قوله صرف الحديث يعني أن يزيد فيه ويحسّنه»

وقال المحقق في التعليق على قول أبي عبيد: «في المقاييس ٣/٣٤٣ (صرف) وإن لم يكن في كتاب الأجناس لأبي عبيد»

قلت : الذي في مطبوعة المقاييس «تزيين الكلام والزيادة فيه» وقد ذكرنا أن المؤلف لا ينقل عن المقاييس، وإنما يأخذ من المجمل.

٢٣ ـ ص ٢٢٥ س١١ ـ ١٢ «والضرير: الصبر على الشر، يقال ... والضرير النفس. كل هذا في كتاب ابن فارس»

قوله على الشر كذا وقع وهو تحريف صوابه «على الشيء» كما في

في المجمل ٥٦٢، والمقاييس ٣/٣٦١، والصحاح (ض ر ر)

وعلق المحقق هنا بقوله: انظر المقاييس ٣/٣٦١ غير أن ابن فارس قال: إن الضرير قوة النفس ولم يقل «لا النفس» [كذا] كما قال المؤلف هنا. ثم إننا نلاحظ أن المؤلف يقول: ... في كتاب ابن فارس ... فهل يعني بذلك المقاييس دون غيره؟

قلت: بل يريد المجمل وفيه «والضرير: النفس» كما نقل المؤلف عنه. وقد ذكرنا أن ابن الشجري عوَّل على مجمل ابن فارس كثيراً (انظر ماسلف برقم ١٤). ولم يتنبه المحقق على هذا، فكان يحيل على كلام ابن فارس في المقاييس، وابن الشجري إنما نقل عن المجمل، واللفظ الذي حكاه هو لفظ ابن فارس في المجمل. من أمثلة ذلك المواد الآتية التي نقلها أو نقل بعض ما أورده فيها من المجمل

المادة ورقمها	موضعها في الكتاب	موضعها في المجمل
٤٦٣ الدَّمام	١٥٨	٣٥٤
٤٨٠ الرس	١٦٢	٣٦٦
٥٢١ السرّ	١٧٦	٢٦٠
٥٢٨ السحر	١٧٧	٤٨٨
٦٤١ الصرف	٢١١	٥٥٤
٦٤٦ الصلا	٢١٣	٥٣٨
٧٣٦ الظلم	٢٣٩	٦٠٢
٧٥٨ العلجوم	٢٤٥	٦٧٧
١٠٣٥ الفداء	٣٢٠	٧١٤

٢٤ ـ ص ٢٤١ س ٥ «العِرِفَّان: الكَرَى ...»

قال المحقق في التعليق عليه: لم أجد هذا في المعاجم اللغوية.

قلت: قوله «العرفان الكرى» كذا وقع، وأخشى أن يكون وهماً من ابن الشجري. وقد اختلف في قول الراعي [ديوانه ١٨٦، وسفر السعادة

٣٦٦ وتخريجه ثمة]:

كفاني العِرِفَّانُ الكَرَى وكفيتُه كِلاءَ الفلاة والنعاسُ معانِقُهْ

فقيل: هو الدليل الحاذق، وقيل هو اسم إنسان. ويروى: عرفان وكُلُوء، انظر السيرافي النحوي ٦٣٩.

٢٥ ـ ص ٢٤٧ س ٥ «جزاك الله والرحمُ خيراً أي وحِفْظُكَ الرحم»

كذا ضبطه، وصوابه «وحَفِظَكَ» وهو فعل ماض، وانظر سفر السعادة ١٠٠٨ وعن المؤلف نقل السخاوي وكنى عنه بـ «بعض علمائنا» ص ١٠٠٧

٢٦ ـ ص ٢٥٨ س ٥ من الأسفل قول الشاعر:

فلولا سليمان الخليفة حلَّقت به من يد الحجاج عنقاءُ مغربُ

كذا أنشده ابن الشجري «مغربُ» بالرفع، وعنه نقل السخاوي في سفر السعادة ٩١٨ مصرحاً بنقله عنه ولم يسم الكتاب الذي ينقل منه. والبيت للفرزدق في ديوانه ١/١٩، وروايته فيه:

بهم من يد الحجاج أظفارُ مُغْرِبِ

وانظر تخريج المحقق له، وسفر السعادة

٢٧ـ ص ٢٨٥ س ٤ «والعِقْد من الرمل ما تراكم»

كذا أورده المؤلف بكسر العين وسكون القاف، ومنه نقل السخاوي في سفر السعادة ١٠١٧ من غير تصريح بنقله عنه. والذي نصوا عليه أنه العَقِد ككَتِف وجَبَل، انظر التاج (ع ق د).

٢٨ ـ ص ٢٨٥ س ٥ «العَقْص: إمساك اليد عن البذل بُخْلاً»

كذا أورده المؤلف بإسكان القاف، وعنه نقل السخاوي في سفر

السعادة ١٠١٨ من غير تصريح. وقد نصوا أنه العَقَص بالتحريك، عَقِص كفرح عَقَصاً، انظر التاج (ع ق ص).

٢٩ - ص ٢٨٧ س ١ «والعاتي الليل الشديد الظلمة»

قال المحقق: لم أجد هذا اللفظ في معاجم اللغة.

قلت: ماذكره المؤلف نقله عنه السخاوي في سفر السعادة ١٠٢٠ من غير تصريح. وقد ذكره الزمخشري في أساس البلاغة (ع ت و)، قال: ومن الاستعارة: الليل العاتي: الشديد الظلمة».

٣٠ - ص ٣٠٣ س ٣ من الأسفل: «الغيابة كالغبرة والظلمة تغشى. وقال ابن فارس: الغيابة ظل شعاع الشمس بالغداة والعشي، وظل الظُّلَم»

قال المحقق في التعليق عليه: لم يرد هذا في المقاييس ولا الصاحبي. كما لم يرد في سائر المعاجم.

قلت: لم يجده لأنه قد صحَّفه، وصوابه «الغَيَاية» بالياء المثناة التحتية. وقد ورد في المجمل ٦٨٧ ومنه نقل المؤلف، وهو في الصحاح واللسان (غ ي ي) وغيرهما.

٣١ - ص ٣٠٨ س ٣ «الغار: النساء»

لم يعلق عليه المحقق، ولم يرد هذا في المعجمات. ووقع في سفر السعادة ٩٥٤ - وعن المؤلف نقل من غير تصريح - : الغار: الفساد، ولم يرد في المعجمات.

٣٢ - ص ٤٨٢ آخر سطر «الهيرذان نبت والهيرذان اللص» قال المحقق في التعليق عليه: لم يرد هذا اللفظ في المعاجم

قلت: لم يجده لأنه صحّفه، وصوابه «الهَيْرُدَان» بالدال المهملة، انظر سفر السعادة ٤٨٧، والمحكم ٤/ ١٨٢، واللسان (هـ ر د).

هذا ما رأيتُ ذِكْرَه مما وقفتُ فيه خلال قراءتي في الكتاب، وعسى أن أكون قد أصبتُ في بعض ماقلت.

وبعد، فالفضل للدكتور المحقق في الكشف عن هذا الأثر النفيس، وتحقيقه التحقيق العلمي الجيِّد، وتعليقه عليه التعليقات النافعة المبينة عن الجهد العظيم المبذول فيه، وإخراجه في أبهى حلة.

وأعوذ بالله من التكلُّف لما لا أُحسن كما أعوذ به من العُجْب بما أحسن، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الثلاثاء ٦ ربيع الأول ١٤١٩ هـ

٣٠ حزيران ١٩٩٨م

الحواشي

(*) ترجمة في نزهة الألباء ٤٠٤ ـ ٤٠٦، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٧٧٥ برقم ١٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/١٩٤، والمصادر التي ذكرها المحققون.

وانظر المقدمة الضافية التي كتبها الدكتور محمود الطناحي لتحقيقه «الأمالي» التحقيق العلمي المتقن الذي ينبغي له، أعْظِم بما بذله من جهد طيب وبتحقيقاته النفيسة.

(١) حقّق آخر طبعاتها وهي طبعتها التامة تحقيقاً أيَّ تحقيق الدكتور محمود الطناحي، وطبعت في مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٢.

(٢) آخر طبعاته حققها تحقيقاً جيداً الأستاذ عبد المعين الملوحي والأستاذة أسماء الحمصي، وطبعت في وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٠.

(٣) آخر طبعاته حققها تحقيقاً جيداً الدكتور نعمان محمد أمين طه، وصدر في مطبوعات الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض، وطبع بدار التوفيقية بالأزهر ١٩٧٩.

(٤) مما انتهى إلينا من آثار في هذا الباب:

ـ ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، للأصمعي، طبع بتحقيق ماجد الذهبي، دار الفكر بدمشق ١٩٨٦ .

ـ الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى، لأبي عبيد، حققه امتياز علي، وطبع في بمباي ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٨م

ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه، لأبي العميثل، حقق آخر طبعة له الدكتور محمد شاكر سعيد، نادي جازان الأدبي، السعودية ١٩٩١.

ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، للمبرد، حققه العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله، القاهرة ١٣٥٠ هـ، وعن هذه الطبعة طبع بعناية الدكتور محمد رضوان الداية، دار البشائر بدمشق ١٩٩٢.

(*) وذكر القزاز القيرواني في كتابه «العشرات» (تحقيق الدكتور يحيى جبر، دار عمار بعمّان ١٩٨٤) ٩٩ لفظاً مما اتفق لفظه واختلف معناه مرتبة على الحروف، وعقد ابن بنين الدقيقي في كتبه «اتفاق المباني وافتراق المعاني» (تحقيق الدكتور يحيى جبر، دار عمار بعمّان ١٩٨٥) الباب الثاني منه لما اتفق لفظه واختلف معناه ذكر فيه ٦٠ لفظاً من هذا الباب.

ومما لم ينته إلينا فيما نعلم كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، لابن اليزيدي أبي إسحق إبراهيم بن يحيى، وهو فيما ذكر نحو من ٧٠٠ ورقة (الفهرست ٥٦، وإنباه الرواة ١/١٩٠ ـ

١٩١، ووفيات الأعيان ٦/١٩٠) = وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، للأحول أبي العباس محمد بن الحسن بن دينار (الفهرست ٨٧،، وإنباه الرواة ٣/٩٢).

ونظم غير ما شاعر وعالم باللغة معاني بعض الألفاظ المتفقة في اللفظ المختلفة في المعنى، انظر مقالة لكاتب هذه السطور (قواف اتفق لفظها واختلف معناها) ـ مجلة جامعة دمشق، المجلد ٦، العدد ٢٢، ١٩٩٠)

المصادر

أدب الكاتب، لابن قتيبة، تحقيق د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٣ / ١٩٩٦.

الاشتقاق، لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي بمصر ١٩٥٨.

إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، ط ٣، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ببيروت ١٩٨٨.

الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، مؤسسة جمال للطباعة ببيروت.

الأفعال، لأبي عثمان المعافري السرقسطي، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٥.

الاقتضاب، لابن السيد البطليوسي، طبعة مصورة، دار الجيل بيروت ١٩٧٣

أمالي ابن الشجري، تحقيق د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٢.

أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٩٥٤.

البحر المحيط (تفسير البحرالمحيط)، لأبي حيان، طبعة مصورة، دار الفكر ببيروت ١٩٧٨ .

تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ.

التقفية في اللغة، للبندنيجي، تحقيق د. خليل العطية، بغداد ١٩٧٦.

تكملة الإيضاح، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، جامعة الرياض ١٩٨١

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠ - ١٩٩٢

تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق جماعة من المحققين، القاهرة ١٩٦٦.

جمهرة اللغة، لابن دريد، حيدر آباد ١٣٤٤ هـ

وتحقيق د. رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين ببيروت ١٩٨٧.

الديباج، لأبي عبيدة، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين و د. عبد الله الجربوع، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩١

ديوان الراعي النميري، تحقيق راينهرت فايبرت، منشورات المعهد الألماني ببيروت ١٩٨٠

ديوان (شعر) عمرو بن أحمر الباهلي، تحقيق د. حسين عطوان، مجمع اللغة العربية بدمشق.

دوان الفرزدق، تحقيق عبد الله الصاوي، القاهرة ١٩٣٦ .

ديوان الفرزدق، تحقيق عبد الله الصاوي، القاهرة ١٩٣٦.

ديوان (شعر) النمر بن تولب = شعراء إسلاميون

سفر السعادة وسفير الإفادة، لعلم الدين السخاوي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، دار صادر ببيروت ١٩٩٥.

سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق جماعة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨١.

السيرافي النحوي، في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، دراسة وتحقيق د. عبد المنعم فائز، دار الفكر بدمشق ١٩٨٣.

شرح الأبيات المشكلة الإعراب المسمى إيضاح الشعر، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم بدمشق ودار العلوم والثقافة ببيروت ١٩٨٧.

شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر، ط ٢، ١٩٦٥.

شعراء إسلاميون، للدكتور نوري حمودي القيسي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط ٢، بيروت ١٩٨٤.

العين، للخليل، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

غريب القرآن وتفسيره، لليزيدي، تحقيق د. عبد الرزاق حسين، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٧.

الفصوص، لصاعد بن الحسن الربعي البغدادي، تحقيق د. عبد الوهاب التازي سعود،

المغرب ١٩٩٣ - ١٩٩٦

الفصول والغايات، للمعري، تحقيق حسن زناتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧.

الكامل، للمبرد، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط ٢، ١٩٩٣.

كتاب الشعر (أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب)، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٨.

الكشاف، للزمخشري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٦٨.

لسان العرب، لابن منظور، دار صادر ببيروت

المبهج، لابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، ودار المنارة ببيروت ١٩٨٧.

مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق د. فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٢.

المجتنى، لابن دريد، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، الجفان والجابي للطباعة والنشر، قبرص ١٩٩٧.

مجمل اللغة، لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٤.

المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق جماعة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٨ - ١٩٧٣ (لم يتم).

مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، نشره برجستراسر، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤.

مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢،دار النهضة مصر ١٩٧٤.

معاني القران، للفراء، تحقيق محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية ١٩٥٥.

معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب ببيروت ١٩٨٨.

معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، دار العرب الإسلامي ببيروت

١٩٩٣.

معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر ببيروت.

مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٩.

نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٩٦٧.

النقائض، لأبي عبيدة، تحقيق بيفان، ليدن ١٩٠٥.

النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، مصر ١٩٦٣.

الهمز، لأبي زيد، نشره لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩١٠.

وقعة صفين، لنصر بن مزاحم، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ط ٣، ١٩٨١.

نظرية التناص

صك جديد لعملة قديمة

الدكتور حسين جمعة

الخطاب النقدي العربي الحديث:

لست ممن ينكر على الخطاب النقدي الحديث عند العرب ما يعيشه اليوم من حالات تبعية، فضلاً عن أنها غير منظمة ولا متعاونة، فهو لا يزال ينهل من النقد الغربي ويحتذي به حذو القُذَّةِ بالقذة، ولا يزال النقاد العرب - كما يبدو لي - يتدربون نقدياً لإيجاد ما يسمى بنظرية نقدية قائمة على أسس تختص بهم[1]، وإن لم تتحقق حتى الآن؛ إذ لا زالت غائبة[2].

وهذا أمر لا يعيبه أحد، ولا ينتقص من مقومات الشخصية القومية والثقافية...و ... فأجدادنا قد عززوا مبدأ المثاقفة مع الآخر؛ فنهلوا مما لديه وطوعوه لحساب ثقافتهم... فتحولت الحضارة العربية بفعل المبدعين منهم من مرتبة التقليد إلى مرتبة الإبداع، وصارت مادة استلهام للآخرين من بعدُ. فالعاقل من ينتفع بما لدى الثقافات الأخرى دون أن تأخذه مظاهر الدهشة ومن ثم الاستلاب.

---

(١) انظر برج بابل ص ٧٤.

(٢) انظر غياب النظرية العربية ص ١٧٦.

ولعل الخطاب النقدي العربي يواجه حالة مشابهة لما واجهه من قبلُ عند الأجداد؛ إذا أهملنا تجاهل بعض أعلامه للتراث. لذا عليه أن يعي أن الجديد لم يستطع أن يذوب في القديم، وأن القديم لم يمت إلى غير رجعة، فالتراث مادة للثراء والانطلاق؛ إن لم نغلق أصحابه عليه.

ومن هنا فإني أرفض ما انتهت إليه حالة الخطاب النقدي عند بعض مفكرينا وأدبائنا، ومثقفينا، فهم بين حالين إما الاتباع والتقليد، وإما الانغلاق والتعصب، وقلَّ من جعل التراث منبعاً تجديدياً، ومادة يلجأ إليها إذا احتاج إليها دون أن يغلق عينيه عن كل ما يفيده من أي مصدر وفد إليه.

أما حالة الاتباع فيمثلها فئة انشدّت إلى الغرب وعزفت عن تراثها الأدبي والنقدي واللغوي، والديني... وأنكرت أن يكون هذا التراث قد قدّم إسهاماً يذكر في أي وجه من وجوه النشاط البشري. فكل رأي نقدي، أو فكري، وكل منهج أدبي إنما هو للغرب؛ وليس للتراث أي فضيلة. فقد طمس من ذاكرة أصحاب هذا الاتجاه أو أنهم غيبوه، في أحسن الحالات؛ علماً أن الخطاب التراثي يظهر بأشكال شتى في أنماط الخطاب النقدي المعاصر؛ إذا لم نقل إنه جزء أصيل وهام فيه. فما من حصيف ينكر أن يكون التراث ممتداً في الحداثة، أو ما بعد الحداثة. فاختلاف الأسلوب لا يعني اختلاف الجوهر؛ فالجوهر يظهر بأشكال جديدة قريبة أو بعيدة عن الأصل. ولعل جهل هذه الفئة بتراثها وبالثقافة الغربية مجتمعة؛ لأنها ذات اتجاه أحادي في أغلب الأحيان تنتمي إلى هذا المكان أو ذلك، أو إلى هذا

المذهب الفكري أو السياسي أو ذاك جعلها تبلبل الفكر العربي عامة، والخطاب النقدي والأدبي خاصة. فنقلت إلينا نتاج الغرب - وهذا النقل يحسب لها - ولكنها ضيعت الحقيقة في الكم الهائل من الترجمة غير الموحدة، إذا أحسنا الظن بها وقلنا: إن كثيراً من ترجماتها متناقضة؛ إما لعدم فهم طبيعة الأفكار المنقولة بدقة؛ وإما لعدم إتقانها لمنهج الغرب ولغته؛ فضلاً عن جهلها بتراثها. ولا شيء أدل على هذا من اطلاعنا على ترجمتهم لمصطلح (التناصية) فهو يزيد في ترجمة من سعى إلى نقله لتعريفنا به على عشرين مصطلحاً فهو النصوصية، وتداخل النصوص، والنص الظل؛ والمزاح والمفقود والغائب؛ وهلم جرا. فهل السبب يرجع إلى تبعية ثقافتنا للغرب أو يكمن في تجربة هذه الفئة غير الدقيقة؟، ولعله في كليهما معاً.

وأما حالة الفئة الثانية فقد أخذتها الحمية والغيرة على التراث وجعلت الغربيين مجرد نقلة لما لدينا من تراث، ولا سيما الديني منه واللغوي والفلسفي؛ وكأنهم لم يضيفوا شيئاً يستحق منا العودة إليه. ولعل الباحث الرصين أكرم ضياء العمري - على إعجابي به - يمثل هذه الفئة حين أرجع المناهج الغربية للعلوم الإنسانية إلى أرضية إسلامية؛ وكذا فعل عبد الملك مرتاض في نظرية التناص حين حصر هذه النظرية بمفهوم السرقات الأدبية المعروفة في النقد العربي القديم وجعل أصولها في آراء العرب القدماء[٣]. وهنا لابد أن أسجل إعجابي الشديد بما فعله حسين مروة وعابد الجابري وأمثالهما؛ إذ انفتحوا على الثقافة الغربية ولم يغلقوا عيونهم عن التراث؛

(٣) انظر الكتابة أم حوار النصوص ص ١٦.

فدورة الحضارة الإنسانية مستمرة؛ وعملية المثاقفة قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فعملية التأثر والتأثير – وإن اتخذت أشكالاً مشوهة... عند المقلدين – تصبح لدى المبدعين صناعة جديدة نحتاج إليها، وهو ما يفعله الغرب دائماً. لذا فإن الخطاب النقدي الغربي كان ينتقل سريعاً من شكل إلى شكل غيره بفعل الحوار المستمر والفعال على الساحة الغربية. ونحس هذا الأمر بقول مارك أنجينو: «مصطلح التناص مثله مثل استخدام مصطلح بنية وبنيوية... ومثلما كنا نستطيع أن نقول منذ خمس عشرة سنة: إن كل موضوع دراسة له بالضرورة بنية؛ وبذلك كان الناس بنيويين دون أن يعلموا، فإننا نقول اليوم: إن كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نُصوص أخرى يتجذّر منذ ذلك في تناص؛ وإن الكلمة هي بالتالي ملك لكل الناس»(٤).

إنه حوار إيجابي قائم على الحرية والاحترام للآخر بين القديم والجديد وبين الجديد والجديد؛ مما جعل الغرب يتحرر من إسار التأثر الموروث والتقليد الأعمى، ويصوغ نظرياته النقدية في إطار أفكاره ومذاهبه وطبيعة أدبه؛ وتنتقل بعد ذلك لتغدو منهجاً للتفكير النقدي والفكري في الوقت نفسه للناس كافة(٥).

ولعل المتأمل في النظريات النقدية الغربية يدرك أثر التفاعل بينها وبين غيرها ولا سيما العربية؛ وهو تفاعل أخذ ينكشف في النصف الثاني

---

(٤) التناصية (مارك أنجينو) ص ٥٨.

(٥) انظر برج بابل ص ١٦.

من القرن العشرين؛ إثر رجة فكرية أيقظت الهمم... فما من أحد يشك أن أوربا عرفت ابن رشد وابن سينا وابن طفيل وابن خلدون وغيرهم من علماء العرب، وتأثرت بهم؛ وقد تسرب هذا الأثر إلى كثير من الميادين الثقافية ومنها النقد والأدب. وكان العرب من قبل – كما هو عليه الغرب اليوم – قد رجعوا جميعاً إلى الثقافة اليونانية، ولهذا نجد تشابهاً آخر في المصدر الثقافي، ولكن لكل ثقافة سمتها وخصائصها. ويعترف جيرار جينيت بهذا قائلاً: «لا ينبغي في البدء أن نعد أنماط التعددية النصية الخمسة تقسيمات قطعية لا تواصل بينها، ولا تقاطع متبادل. إن العلاقات بينها هي على العكس متعددة وحاسمة غالباً. فالجامعية النصية النوعية مثلاً تتكون على الدوام تقريباً وتاريخياً بطريقة المحاكاة (فيرجيل يحاكي هوميروس وغوزمان تحاكي لازاريللو إذن تتكون باتساعية نصّية»[٦].

وأعتقد أن نظرية التناص لا تختلف عن ذلك فهي تدين بنشأتها لجملة من النظريات الغربية أولاً وتُعد امتداداً للثقافات الأخرى كالعربية. وظهر هذا بكل وضوح عند أكبر نقادها رولان بارت (١٩١٥-١٩٨٠م)، كما ظهر في مفهومها وآلياتها وأشكالها... وفعاليتها.

وبناء على ذلك نشير بسرعة إلى أصولها الغربية، ثم نتوقف عند مفهومها، وبقية الموضوعات في إطار من التوضيح والموازنة بينها وبين مثيلاتها في العربية.

---

(٦) طروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت) ص ١٣٣ وانظر ما بعدها، ومقال مرتاض «الكتابة وحوار النصوص».

أصول غربية لنظرية التناص:

تبين لنا – في ضوء مسيرة الحركة النقدية الغربية – أن كل نظرية نقدية كانت تمهد لأختها دون أن تلغيها؛ وإن اتجهت اتجاهاً مغايراً لها في أحيان كثيرة. بل إن كثيراً من النظريات ولدت في أحضان نظرية سابقة فكانت أشبه بالبنت لها كالتشريحية والتركيبية اللتين ولدتا في قلب البنيوية، وهي آخر ما انتهت إليه الحداثة.

أما نظرية التناص – وهي نظرية من نظريات ما بعد الحداثة – فإنها ولدت في أحضان السيمولوجية (السيميائية) والبنيوية ابتداء بالشكلانية وانتهاء بالتشريحية، وإن كانت مدينة بكثير من ملامحها لغيرهما.

وقد رصد حركتها التاريخية كل من الناقد مارك أنجينو في بحثه (التناصية)[٧]، وليون سُمفل في بحثه الذي يحمل العنوان نفسه[٨]. وقد انطلقت شرارتها الأولى من الشكليين في كتابات (شلوفسكي) ومن ثم (باختين) الذي اتجه بها نحو النص.ثم تسلمتها جوليا كريستيفا واستخدمت للمرة الأولى مصطلح التناص في كتاباتها وكانت تهتم بالإنتاج وتهمل التلقي والقارئ[٩].

---

(٧) انظر التناصية (مارك أنجينو) ص ٥٣ – ٧٨.

(٨) انظر التناصية (ليون سُمفل) ص ٨٩ – ١١٦، وانظر السيمياء والتأويل ٢٣–٢٥ و٣٥–٣٨ والخطيئة والتكفير ص ٦٤.

(٩) انظر: نظرية النص (رولان بارت) ص ٤٨ والتناصية (أنجينو) ص ٥٩ و٦١ والتناصية (ليون سُمفل) ص ٩١–٩٣ وانفتاح النص الروائي ص ٩٣ والخطيئة والتكفير ٣٢١–٣٢٢.

أما بارت – الذي بدأ سيمولوجياً في كتابه عن راسين سنة ١٩٦٣م وعناصر السيمولوجيا سنة ١٩٦٤م – فقد ظهر مصطلح التناص في بحثه (لذة النصّ سنة ١٩٧٣م)[١٠]. والقراءة السيمولوجية «تقوم على إطلاق الإشارات كدوالّ حرة لا تقيدها حدود المعاني المعجمية، ويصير للنص فعالية قرائية إبداعية... ويصير القارئ المدرب هو صانع النص»[١١]. ويقول بارت: «ليس النص مقترن الوجود بالمعنى ولكن بمروره وعبوره... ولا تتعلق تعددية النص في الحقيقة بغموض مضمونه ولكن بما نستطيع تسميته بالتعددية المضخمة للدوالّ التي تنسجه»[١٢]. وأصبحت القراءة على يد (لاكان) اتجاهاً جديداً «يقوم على مبدأ أن البنية الشاملة للغة هي بنية لا شعورية»[١٣].

بهذا حرر (لاكان) الدال من قيد المدلول، فأحدث صدعاً بين

---

(١٠) انظر الخطيئة والتكفير ص ٦٤ وبعد، والتناصية (أنجينو) ٦٦، والتناصية (سمفل) ٩٠ و١٠٤. ويعد بارت من رواد البنيوية السيمولوجية؛ وكان أخرج أبحاثه الأولى في ضوئها؛ ثم تحول عنها إلى البنيوية التشريحية بعد ست سنوات في كتابه (الكتابة في درجة الصفر) سنة ١٩٧٠م فصار رائداً لها؛ ومن بعد غدا فارساً للنص حين أصبح رائداً للتناص في كتابه (لذة النص) الذي ظهر سنة ١٩٧٣م وغير ذلك من الأبحاث. انظر الخطيئة والتكفير ص ٦٤- ٧٤.

(١١) الخطيئة والتكفير ص ٤٩، وانظر في معرفة النص ص ١٢ وبعد، و١٨ وبعد.

(١٢) من العمل إلى النص (رولان بارت) ص ١٥.

(١٣) الخطيئة والتكفير ص ٥١.

الحقيقة واللغة حين تركنا وجهاً لوجه مع الإشارات العائمة، وهي إشارات اعتباطية عند بارت.

ولكن جاك ديريدا (رائد البنيوية) رفع لواء علم النقد التشريحي، ولمع اسمه حين صدر كتابه (في النحوية) سنة ١٩٦٧م. وقد دعا إلى إحلال النحوية محل السيمولوجية، وادعى أن «هذا العلم لم يوجد بعدُ»(١٤).

فالتشريحية أكدت بعد السيمولوجية قيمة النص؛ لأنه أساس النقد ومنطلق عملية التلقي. ولهذا قال (ديريدا): «لا وجود لشيء خارج النص»(١٥).

فالتشريحية «تعمل من داخل النص لتبحث عن الأثر» على حد تعبير (ليتش)؛ وهكذا فعلت التناصية. ومفهوم الأثر – بهذا الإدراك والتحليل – ينبع من قلب النص عند ديريدا وليتش، ويمثل الوحدة النظرية في (النحوية)؛ مما جعله هدفاً للقارئ الناقد؛ ولم يخرج بارت عن ذلك(١٦).

وحين نتأمل مفهوم الأثر ندرك أنه مفهوم جمالي يحصّله القارئ بوساطة عناصر البنية النصية وشفراتها. وسبق إليه ابن طباطبا ثم قُنن بما يشبه لدى التناصية في نظرية (النظم) عند عبد القاهر الجرجاني. فهي قائمة على «تضافر بلاغيات الجملة مع نحوها لتأسيس جماليتها بعيداً عن قيد

---

(١٤) المرجع السابق ص ٥٢ وقد ترجم كتاب ديريدا (في النحوية) إلى اللغة الإنكليزية سنة ١٩٨٣م وصدر عن جامعة كولومبيا.

(١٥) الخطيئة والتكفير ص ٥٦ وانظر فيه ٣٢١ وانظر نظرية النص (بارت) ص ٤٨.

(١٦) الخطيئة والتكفير ص ٥٦ وانظر فيه ٣٢١ وانظر نظرية النص (بارت) ص ٤٨.

المدلولات» كما أحسبه «سحر البيان الذي أشار إليه القـول النبـوي»(١٧)، «إن من البيان لسحرا»(١٨).

إذاً؛ أخذت التشريحية تتحول نحو اتجاه نقدي جديد يمكن تسميته بالتناصية وفق نظرة شمولية. والبنيوية – عامة – قدَّمـت إسـهامات كـبرى في صياغة جملة مـن مبـادئ نظريـة التنـاص ولاسيما مـا يتصـل بالوظيفـة الشعرية. وكان (رومان جاكبسون) أحد روادها ونقادها المشهورين؛ وهو من حصر الوظيفة الجمالية أو الشـعرية فـي إسـقاط العلامـات اللغويـة مـن محور الاختيار باعتباره استبدالياً على المحـور الـتركيبي باعتبـاره محـوراً تأليفياً تبعاً للعلاقات الدلالية في التماثل والتضاد والتنـافر... و... ثـم أخـذ مفهوم الوظيفة الجمالية يرتقي في إطار السياق الشعري لا المرجعي(١٩).

وقد أفادت نظرية التناص من ذلك كله؛ وإن حاول بعض نقادهـا أن

---

(١٧) انظر الخطيئة والتكفير ص ٥٣ و١١٧ و١٢١-١٢٢ و٣١٧، ودلائل الإعجـاز ص ٨١- ٨٩ و١٠٦ ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء (١٢٤). وأعتقـد أن ابـن طباطبا سبق الجميع إلى مفهوم الأثر في (عيار الشعر ص ٢٩) ولم يتنبـه عليـه الغذامي في (الخطيئة والتكفير).

(١٨) الجامع الصغير من حديث البشير النذير (١/ ٣٣١ حديث رقم ٢٤٥٨).

(١٩) انظر قضايـا الشـعرية (رومـان جاكبسـون) ص ٣٣ وانظر السـيمياء والتـأويل (شولز) ٤٦-٤٨ و٥٢ و٧٤ و٨٨ وما أورده الغذامـي في الخطيئـة والتكفـير ص ١٥ فقد ذكر أن حازم القرطاجني سـبق جاكبسـون إلـى التعريـف بمهمـة وظيفة الاتصال، وراجع حاشية (١٧) من هذا البحث وحاشية ١٢٩ وانظر في معرفة النص (ص١١ و٢٩٠-٢٩١).

يربطوا بين النصوص السابقة والنصّ الموجود وتفسير المتلقي له. وهذا الربط ينطلق من النص ذاته؛ فيقول (بول دي مان): «يعتمد التفسير اعتماداً مطلقاً على النص؛ كما أن النص يعتمد اعتماداً مطلقاً على التفسير»(٢٠). أما (بارت) فقد جعل الأثر الفني للنص لا يتوقف؛ لأن تحليله «ينكر وجود مدلول نهائي»(٢١).

إن هذه الإشارات كافية لتؤكد لنا مدى الفائدة التي قدمتها النظريات النقدية الغربية لنظرية التناص؛ ولتبرز أن الغرب حاول أن يجعل النظرية اللاحقة مبنية على السابقة دون أن يلغيها؛ لأنها غدت ملك الأجيال والإنسانية.

وهذا يفرض علينا أن نتبين بسرعة نشأة نظرية التناص ومفهومها.

مفهوم نظرية التناص:

برزت عدة نظريات في الغرب جعلت النص منطلقاً لها؛ أما التناصية فقد جعلته فحوى خطابها؛ وقلصت المسافة بين النص المقروء والنص المكتوب ثم بينهما وبين النصوص الأخرى؛ وإن ميزت ما بينها(٢٢).

ولمعت أسماء كثيرة في سماء نظرية التناص؛ في أمريكا وفرنسا خاصة؛

---

(٢٠) انظر الخطيئة والتكفير ص ٥٧ و٣٢٢؛ ولو تأملنا ما ورد عند عبد القاهر لتبين أنه سابق في ذلك لدي مان؛ انظر دلائل الإعجاز ص ٣٠٥ و٣٧٤-٣٧٨.

(٢١) نظرية النص (بارت) ص ٤٧ وانظر فيه ٣٢، ومن العمل إلى النص ص ١٤.

(٢٢) انظر من العمل إلى النص (بارت) ص ١٨ والسيمياء والتأويل (شولز) ٣٦.

مثل جوليا كريستيفا، وجيرار جينيت ورولان بارت، وميشيل أريفي، ولوران جيني، وجان ريكاردو، وميشيل ريفايتر؛ وغيرهم كثير. وقد سبقت جوليا كريستيفا في ذلك؛ إذ نشرت أبحاثاً لها سنة (١٩٦٦-١٩٦٧م) أرست فيها مصطلح (التناصية) وسبقت إليه، وعرفته؛ ولكنه لم يكن التعريف الأخير فقالت: «النص جهاز لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعاً الحديث التواصلي؛ نقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة»(٢٣).

وقبل أن أقف عند اختلاف أعلام نظرية التناص في الغرب حول تعريف جامع موحد له أشير إلى أنه لا يقابل مصطلحَ (التناصية) المعروف مصطلحٌ عربي مستمد من اللغة؛ وإن لمسنا في مادة (نص) ما يوحي بمعاني المصطلح ودلالته. ففي اللسان: النص أصله منتهى الشيء ومبلغ أقصاه، ونص المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض، ونصصت الحديث: رفعته.

ولهذا يمكن أن نشتق من هذه المادة ما «يتولد منها عدة دوالّ لها رموزها الواقعية التي نلحظ بينها قدراً من التقارب»؛ فتناص القوم: اجتمعوا(٢٤).

وإذا كان الغربيون قد حددوا المصطلح بالتناصية أو تداخل النُصوص،

---

(٢٣) نظرية النص ص ٣٣ وراجع فيه ص ٢٣ و٣٧ وانظر التناصية (أنجينو) ٥٩-٦٠ وانفتاح النص الروائي ص ٩٣ وقضايا الحداثة ص ١٤٧ والخطيئة والتكفير ٣٢٢ وانظر في معرفة النص ص ١١٨ وبعد.

(٢٤) لسان العرب مادة: نص.

أو التناص فقد ظهر لي أن التناصية أكثر اتساعاً وشمولاً لمبادئ النظرية ومرجعيتها في الرد على غيرها[٢٥].

وعلى الرغم من اتفاقهم على اسم المصطلح؛ وعلى الرغم من أن مجلة (تل كولtelquel) أصبحت مكاناً لكتابات أكثرهم حتى غدت عَلماً لهم لكنهم لم يتفقوا على تعريف واحد[٢٦].

فالتناصية عند (مارك أنجينو) «هي تقاطع في النص مؤدًّى مأخوذ من نصوص سابقة»[٢٧].

ويقترح (لوران جيني) تعريفاً لها: هي «عمل يقوم به نص مركزي لتحويل نصوص وتمثلها ويحتفظ بريادة المعنى»[٢٨]. ويعرفها (ميشيل ريغايتر) قائلاً: «إن التناص هو أن يلحظ القارئ علاقات بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده»[٢٩]. ويقول (بارت): «إن تبادل النصوص أشلاء نصوص دارت أو تدور في فلك نص يعتبر مركزاً وفي النهاية تتحد معه... كل نص هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة». «واللغة هي النظام العلامي الوحيد الذي يمتلك القدرة على تفسير الأنظمة

---

(٢٥) انظر التناصية انجينو ص ٦٥ و٧٢-٧٤ والتناصية (سمفل) ٩٠و٩٤ وانفتاح النص الروائي ٩٣-٩٥ وقضايا الحداثة ١٣٧.

(٢٦) انظر التناصية (سُمفل) ٩١.

(٢٧) التناصية (أنجينو) ص ٦٠، ومثله في (انفتاح النص الروائي ص ٩٢).

(٢٨) التناصية (أنجينو) ص ٦٩.

(٢٩) طروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت) ص ١٢٦.

الدلالية الأخرى، وعلى تفسير نفسه بنفسه أيضاً»[٣٠].

ويظهر لنا مما تقدم، ومما قدمته مظان نظرية التناص التي اطلعنا عليها أنها تتجه إلى النص وحده لتجعله فحوى الخطاب في بنائه الكلي والجزئي، ومن ثم تنظر إليه باعتباره شبكة لا متناهية من الشفرات، والتقاطعات الإشارية التي يدركها المتلقي. فهو غير قابل للتحجيم، لأنه يستجيب دائماً للانتشار؛ وإن كان مبنياً على الاقتباسات الكثيرة لنصوص سابقة؛ وهذه مزية له. فالتناصية «قدر كل نص مهما كان جنسه، لا تقتصر حتماً على قضية المنبع أو التأثير: فالتناص مجال عام للصيغ المجهولة التي يندر معرفة أصلها؛ استجلابات لا شعورية عفوية»[٣١].

ولهذا يصر (بارت) على الدور العظيم للمتناص (تلقي النص بفعل قراءته)؛ لأنه «يعمل داخل نظام لغوي وثقافي» ينبع من النص لا المنشئ[٣٢]. فالمتلقي يتعامل والنص مركباً فيعمد إلى تفكيكه ثم إعادة تركيبه ليصل إلى ما توحيه شفراته؛ وفي ضوء النصوص التي يقربها النص إليه، أو تقفز إلى ذاكرته.

وقد لحظ الباحث محمد مفتاح هذه الآلية المعقدة؛ فبعد أن عرف

---

(٣٠) نظرية النص (بارت) ص ٣٨ و٤٤ وانظر الخطيئة والتكفير ص ٣٢١-٣٢٢ ومتاهة التناص (حلال الخياط) ص ٥٤، والأدب العام المقارن ص ٢٧.

(٣١) نظرية النص ص ٣٨ وانظر الخطيئة والتكفير ص ٦٢ وبعد و٣٢٠ وبعد.

(٣٢) الخطيئة والتكفير ص ٥٧ وانظر (من العمل إلى النص بارت ص ٢٠) وانفتاح النص الروائي ص ٩٤-٩٦.

التناصية – وهو تعريف قاصر عما أشرنا إليه من تعريفات ونابع منها – بقوله: هي «تعالق نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة»[٣٣]. قال: إنها انتهت لدى عدد من الغربيين «إلى ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين؛ إذ يُعتَمد في تمييزها على المتلقي»[٣٤].

وهذا كله حق لا مراء فيه فنظرية التناص جعلت علاقة المتلقي بالنص علاقة وجود؛ وهو لا يتحقق إلا بالقارئ لبنائه وشفراته؛ فهو ليس تابعاً للمنشئ، فهذا ليس أباً للنص وإنما اسم طبع فوقه، ولا يزوره إلا ضيفاً؛ على حد تعبير بارت. ويقول بارت أيضاً: «النقد الذي يعد خطاباً حول النص أصبح بالياً؛ وإن حدث لأحد المؤلفين التحدث عن نص قديم فإنه لن يكون حينئذ أي منتج نص جديد».

فالنص «لن يكون امتلاكاً، وهو يتمركز في حقل التبادل اللامتناهي للشفرات، وذلك ليس بحجّة للكاتب» ولهذا كله «يصبح التفسير نفسه نصّاً»[٣٥].

نستدل من نشأة نظرية التناص ومفاهيمها الأولى – عدا ما قالته جوليا كريستيفا – أنها انتصرت للنص والمتلقي وعزفت عامدة عن المؤلف؛

---

(٣٣) تحليل الخطاب الشعري /استراتيجية التناص ص ١٢١ وانظر متاهة التناص ٥١.

(٣٤) تحليل الخطاب الشعري ص ١٣١ ومتاهة التناص ص ٥١.

(٣٥) انظر على الترتيب الوارد للنصوص في (نظرية النص ص ٤٨ و٥٠ و٤٨) وراجع فيه ص ٤٦ وفي (من العمل إلى النص ص ١٧ و١٩) وانظر انفتاح النص الروائي ص ٩٥– ٩٦ والخطيئة والتكفير ص ٥٧ و٧٥ و٣٢٢.

وهي رؤية معروفة في السيمائية؛ مما جعلها تركز وظيفة النقد في الكشف عن شفرات النص، ووظيفة الناقد في الكشف عن نظام النص وقوانينه الداخلية المتحكمة في بنائه، فضلاً عن إنكارها للتدرج في الإنتاج. وهذا ما يوضحه بارت: «فالكلام كله سابقه وحاضره يصب في النص، ولكن ليس وفق طريق متدرجة معلومة؛ ولا بمحاكاة إرادية؛ وإنما وفق طريق متشعبة، صورة تمنح النص وضع الإنتاجية وليس إعادة الإنتاج»(٣٦).

هكذا انتصرت التناصية للنص والقارئ على حساب المؤلف الذي أعلنت موته على يد بارت(٣٧). وتجاهلت أن التناص عند المنشئ كان إنتاجاً قائماً على تفاعل لغوي ثقافي بين نصين سابق ولاحق؛ أي أن هناك نصوصاً كثيرة سابقة كونته. وهو ما أقرَّ به بارت نفسه كما يستشف من قوله: «يستطيع الأثر الفني تقليدياً، وبخطوطه العريضة أن ينطلق من علمين: تاريخي وفقهي لغوي»(٣٨). أما ميشيل ريغاتير فإنه يبالغ في مقولته حتى يجعل كل نص انبثق من النصوص السابقة إنما هو «الصورة الوحيدة لأصل الشعر». وقاربه لوران جيني فكل شيء «خارج التناص يصبح ببساطة غير قابل للإدراك»(٣٩).

---

(٣٦) نظرية النص ص ٣٩ وانظر فيه ٤٤ و٤٥ وراجع حاشية ١٩ و١٢٩ من هذا البحث، والسيمياء والتأويل ٧٩ و٨٩.

(٣٧) انظر كتاب موت المؤلف (رولان بارت).

(٣٨) نظرية النص (بارت ص ٤٥) وانظر قضايا الحداثة ص ١٤٠ - ١٤٣.

(٣٩) السيمياء والتأويل (روبرت شولز) ص ٨٩ وانفتاح النص الروائي ص٩٤ على توالي القول.

إن المنشئ في المنظور التاريخي اكتسب خبرات وثقافات تأصلت في نصه سواء أستمد ذلك بوعي أم بغير وعي؛ مما يعزز لدينا فكرة أن المنشئ أياً كان ترتيبه الزماني إنما هو حلقة في سلسلة حلقات سابقة ولاحقة و لم يمت البتة. فهو لم ينطلق من فراغ، فهو متشبع بنصوص كثيرة سابقة له، بمعنى أنه ليس حراً في إبداعه الإنتاجي؛ ولكنه في الوقت نفسه ليس منعزلاً عنه. وهذا ما يعترف به رولان بارت إذ يقول: «كل نص هو تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة، وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى. إذ نتعرّف نُصوص الثقافة السابقة والحالية: فكل نص ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة»(٤٠). وكانت جوليا كريستيفا قد قالت: «إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى»(٤١)؛ ولكن المتناص لا يتجه إليها إلا في ضوء إيحاءات النص المقروء.

فالنص شبكة لا متناهية من العلاقات المرتبطة بنصوص أخرى، وذات نظام لغوي مبني على شفرات متعددة – على حد قول التناصيين –.

ونرى أن هذا النص قد اعتلج في صدر المؤلف المنشئ قبل أن يعتلج في صدر المتلقي؛ وفيه تقاطعات لغوية ثابتة – كما نرى – تنبئ بوضعها التاريخي الزماني والمكاني والثقافي. مما يجعل المنشئ ومن ثم القارئ الأخير – وإن كان محظوظاً – صلة الوصل بين السابق واللاحق الذي سيأتي

---

(٤٠) نظرية النص ص ٣٨ وانظر فيه ص ٢٦.

(٤١) الخطيئة والتكفير ص ١٣ و٣٢٢ وانظر فيه ٣٢٣– ٣٢٤.

بعده... فلو أمتنا الأول لأمتنا الثاني، ولما كان للفعل الثقافي أثر في اللاحق؛ وكلنا يعرف أن الثقافة إنما هي عملية تراكمية.

ويتضح لنا مما تقدم أن هناك منتجاً ونصّاً وثقافة؛ وأي تشكيل جديد لنص جديد يعيش وسط هذه الأركان الثلاثة؛ وكل ركن يرتبط بالآخر بوساطة النص مرة، وبوساطة عملية المثاقفة المستمرة مرة أخرى؛ فأي منشئ ليس معلقاً في الهواء حتى لو أطلقنا له الحرية للعبث بالنص.

وإني موقن أن التجربة الإبداعية الشعرية والنقدية للعرب قد انتهت إلى ذلك سواء ما يرتبط منها بتعلق نص مع نصوص أخرى، أم ما يرتبط بالبناء اللغوي للتجربة النصية عند المتلقي.

أما تداخل النصوص فقد انتهى العرب شعراء ونقاداً إليه بشكل فطري واعٍ. فامرؤ القيس – مثلاً – لم يتركه الإرث النصّي حراً؛ إذ تدافعت عليه الأشعار (القوافي) فطفق يتخير من نصوصها المرجان والدر ويبعد الزهيد المرذول ليجعل لنفسه موضعاً بين الشعراء، ولتكون تجربته النصية متميزة من غيرها. فهو يمارس مرحلة ما قبل النص، ومن ثم الشروع النصي الإبداعي (مرحلة النص)، ليصل إلى النص المتخيل، الذي ينتجه فيقول[٤٢]:

---

(٤٢) ديوان امرئ القيس (ص ٢٤٨. أذود: أدفع. القوافي: القصائد. عنينه: أتعبنه). وانظر ما ذكره ابن رشيق عن هذه الأبيات وعن مسألة صناعة الشعر في كتابه (العمدة ١/ ٢٠٠) ففيه إشارات تدل على سبقه لإدراك مفهوم عملية التلقي. وراجع ما أورده بدران في (النص والنص المضاد والنص الظل ٤٤).

أَذُودُ القوافيَ عنّي ذِياداً ذِيادَ غُلامٍ جَرِيٍّ جِوادا
فأعزل مَرْجانها جانباً وآخذ من درها المُسْتجادا
فلما كثرن وعنَّيْنَه تخير منهُنَّ سرّاً جيادا

فنظرية التناص قائمة في أعلى مفهوم لها على أن النص الإبداعي إنما هو النهر الأخير لكل الفروع التي تنتهي إليه. وهذا عينه ما فعله امرؤ القيس وما قننه محمد بن سلام الجمحي (المتوفى ٢٣١هـ) قبل نحو ألف سنة من أرباب التناصية؛ حين قال عن شاعرنا ومن سبقه من الشعراء: «ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء»(٤٣).

ولو توقف أحدنا عند كلمته (ما قال... ابتدعها... اتبعته فيها...) لتيقن أن هذا الكلام حمّال لمفهوم التناص الذي يقول به التناصيون وإن لم يستعمل مصطلحهم. وهو نفسه ما نلمحه في قول كعب بن زهير؛ إن لم يكن أشد وضوحاً(٤٤):

ما أرانا نقول إلا رَجيعاً ومُعاداً من قولنا مكروراً

ومن صميم ما أشرنا إليه نلمس مقالة (بارت): «انبثاق اليوم من

(٤٣) طبقات فحول الشعراء ١/٥٥ وفيه كلام دقيق من صميم التناص، وانظر حاشية (١٢٣) من البحث.

(٤٤) شرح ديوان كعب بن زهير ص ١٥٤ وبيته هذا ينسب خطأً إلى أبيه زهير؛ مع شيء من التحريف، وهو ليس في ديوان زهير: انظر الخطيئة والتكفير ١٤٣ و٣١٨.

الأمس»، وما قاله من قبل عن تواري نصوص سابقة في نص جديد[٤٥] فإذا تذكرنا أن (بارت) كان مدرساً للأدب الفرنسي والكلاسيكي في جامعة الإسكندرية بمصر (سنة ١٩٤٩م) قبل أن يستقر بباريس في الكلية الفرنسية حتى وفاته سنة ١٩٨٠م[٤٦]، أدركنا أن كثيراً من مقولاته مستوحىً من النقد العربي وتراثه اللغوي والأدبي...

وبعدُ؛ فإن منتج النص يشعر بوعي كامل بأنه محاط بمنظومة كبرى من النصوص والخبرات والثقافات، يتكيف معها تبعاً لطبيعته. وإذا كان هذا النمط من التناص أكثر شيوعاً لما يتصف به من وعي كامل بالنُصوص السابقة؛ فهذا لا يعني أن نهمل تلك الإشارات الهائلة التي تتشكل في منطقة اللاوعي عند المنتج.

وهنا يصبح لزاماً علينا أن نشير إلى ما انتهى إليه عبد الملك مرتاض حين فرق بين التناص الذي يقابل عند العرب مفهوم (السرقة)[٤٧]، وما دخل فيه من مصطلحات، وبين التناصية، فهذا المصطلح (عنده) يعني النظرية. فهي «تبادل التأثير بدون قصد غالباً، وبقصد غير قائم على السرقة الأدبية الموصوفة أحياناً». ثم قال في الصفحة التالية: هي «تحاور طائفة من

---

(٤٥) نظرية النص (بارت/ ٣٨) وانظر الخطيئة والتكفير ص ١٤.

(٤٦) انظر الخطيئة والتكفير ص٦٤ وفي معرفة النص ص ٢٨٦.

(٤٧) انظر الكتابة أم حوار النصوص ص ١٧ وراجع باب (السرقات) في كتاب (العمدة ٢/ ٢٨٠) على سبيل المثال.

النصوص وتضافرها لإنشاء نص جديد على أنقاضها»[٤٨].

ولو تدبرنا ما انتهت إليه تعريفات التناصية التي أشرنا إليها عند جوليا كريستيفا وبارت وجماعة (تل كول) لوجدنا أن التناص لا يقابل السرقة بالضرورة لأنه جزء من التناصية مما يعني أنه يمثل أحدَ مبادئها. وهذا ما سيتضح لدينا مرة أخرى حين نتحدث عن أشكال التناص. فنظرية التناص لم تبق على هيئة واحدة كما ولدت للمرة الأولى عند السيميائيين بهذا المصطلح. ولكن عبد الملك مرتاض أصاب إلى حد كبير حين انتهى إلى ما يعرف بالتناص المعكوس[٤٩]. فنظرية التناص تدين بولادتها للثقافات التابعة السابقة، سواء بسواء مع النظريات النقدية الغربية التي أشرنا إليها، مثلما تدين لها بكثير من مفهوماتها وأشكال آلياتها.

وأمّا ما انتهت إليه التجربة النصية في الشعر الجاهلي وفي ضوء مفاهيم نظرية التناص فإنه يجعلنا ندرك أبعاد المماثلة في تمثل النصوص السابقة وفي ممارسة التغيير البنائي اللغوي. فالشاعر الجاهلي ورث – مثلاً – إرثاً نصّياً عظيماً في ظاهرة الأطلال المثبتة في مطالع قصائد الجاهليين... مما جعله يمارس عملية الانزياح والمماثلة والمغايرة ليصل إلى نصّ جديد يرضيه، مارسها بشكل عمودي وأفقي؛ فجاء بما يحتاج إليه وحذف مالا يرضيه دون أن يميت أي نص سابق له، أو أن يطمس ملامحه.

وهو في ذلك يمارس المرجعية الضمنية لإبراز النص الغائب أو المفقود

(٤٨) انظر على التوالي في (الكتابة أم حوار النصوص ص ١٤ و١٥).

(٤٩) انظر المرجع السابق ص ١٩ والخطيئة والتكفير ص ٣٢٠.

كما تقول نظرية التناص. بل إني أزعم أن الشاعر الجاهلي حقق لنا هذه المرجعية في عدد غير قليل من النصوص الأخرى. فلو أخذنا ظاهرة تشبيه المرأة بالظبية لديه، لأيقنا شدة المعاناة التي لقيها لعظمة الإرث النصّي فيها حتى ضاقت معانيه. لهذا حاول أن يصوغ تجربته صياغة جديدة تغاير ما استقر بنفسه بوعي أو بغير وعي. وأشير هنا إلى مثال واحد لشاعرين وقفا عند تلك الظاهرة وهما عِلْباء بن أرقم والحادرة الذبياني؛ وكلاهما ركز على صفة طول العنق في المرأة ولكن تجربتهما مختلفة؛ لأن نص أحدهما مغيب عن الآخر، ولو استقر المعنى في نفسه؛ فقال علباء(٥٠):

فيوماً توافينا بوجهٍ مُقَسَّمٍ كأنْ ظبيةً تَعْطُو إلى نَاضرِ السَّلَمْ

بينما قال الحادرة الذبياني(٥١):

وتصدَّفَتْ حتى استبتكَ بواضحٍ صَلْتٍ كمُنْتَصَبِ الغزال الأَتْلعِ

وهاك مثالاً آخر في صفة النار التي عرفت بنار الكرم عند العرب. فقد سعى الحطيئة إلى تجربة نصّية جديدة مغايرة لما جاء به الأعشى من قبلُ، حيث يقول(٥٢):

---

(٥٠) الأصمعيات ص ١٥٧. مقسم: أي حسن جميل. تعطو: تتناول. السلم: نوع من شجر البادية يعظم وله شوك.

(٥١) ديوان شعر الحادرة ص ٤٥. تصدفت: أعرضت. استبتك: غلبتك على عقلك. صلت: أي أملس أجرد. الأتلع: الطويل العنق من كل شيء.

(٥٢) ديوان الأعشى الكبير ص ٢٥١. والمحلق: اسم الرجل الذي مدحه الأعشى.

تُشَــبُّ لمَقْروريــن يَصْطليانِهــا وباتَ على النّارِ النّدى والمُحَلّـقُ

ثم جاء الحطيئة فمارس مرجعية ضمنية لنص مفقـود؛ وربمـا يكـون غائباً فقال(٥٣):

متى تأتِـهِ تعشـو إلى ضـوءِ نـارِه تجدْ خيْرَ نارٍ عندهـا خـيرُ مُوْقِـدِ

فسقط بيت الأعشى وظل بيت الحطيئة يتردد على الألسن، بيـد أنـه لم يلغِ سابقه أو يطمسه، وإن تضمن أكثر معنـاه، دون أن نتجـاهل مفهـوم النص الغائب القائم على الإيحاء، وهو ما لم يقله النص الأخير صراحة.

إن مفهوم التناص الواعي – غالباً – عند الجاهلي أصبح منصباً علـى القالب واللغة؛ أكثر من الدلالة والمضمون لضيق دائرة المعاني لديه. وهـذا صميم مفهوم نظرية التناص حين تتجه إلـى البنـاء اللغـوي للنـص. ومسـألة البناء اللغوي صارت إحدى معضلات النقد الغربـي، وقـد تخلصـت نظريـة التناص منها حين أرجعتها إلى ثقافة المتلقي.

وربما نقع على مثل هذا كله فـي جهـود النقـاد والبلاغييـن العـرب؛ فهؤلاء أطالوا الحوار مـع النصـوص لفهـم علاقاتهـا البنائيـة عامـة واللغويـة خاصة، لإدراك إشاراتها الدلالية وتحولاتها الأسلوبية في إطار سياقي عـام. ونظروا إلى كل نص على أنه بناء لغوي تتعدد أجـزاؤه وتتشـعب علاماتـه. ويعد عبد القاهر الجرجاني من أبرز العرب في هذا المجال، إذ عني بالبنـاء الكلي للغة واستغل طاقاتها الكبرى لإثبات نظريته الموسومة (بـالنظم) فـي

(٥٣) ديوان الحطيئة ص ٨١.

كتابيه (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة). وقد رصد الدكتور محمد عبد المطلب قضايا الحداثة لديه في كتابه (قضايا الحداثة) وخص التناص بالفصل الرابع (ص ١٣٦ - ١٩٣)، لهذا أكتفي بإبراز بعض النقاط اللافتة للنظر لدى الجرجاني. فهو يقول مثلاً: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها؛ وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلَّ بشيء منها - وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه... فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له»(٥٤).

وهنا نسوق كلمة بارت: «ليس لدى فاعل الكتابة أو القراءة ما يقدمه للعناصر: الآثار الفنية، الملفوظات؛ ما يمكن أن يقدمه محصور في ميادين النصوص والتلفظات؛ لأن فاعل الكتابة أو القراءة مقيد بترتيبية كلامية»(٥٥).

وهذا كله عرف عند عبد القاهر خاصة وأصحاب علم الكلام عامة. فعلم مراتب الكلام وترتيبه مما اشتهر لديهم(٥٦). ويبدو لي أن أثر الثقافة اليونانية واضح في الطرفين معاً، ولكن النقاد العرب كانوا الحلقة الواصلة بين القديم والجديد. وقد ظهر هذا بوضوح بينهم وبين تشومسكي الذي

(٥٤) دلائل الإعجاز ص ٨١- ٨٢.

(٥٥) نظرية النص ص ٤٦.

(٥٦) انظر قضايا الحداثة ١٦٣ وبعد.

بدأ ناقداً لغوياً سنة ١٩٣٠م وفيه صورة من عبد القاهر وغيره[٥٧].

ونحن لا ننكر أن نظرية عبد القاهر كانت نحوية في جملتها؛ «إذ هي علاقات نظمية خالصة» ولكنه في سياق ذلك كان يأتي على أمور حداثية كثيرة[٥٨].

وأرى أنه تحدث في النص المقروء وميزه من المكتوب، فسبق بارت، كما شدد على فعالية المتلقي وقدرته في فهم النص، لأنه بناء لغوي له نظام ترتيبي وتأليفي خاص، ودون أن يلغي مكانة المنتج ودوره في إبداع نصه... فالمتلقي لديه يستطيع تأويل النص وتفسيره، كما يمكن أن تتعدد مرات التلقي والتأويل، ويتغير المتلقي. فقال: «واعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك؛ من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة من غير أن تغير من لفظه شيئاً، أو أن تحول كلمة عن مكانها إلى مكان آخر. وهو الذي وسّع مجال التأويل والتفسير حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد تأويلين، أو أكثر، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير»[٥٩].

---

(٥٧) انظر قضايا الحداثة ص ٥٨ و٦٢ وبعد.

(٥٨) انظر قضايا الحداثة ص ٧ و١٥ و٤٣ و٥٩.

(٥٩) دلائل الإعجاز ص ٣٧٤-٣٧٥ وانظر فيه ٣٤ و٣٦ و٣٨ و٤٣ و٤٩-٥٦ و٨١ و٣٠٧ و٣٥٩ و٣٦٢ و٣٧٠، وهناك كثير من الصفحات التي يعثر فيها الباحث على دلالات تناصية... وراجع في ضوئها حاشية (٤ و١٤ و٥٥) من البحث وانظر الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني ص ١٣٣. ووازن أيضاً بين ما جاء في نظرية التناص من مفاهيم وأشكال وبين ما ورد في طبقات فحول الشعراء (١/٥ و٨ و٤٦ و٤٩ - ٥٠) وراجع حاشية (٦٨) من البحث.

وبهذا كله سبق ميشيل ريفاتير في كتبه الأخيرة عن الأسلوبية، وقد تبنى هذا فيها «مفهوم التناص كطبقة من التأول المرتبط بأفكاره عن الوجوه البلاغية»[٦٠].

ولو أمعنا النظر في كلام الجرجاني وما ورد عند أصحاب التناص ومنهم بارت لعثرنا على تقاطعات تنظيرية عديدة متشابهة إن لم تكن متطابقة، وإن افترقت الغاية بينه وبينهم أحياناً. فإذا كان أرباب التناص قد أباحوا الحرية للمتلقي، وجعلوا اللغة إشارات عائمة في نظام بنائي... فهو يفعل فيه ما يشاء تفكيكاً وتركيباً ليعيد إنتاجه من جديد وليصبح إنتاجاً جديداً؛ لا إعادة إنتاج فإن عبد القاهر احترز لنفسه من ذلك. وقد رأى أن إباحة الحرية للقارئ أو المتلقي قد تؤدي إلى المَزَلَّة، وهذه تنتهي إلى الهلكة؛ ولا سيما إذا وقع النص بيد متلق جاهل. لأنه في مثل هذه الحال لن يعرف إلا «ما يريه الظاهر ثم لا يكون له سبيل إلى معرفة ذلك التقدير إذا كان جاهلاً [بعلم النظم] فيتسكع عند ذلك في العمى، ويقع في الضلال»[٦١].

---

(٦٠) التناصية أنجينو ص ٧٧ وانظر قضايا الحداثة ص ٢٣ وبعد و١٥٩وبعد.

(٦١) دلائل الإعجاز ص ٣٧٤-٣٧٥ وانظر فيه ٣٤ و٣٦ و٣٨ و٤٣ و٤٩-٥٦ و٨١ و٣٠٧ و٣٥٩ و٣٦٢ و٣٧٠، وهناك كثير من الصفحات التي يعثر فيها الباحث على دلالات تناصية... وراجع في ضوئها حاشية (٤ و١٤ و٥٥) من البحث وانظر الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني ص ١٣٣. ووازن أيضاً بين ما جاء في نظرية التناص من مفاهيم وأشكال وبين ما ورد في طبقات فحول الشعراء (١/٥ و٨ و٤٦ و٤٩ -٥٠) وراجع حاشية (٦٨) من البحث.

ولم يكتف الجرجاني بممارسة التنظير؛ بل أجرى تطبيقاً لغوياً على نصوص قرآنية فبين أثر المتلقي في قراءة النص على وجه غير صحيح، ولم ينس التطبيقات النصية المنقولة إليه من الشعر. وبهذا كله كان سابقاً في ميدان تلقي النص، وإن لم ينص على مصطلح التناص صراحة؛ لأن النية عنده متجهة إلى بناء نظرية كاملة لنظم الكلام على ترتيب سياقي بلاغي. ولعل ما يؤخذ على الجرجاني أنه ظل كسابقيه من العرب يعتمد التطبيق الجزئي، سواء في اختياره للنصوص الشعرية أو القرآنية... ولكنهم جميعاً دونه بما فيهم أصحاب أهل الكلام والناقد الفذ القديم ابن سلام.

وقد يقول قائل: إن نظرية التناص تقوم على تفكيك النص كاملاً وتحلل لغته وإشاراته كلها ثم تسعى إلى إنتاجه بتركيب جديد يبنى على رؤية المتلقي؛ فهي لا تكتفي بالوحدات النصية الجزئية. وهنا يتقدم بين يدينا ابن طباطبا (المتوفى ٣٢٢هـ) الذي سعى إلى إثبات نصوص كاملة؛ وإن لم ينس الأبيات المفردة لبيان (عيار الشعر) لديه وهو عيار مرتبط بالمتلقي؛ فيقول: «وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو وافٍ، وما مجه ونفاه فهو ناقص»، ومن ثم قنن معاييره؛ دون أن ينسى ما للحكايات الشعرية من استفزاز لتلقي السامع لها[٦٢]. واشترط في ذلك كله ألا يزيل المتلقي كلام الشاعر عن جهته؛ «لأن الكلام يملكه حينئذٍ فيحتاج إلى اتباعه والانقياد له»[٦٣].

---

(٦٢) عيار الشعر ص ٢٧ وراجع فيه ٢٧- ٣٠ و٥٩ وبعد.

(٦٣) عيار الشعر ص ٥٨.

وحين كان غرض ابن طباطبا تعليمياً استحسن أن يحـذو السـامع، أو المتلقي حذو المشهور من النصوص القديمة وتميز شعرائها فقال: «وأكثر ما يستحسن الشعر تقليداً على حسب شهرة الشاعر وتقدم زمانه»(٦٤).

أما أبو سليمان الخطابي (المتوفى ٣٨٨هـ) فقـد استفاد مـن سـابقيه، وحاول تطبيق العلامات اللغوية على مقطعي الليل عند امرئ القيس والنابغة الذبياني؛ واحتج لكل منهما بناء على الدلالية اللغوية وإشاراتها(٦٥).

ثم جاء الباقلاني فاتخذ «من تقسيم أنواع الأداء طريقاً لإثبـات تفـرد القرآن وانفصاله عنها، سواء في ذلك ضـروب الصناعـة وطرقهـا في الكـلام المعدل المسجوع أو الموزون غير المسجع أو الذي يرسل إرسالاً»(٦٦). وأطال الحـوار بـين نـص معلقـة امـرئ القيـس والنـص القرآنـي مُفكّكاً ومركبـاً، ومعارضاً، ومقابلاً بنصوص أخرى؛ فبيّن وجوه التماثل والاختلاف – وهـو ما تصر عليه نظرية التناص – فنقل ظـاهرة التلقـي لنـص كـامل إلى مرحلـة التطبيق؛ مبرزاً أهمية ثقافة المتلقي ومعرفته اللغويـة والنقديـة في إغنـاء النـص وتمييز جيده من رديئه(٦٧).

وفي ضوء ما تقدم كله يصبح النص الشعري مغـايراً لجنـس أي نـص آخر؛ ولهذا قال حازم القرطاجني مشـدداً على مهمـة المتلقـي: «وليـس مـا

(٦٤) عيار الشعر ص ٩٠.

(٦٥) انظر بيان إعجاز القرآن ص ٦٢- ٦٣.

(٦٦) قضايا الحداثة ص ٣٨.

(٦٧) انظر إعجاز القرآن على هامش الإتقان ٢/ ١٢-٥٠.

يكون نصّاً على الشيء في تمكين إلقائه من النفس طبقاً له مثل ما لا يفهم الشيء منه إلا بطريق ضمن أو لزوم».

ومن هنا يشدد على تميز النص الشعري لتميز علاماته اللغوية فيقول: «وأيضاً فإن الأقاويل الشعرية يحسن موقعها من النفوس من حيث تختار مواد اللفظ وتنتقي أفضلها وتركب التركيب المتلائم المتشاكل وتستقصى بأجزاء العبارات التي هي الألفاظ الدالة على أجزاء المعاني المحتاج إليها»[٦٨]. ويقول في موضع آخر عن تلقي المنشئ نفسه لإنتاج نصوصه: «قد يعرضها الناظم على نفسه فيظهر له بعرضها أمور كانت قد خفيت عنه من إلحاقات وإبدالات وتغييرات وحذف.

وقد يعرض للشاعر موضع يرى أنه خليق بالتغيير أو الزيادة فيتعذّر عليه ما يليق بالموضع من التغيير أو الزيادة فيرجئ النظر فيه إلى وقت آخر»[٦٩].

إذن؛ تركت نظرية التناص البناء اللغوي وإشاراته للمتلقي؛ وهذا ما سبق به العرب تلك النظرية؛ ومارسوا التنظير والتطبيق معاً، ولكنهم لم يقعوا على مصطلح (التناصية) وإن استخدموا كلمة (النص). فهل العبرة في المصطلح الذي وفد إلينا من الغرب وتعلق به بعض منا وجعلوه فتحاً مبيناً أم التعلق بمفهوم المصطلح ودلالته وآلياته وهي مما عرفه العرب؟!!.

---

(٦٨) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١١٩.

(٦٩) المصدر السابق ص ٢١٥ وانظر فيه ٢١٦ وما بعدها.

ومن هنا ينبغي أن نتعرف إلى هذه الآليات في اتجاهها وأشكالها وفعاليتها.

آليات التناص والامتداد الثقافي:

– اتجاهاتها (كيفية التعامل مع النص):

لم يستطع النقد في يوم ما أن يقضي على مذهب أدبي ليحل محله مذهباً آخر، أو ليطمس ثقافة ما تفاعل معها أحد المبدعين. فهناك تفاعل خاص يتحكم به المنشئ داخل السياق، وهو وحده من يحدث عملية الانزياح الأولى. وبهذا ينتقل من مرحلة النص المفقود إلى مرحلة النص الموجود؛ أي مما قبل النص إلى ما بعده في معاناة شديدة... ولعل هذا ما كنا نجده بشكل دقيق في ممارسة عدد من الشعراء والنقاد العرب للتجربة النصية. وهي ممارسة تتم وفق آليات محددة تنطلق من الذات المبدعة إلى الإرث النصّي، أو قد تتوقف عند النص المتخيل وتتشبث به ليصبح موجوداً. لهذا آثرنا تسمية كيفية التعامل مع النص السابق ومن ثم الموجود بالاتجاه. والسبب في هذا أن آلية كيفية التعامل اتجهت اتجاهين اثنين؛ الأول خارجي والثاني داخلي. وإذا كان (مرتاض) قد لحظ هذا في نظرية التناص فإنه قد أدمج الاتجاهين قائلاً: «إذن فلا غير ولا ذات، ولا ذات ولا غير وإنما هناك امتزاج حتمي بين الذاتية والغيرية»[٧٠].

---

(٧٠) الكتابة أم حوار النصوص ص ١٨ وانظر انفتاح النص الروائي ٩٤-٩٥.

وعلى أهمية هذه المسألة في الفن عامة والأدب خاصة تبقى الدوافع الموضوعية المكون الأكبر للاتجاه الخارجي، وسبباً قوياً في توجيه الاتجاه الداخلي؛ إن لم نقل: إنها تكونه.

فالاتجاه الخارجي يتمثل بالإرث الثقافي الذي يفد إلى المبدع من كل مكان، وفي كل زمان، غير عابئ بالحدود المكانية والزمانية. وعليه أن يتكيف مع هذا الإرث متنخلاً منه ما يحتاج إليه، ومكوناً صوراً مستمدة منه لكنها مغايرة له، ويدخل فيه (التناص الخارجي والداخلي) سواء أكان النص قديماً أم مُعاصراً.

هذا ما فعله الشاعر الجاهلي سواء ذلك الذي تنخل من قصائد الشعراء القدامى صوره وكون نصّاً جديداً له، أو ذاك الذي تنخل من شعراء عصره... وكل منتج أو كاتب في رأي رولان بارت «يكتب منطلقاً من لغته التي ورثها عن سالفيه؛ والكتابة هي شيء يتبناه الكاتب». وهذا الرأي لا يختلف كثيراً عما عرض له عبد القاهر(٧١).

إن الرؤية الدقيقة إلى هذه المقولة تنبئ بأن شعراء العربية لم يخرجوا عن ذلك، فتداخل النصوص في ضوء الاتجاه الخارجي، وفي ضوء لغتهم الموروثة أساس انبثاق تجربتهم الإبداعية في حالتي المماثلة والمخالفة. من هنا نفهم تذمر عنترة في مطلع معلقته من كثرة النصوص السابقة له، فلم يترك أصحابها ما يقوله، «وقد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه و لم يغادروا له

(٧١) الخطيئة والتكفير ص ١٢ وانظر دلائل الإعجاز ص ٣٦٢– ٣٦٣.

شيئاً» على حد قول ابن رشيق، فيقول[٧٢]:

هـل غـادرَ الشعـراءُ مـن مُـتَرَدَّمِ أَمْ هل عرفتَ الدار بعد توهُّمِ؟!!

وفي هذا الاتجاه تقع تجربتا امرئ القيس وكعب اللتان سبق ذكرهما، وكلها تؤكد أسبقية القدماء العرب إلى ملاحظة هذه الظواهر التناصية.

فكل منتج يكون نصّاً جديداً من نصُوص قبلية وربما تكون من إنتاجه كما يتضح لنا من تجربة الشاعر الأموي سُويد بن كراع العكلي حيث يقول[٧٣]:

أبيـتُ بـأبواب القـوافي كأنّما أُصادي بها سِرباً من الوحش نُزَّعَا
أُكالئُها حتى أُعرِّس بعدما يكون سُحَيراً أو بُعيداً فأهجعَا
عواصيَ إلا ما جعلتُ أمامَها عصا مِرْبد تغشى نُحوراً وأَذرُعا
أَهَبْتُ بغُرِّ الآبدات فراجعت طريقاً أَمَلّتْه القصائد مَهْيَعا
بعيدةُ شأوٍ لا يكاد يردُّها لها طالبٌ حتى يكِلَّ ويَظْلَعا
إذا خِفْت أن تُروى عليَّ رَدَدْتها وراءَ التراقي خشيةً أن تطَلَّعا
وجشَّمني خوفُ ابن عفّان ردَّها فثقّفتُها حَولاً حرِيداً ومَرْبَعا

لو قرأنا الأبيات بتدبر وفق مفهوم نظرية التناص واتجاهاتها؛ لتبينا

---

(٧٢) العمدة ١/ ٩١ وديوان عنترة ص ١٨٢.

(٧٣) البيان والتبيين (٢/ ١٢). أصادي: أخاتل وأخادع. نزعا: غريبة. أكالئها: أراقبها. أعرس: أنزل بها سَحَراً، أي أعالجها إلى وقت السحر، ويعني القوافي. أهبت: دعوت. الآبدات: المتوحشات؛ أي القوافي الشاردة. أملته: سلكته. المهيع: الواسع المنبسط. تروى علي: أي عني. الحريد: الكامل.

شدة المعاناة عند الشاعر لإيجاد النصّ المتخيل في ذهنه من نُصوص كثيرة له ولغيره. فكلما حاول الاقتراب منه وجد أنه لم يتشكل؛ وهذا ما يتضح في البيت قبل الأخير. فصورة هذه القصيدة تنبئ بأنها بنيت على أساس من الاتجاه الخارجي للنُصوص السابقة، وهي تجربة نصّية وإن كانت مباشرة لكنها لم تنته إلى التقليد، وفق ما انتهى إليه ميشال أريفي فيما زعمه عن التناص المباشر أو التقليد(٧٤). فآلية الشاعر الذاتية أدركت بوعي كامل الإرث النصّي السابق فلجأت إلى المعارضة والمماثلة والاختلاف ومارست عملية الانزياح لكسر الاتجاه الدلالي للوصول إلى غايته؛ فضلاً عن الانزياح في اللغة النصية. وهو ما تبينه حازم القرطاجني ونظّر له(٧٥).

ولم يكن هذا مقتصراً على الشعراء فالناقد العربي القديم ابن سلام أجرى تجربته النقدية في ضوء الممارسة الدقيقة للنصوص الشعرية لشعراء طبقاته. فكانت هذه النصوص تطوف كاملة بخياله، معززاً إياها بتنخل الأخبار عنها وعن صاحبها؛ مما هيأ له الوصول إلى أحكام نقدية جعلته ينزل الشعراء في منازلهم. ومما قاله: «ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام، والمخضرمين... فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة وما قال فيه العلماء»(٧٦).

أما الاتجاه الداخلي لدينا فيمثل (التناص الذاتي)؛ في نظرية التناص،

---

(٧٤) انظر الكتابة أم حوار النصوص ص ١٤ حاشية ٤.

(٧٥) انظر منهاج البلغاء ص ٢١٣– ٢١٦.

(٧٦) طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٣–٢٤ وانظر فيه ٢٦ و٤٩– ٥٠).

لأن التفاعل يتم مع نصوص المنشئ ذاته لغة وأسلوباً ونوعـاً، سـواء أكـانت قديمة أم محدثة جديداً. ولعل هـذا مـا يتمثـل لدينـا في الشـعر الجـاهلي علـى اختلاف الشكل الخارجي، بينه وبين بنظرية التناص، وعلى المستويين الأفقـي والعمودي. فقد يحس المنشئ أن نصه مـازال ظـلاً لنصـوص سـابقة، أو أنـه يتّصف بالأحادية في الدلالة واللغة... مما يجعله ينكفـئ علـى نصـه الموجـود ويمارس عليه عملية الانزياح والتغيير مماثلـة ومخالفـة لتنتهـي التجربـة النصيـة الإبداعية إلى شكلٍ راقٍ. فالتنـاص الذاتـي في عـرف نظريـة التنـاص طريقـة نقدية راقية. وتصبح مرحلة ما قبل النّص في الاتجاه الداخلي مغايرة أو مختلفة عنها في الاتجاه الخارجي، ولكنهما نابعتان مـن وعـي كـامل عنـد المنتـج... فالتناص الذاتي يعزز مقولة إلغاء نصوص الآخرين الأخرى، ويدخل في تجربة جديدة تنطلق من نصوصه الموجودة، وينتقل المنتج ليصبح متلقياً يمارس على نصّه سلطة مطلقة لإيجاد نص آخر متخيل يرضاه؛ فالخارجي عام والداخلـي مقيد(٧٧).

وهذا الوجه المشار إليه جزء أصيل من التناص الذاتي في نظرية التناص في ضوء المراحل المتعددة الـتي حددتهـا للإنتـاج النصـي. فلديهـا مـا عـرف بالقبلية والبَعْدية... فلديها ما قبل النص، والنص، وما وراء النص؛ وما فوق النص، وما تحت النص، وما بـين النـص،... والنـص المفقـود والنـص الظـل

(٧٧) انظر انفتـاح النـص الروائـي ٩٤- ٩٥ والقـارئ سـلطة أم تسـلط ص ٢٤-٢٥ ووازن ذلك أيضاً بما أورده ابن طباطبا في (عيار الشعر ص ١٤٦).

واللاحق وغير ذلك من المصطلحات التي عرفها الغرب[٧٨].

وقد يظن أحدنا أن هذه المصطلحات من صنيع الغرب ولكنه لو دقق فيما قاله حازم القرطاجني لذهل من المفاجأة؛ إذ يقول: «وللشاعر المروّي في كل قسم أربعة مواطن للبحث:

١- موطن قبل الشروع في النظم.

٢- وموطن في حال الشروع.

٣- وموطن عند الفراغ يبحث فيه عما هو راجع إلى النظم.

٤- وموطن بعد ذلك متراخٍ عن زمان القول يبحث فيه عن معان خارجة عما وقع في النظم لتكمل بها المعاني»[٧٩].

وهذا يعني أنه يقنن لعملية التلقي عند مدرسة (عبيد الشعر) وأمثالها، كزهير والحطيئة وأشباههما[٨٠]. وتلقى هؤلاء نصوصهم الموجودة بوعي فطري عالٍ، وحسّ فني دقيق باللغة والصورة... فكان أحدهم يجوّد جميع شعره، ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة»[٨١]. أي أنه يحاول الانتقال من النص

(٧٨) انظر مثلاً: التناصية (ليون سُمفل ص ١٠٦) وطروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت ١٢٨) والأدب العام المقارن ص ٢٨ وانفتاح النص الروائي ص ٩٣ و١٠٠ ومتاهة التناص (ص ٥١) والنص والنص المضاد (ص ٤٤).

(٧٩) منهاج البلغاء (ص ٢١٤).

(٨٠) البيان والتبيين (٢/ ١٣).

(٨١) البيان والتبيين (٢/١٤).

الموجود إلى النص المتخيل وبالعكس، كما تقول نظرية التناص. لهذا لا يمتنع عنده أن «يدع القصيدة تمكث حولاً كريتاً، وزمناً طويلاً يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه؛ فيجعل عقله زماماً على رأيه ورأيه عياراً على شعره إشفاقاً على أدبه»[٨٢].

وهذا الضبط والتقنين من الشاعر المنشئ أولاً وهذا التنظير من النقاد يعد أعلى طبقة نصّية من تلك الحرية المطلقة للمتلقي في التلاعب بالنص، وهو تلاعب يغاير ما أثبتناه؛ وذلك ما تبينه الحطيئة فقال: «خير الشعر الحولي المحكك»[٨٣].

وهناك نمط آخر يشابه ما تقدم من عملية تلقي النص، ولكنه تلق بوساطة القراءة على المنتج؛ إذ روى التبريزي موقفاً له مع المعري قائلاً: «كان يغير الكلمة إذا قرأتُ عليه شعره»[٨٤].

فعملية التناص منصبة عند مدرسة عبيد الشعر وغيرها على البناء اللغوي وإجراء الانزياح الملائم للشفرة النصية. ولعل هذا ما تنبه عليه الجاحظ من قبل حين شدد على أن الشأن في القصيدة إنما هو «في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج»[٨٥]. ومفهوم التناص الداخلي يبيح للناس إشهار قانون

---

(٨٢) البيان والتبيين (٢/٩).

(٨٣) البيان والتبيين (٢/ ١٣) والعمدة (١/٢٠١) وراجع حاشية ٦٩ من هذا البحث.

(٨٤) شروح سقط الزند (١/ ٣) وانظر النص والنص المضاد (ص ٤٧).

(٨٥) الحيوان (٣/ ١٣١) وانظر ردّ الجرجاني عليه وعلى أهل الاعتزال في (دلائل =

الاختلاف والمغايرة ليقوض بناء نصه الموجود؛ مثلما قوّض بناء النصوص السابقة.

ويعد التناص الذاتي أقصى ما انتهت إليه التناصية، فالناص يمارس عملية تفكيك نصه ليعيد تركيبه، وهذا يشبه ما عند الشعراء الذين أشرنا إليهم وعند أمثالهم، وما ذكره الجاحظ عند مدرسة عبيد الشعر. ولكن الجاحظ والنقاد العرب الآخرين ساقوا ما ورد لدى نظرية التناص من مفاهيم وآليات باصطلاحات استمدوها من لغتهم وثقافتهم. وهنا يتبادر سؤال للذهن: هل العبرة في شكل المصطلح أو في دلالة تصوره النقدي؟!.

وهنا يفرض البحث علينا أن نشير إلى مسألة صناعة الشعر والتنظير لها عند النقاد العرب؛ وكيفية ممارسة المنشئ لنصه؛ فينتقل من مرحلة النتاج للنصوص السابقة إلى مرحلة الإنتاج مثله في هذا مثل القارئ في نظرية التناص. ويعد ابن سلام (المتوفى ٢٣١هـ) من أوائل من أشار إلى ذلك، ولكن ابن طباطبا (المتوفى ٣٢٢هـ) من أحسن من بدأ التنظير لها، وكذا فعل الخطابي (المتوفى ٣٨٨هـ) وأخذ عنهم جميعاً ابن رشيق (المتوفى ٤٥٦هـ) وعنه أخذ ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ) وإن ادعى أن ابن رشيق قد سبق إلى التنظير في مسألة صناعة الشعر.

ولكن ابن خلدون ذهب مذهباً بعيداً في المسألة جعلته يقترب اقتراباً شديداً مما جاءت به نظرية التناص في إثبات آلياتها ومفاهيمها. فالشاعر

=الإعجاز ص ٤٤ وبعد و ٤٩ و٥٧- ٦٥ و٣٦٥) وراجع ما ذكرناه في كتابنا (قصيدة الرثاء ص ٧٥- ٧٦).

ابن أبي الحجّاج ابن الشيخ رحمه الله، كما جاء في الإحاطة[1].

وهذه الأسرة الكريمة قيّضَتْ لأبي محمد بلا شك نشأةً صالحة، وحببت إليه طَلَبَ العلم، فحفظَ القرآن الكريم، وأفاد من أبيه وخاله[2]، واعتاد مجالس العلماء والفقهاء والقراء من أهل بلدة مالَقَة ومن حلّ بها من غير أهلها من الشيوخ كابن الزبير الغَرْناطي[3]، ومحمد بن أحمد اللخمي الإشبيلي[4]، أخذ عنهم وتفقّه بهم، وتلقّى القراءات عن كثير منهم وروى عنهم كتبها، ثم رحل إلى غَرْناطَة فأقام بها مدة، وسمع على رواتها، وكتب له بعضهم بالإجازة العامة كأبي الوليد العطار الغَرْناطي[5]، وهناك بلغ أبو محمد رتبة الأستاذية إذ أقرأ أهل غَرْناطَة زماناً[6].

ثم عاد إلى موطنه مالَقَة فكان خطيبَ مسجدها الأعظم، وقعد للإقراء والتعليم والوعظ، فكان مقسوم الأزمنة على العلم وأهله[7]، أمَّهُ

---

(١) الإحاطة ٥٥٣/٣، وقد ذكر الوادي آشي أبا محمد هذا في شيوخ صاحب الترجمة لكنه لم ينص على القرابة بينهما، انظر برنامج الوادي آشي ١٤٧. وكذا صنع صاحب درة الحجال: ١٣٧/٣.

(٢) الإحاطة: ٥٥٣/٣.

(٣) الإحاطة: ٥٥٣/٣.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٥) الإحاطة: ٥٥٣/٣.

(٦) الإحاطة: ٥٥٤/٣.

(٧) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وانظر ما سيأتي من ذكر تلامذته.

الطلَبَةُ من كل مكان فلم يكن يكتفي بتعليمهم وإقرائهم وإنما كان يغدق عليهم من عطاياه وكرمه حتى وصفه ابن الخطيب في غير ما موضع من الإحاطة بأنه مولي النعمة على الطلبة من أهل بلده[١]، ولم يقتصر نفعه على الخاصّة من أهل بلده وإنما تعداهم ليشمل العامة منهم ومن أهل الأندلس[٢].

أما وفاته فأكثر المصادر على أنها في خامس ذي القعدة من سنة ٧٠٥هـ لم يخالف عن ذلك إلا حاجي خليفة إذ جعلها ٧٥٠هـ في موضعين مختلفين من كشف الظنون[٣]، وظاهر أنه تحريف غير مقصود، إلا أن متابعة البغدادي له في هدية العارفين[٤]، أوهمت صاحب معجم المؤلفين أن عبد الواحد المالَقي المتوفى سنة ٧٠٥هـ غيرُ عبد الواحد الباهلي المتوفى سنة ٧٥٠هـ فترجم للرجل مرتين[٥]!.

هذا وقد كان لوفاة أبي محمد وقع كبير على مالَقَة وما حولها، ولا غرو فهو شيخها، وواعظها، وخطيبها، ومولي النعمة على الطلبة من أهلها، أقرأ فيها عمرَه، وأخذ عنه الكثير من أهل الأندلس[٦]. لهذا ما كان الحفل في جنازته عظيماً، إذ اجتمع الناس وحفّوا بنعشه، وحمله الطلبة وأهل العلم

(١) الإحاطة: ١/٢٢٢، و٣/١٨٩، ٥٥٣.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وانظر ما سيأتي من ذكر تلامذته.

(٣) كشف الظنون ١/١١٤، ٥٢٠.

(٤) هدية العارفين ١/٦٣٥.

(٥) معجم المؤلفين ٦/٢١٢– ٢١٣.

(٦) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وبغية الوعاة ٢/١٢١.

على رؤوسهم[١]، ودفنوه في بلده مالَقَة حيث توفي، يرحمه الله.

مذهبه وخلقه:

مذهبُ أبي محمد مذهبُ أهلِ الأندلس عامّةً وهو مذهب الإمام مالك إمام دار الهجرة، وقد عُرِفوا به منذ أوّليتهم في أواخر القرن الهجري الثاني[٢].

وكان أبو محمد رأساً من رؤوس المالكية في عصره، آية ذلك أن ابن فرحون ترجم له في كتابه (الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب) ووصفه هو وغيره ممن ترجموا له بأنه كان فقيهاً... أصولياً، وبأنّ له تواليفَ في الفقه[٣].

هذا وقد تفقّه بأبي محمد طائفةٌ من كبار فقهاء عصره كان لهم فيما بعد شأن كبير في الفقه وغيره من العلوم أمثال قاضي الجماعة الفقيه الشيخ محمد بن يحيى الأشعري، والقاضي الفقيه محمد بن عبيد الله القيسي، والشيخ يوسف بن موسى المنتشافري، وغيرهم ممن سيأتي ذكره من تلامذته[٤].

(١) الإحاطة: ٤/ ٥٥٤، وبغية الوعاة ٢/ ١٢٢.
(٢) الإحاطة: ١/١٣٤، ونفح الطيب ١/ ٢٢١، ونهاية الأندلس ٤٤٤، وتاريخ الفكر الأندلسي ٤١٧- ٤١٨.
(٣) الديباج المذهب ٢/ ٦٣، والإحاطة: ٣/ ٥٥٣، والبغية ٢/ ١٢١.
(٤) انظر الكلام على تلامذته فيما سيأتي.

أمّا خُلُقُهُ فقد كان مرآةَ دينِه، أوفى فيه على الغاية صلاحاً وإحساناً وتواضعاً، وقد بلغ من صلاحه أن غلب عليه لقبُ الشيخ الصالح لا يكاد يذكر إلا به، وما أحسن ما وصفه ابنُ الخطيب بقوله: «كان رحمه الله بعيدَ المدى منقطعَ القرين في الدين المتين والصلاح، وسكونِ النفس، ولينِ الجانب والتواضع، وحسنِ الخلق، إلى وسامةِ الصورة، وملاحةِ الشيبة وطيبِ القراءة، مولي النعمةِ على الطلبة من أهل بلده... مقسومَ الأزمنةِ على العلم وأهله، كثيرَ الخضوع والخشوع، قريبَ الدمعة...»[1]، وقريبٌ من هذا نعتُ ابنِ فرحون له بأنه: «منقطع القرين في الدين المتين والصلاح والتواضع وحسن الخلق»[2]. ولا يعدو هذا الوصف أن يكون صدىً لما جاء في شعره وما وصفه به تلامذته، وما كلمةُ ابنِ بكرون منا ببعيد[3].

شيوخه:

تخرَّج أبو محمد بطائفةٍ صالحة من مشايخ عصره وقرّائِه، وكانت القراءةُ السمةَ الغالبةَ على مشايخه، لا سيما أولئك الذين ذكرهم في مطلع كتابه الدر النثير، وروى عنهم كتب القراءات الثلاثة المعتمدة في شرحه، وهي: (تيسير الداني وتبصرة مكي وكافي ابن شريح) على أن من ورائهم شيوخاً آخرين ذكرتهم كتب التراجم والتأريخ، تلقّى على أيديهم أفانين العلوم المختلفة، وكتب له بعضهم بالإجازة العامّة. وفيما يلي مسرد ببعض

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٢) من كلام ابن فرحون في الديباج ٢/ ٦٣.

(٣) سيأتي نصها في منزلته العلمية.

هؤلاء وأولئك منسوقٌ على أحرف الهجاء، مع بيانٍ موجزٍ لصلة أبي محمد بكلٍّ منهم.

١- أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، أبو جعفر (٧٠٨هـ) الإمام المقرئ المحدث المؤرخ صاحب كتاب صلة الصلة. قرأ أبو محمد عليه «وكان من مفاخره»[١]، وروى عنه كتابي التيسير، والتبصرة.

٢- أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجائي[٢]، أبو جعفر. الشيخ الصالح. ذكر ابن الخطيب والسيوطي أن أبا محمد أخذ عنه.

٣- إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل العطار، أبو الوليد الغرناطي (٦٦٨هـ) المقرئ الراوية. كتب لأبي محمد بالإجازة العامة[٣]، وروى المالقي عنه كتابي التيسير، والتبصرة.

٤- الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري، أبو علي (٦٩٩هـ) الأستاذ المجود قاضي المَرِيَّة ومالَقَة. قرأ عليه أبو محمد[٤]، وروى

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وانظر غاية النهاية ١/ ٤٧٧، وبغية الوعاة ٢/ ٢١.

(٢) كذا ورد اللقب في بغية الوعاة ٢/ ١٢٢، والذي في الإحاطة ٣/ ٥٥٤: «الطنجالي» وهو في كلا الموضعين مندرج في ترجمة المالقي، أما ترجمة الطنجائي فلم أُصِبْها فيما بين يدي من كتب التراجم.

(٣) الإحاطة ٣/ ٥٥٣.

(٤) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦- ١٤٧، وغاية النهاية ١/ ٤٧٧، وتاريخ قضاة الأندلس ١٢٧، والبغية ٢/ ١٢١.

عنه ثلاثة الكتب التيسير، والتبصرة، والكافي.

٥- عبد الرحمن بن عبد الله بن حوط الله الأنصاري، أبو عمر. المقرئ الراوية. سمع عليه أبو محمد[1]، وروى عنه كتابي التيسير، والتبصرة.

٦- عبد العظيم بن محمد بن أبي الحجّاج. وصفه صاحبُ الإحاطة بوليّ الله، وهو خال أبي محمد المالَقي. قال ابن الخطيب: «ويحمل عن خاله وليّ الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ رحمه الله»[2].

٧- قاسم بن أحمد بن حسن الحِجريّ السَّكوت، أبو القاسم المالَقي (٦٩٠هـ) المقرئ القاضي. قرأ أبو محمد عليه[3]، وروى عنه القراءات من كتاب التيسير[4].

٨- أبو القاسم بن ربيع، ذكره صاحب درة الحجال في عداد شيوخ المالَقي، قال: «وكتب له القاضي أبو القاسم بن ربيع»[5].

٩- محمد بن إبراهيم بن أحمد الطائي، أبو عبد الله الأندلسي

(١) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦، والديباج المذهب ١٧٨، والبغية ٢/ ١٢١.

(٢) الإحاطة ٣/ ٥٥٤. ولم أصب ترجمة لهذا العَلَم.

(٣) الإحاطة ٣/ ٥٥٣- ٥٥٤، والغاية ١/ ٤٧٧.

(٤) الذيل والتكملة ٥/٢ ص ٥٤٣، وغاية النهاية ٢/ ١٦.

(٥) درة الحجال ٣/ ١٣٨.

المعروف بابن سمعون (٦٧٠هـ) المقرئ الإمام الكبير قرأ على عبد الله بن محمد الكواب، وقرأ عليه الإمام أبو جعفر بن الزبير وأخذ عنه التيسير والعربية[١]. وذكر ابنُ الخطيب أن ابنَ سمعون كتب لأبي محمد المالَقي بالإجازة العامة[٢].

١٠ – محمد بن أحمد بن عبيد الله اللخمي الإشبيلي التجيبي، أبو بكر (٦٦٦هـ) الأستاذ الخطيب المصدَّر. أقرأ الناس دهراً بمالَقة[٣]، وروى عنه أبو محمد كتاب الكافي سماعاً.

١١ – محمد بن علي بن الحسن السهيلي، أبو عبد الله الجذامي، المقرئ الضرير، قرأ على أحمد بن غالب وأبي عمرو سالم بن صالح المالَقي وعبد الله بن محمد الجذامي[٤]. وذكر ابنُ الخطيب وابنُ الجزري أن أبا محمد قرأ عليه[٥].

١٢ – محمد بن عيّاش بن محمد الخزرجي القرطبي، أبو عبد الله، المقرئ الكبير، روى عنه أبو محمد كتاب التبصرة.

١٣ – محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري البلَنسي بن مَشَليْون

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٤٣.
(٢) الإحاطة ٣/ ٥٥٣.
(٣) غاية النهاية ٢/ ٧٠.
(٤) غاية النهاية ٢/ ٢٠٢.
(٥) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، والغاية ١/ ٤٧٧.

(٦٧٠هـ) المقرئ الكبير، روى عنه أبو محمد كتاب التيسير[1].

١٤– يوسف بن إبراهيم بن أبي ريحانة المَرْبلي، أبو الحجّاج، المقرئ الراوية. قرأ عليه أبو محمد[2]، وروى عنه كتاب التيسير[3].

تلامذته:

وصف صاحب الإحاطة أبا محمد بجملة صفات، جاء فيها أنه كان: «بعيدَ المدى.. طيبَ القراءة.. مولي النعمة على الطلبة من أهل بلده.. أستاذاً حافلاً متفنناً مضطلعاً، إماماً في القراءات.. مقسومَ الأزمنة على العلم وأهله.. أقرأ عمره، وخطب بالمسجد الأعظم من مالَقَة، وأخذ عنه الكثيرُ من أهل الأندلس»[4].

فلا غرو بعدُ أن عمّ نفعُه، وطار صيتُه بين الناس؛ و لم يقتصر تعليمُه على أهل بلده، بل أمَّهُ الطلبة من كل مكان يقرؤون عليه، ويلازمونه، ويتخرّجون به. ولقد نبُهَ منهم كثيرون بين قاضٍ وقارئٍ وعالمٍ وكاتبٍ وشاعرٍ وخطيبٍ وإمامٍ حفلت كتب التراجم بذكرهم، وسأعرض فيما يلي لأشهرهم منسوقين على حروف الهجاء:

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٢٣٨.

(٢) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦– ١٤٧، وغاية النهاية ١/ ٤٧٧.

(٣) غاية النهاية ٢/ ٣٩٣.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

١ – أحمد بن إبراهيم المعروف بابن صفوان المالَقي، أبو جعفر (٧٦٣هـ) أديبٌ شاعر، كان آيةً في فكّ المعمّى، ذكر ابن الخطيب في الإحاطة أنه «قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي أستاذ الجملة من أهل بلده، ومولي النعمة عليهم، لازمَهُ وانتفع به»[1].

٢ – عبد الله بن علي المعروف بابن سلمون الكناني، أبو محمد (٧٤١هـ) مقرئ لغوي فقيه، وهو صاحب كتاب «الشافي في تجربة[2] ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافي» جاء في مشيخته أنه قرأ «بمالَقَة على الأستاذ أبي محمد الباهلي»[3].

٣ – عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي المالَقي، أبو عمرو (٧٣٥هـ) الأستاذ القاضي «لازم الأستاذَ أبا محمد بن أبي السداد الباهلي»[4]، وله مؤلفات منها «اللُّمَعُ الجدلية في كيفية التحدث في علم العربية».

٤ – علي بن محمد بن سليمان الأنصاري المعروف بابن الجيّاب، أبو الحسن (٧٤٩هـ) وزير الدولة النصرية، وأحد كبار كتابها وشعرائها المعروفين، وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب، وقد نقل من خطّه أسماء

(١) الإحاطة: ١/ ٢٢٢ وترجمته ثمة ٢٢١– ٢٣٢.

(٢) كذا في الإحاطة ولعل الصواب: تحرير.

(٣) الإحاطة: ٣/ ٤٠١ وترجمته ثمة ٤٠٠– ٤٠٤ وفي الغاية ١/ ٤٣٦.

(٤) الإحاطة: ٤/ ٨٦ وترجمته ثمة ٨٦– ٨٧.

أشياخه: «ومنهم الشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد الأموي الباهلي»[١].

٥- القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (٧٣٠هـ) صاحب البرنامج المعروف باسمه، وقد جاء فيه: «وسمعت أيضاً يسيراً من صدر هذا الكتاب [الجامع الكبير المختصر في السنن المفردة] من فِلْقِ في الشيخ المقرئ الفاضل أبي محمد عبد الواحد بن محمد الأموي المعروف بالباهلي رحمه الله»[٢].

٦- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير، أبو عمرو (٧٦٥هـ) وهو ولدُ شيخِ المالَقي أبي جعفر بن الزبير. وقد «استجاز له أبوه الطِّمَّ والرِّمَّ من أهل المشرق والمغرب... ومن أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السداد...»[٣].

٧- محمد بن أحمد بن خميس الأنصاري (٧٥٠هـ) العالم الخطيب وأحد بلغاء عصره، له مصنفات منها «النفحة الأرَجِيَّة في الغزوة المرْجيَّة» وقد أجازه الشيخ أبو محمد الباهلي[٤].

---

(١) الإحاطة: ٤/ ١٢٧ وترجمته ثمة ١٢٥- ١٥٢ حيث أورد له تلميذه ابن الخطيب كثيراً من أشعاره.

(٢) برنامج التجيبي ١٠٢. وفِلْق الفم شِقّه ومنفرجه، يقال كلمني من فِلْق فيه: من شِقّه. القاموس والتاج (فلق).

(٣) الإحاطة: ٣/ ١٥٧. والطِّم والرِّم كناية عن الكثرة. اللسان (طمّ).

(٤) الإحاطة: ٣/ ١٨٤- ١٨٥.

٨- محمد بن أحمد بن الزيات الكلاعي، أبو بكر، القاضي الخطيب ابن الشيخ الخطيب أبي جعفر بن الزيات له مشاركة في فنون عدة، «قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي»[1].

٩- محمد بن أحمد الغسّاني المعروف بابن حفيد الأمين، أبو القاسم (٧٤١هـ) من أهل العربية والفقه والفرائض، ذكر ابن الخطيب في مشيخته أبا محمد بن أبي السداد[2].

١٠- محمد بن أحمد الغسّاني المعروف بابن حفيد الأمين أيضاً، أبو الحكم (٧٤٩هـ) وهو شقيق أبي القاسم المتقدم، وخطيب مسجد مالَقَة الأعظم «قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي»[3].

١١- محمد بن بكرون بن حزب الله، أبو عبد الله، من أهل الخصوصية والفضل، استهلَّ ابن الخطيب مشيخَتَهُ بقوله: «منهم الأستاذ مولي النعمة على أهل بلده، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي، قرأ عليه القرآن العظيم أربع عشرة خَتمة قراءةَ تجويدٍ وإتقان بالأحرف السبعة، وسمع عليه كتباً كثيرة، وقال عند ذكره في بعض الاستدعاءات: ولازمتُه رضي الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته...»[4]. ولم يذكر تاريخ وفاته.

---

(١) الإحاطة: ٢/ ١٣٩. وترجمته ثمة ١٣٨- ١٣٩ وفي غاية النهاية ١/ ٤٧٧.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٦٤.

(٣) الإحاطة: ٣/ ٦٧ وترجمته ثمة ٦٦- ٦٧.

(٤) الإحاطة: ٣/ ١٨٩ وستأتي تمام كلمة ابن بكرون في شيخه المالقي وقوله: «بالأحرف السبعة» يريد القراءات السبع.

١٢– محمد بن جابر الوادي آشي (٧٤٩هـ) الإمام المقرئ المحدث الثقة المشهور، وهو صاحب برنامج معروف باسمه، ذكر فيه المالَقي وعدَّ بعض مشايخه[١].

١٣– محمد بن عبد الله بن فُرتون الأنصاري المعروف بالهنا، أبو القاسم (٧٥٠هـ) قاضي القضاة «أخذ عن الجلّة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، لازمه وانتفع به»[٢].

١٤– محمد بن عبيد الله بن منظور القيسي المالَقي، أبو بكر (٧٥٠هـ) القاضي الفقيه، «قرأ على الأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، ولازمه وانتفع به..» وله تصانيف عديدة منها «نفحات المُسُوك وعيون التبر المَسْبوك في أشعار الخلفاء والوزراء والملوك»[٣].

١٥– محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالمُعَمَّم، أبو عبد الله (٧٥٤هـ) الشيخ الخطيب، قرأ على كثيرين «منهم الأستاذ أبو محمد ابن أبي السداد الباهلي..». ونسبت إليه مؤلفات كثيرة منها «إرشاد السائل لنهج الوسائل»[٤].

---

(١) برنامج الوادي آشي ١٤٦– ١٤٧. وانظر ترجمته في غاية النهاية ٢/ ١٠٦.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٢٢٧. وترجمته ثمة ٢٢٦– ٢٢٧.

(٣) الإحاطة: ٢/ ١٧٠– ١٧٢، وانظر في ترجمته أيضاً تاريخ قضاة الأندلس ١٤٥، وغاية النهاية ١/ ٤٧٧.

(٤) الإحاطة: ٣/ ١٩١– ١٩٣.

١٦- محمد بن محمد بن يوسف الهاشمي المعروف بالطنجالي، أبو بكر (٧٣٣هـ) ممن جمع بين الدراية والرواية، وخطب بمسجد مالَقة الأعظم، «قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي...»(١).

١٧- محمد بن يحيى بن سعد الأشعري المالَقي، أبو عبد الله، المعروف بابن بكر (٧٤١هـ) قاضي الجماعة الصدر المتفنّن، أحد أشياخ لسان الدين ابن الخطيب(٢)، وصاحب كتاب «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان»(٣). قال ابن الخطيب عندما عرض لمشيخته: «قرأ على الأستاذ المتفنن الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي القرآن العظيم جمعاً وإفراداً، وأخذ عنه العربية، والفقه، والحديث، ولازمه، وتأدب به»(٤).

وابن بكر هذا هو راوي كتاب شيخه المالَقي (الدر النثير) قال ابن الجزري في معرض إسناده كتاب التيسير: «وأخبرني بشرحه للأستاذ أبي محمد عبد الواحد بن محمد الباهلي الأندلسي المالَقي، وتوفي سنة خمس وسبع مئة بمالَقَة، غيرُ واحدٍ من الثقات مشافهة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعري عن المؤلف تلاوةً وسماعاً»(٥).

(١) الإحاطة: ٣/ ١٩٣- ١٩٤.

(٢) نفح الطيب ٥/ ٣٨٥.

(٣) نشر في بيروت عام ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور محمود يوسف زايد.

(٤) الإحاطة: ٢/ ١٧٩، وقد نقل هذه العبارة المقري في نفح الطيب ٥/ ٣٨٧.

(٥) النشر ١/ ٦٠.

١٨– يحيى بن عبد الله بن أبي عزفَة اللخمي، الرئيس أبو زكريا (٧١٩هـ) محدث ضابط وشاعر مُجيد، رأس بسَبْتَةَ نائباً عن ملك المغرب السلطان أبي سعيد بن عبد الحق. أخذ عن كثيرين منهم: «أبو محمد الباهلي..»[1].

١٩– يوسف بن موسى بن سليمان الجذامي المنتشافري، أبو الحجّاج، الشيخ الفقيه القاضي المتصوف والشاعر الكاتب، نقل ابنُ الخطيب من خطِّه في ثبتٍ أجاز فيه أولاده قولَهُ: «فمن شيوخي الذين رويت عنهم، واسترفدت البركة منهم، الشيخ الخطيب الصالح المتفنّن، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي..»[2]، وأبو الحجاج هذا هو راوي قطعة الشعر التي أوردها ابن الخطيب في ترجمة المالَقي[3]، وسيأتي الكلام عليها، هذا ولم يؤرخ ابن الخطيب لوفاته وإنما قال: «كان حيّاً عام أحد وستين وسبع مئة» على حين قدَّرها البغدادي بنحو سنة ٧٦٧هـ، وذكر له مصنفات عدّة تنحو في مجملها نحو التصوف والرقائق منها: «تخميس البردة»[4].

(١) الإحاطة: ٤/ ٣٤١، وترجمته ثمة ٣٤٠– ٣٤٣.
(٢) الإحاطة: ٤/ ٣٨٧. وثمة ترجمته ٣٧٧– ٣٩٠.
(٣) هي في الإحاطة ٣/ ٥٥٤.
(٤) هدية العارفين ٢/ ٥٥٧، وانظر الأعلام ٨/ ٢٥٤.

مؤلفاته:

أجمعت مصادر ترجمة الرجل أنّه شرح كتاب التيسير في القراءات شرحاً أفاد فيه وأجاد – وذلك بكتابه المسمى «الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير» – وسأحصه بنبذة يسيرة بعد تمام هذه الفقرة – وأنّ له كتباً غيره في القراءات والفقه(١)، إلا أنهم لم ينصّوا على أسماء تلك الكتب خلا صاحب كشف الظنون فقد نسب إليه كتاباً اسمه «الأصول الخمسة التي بني الإسلام عليها»(٢)، وتابعه البغدادي في هدية العارفين فذكر هذا الكتاب مع شرح التيسير وزاد كتاباً آخر اسمه «المنتخب في فضائل القرآن»(٣)، وبهذا تكون مؤلفات المالَقي التي بلغَنا علمُها ثلاثةً.

على أن من ورائها مؤلفاتٍ أخرى للمالَقي على ما يبدو؛ فقد عثرتُ على رسالة مخطوطة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، نسبت إليه كما جاء في عنوانها الذي دلّ على أنها جزء من كتاب اسمه «عمدة التحرير في الإدغام الكبير». وهذا نص العنوان: «جزء فيه فرش الحروف من كتاب عمدة التحرير في الإدغام الكبير تأليف الشيخ الفقيه الأستاذ المقرئ المتفنّن الأوحد الأكمل الخطيب الإمام الأفضل أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ الأجل الورع الأفضل المقدّس المرحوم أبي عبد الله محمد بن علي

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٤، والبغية ٢/ ١٢٢، وطبقات المفسرين ١/ ٣٥٩، والغاية ١/ ٤٧٧.

(٢) كشف الظنون ١/ ١١٤.

(٣) هدية العارفين ١/ ٦٣٥ – ٦٣٦.

بن أبي السّداد الأموي رضي الله عنه»[1].

ولعل قادماتِ الأيام تكشف عن المزيد من هذه المؤلفات.

وكتاب الدر النثير كتاب مؤلف في القراءات القرآنية، وهو شرح لكتاب التيسير في القراءات السبع (للداني ٤٤٤هـ) الذي نظمت عنه الشاطبية (فصار الفرع أشهر من الأصل) وقد اعتمد المالقي في هذا الشرح مبدأ الموازنة بين التيسير وكتابي التبصرة لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) والكافي لابن شريح (٤٧٦هـ)، وعوّل على كثير من كتب القراءات المعتمدة كالسبعة لابن مجاهد، والإقناع لابن الباذش، والتذكرة والكشف لمكي، ومؤلفات الداني المختلفة، فجاء جامعاً وملخصاً لعصارة علم الأندلسيين في هذا الباب.

وهو إلى هذا كله قد امتاز بمزيّتين اثنتين:

الأولى: أنه استقصى ذكر أمثلة الأصول كالإدغام الكبير والإمالة، واستوعب وجوهها المختلفة، ولا أعلم كتاباً آخر يَشْرَكُهُ في هذه المزية.

---

(١) يقع هذا الجزء ضمن مجموع من القطع الكبير يحمل رقم (٥٩٦٤) من مخطوطات الظاهرية في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ويشغل منه ٧ ورقات (١٧٣- ١٧٩) ولديّ مصورة عنه. وقد جرى فيه المالقي على حصر أمثلة الإدغام الكبير في القرآن الكريم مرتبة حسب ورودها فيه بروايتي الحافظ والإمام. انظر فهرس المخطوطات الظاهرية – علوم القرآن ١/ ٢٢٠.

والثانية: أنه جمع إلى شرف الرواية دقة الدراية، فلا تخلو مسألة من مسائله من الكلام على العلل والتماس وجوه الحكمة والقوانين الصوتية الكامنة وراء كل وجه من وجوه الأداء.

وقفتُ على خمس نسخ خطية تحتفظ بها مكتبات مختلفة في العالم وهي:

١- نسخة مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٥٠ ورقة).

٢- نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقم ٢٦٠، (١١٠ ورقة).

٣- نسخة متحف طوبقبوسراي باصطنبول، رقم ١٥٣، (١٨٦ ورقة).

٤- نسخة مكتبة إسميخان سلطان في المكتبة السليمانية باصطنبول، رقم ١١، (٨٣ ورقة).

٥- نسخة مكتبة كوبريللي باصطنبول، رقم ١٦، (٢٣٦ ورقة).

وكان تحقيق هذا الكتاب (مع دراسة مستفيضة عنه) موضوع أطروحة علمية نهضتُ بها وأشرف عليها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ونلت بها درجة الدكتوراه بتقدير شرف من جامعة دمشق بتاريخ ٢٨/ ٦/ ١٩٩٤م.

منزلته العلمية:

أتيح لأبي محمد أن يصيب حظاً من فنونٍ من العلم مختلفة، وكانت موارده في ذلك متعددةً متنوعةً، أولها شيوخه الذين أخذ عنهم وقد تقدم ذكرهم. وثانيها تراث عريض من علم القراءات وكتبها، تتلمذ عليه واستقى منه، وصرَّح في مواطن كثيرة من كتابه الدر النثير بالنقل عنه، من مثل مؤلفات الداني ومكي بن أبي طالب وابن شريح الرُّعيني وابن فِيُّره وابن الباذِش والمعدّل وغيرِهم، بالإضافة إلى كتب النحو واللغة وفي مقدمتها كتاب سيبويه، فلا غروَ أن كان بعد ذلك – فيما ذكر ابنُ الخطيب –: «أستاذاً حافلاً متفنّناً، مضطلعاً، إماماً في القراءات، حائزاً خَصْل السباق إتقاناً وأداءً ومعرفةً وروايةً وتحقيقاً، ماهراً في صناعة النحو، فقيهاً، أصولياً، حسنَ التعليم، مستمرَّ القراءة، فسيح التحليق[1]، نافعاً، متحبباً، مقسوم الأزمنة على العلم وأهله..»[2]. ونعته ابنُ الجزري بقوله: «أستاذ كبير، شرح كتاب التيسير شرحاً حسناً أفاد فيه وأجاد...»[3].

هذا وقد أحَلَّهُ ذلك كلُّه مكانَ الصدارة والأستاذية بين أهل بلده وما

---

(١) التحليق لغة الارتفاع، جاء في التاج (حلق): «.. قال شمر: لا أدري التحليق إلا الارتفاع» ولعل هذه العبارة كناية عن سعة علم الرجل ورفعة شأنه.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣. وانظر بغية الوعاة ٢/ ١٢١.

(٣) غاية النهاية ٤٧٧/١. ولا يبعد عن ذلك قول ابن فرحون فيه: «كان فقيهاً نحوياً أصولياً حسن التعليم نافعاً منجباً منقطع القرين في الدين المتين والصلاح والتواضع وحسن الخلق». الديباج المذهب ٢/ ٦٣.

جاوره، فغلب عليه لقب الأستاذ الخطيب المتفنّن، حتى لا يكاد يذكر إلا به[١]، بالإضافة إلى ألقاب أخرى عرف بها كالمقرئ، والفقيه، والشيخ الصالح... إلى غير ذلك مما يدلُّ على مكانته العلمية ورفعة شأنه، وسأعرض فيما يلي لدلالة كلٍّ من هذه الألقاب على صاحبها المالَقي:

– **الأستاذ**: هذا لقب اختصّ به في الأندلس كبار العلماء، لا يكاد يطلق إلا على من تبوأ منزلةً علمية مرموقة وكثر طلابه ومن تخرّج به: كابن الباذِش[٢]، وابن الزبير[٣]، والمالَقي[٤]، وأضرابهم..

– **الخطيب**: غلب هذا اللقب على أبي محمد لاعتلائه منبر الخطابة في مسجد مالَقَة الأعظم عُمرَه[٥].

– **النحوي**: أقدم من نَحَله هذا اللقب قرينُهُ أبو حيان الأندلسي شيخ النحاة في غصره (٧٥٤هـ) وستأتي كلمتُه فيه[٦]. وفي الدر النثير من المباحث النحوية ما يدل على علوّ كعب صاحبه في هذه الصناعة.

– **الفقيه**: عرف به أبو محمد لتمكّنه من الفقه، وتأليفِهِ فيه، وتفقّهِ

---

(١) الإحاطة ٢/ ١٣٩، ١٧٦، و٣/١٨٩، و٤/١٢٧، ٣٨٧.

(٢) انظر مقدمة تحقيق الإقناع ١/ ٢٢- ٢٦، والإحاطة ١/١٩٥، هذا وممن نعت المالقيّ بالأستاذ ابن الجزري في النشر ١/ ٦٠، ٣٥٣، وهو في الموضع الثاني «الأستاذ المحقق».

(٣) الإحاطة: ١/ ١٨٨.

(٤) الإحاطة ٢/ ١٣٩، ١٧٦، و٣/١٨٩، و٤/١٢٧، ٣٨٧.

(٥) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٦) انظر كلمة أبي حيان فيما سيأتي وهي في بغية الوعاة ٢/ ١٢٢.

الكثيرين به كما جاء في مواضع متعددة من الإحاطة[١]، على أن لهذا اللقب خاصيةً متميزةً عند الأندلسيين فقد جاء في نفح الطيب نقلاً عن المغرب: «وسمة الفقيه عندهم جليلةٌ حتى إن الملثّمين كانوا يسمّون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه، وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السمات»[٢].

– **المقرئ**: القراءة رأس العلوم التي برع بها أبو محمد، ومن ثَمَّ فقد أقرأ عمره[٣]، ولا أدلّ على علوّ كعبه فيه من مؤلّفه الدر النثير الذي جمع فيه فأوعى.

– **المتفنّن**: يشير هذا اللقب إلى كثرة العلوم التي حازها أبو محمد، كالقراءات، والنحو، والفقه، والأصول، والحديث[٤]..

– **الشيخ الصالح**: تقدمت الإشارة إلى هذا اللقب في عرض مذهب الرجل وخلقه[٥]، وأضيفُ إلى ذلك هنا خبراً يدل على صلاحه أيضاً وتصدّره للوعظ، جاء في الإحاطة: حدث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المنتشافري، قال: رأيت في النوم أبا محمد الباهلي أيام قراءتي

(١) انظر ما سبق من ذكر مذهبه وتلامذته.

(٢) نفح الطيب: ١/ ٢٢١.

(٣) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣ وانظر في علمه بالحديث ما سيأتي في الصفحة التالية.

(٥) انظر ما تقدم، وانظر الإحاطة ٤/ ١٢٧، ٣٨٧.

عليه بمالَقَة في المسجد الجامع بها، وهو قائم يذكّر الناس ويعظهم فعقلت من قوله: أتحسبونني غنياً فقيراً، أنا فقير أنا.. فاستيقظت وقصصتها عليه، فاستغفر الله وقال: يا بني حقاً ما رأيت، ثم رفع إلي ثاني يوم تعريفه [كذا] رقعة فيها مكتوب:

لئن ظن قوم من أهل الدُّنى بأن لهم قوةً أو غنى

الأبيات...»[١].

ومن الجدير بالذكر أن ثمَّةَ علوماً أخرى حازها أبو محمد وعلّمها لم يشر إليها مترجموه، لكن المتتبع لتراجم تلامذته يقع على عبارات تفيد مشاركة المالَقي بهذه العلوم، من ذلك مثلاً ما مرّ من كلامٍ على تلميذه قاضي الجماعة ابن بكر الذي «أخذ عنه العربية، والفقه، والحديث، ولازمه، وتأدّب به..»[٢]. مما يدلّ على علم المالَقي بالحديث والعربية والأدب...

وكان أبو محمد إلى ذلك كله قريناً لمشاهير العلماء والنحاة والقراء مثل أبي حيان النحوي الذي ذكره في كتابه (النُّضار في المسلاة عن نُضار)[٣]، بقوله: «صاحبنا الأستاذ المقرئ النحوي»[٤]. ويبدو أنهما

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٤، وسيأتي تمام الأبيات في الكلام على شعره.
(٢) الإحاطة: ٢/ ١٧٩، وانظر ما تقدم ص ٣٩٧.
(٣) وهو كتاب صنفه أبو حيان بعد موت ابنته نُضار، ذكر فيه أول حاله واشتغاله ورحلته وشيوخه. انظر كشف الظنون ٢/ ١٩٥٨.

اشتركا في الأخذ عن كثير من الشيوخ(١).

وقد كان للشيخ أبي محمد في نفوس طلابه ومريديه محبةٌ فاقت حدَّ الوصف ولعلّ خيرَ ما يجلوها كلمةُ تلميذه محمد بن بكرون بن حزب الله التي يقول فيها: «ولازمتُهُ رضي الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته، ونلت من عظيم بركاته وخالص دعواته ما هو عندي أجلُّ الوسائل، وأعظم الذخيرة، وأفضل ما أعددته لهذه الدار والدار الآخرة. وكان في صدر هذا الشيخ الفاضل كثيرٌ من علم اليقين، وهو علم يجعله الله في قلب العبد إذا أحبه، لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه، والتزام الصبر، ومجاهدة الهوى ومحاسبة النفس، ومراعاة خواطر القلب، والمراقبة لله، والحياء من الله، وصحة المعاملة له، ودوام الإقبال عليه، وصحة النية، واستشعار الخشية، قال الله تعالى:﴿إنما يخشى الله من عبادِهِ العلماءُ﴾ فكفى بخشية الله علماً، وبالإقبال عليه عزّاً»(٢).

شعره:

لم يكن أبو محمد شاعراً، ولكن أُثرتْ عنه بعض مقطّعات الشعر، مما هو إلى شعر العلماء أقرب، ويدور ما وصلنا من شعره حول غرض

---

(٤) بغية الوعاة: ٢/ ١٢٢.

(١) كأبي جعفر بن الزبير وأبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري، انظر مشيخة أبي حيان في الإحاطة ٣/ ٤٤، وانظر المدارس النحوية ٣٢٠.

(٢) الإحاطة: ٣/ ١٨٩- ١٩٠.

واحد لا يكاد يبرحه هو الدعاء والابتهال والتذلل لله سبحانه، من ذلك ما أنشده في مستهلّ كتابه الدر النثير حيث قال:

وقفْتُ ببابِ اللهِ جلَّ جلالُهُ ... لأحظى بتوفيقٍ ينيرُ هلالُهُ
وقلتُ إلهي نجّني وأحلّني ... بمقعدِ صدقٍ لا يخاف حِلالُهُ
بمنزلِ رضوانٍ بهِ كلُّ مشتهىً ... وللعينِ لذاتٌ ظليل ظلالُهُ
وأتممْ عليَّ الفضلَ بالنظرِ الذي ... تخصّ به من تستقيمُ خِلالُهُ
وعُمَّ جميعَ المسلمينَ بمثِلهِ ... وذا رحمٍ حقٌّ عليَّ بِلالُهُ[1]

ومن ذلك ما أنشده في ختام كتابه حيث قال:

كملَ الكتابُ بحمد ربِّي وحدَهُ ... والحمد لله المصدّقِ وعدَهُ
وصلاتُهُ وسلامُهُ ورضاه والـ ... ـبركات تختصُّ المشفعَ عندَهُ
خيرَ البريّة رحمةً للعالمينَ ... ولا نبيَّ من البريَّةِ بعدَهُ
وتعمُّ أعلامَ الهُدى أصحابَهُ ... والتابعينَ ومن يُراعي عهدَهُ
والحمدُ آخرُ دعوةٍ أدعو بها ... واللهُ عزّ وجلّ يسمعَ حمدَهُ[2]

ومن شعره أيضاً ما حكاه ابن الخطيب في الإحاطة عن تلميذ المالَقي الشيخ الفقيه القاضي أبي الحجاج المنتشافري:

لئن ظنَّ قومٌ من أهل الدُّنا ... بأنّ لهم قوةً أو غِنى

---

(١) الدر النثير الورقة ١/ أ.

(٢) الدر النثير الورقة ١٥٠/ أ.

لقـد غلطـوا ويحهـم، مـالَهم؟ فتـاهوا عقـولاً عَمُـوا أعينـا[٣]
فـلا تحسـبوني أرى رأيَهـم فـإنّي ضعيـفٌ فقـيرٌ أنـا
وليس افتقـاري وفقـري معـاً لخلـقٍ فمـا عنـدَ خلـقٍ غِنـى
ولكـنْ إلـى خـالقي وحـدَهُ وفـي ذاك عـزٌّ ونيـلُ المنـى
فمـنْ ذلَّ للحـقِّ يـرقَ العـلا ومـن ذلَّ للخلـقِ يلـقَ العَنـا[٤]

وبعد.. فليس هذا كل شيء في ترجمة المالَقي وعلمه، وإنما هو صدى لما اجتمع لديّ من كتب التراجم التي عرضتْ له أو ألمعَتْ إليه، ولا ريب أن من ورائها كتباً أخرى لم تصلْ إلينا – أو وصلَتْ ولم ترَ النّورَ بعد – كتاريخ مالَقة لابن عسكر، والإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالَقة لأصبغ ابن العباس[١]، وغيرهما مما عسى أن يوضّح غامضاً أو يبيّن خافياً أو يزيد فيما نقص من مراحل حياة الرجل. أما علمه فما أحسب شيئاً سيوفيه حقّه ويجلو حقيقته كدراسة ما خلّفَهُ من آثار، وعلى رأسها سِفْرُه الأكبر «الدر النثير» وهو ما أصبو إليه في بحوث تالية.

---

(٣) جاء هذا البيت في الأصل على النحو التالي :

لقد غلطوا ويحهم بجمع مالهم فتـاهوا عقـولاً وعمـوا أعينـا

فأصلحته بما يقيم وزنه ولا يضر بمعناه!.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٤.

(١) نص عليهما ابن الخطيب في معرض ذكره لمصادره في الإحاطة ١/ ٨٣.

ثبت المراجع

– الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢ ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

– الأعلام، خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥ ١٩٨٠م.

– الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر بن الباذش الأنصاري (٥٤٠هـ)، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ.

– برنامج التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي (٧٣٠هـ)، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ١٩٨١.

– برنامج الوادي آشي، محمد بن جابر الوادي آشي (٧٤٩هـ)، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣ ١٩٨٢م.

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

– تأريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن علي بن عبد الله النُّباهي

(٧٩٢هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب أرسلان، المكتبة التجارية الكبرى بفاس، ط١ ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

- الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير، عبد الواحد المالقي (٧٠٥هـ)، تحقيق محمد حسان الطيان، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق ١٩٩٤م.

- درَّة الحَجَّال في أسماء الرجال، أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (١٠٢٥هـ)، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة بتونس، ودار التراث بالقاهرة، ط١ ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- الديباج المُذْهَب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي (٧٩٦هـ)، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي (٧٠٣هـ)، تحقيق د. محمد بن شريفة – د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤ - ١٩٦٥م.

- طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي (٩٤٥هـ)، تحقيق علي محمد عمر، مركز تحقيق التراث بدار الكتب - مكتبة وهبة، مصر، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

– عمدة التحرير في الإدغام الكبير، عبد الواحد المالقي (٧٠٥هـ)، مصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية الموجودة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق رقم (٥٩٦٤).

– غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري (٨٣٣هـ)، بعناية ج. برجستراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة.

– فهرس الخزانة التيمورية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م.

– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الرومي المعروف بحاجي خليفة (١٠١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

– اللمحة البدرية في الدولة النصرية، لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

– معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

–النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٨٣٣هـ)، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المَقّري

التلمساني (١٠٤١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

– هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي (١٣٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

C. Brockelmann, Oeschichte, Der Arabischen – Litteratur, Leiden, ١٩٣٧.

(التعريف والنقد)

نَظَراتٌ في سِيرة كَشَاجِمَ وآثارِهِ

(القسم الأول)

الدكتور محمد بن عبد الله العزّام

لم أكن أعرف شيئاً كثيراً عن أبي الفتح كَشاجم، ولكني انصرفت في بضع السنوات الأخيرة إلى دراسة سيرة أبي الطيّب المتنبيّ وأخباره وشروح ديوانه، فكنت أعجب من غياب اسم هذا الشاعر المشهور من أخباره ومن أخبار سيف الدولة، مع أنّه كان يعيش في حلب وكان فيما يقولون من شعراء سيف الدولة.

طبعات الديوان:

ثمّ اطّلعت على الطبعة الجديدة من ديوانه، وهي بتحقيق الدكتور النبوي شعلان ومن منشورات مكتبة الخانجي بمصر في عام ١٩٩٧. فإذا مكتوب على الغلاف: **المتوفّى سنة ٣٦٠**، فازداد العجب لأن المحقّق الفاضل ينبغي أن يكون قد حرّر المسألة، ولكن ظهر أنه لم يبحثها أصلاً، ووجدته يردّد الكلام المعروف عن سيف الدولة وإكرامه للشعراء، وتوسّع فيه في مقدّمة كتاب أدب النديم، من غير الاهتمام ببحث وجود كَشاجم في قَصْره وعَصْره، كأنّها مسألة مفروغ منها.

ولكنّه قصرّ في استخراج الأشعار المتنازع عليها بينه وبين السّريّ الرّفّاء، مع أنه وقف على ديوان السّريّ الصادر عام ١٩٨١. وهذه الأشعار تَدُلّ على مقدار

الاضطراب في رواية ديوان كَشاجم، والتداخل بينه وبين دواوين معاصريه، وبعضها لا وجود له في أصل ديوانه ولا في زياداته. ولم يرجع المحقّق إلى كتاب المصايد والمطارد المنسوب لكَشاجم، وهو مطبوع، وفيه أشعار كثيرة منسوبة إلى كشاجم وأشعار ينسبها المصنِّف إلى نفسه، ولا يخلو الكتاب من إشكال. ولعلّه لم يسمع بكتاب البيزرة الذي يقال إنّه من تصنيفه (لأن المصنِّف ينشد أشياء من شعر كَشاجم على أنّها من شعره)، وهو مطبوع أيضاً. ونسي نشر ترجمته الموجودة في بعض النُّسخ، ولقد اتّسع المقام لنشر كلام كثير ليس له علاقة ظاهرة بالشاعر، فكان يَجِب نشر الكلام المتعلِّق به، ولا سيّما أن تراجمه في الكتب قليلة. وانصرف ـ مع الأسف ـ إلى الهجوم على الدكتور سامي الدهان رحمه الله، واتهامه بشتى التُّهم بعبارات غير مستحسنة، لأنه استخرج بعض أشعار الخالديين من ديوان كَشاجم، بينما يجزم هو بأنّها لكَشاجم من غير دليل إلا وجودها في ديوانه. وهذا الهجوم لا مسوِّغ له لأن دسَّ أشعارهما في الديوان أمر معروف مشهور مقطوع بوقوعه.

وقد حُقّقت هذه الطبعة من الديوان على النُّسخة المصرية (أعني نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم ٤٥٧٩)، وعُورضت على نسخة بطرسبرغ وطبعة بيروت القديمة، وعلى أربع نسخ حديثة في مصر. وازدحمت الحواشي بفروقاتها مع أن كثيراً منها تصحيفات واضحة لا قيمة لها. وفات عليه استخدام نسخة الدار المهمّة ـ ذات الرقم ٧٩م ـ التي اطّلع عليها الدكتور الدهان فوجدها سالمة من بعض الشعر المدسوس. وأهمّ من ذلك أنه لم يقف على نسخة برنستون وهي أجلُّ النُّسخ على الإطلاق.

أما الطبعة العراقية فقد صدرت في بغداد سنة ١٩٧٠، وهي بتحقيق السيدة الفاضلة خيرية محفوظ. وقد اتخذت النسخة المصرية نفسها أصلاً كما قالت، وعارضتها بنسخة بطرسبرغ ونسخة برنستون وطبعة بيروت القديمة. ولكنّها أفرغت جميع الأشعار الواردة فيها وفي سائر المصادر في

ترتيب هجائي واحد، وخلطت بين كَشاجم وبين ابنه أبي نصر في بعض المواضع، وأغفلت الإشارة إلى أن بعض القطع وردت ملحقة ببعض النُّسخ، فضاعت معالم الديوان واختلط الحابل بالنابل.

ولم يقف محقِّق الطبعة المصرية على هذه الطبعة العراقية، وتجاهلها فلم يذكرها ولومن أجل الاعتذار عن عدم الاطّلاع عليها. وهي منتشرة بأيدي الناس وطالما أشار إليها الباحثون، ونحن في عصر الاتصالات والمجلات العلمية والمكتبات ومعارض الكتب. وهو أولى بمعرفة وجودها لأنَّه حريص على كلّ ما يتعلَّق بكَشاجم، وقد رجع إلى دواوين أخرى ممَّا صدر في العراق ومنها ديوان السَّريّ الرَّفّاء، فلا أقلَّ من أن يكون قد سمع بها في المجالس والكتب والمقالات. فكان يجب عليه أن يبحث عنها ويستفيد منها. وبلغني أن الأستاذ هلال ناجي استدرك على الطبعة العراقية في بعض المجلات، ثمَّ نشره في كتابه (هوامش تراثية). فلم يرجع إليه المحقِّق إن كان قد علم به. وهذا باب خطير من أبواب النقص الملحوظة في الأعمال العلمية العربية، أعني ضعف وسائل الباحثين عن معرفة البحوث المنشورة والحصول عليها للاستفادة منها، فتضيع الجهود السابقة لأنها لا يُستفاد منها، وتضيع الجهود اللاحقة لأن الجهود الأولى تُغني عن كثير منها.

ولم أقصد في هذه المقالة إلى نقد هاتين الطبعتين، مع أن الحاجة قائمة إلى نقدهما. ولا يزال الديوان في رأيي بحاجة إلى تحقيق جديد صحيح!

اسم أبيه وجدّه:

لقد وقع القدماء والمعاصرون في أوهام كثيرة تتعلَّق بكَشاجم، فاختلفوا في اسم أبيه وجدّه وفي كنيته وفي تاريخ وفاته، وأورد بعضهم أخباراً لا تصح عنه. وسوف أشرح هذه الإشكالات ثمَّ أعرض رأيي في تخريجها، وهو تخريج قريب موثَّق يفسِّر أكثرها من غير تكلُّف إن شاء الله.

وأوّل إشكالٍ يتعلّق باسم أبيه وجدّه: فقد أجمعتْ نُسخ ديوانه وجمهور المصادر على أنه (أبو الفتح محمود بن الحُسين)، وزاد بعضها بعد الحُسين (ابن السِّنْدي بن شاهك الرَّمْلي). ونص عصريّه المسعودي على ذلك في مروج الذهب ٣٦٦/٤، وقال في موضع آخر (أنشدني أبو الفتح محمود ابن الحُسين بن شاهك الكاتب، وكان من أهل العلم والدراية والمعرفة والأُدب). وقال ابن العديم في ترجمة أبي نصر من بُغية الطلب ١١١/٣ ما مختصره (أحمد بن محمود بن الحُسين بن السِّنْدي بن شاهك، أبو نصر بن أبي الفتح الكاتب المعروف والده بكَشاجم من ولد يزدجرد - وقيل اسمه محمَّد، وقيل الفتح - شاعرٌ ابن شاعر، **كان مع أبيه بحلب**). وقال الزِّرِكلي في حاشية الأعلام ١٦٧/٧ ما مختصره (كذلك ورد اسمه في مقدِّمة نسخة قديمة من ديوانه كتبت سنة ٥١٤، ونقل حبيب زيات من مخطوطة اطلع عليها أن له ابناً اسمه أبو الفرج أحمد بن محمود بن الحُسين بن السِّنْدي بن شاهك). فهناك اضطراب في اسم ابنيه، **ولكن لا خلاف على أنّه محمود بن الحُسين بن السِّنْدي**. وقد صرَّح هو باسم جدّه السِّنْدي فقال:

في سطورٍ أعارها جَدِّيَ السِّنْـ ـدِيُّ من نقشِ نفسهِ في النقودِ

ومن الممكن أن يقال إنه جدّ أبيه، ولكن لا ينبغي - والحال هذه - العدولُ عن المعنى الحرفي إلا بدليل.

والإشكال في ذلك أن السِّنْدي بن شاهك رجل معروف، وكان صاحب الشرطة والحرس للرشيد المتوفَّى سنة ١٩٢ كما في الوزراء للجهشياري ٢٣٦ وغيره، وقال ابن خلكان ٣١٠/٥ في ترجمة موسى الكاظم الذي حبسه الرشيد (وكان المُوَكَّلُ به مدّة حبسه السِّنْديَّ بن شاهك جدّ كشاجم الشاعر المشهور). وله أخبار مع الهادي والأمين والمأمون، بل قال بعض الدارسين إنه كان من خاصّة أبي جعفر المنصور المتوفَّى سنة ١٥٨

كما يستفاد من كلام الجاحظ في البيان ٢/٣٢٨. فكيف يعيش حفيدُه كَشاجم ليكون شاعراً أو طباخاً لسيف الدولة المتوفَّى سنة ٣٥٦ وتقع وفاته في سنة ٣٦٠؟ هذا لا يكون في المعتاد من الأعمار مع أنه غير مستحيل، ولكنَّه بعيد جداً.

واضطربوا في تخريج هذا الإشكال. فقال الزِّرِكلي في الحاشية (لا بدَّ من أبوين على الأقلّ لملء المدَّة)، وأشار إلى قول السيوطي في حسن المحاضرة ١/٥٦٠ بأنه محمود بن محمَّد بن الحُسين بن السِّنْدي، واستحسن هذه الزيادة لأنها تسدّ الفراغ. ولكنَّه لم يأخذ بها كما يتضح من ترتيب الأسماء في كتاب الأعلام ومن التعقيب عليه بذكر إجماع النُّسخ على خلافه.

أمّا الدكتور شعلان فجاء في مقدِّمة تحقيقه الديوان – وفي مقدِّمة أدب النديم أيضاً – بتخريج من أغرب ما يكون! فقد استخرج من كتب الجاحظ اسمي نصر وإبراهيمَ ابني السندي بن شاهك، وزعم – من غير دليل – أنه لم يكن لهما أخ ثالث، وأن كَشاجم يَجِب أنْ يكون حفيداً لإبراهيم لأن الجاحظ أثنى على علمه وفضله فهو أولى بأن يكون جدَّ كَشاجم! فوقع في ثلاثة محاذير: زيادة اسم في سلسلة النسب، وتخصيص إبراهيم من غير مخصِّص، وإنكار أن يكون الحُسين ابناً ثالثاً للسندي! وهذا النوع من التلفيق لا يُعاجُ عليه.

وإنَّما وقع الناس في هذا الإشكال لقعودهم عن تحقيق عصره.

كُنْيته:

أطبق المؤرخون والأدباء على أنَّه أبو الفتح، وأجمعت على ذلك نسخ الديوان بحيث لا يُرتاب في ذلك على الإطلاق. ولكن شذَّ السيوطي فكنّاه بأبي نصر، فقال شعلان في مقدِّمة الديوان (لم أدر من أين جاء السيوطي بما قال في اسم الشاعر وكنيته). والحقّ أنه لم يبتدع شيئاً من عند نفسه، فلقد

سبقه إلى ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام ٢٣٣ (جزء وفيات ٣٦٠) وسير أعلام النبلاء ٢٨٥/١٦ والعبر ٣٢٢/٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٥/١٦.

وهذا الإشكال أيضاً فرع من الإشكال الأول، وسيأتي جلاؤه إن شاء الله.

تاريخ وفاته:

ثمّ يأتي الإشكال الأعظم في تحديد عصره وتعيين تاريخ وفاته. ولا أجد بُدّاً من استعراض أقوالهم مرتبة على التواريخ، وهي على النحو التالي:

• فورد في مقدّمة الطبعة الأولى من الديوان (بيروت ١٣١٣) أنّه مات في سنة ٣٣٠. ولم أعرف سند ذلك، وأظنّ أن الناشر وجده في النسخة المطبوع منها.

• وذكره بعض علماء القرن الرابع فلم يذكروا تاريخ وفاته، وهم: المسعودي المتوفّى سنة ٣٤٦ في المروج ٣٦٢/٤ - ٣٦٩، والشابُشْتي المتوفّى سنة ٣٨٨ في الديارات ٢٦٠، وابن النديم في الفهرست ١٥٤. ويُستفاد من مجموع كلامهم أنّه كان من رجال أوائل القرن لأن المسعودي التقى به وذكر أشياء من شعره أُنشدت في مجلس المستكفي العباسي الذي تولّى الخلافة من سنة ٣٣٣ إلى سنة ٣٣٤، ولم يذكر الشابُشْتي وابن النديم بقاءه إلى عصرهما.

• ولم يترجم له الثعالبي المتوفّى سنة ٤٢٩ في يتيمة الدهر، وإنّما ترجم لابنه أبي نصر، وهو لا يُقارَن به. هذا مع أنه من أشهر شعراء الشام والثعالبي شديد الإعجاب بهم، ومع قوله عن ديوانه (وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك الديار). فالتفسير المعقول لذلك أنه عاش قبل العصر المقصود من تصنيف اليتيمة، كما لم يترجم لأمثاله كالخبزرزّي والصّنوبريّ.

• وأثنى عليه ابن شرف القيرواني المتوفَّى سنة ٤٦٠ في مقامته المسمّاة برسائل الانتقاد (انظر رسائل البلغاء ٣٢١). وليس من طريقته ذكر الوفيات، ولكن أسماء الشعراء في كلامه مرتَّبة على العصور إجمالاً، فجعله بعد ابن المعتزّ وابن الرُّومي وقبل الصَّنَوبريّ والخبزرزّي وأبي فراس والمتنبّي.

• وترجم له الحافظ ابن عساكر المتوفىً سنة ٥٧١، وهو أشهر مؤرخي بلاد الشام، في مختصر تاريخ دمشق ١١٧/٢٤، **ولم يذكر تاريخ وفاته.**

• وترجم له ابن العديم مرَّتين في بُغية الطلب، ولكنَّ الترجمة المطوَّلة ضاعت فيما ضاع من أجزاء الكتاب، وبقيت المختصرة وهي سطران. وبقيت ترجمة ابنه أبي نصر وهي مفيدة جداً في معرفة عصر أبيه.

• وترجم له الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ في الكتب المذكورة قبل، وكنّاه بأبي نصر، وجعله ضمن وفيات سنة ٣٦٠ من غير تصريح بتاريخ وفاته. وقال (روى عنه الحُسين بن عُثمان الخرقي وغيره)، وسيأتي بيان ما فيه من الخلط.

• وترجم له الصفَدي المتوفَّى سنة ٧٦٤ في الوافي. ولم أقف على كلامه بعد، وأظنّه موجوداً في كتاب ابن شاكر لأنه يسلخ كلامه غالباً.

• وترجم له محمَّد بن شاكر الكتبي المتوفَّى سنة ٧٦٤ في عيون التواريخ ٦١/١٢ (نسخة الظاهرية) وفوات الوفيات ٩٩/٤، وقال في الفوات (كان من شعراء أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة ... وكانت وفاته في حدود الخمسين وثلاث مئة).

• وقال ابن كثير المتوفَّى سنة ٧٧٤ رحمه الله في البداية والنهاية ٢٨٥/١٦ فقال (كشاجم: شاعر زمانه، يذكر مع المتنبي. وهو **أبونصرمحمود بن حسين،** له ذكر في تاريخ دمشق، روى عنه الحسين بن عثمان الخرقي وغيره). وهذا الكلام مليء بالأوهام.

● وترجم له الزركشي المتوفَّى سنة ٧٩٤ في عقود الجمان ٣٢٢ (وهو مخطوط لم أقف عليه بعد).

● وترجم له السيوطي المتوفَّى سنة ٩١١ في حسن المحاضرة ١/٥٦٠، وكنّاه بأبي نصر، ولم يصرّح بتاريخ وفاته، ولكن جاء به مع المتنبي في سياق واحد. وورد في حاشية الأعلام للزِّركلي أنَّه سلكه في الوفيات الواقعة بين سنة ٣٤٥ وسنة ٣٥٤.

● وذكره الحاج خليفة المتوفَّى سنة ١٠٦٧ في كشف الظنون ١/٨٠٧ وفي مواضع أخرى، فجعل وفاته في سنة ٣٥٠.

● وترجم ابن العماد الحنبلي المتوفَّى سنة ١٠٨٩ في شذرات الذهب ٣/٣٧، وجعل وفاته في سنة ٣٦٠.

● وذكره الزبيدي في تاج العروس ٩/٤٦، ولم يذكر متى مات.

● وترجم له جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٣٥٤ فلم يقطع بشيء في تاريخ وفاته.

● وترجم له بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢/٧٧، وجعل وفاته في سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠. وقال (كان يعمل في خدمة سيف الدولة مُنَجِّماً ورئيساً للطبّاخين). وقال إنه مدح ابن حمدان أمير الزاب من بلاد إفريقية. وهو غلط محض كما يتَّضح من مراجعة مصدره وهو كتاب رسائل الانتقاد لابن شرف. ولكنَّه تكرر في غير كتاب من غير إشارة إلى كتاب بروكلمان!

● وترجم له الزِّركلي في الأعلام ٧/١٦٧، فجعلها في سنة ٣٦٠، مع الإشارة إلى الأقوال الأخرى. ولكنَّه قال (استقرَّ في حلب فكان من شعراء أبي الهيجاء ثمَّ ابنه سيف الدولة.). وهذا وهم في العبارة لأن أبا الهيجاء لا علاقة له بحلب. وقال (وقيل: كان في أوَّليَّته طبّاخاً لسيف الدولة)، وهذا وهم آخر لأن صلته بسيف الدولة على فرض صحتَّها لم تقع إلا في آخر

حياة كَشاجم.

* وترجم لـه كحـالة في معجم المؤلفين ٢/٨٠٣ (الطبعة الجديدة)، فجعلها في سنة ٣٦٠.

* ونقل المستشرق ولفنسون في مقالة له في مجلة المجمع بدمشق ١٨/٢١١ (١٩٤٣) الأقوال المختلفة في تاريخ وفاته ولم يرجّح شيئاً منها، إلا أنه أشار إلى انقطاع أخباره في عصر سيف الدولة.

* وترجم له الدكتور محمّد أسعد طلس رحمه الله في مقدّمة كتاب المصايد. فقدّر مولده بسنة ٢٩٥، وهو غلط ظاهر يتعارض مع قول المصنّف في الصفحة ١٦ (وكلّ ما أذكره من ذلك سماعي من إبراهيم بن جابر بحلب سنة أربع وثلاث مئة)، فهذا ليس قول ابن تسع. وكتب على الغلاف (المتوفّى بعد سنة ٣٥٨)، اعتماداً على أنّه هجا كافوراً الإخشيدي، وهذا وهم فاحش أيضاً.

* وعدّه الدكتور عبد الوهاب عزام ضمن شعراء سيف الدولة، وأشار إلى أنه مدح ابن حنزابة وزير كافور (ذكرى أبي الطيّب ١٩و ١٠٨). ولا أصل لذلك كلّه.

* وترجم له الدكتور سامي الدهان رحمة الله في كتابه قدماء ومعاصرون ١٣ - ٣٠، وجعله من شعراء سيف الدولة، وكتب في الحاشية (المتوفّى سنة ٣٤٠). ولكنّه ذكر في موضع آخر أن التاريخ لم يحفظ سنة وفاته. فمن الواضح أنّه لم يبحث هذه المسألة مع اهتمامه المعروف بشعراء الشام في القرن الرابع.

* وترجم له الدكتور فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ٢/٤/٤٤ في جملة شعراء سيف الدولة، فقال إنه قدم إلى مصر سنة ٣٣٩ (ولم يذكر سند قوله هذا)، ورجّح أنّه مات في سنة ٣٦٠.

* وذكره الدكتور عمر فرّوخ في تاريخ الأدب العربي ٢/٥٠٥، وأشار إلى مولده في بَلْخ من غير ذكر المصدر - وهو غريب جداً - وجعل وفاته في سنة ٣٦٠.

* أما الدكتور شوقي ضيف فلم يترجم له في كتاب العصر العباسي الثاني الذي ينتهي عند سنة ٣٣٤. وإنّما ذكره في الكتاب التالي وهو كتاب عصر الدول والإمارات (قسم الشام ١٨٩)، وقال: نظنّ ظناً أنه وُلد سنة ٢٩٠، ورجّح وفاته في سنة ٣٦٠، وأشار إلى صلته بسيف الدولة.

* وقال الدكتور إحسان عبّاس في حاشية ديوان الصَّنَوبري ٢٩٤ (ومن الظاهر أن كَشاجم تُوُفّي قبل الصَّنَوبري في حدود سنة ٣٣٠)، وهو رأي ما أحراه بالصحّة، وقد مات الصَّنَوبريّ في سنة ٣٣٤ كما هو معلوم. وأضاف (ويقال إنّه خطب إلى الصَّنَوبريّ ابنته)، هكذا بعبارة التمريض من غير ذكر المصدر، والذي في ديوان كَشاجم تعزيتُه بموت بنته.

* وذكرت السيدة خيرية محفوظ في مقدّمة الديوان ما قيل عن وفاته في سنة ٣٦٠، وأن الأكثر على وفاته في سنة ٣٥٠، فكأنها ترجّح ذلك.

* وسلكه الدكتور مصطفى الشكعة مع أبي الفرج الببغاء في عداد كُتّاب سيف الدولة من غير إحالة على مصدر (انظر كتابه: سيف الدولة الحمداني ٢٤٢). وقد ذكر كثيراً من رسائل الببغاء المكتوبة لسيف الدولة ولم يذكر شيئاً لكشاجم. ولا شكّ عندي أنه ركّب وصفه بالكتابة على عمله المزعوم عند سيف الدولة، فصار كاتباً من كتّابه.

* وذهب الأُستاذ هلال ناجي في كتابه هوامش تراثية إلى أن مولده لا يُعلم على وجه التحقيق، ورجّح وفاته سنة ٣٥٠.

* وبلغني أن الدكتورة ثريا ملحس لها عنه رسالة جامعية، مقدّمة إلى الجامعة اليسوعية سنة ١٩٨١. ومما ورد فيها أنه ولد في بغداد ومات بها،

فهو بغدادي لا رَمْليّ، لأن الرملة غير مذكورة في شعره، ورجّحت أنه مات سنة ٣٤٨. ولم أقف على هذه الرسالة، ولا أطمئن إلى هذه النتائج، والرجل شاميّ رَمْليّ حلبي من غير شكّ.

* ومضى أن الدكتور شعلان كتب على غلاف الديوان أنه مات في سنة ٣٦٠، من غير تحقيق لهذه المسألة المهمّة.

فالحاصل أن القدماء إلى منتصف القرن الثامن لم يذكروا تاريخ وفاته، ومنهم ابن عساكر مؤرخ الشام. ولكن طريقة المتأخرين في ترتيب التراجم على طبقات، بدلاً من ترتيبها على الحروف أو نشرها كما يتّفق، تجعلهم يضطرّون إلى الاجتهاد والتخمين لوضع الترجمة التي يجهلون وفاة صاحبها في أصلح الأماكن لها على وجه التقريب والتقدير، وقد صرّح بذلك الذهبي في غير موضع من كتاب تاريخ الإسلام. وهذا تفسير صنيعه وصنيع من جاء بعده في تقدير وفاة كَشاجم، فإنهم قرؤوا ما يَدُلُّ على أنه كان من رجال سيف الدولة ـ بصرف النظر عن صحّة ذلك في نفسه ـ فاجتهدوا في تقدير تاريخ وفاته وجعلوها في سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠.

وتابعهم أكثر أهل عصرنا من غير تحقيق، وانطلقوا إلى التشكيك في عدد الآباء بينه وبين جدّه السندي وتخيّلوا أشياء لا أصل لها. ولا يُستغرب ذلك من بروكلمان والزِّركلي وكحالة وفرّوخ وسزكين وغيرهم ممّن يكتبون تواريخ عامّة، وإنّما يُستغرب ممّن فرغ للترجمة له وتحقيق ديوانه ومصنّفاته فلم يحقّق عصره وتاريخ وفاته، ويمرّ على الشواهد الكثيرة فلا يقف عندها.

والحقّ أن القول بوفاته في سنة ٣٦٠ أو بعد سنة ٣٥٨ **باطل قولاً واحداً**. والدليل على ذلك ما نقله ابن العديم من خطّ أديب مصري مشهور من أهل الضبط والتحقيق كان يعيش في ذلك العصر، وهو صالح بن إبراهيم

ابن رِشْدين راوية أبي الطيِّب المتنبّي، قال (هجا أبو الحسن محمَّد بن هارون الأكثمي أبا الفرج وأبا نصر عُبيد الله وأحمد ابني كَشاجم بهذه الأبيات فلم يجيباه:

أبْنَيْ كَشاجم أنتما	مُستعملانِ مُجَرَّبانِ
لو تَكْتُبانِ لذا الزما	نِ أمَتُّماهُ بلا زمانِ
مات المَشْؤومُ أبوكما	فخَلفتُماهُ على المكانِ
وقُرِنتُما في **عصرنا**	ففعلتُما فعلَ القِرانِ
بغَلاء أسعار الطعا	**م وميتةِ الملكِ الهِجانِ**

فكتب ابن العديم بخطه في الحاشية بإزاء البيت الأخير (الملك كافور). وهذه الأبيات موجودة في اليتيمة أيضاً ٣٩٣/١ من غير تفسير. ولقد أشار الشاعر في البيت الثالث إلى وفاة أبيهما المشؤوم كَشاجم، ويُفهم من كلمة «عصرنا» في البيت الرابع أنَّ موته متقدِّم بعض الشيء. وتضمَّن البيت الخامس ما يَدُلُّ على تاريخ الأبيات وهو وفاة كافور في سنة ٣٥٦. وقال ابن العديم في موضع آخر ١١٢/٣ (تُوفِّي أبو نصر بعد موت كافور في حدود الستين والثلاث مئة). فلقد مات كَشاجم قبل سنة ٣٥٦ يقيناً. والإشارة واضحة في هذه الأبيات إلى اشتغاله وأبنائه بصنعة الكتابة وأنهم كانوا رجال دولة، فهي تدحض ما قيل من اشتغاله بالطبخ لسيف الدولة، ولو وقع ذلك لأشار إليه هذا الشاعر في هجائهم.

دلالة الديوان على عصره:

لم أجد في الديوان نصاً يدل على تاريخ مولده ولا وفاته، ولكنَّ فيه إشارات كثيرة يشهد بعضها لبعض، **وهي قاطعة الدلالة على أنه من مخضرمي القرنين الثالث والرابع.**

فلقد مدح أبا الحَسن عليّ بن سُليمان الأخفش ـ النحويّ المشهور

المتوفى سنة ٣١٥ - بقصيدتين، وفيهما إشارة إلى وجود الأخفش في الشام آنذاك (الديوان ٤٢ و ٥٨، وستكون الإحالة على الطبعة المصرية بتحقيق الدكتور شعلان). وفي ديوان الصَّنَوبريّ ٣٧٣ و ٤٢٠ قصيدتان في مدحه أيضاً. ويُستفاد من أخبار الأخفش أنه ذهب إلى مصر في سنة ٢٨٧، ثمَّ جاء إلى حلب في سنة ٣٠٠، ثم عاد منها إلى بغداد في سنة ٣٠٥. فينبغي أن يكونا قد مدحاه **في أوائل القرن الرابع** عندما كان يقيم في حلب. وهذه قرينة قوية جداً.

ويهدينا ديوانه وديوان الصَّنَوبريّ إلى عمق الصداقة بينهما، وقد تبادلا قصائد كثيرة، واستهداه كشاجم أشجاراً ليغرسها في حديقته، ولا يكون استهداء الأشجار إلا إذا كانا مستقرَّين في بلد واحد،أي في حلب. وثَمَّة قصيدة متنازعة بينهما، أعني أنها موجودة في ديوا نيهما. ورأى الدكتور شعلان أن كَشاجم أعطاها للصَّنَوبريّ ليقرأها فدخلت في ديوانه. والأمر في ظنّي على العكس؛ لأن ديوان كَشاجم مضطرب غير مسموع عليه، ويظهر أنه جُمع بعد وفاته، فمن السهل أن تدخل فيه أشعار لغيره.

ومع ذلك كلّه لا نَجِد رثاء أحدهما لصاحبه، ولكنَّ ديوان كَشاجم باقٍ بتمامه وديوان الصَّنَوبريّ ناقص بمقدار الثلثين تقريباً. فالأقرب إلى المعقول أن يكون رثاء الصَّنوبري لكَشاجم ضاع فيما ضاع من ديوانه.

وقد تواردا على مدح كثير من الرجال غير الأخفش أو هجائهم أو رثائهم، ومنهم أبو العباس محمَّد بن أحمد بن عبد الله الرَّشيديّ وأبو الحُسين الهاشمي وعبد الملك بن محمَّد الهاشمي وأحمد بن إسماعيل الإسكافي وأبو بكر الدقيشي، فهذا يَدُلُّ بوضوح على تعاصرهما زماناً ومكاناً. ولم أجد بياناً شافياً عن هؤلاء القوم، ولعلَّ المصادر لا تخلو من الإشارة إلى بعضهم. وأظنّ أنَّ أبا العباس الرشيدي كان يلي بعض الأعمال

في حلب أو غيرها من بلاد الشام؛ لأن كَشاجم يطلب منه تشغيله في وظيفة الكتابة. فإن صحَّ ذلك فينبغي أن يكون في أواخر القرن الثالث أو أوائل الرابع عندما كان الحلّ والعقد بيد الخليفة العباسي؛ لأن أمور الخلافة اضطربت كثيراً بعد مقتل المقتدر في سنة ٣٢٠، ووثب الناس على الولايات، فلا مجال لتولية أمير من البيت العباسي إلا في عصر سيادة الخلافة.

وترجم ابن العديم في البغية ٣/ ٥٠ لأبي الحسن أحمد بن محمَّد بن أبي يعقوب بن هارون الرشيد، وذكر أنه يلقب بالرشيدي، ومدحه الشعراء من أمثال الصَّنوبري وابن الزكورية الأنطاكي، **وروى عنه أبو الفتح كشاجم وأبو بكر الصولي**، وتولى أحكام المظالم والأمور الدينية ـ يعني في حلب على ما يظهر من سياق الكلام ـ وكان له عناية برواية الحديث، وتوفي في سنة ٣١٤. فهذا ينطبق على الممدوح من كلّ وجه إلا الاختلاف في الاسم والكنية!

وقال كشاجم في كتاب المصايد ٧ (أخبرني بمثله أبو بكر الصولي). وقد ولد الصولي في سنة ٢٥٠ تقريباً ومات في سنة ٣٣٥، ومن الواضح أنه كان من أقران كشاجم. ولا أدري هل التقيا في الشام أم في العراق. وفي وفيات الأعيان ٢/ ١٤ خبر يرويه الصولي عن كتاب المصايد لكشاجم، وأخشى أن يكون وقع خلل في هذا الموضع من وفيات الأعيان، ولا يصحّ تعليق المحقِّق بأن الصولي قد يكون ذكره في شرح ديوان أبي تمام لأنه غير موجود فيه.

وفي الديوان قصيدة في مدح أبي عليّ بن مُقْلة الوزير الخطّاط المشهور، وقد تولى الوزارة ثلاث مرات بين سنتي ٣١٦ ـ ٣٢٤ (الديوان ٣١٠). فقد يكون كَشاجم جاء إليه في بغداد أو أرسلها إليه من الشام.

والمُهِمّ أن تاريخها يشهد مرَّة أخرى لوفاته في أوائل القرن، لا لأنه يستحيل بقاؤه إلى منتصف القرن، ولكن لأن غزارة هذه الإشارات إلى أوَّل القرن يقابلها ضحالة شديدة في الإشارات إلى منتصف القرن كما سيتَّضح إن شاء الله.

وفيه قصيدة أخرى حاسمة في الدلالة على عصره، وهي في مدح الحسن بن الحسن بن رجاء، وسمّاه فيها بالحسن بن الحسن، وخاطبه بابن رجاء، والتمس فيها منه عملاً في مجال الكتابة (انظر الديوان ٣٨٠). وممَّا قاله فيها:

سليلُ أكابرَ سَنُّوا العُلا ... فأكْرِمْ بها وبهم من سُنَنْ
همُ أثبتوا المُلكَ في أُسِّهِ ... وشادوا دعائمَه والرُّكُنْ

فالممدوح وآباؤه كانوا من الولاة والقادة ورجال الدولة، وهذا هو الواقع. فجدّه رجاء بن أبي الضحّاك كان والياً على الخراج بدمشق فقُتل هناك في حادثة مشهورة ذكرها الطبري وغيره في حوادث سنة ٢٢٦. ووالده الحسن بن رجاء الكاتب المعروف، لم أعرف تاريخ مولده ولا وفاته ولم أجد له ترجمة شافية، ولكنّه كان غلاماً في عصر المأمون، وقد كلّمه فأُعجب بكلامه ورفع منزلته، وله شعر في مدحه (انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/٣٣٥ وإعتاب الكتاب ١٦٨ والمذاكرة للنشابي ٢١٠ وحاشية ديوان البُحتُري ٤/٢٣٤٦). ومدحه أبو تمّام بقصيدتين وهجاه البُحتُري، وله أخبار مع أبي تمّام ذكرها الصولي في أخبار أبي تمام ١٦٧ - ١٨٢. وذكر ابن القارح في رسالته إلى المعرّي ٤١ أنه كاد أن يضرب عُنقه بسبب استهزائه بالصلاة، فقال أبو العلاء في رسالة الغفران ٤٨٣ إن هذه الحكاية مشهورة. فيتَّضح من مجموع ذلك أنه ينبغي أن يكون قد وُلد قبل المئتين لأن المأمون قدم إلى بغداد من خراسان في سنة ٢٠٤ ومات في سنة ٢١٨، ومات أبو

تمّام في سنة ٢٣١. أمّا ابنه الحسن بن الحسن - ممدوح كَشاجم - فمعروف أيضاً وتاريخ وفاته محفوظ، فلقد ولاه الخليفة المكتفي - المتوفّى سنة ٢٩٥ - على أعمال الخراج والضّياع بحلب، ومات فيها فجأة في شهر جُمادى الأولى سنة ٣٠١ فنُقل تابوته إلى بغداد (انظر صلة تاريخ الطبري ٢٥ وزبدة الحلب ٩٥/١). وترجم له ابن العديم في موضعين من بغية الطلب ٣٤٦/٥ و٥/ ٣٦٦ لأنه كان يظنّ أنَّه الحسن بن الحُسين ثمّ صحّ لديه أنَّه الحسن بن الحسن، وذكر أنَّه كان والي حلب وأنه دُفن فيها. وكان ينبغي لمحقق الديوان أن يعرف هذه الحقائق التاريخية المُهِمّة، وهي قريبة المتناول في كتب التاريخ المعروفة.

ومدح ثلاثة من التّنوخيين: الحُسين بن عليّ، وأبا الحسن عُبيد الله بن إبراهيم، ورجلاً يقال له أبو القاسم (الديوان ١٥، ١٨، ٤٤٧). وذكر أن الحُسَين «من بني الفُصَيص»، وقال فيه:

تلقى الملوكَ الصِّيدَ حول رواقهِ لـلإذنِ أو زُمَـراً علـى أبوابِـهِ

فهذا يَدُلُّ على أنَّه كان أميراً. وذكر أن عُبيد الله من «آل إبراهيم» أي من بني الفُصَيص أيضاً. وقال على رأس مدح أبي القاسم (وقال يتشوَّق قوماً من بني الفُصَيص ويذكر رحيلهم عن الساحل)، والقصيدة صريحة في أنَّهم أُخرجوا من ساحل الشام بالقوَّة.

وهؤلاء القوم معروفون، فهم أمراء اللاذقية وما حولها، والفُصَيص هو جدّهم يوسف، وكان له ابنان: إسحاق وإبراهيم، ولا يمتنع أن يكون له ابن ثالث اسمه عليّ هو والد الحُسين هذا، وأكاد أجزم بأنَّ عُبيد الله بن إبراهيم أخو عليّ بن إبراهيم ممدوح المتنّبي. وقال ابن العديم في زبدة الحلب ٩٧/١ (ثمَّ ولَّى مُؤنسُ المظفَّرُ غلامَه طريفَ بن عبد الله السَّبْكريّ الخادم في سنة ٣١٩، وكان طريفاً شهماً شجاعاً. وحاصر بني الفُصَيص في حصونهم

باللاذقيّة وغيرها. فحاربوه حرباً شديداً حتّى نفد جميع ما كان عندهم من القُوت والماء، فنزلوا على الأمان، فوفّى لهم وأكرمهم، ودخلوا معه حلب مكرمين مُعظّمين)، ولم يذكر اسم أمير بني الفُصَيص. ولكنّ المفهوم من كلامه في بُغية الطلب ٤٩٢/١ أنه إبراهيم، ومن كلامه في البُغية ٣٥/٣ أنه إسحاق. وبين هذه النصوص بعض تعارض، ويظهر أن ابن العديم نقلها من مصادر مختلفة.

ثمّ تمكّنوا من استعادة اللاذقيّة، وجاء إليهم أبو الطيّب المتنبي من العراق في حدود سنة ٣٢١ ونزل في ضيافتهم، قبل أن يثور في بادية السماوة. فمدح كبيرهم محمّد بن إسحاق (ولكنه فيما يظهر صرف ذلك المدح إلى أخيه الحُسين بن إسحاق، ويطول الكلام في تفصيل أسباب ذلك). ثمّ مات محمّد فرثاه أبو الطيّب ومدح أخاه الحُسين، وأشار إلى الخلافات بينهم وبين أبناء عمّهم إبراهيم. ومن الواضح أنه كان منحازاً إلى آل إبراهيم، وقيل إنه هجا آل إسحاق، وزعم هو أن الهجاء قيل على لسانه. ولعلّ ذلك الخلاف كان له صلة بالدعوة الباطنية كما قال الأستاذ محمود شاكر رحمه الله. ثمّ وثب عليّ بن إبراهيم واستولى على الإمارة، فوفد عليه أبو الطيّب في حدود سنة ٣٣٠، ومدحه وحرّضه على استئصال شأفة أبناء عمّه.

فهذه التواريخ تدلّ على أن قصيدة كشاجم في مدح أبي القاسم قيلت في حدود سنة ٣٢٠، عندما كانوا في المنفى بحلب. ويُفهم منها أنّه كان سيّد قومه، ولكنّه لم يذكر اسمه. ولم أجد النصّ على كُنيتي الأبوين إسحاق وإبراهيم. والذي أظنّه أنهما قد ماتا قبل ذلك بكثير، وأن ما نقله ابن العديم من مصادره لا يصحّ، وشعر أبي الطيب يدلّ على أنهما كانا في الأموات سنة ٣٢١ لأنه كان يمدح ويهجو ويرثي أبناءهما. فعلى ذلك يكون أبو القاسم ممدوح كشاجم هو محمد بن إسحاق الذي رثاه المتنبي، ومعلوم

أن أبا القاسم كنية أكثر المحمَّدين.

ولقد طوتهم الأحداث بعد بضع سنين على أيةِ حال، حين دخلت اللاذقيّة وجميع ما حولها في مُلك سيف الدولة. فآخر تاريخ معقول لبقيَّة القصائد هو سنة ٣٣٣، وهذا يتَّفق مع تقديرنا لعصر كشاجم.

وظنَّ الدكتور محمد أسعد طلس أنه هجا كافوراً الإخشيديّ المتوفىّ سنة ٣٥٦ بالقصيدة التي أوَّلها:

أكافُور قُبِّحْتَ مِنْ خَادِمٍ ولا قتكَ مُسْرِعةً جائحَهْ

وأحال على كتاب الإعجاز والإيجاز للثعالبي ٢٥٨، وبناء على ذلك وضع على غلاف كتاب المصايد (المتوفَّى بعد سنة ٣٥٨). **وهو وهم بلا شكٍّ،** لأن الثعالبي لم يَقُل إنها في كافور الإخشيديّ وإنَّما في كافور فقط، وكان ينبغي مراجعتها في الديوان. والقصيدة ثابتة فيه (الديوان ٩٥)، وتوجد كذلك في خاص الخاص ١٣٥ ولباب الآداب ١٠٢/٢ وهما للثعالبي أيضاً. وقيل على رأسها في الديوان (قال يهجو كافوراً، **غلام له**)، فثبت أنَّه لا علاقة لها بكافور الإخشيديّ. وممّا يُستطرف أن بعض متأخري المغاربة ركَّب على هذا الوهم في كافور وهماً آخر، فجعلها لأبي الطيِّب المتنبّي وأدخلها في ديوانه!

وورد في خاتمة نسخة الأصل المصرية ما مختصره (قال أبو بكر محمَّد بن عبد الله الحمدوني: هذا آخر ما وقع إلينا من شعره **وما صحَّ عنه،** قد جمعتُه وألَّفتُه على حروف المعجم. ثمَّ لقيتُ أبا الفرج بن كَشاجم بالرَّيّ فأنشدني لوالده ...)، وساق أشعاراً غير قليلة ليست في أصل الديوان، وسيأتي القول في كثير منها. وهذا هو نفس الابن المذكور سابقاً. ولا نعرف متى وقع هذا اللقاء بينهما، ولكن ينبغي أن يكون الحمدوني قد جمع الديوان بعد وفاة الشاعر، وأن يكون الديوان بزياداته موجوداً في حياة السَّريّ الرَّفّاء

(المتوفّى سنة ٣٦٢ على أصح الأقوال)؛ لأن الأشعار التي قال الثعالبي إنّه دسّها في الديوان موجودة في متن هذه النُسخة وزيادتها. ومن الواضح على أية حال أنّ كَشاجم مات قبل السَّريّ بوقت طويل. فمن البعيد أن يشتغل بنسخ ديوان شاعر لا يزال على قيد الحياة فيدسّ فيه أشعار الخالديين، ولا أن يتجرأ الخالديان فيسرقا منه هذه القصائد غير القليلة ثمّ لا يفطن الناس إلى ذلك.

دلائل أخرى من التاريخ:

ولقد ورد في التواريخ ما يشير أيضاً إلى أن كَشاجم كان من مخضرمي القرنين، ومن ذلك:

* أن السندي بن شاهك جدّه القريب، وعصره ما علمت، فالمعقول أن يكون حفيده قد وُلد في النصف الثاني من القرن الثالث ومات في النصف الأول من القرن الرابع. ولا حاجة لاستشكال ذلك ومُعالجته بإضافة أسماء لا أصل لها.

* ورد في كتاب المصايد ما يدلّ على أن المصنِّف كان رجلاً بالغاً في مطلع القرن الرابع، ومضت الإشارة إلى ذلك.

* ذكر بعض المؤرخين أنّه كان من رجال أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة، وقال ابن شاكر في عيون التواريخ إنّه جاء معه إلى الموصل. ومعلوم أنّه ولي الموصل مرتين: الأولى من سنة ٢٩٣ إلى سنة ٣٠١، والثانية سنة ٣١٤ ثمّ مات مقتولاً في سنة ٣١٧. فهذا إن صحّ دليل قاطع.

* ومضى النصّ على أن أبا الفرج وأبا نصر كانا رجلين من رجال الدولة في سنة ٣٥٦، بل قبل ذلك. ومضى تصريح ابن العديم بأن أبا نصر تُوفّي بعد موت كافور في حدود الستين والثلاث مئة.

* وترجم الثعالبي (٣٥٠ ـ ٤٢٩) لأبي نصر في اليتيمة ١/٢٨٥، **فروى عنه بواسطة رجل واحد،** وذكر شعراً له في مدح إسحاق بن كيغلغ (مهجوّ المتنبي الذي مات مقتولاً بيد غلمانه في سنة ٣٤٨)، وفي مدح ابن حنزابة وزير كافور. فمن الواضح أنه كان من طبقة المتنبّي وسيف الدولة وكافور، كما كان أبوه كَشاجم من طبقة الصنَّوبريّ وأبي الهيجاء والد سيف الدولة.

* وروى الخطيب البغدادي في كتاب البخلاء ١٢٦ (طبعة مصر ١٩٩٠) شعراً لكشاجم بالإسناد المتَّصل إلى صالح بن رِشدين راوية أبي الطيِّب وصاحبه في مصر، عن أبي نصر. وهذا يدلّ أيضاً على أن الابن كان من طبقة أبي الطيِّب.

* وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي نصر قول أبي عبد الله الحُسين بن عُثمان الخِرَقي إنَّه ـ أي الخرقي ـ كان في الرملة سنة ٣٥٦ وقد ورد إليها أبوعليّ القرمطي صاحب الأحساء، **وذكر أنَّ أبا نصر بن كَشاجم كان كاتبه**، وحكى حكاية شهدها هو وأبو نصر في مجلس القرمطي، وفيها أبيات في الشمعة قالها القرمطي بديهاً فأجازها أبو نصر (انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/٣١١).

انقطاع أخباره في عصر سيف الدولة:

هذه الإشارات التاريخية المتواترة يقابلها ويشهد لها غيابٌ تامّ في الإشارات إلى مابعد سنة ٣٣٠. وقد شهدت هذه السنوات قيام الدولة الحمدانية في حلب، ولقي الشعراء من رعاية سيف الدولة ونواله مالا نظير له، فطرؤوا على حلب من البلدان كافة. ولقد مات الصنَّوبريّ بعد دخول سيف الدولة إلى حلب بسنة أو أقل، ومع ذلك لم يَفُته أن يمدحه بقصيدة موجودة في ديوانه. ولكن لا ذكر له في ديوان كشاجم ولا ذكر لكشاجم

في أخبار سيف الدولة وأسماء شعرائه! وليس يُعقل أن يعيش مثله في حلب، ويعاصر أحداث الجهاد والصراع مع الروم، فلا يقول شيئاً في مدح هذا الأمير الكريم المجاهد! فكيف غاب صوته وانقطعت أخباره؟ إنَّ الجواب الواضح أنَّه كان قد غادر الدنيا قبل أن يأتي سيف الدولة إلى حلب.

وقال الثعالبي في اليتيمة ١/١٤ (وكان أبو بكر الخُوارزمي في ريعان عمره وعنفوان أمره قد دوَّخ بلاد الشام، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء، ومطرح الغرباء الفضلاء. فأقام ما أقام مع أبي عبد الله بن خالوَيْه وأبي الحَسن الشمشاطي وغيرهما من أئمة الأدب، وأبي الطيّب المتنبي وأبي العباس النامي وغيرهما من فحول الشعراء). وقال أبو العَلاء المعرّي في مقدّمة شرح ديوان ابن أبي حَصينة (وقد كان عليّ بن عبد الله بن حمدان أقام سوقاً للشعراء، وتفردَّ بتقريبهم دون الأمراء. فرحل إليه قريبهم والبعيد، والتُمس عنده النَّوال الرغيب لا الزهيد، فما اشتهر منهم إلا نفر قليل، منهم أحمد بن الحسين المتنبّي، وأحمد بن محمَّد النامي، والحارث بن سعيد المعروف بأبي فراس، ورجل يُعرف بابن كاتب البُكْتُمُريّ). ومن شعرائه أيضاً: أبو الفرج البَبغاء وأبو العباس الصفري وابن كوجك والخالديان وأبو الحصين الرَّقّي والشيظمي وأبو ذرّ وأبو محمَّد الفياض، ولاذكرَ لكَشاجم!

أمّا القول بأنه كان طبّاخاً عنده فلم يَرِد إلا في كتب المتأخرين كالصفدي في الوافي ٢١/١٩٥ والجزولي في مطالع البدور ٢/١٧٦، وذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٣/٣٨ بصيغة التمريض. وعبارة الصفدي (والناس يسمّون عصره وزمانه: الطراز المُذْهب؛ لأن الفضلاء الذين كانوا عنده والشعراء الذين مدحوه لم يأت بعدهم مثلُهم: خطيبه ابن نُباتة، ومعلّمه ابن خالوَيه، وطبّاخه كَشاجم، والخالديان خُزّان

كتبه، والمتنبي والسّلامي والوأواء والببّغاء وغيرهم شعراؤه). وهذا كلام إنشائي خالٍ من التحقيق، فابن خالويه لم يكن معلّماً لسيف الدولة بل لأولاده، والسلامي والوأواء لا أعلم أنهما كانا من شعرائه.

ولا أرتاب في أنه ضرب من التلفيق بعد الخلط بين كشاجم وبين ابنه أبي نصر، فلقد ذكر ابن فضل الله في مسالك الأبصار ١/١٠٥؟ أنَّ أبا نصر كان ماهراً في الطبيخ، فإن صحَّ ذلك فلا يعني أنَّه كان يطبخ للناس. والذي يَدُلُ عليه الديوان أنَّ كَشاجم كان يتكسَّب بشعره ويمدح الأمراء والأعيان منذ أوائل القرن، ويفتخر بإجادة الكتابة وإتقان أدواتها ويلتمس توظيفه في أعمالها لا في المطابخ.

ولقد سطعت في تلك السنين شمس أبي الطيّب المتنّبي وبهر العقول وشغل الناس، واختلفت فيه الآراء واشتدَّ الجدل حوله. ولقد تتبَّعت جميع أخباره ما وسعني التتبُّع فلم أجد فيها أيَّة إشارة إلى كَشاجم، ولا تفسير له إلا أنه كان قد مات.

الرأي في حلّ هذا الإشكال:

لعلَّه اتَّضح الآن كثرة الأدلة على أنه كان من مخضرمي القرنين الثالث والرابع ولم يدرك عصر سيف الدولة، وأن أولاده عاشوا في عصر سيف الدولة وكافور، وأنه مدح الحسن بن الحسن المتوفَّى سنة ٣٠١ يقيناً. فلا غرابة في أن يكون السندي بن شاهك جدّ المادح معاصراً لرجاء بن أبي الضحاك جدّ الممدوح، ولا حاجة بنا إلى استشكال عدد الآباء وتكلّف الأسماء لسدِّ هذا الفراغ المزعوم. وينبغي أن يكون قد مات في سنة ٣٣٠ التي ورد ذكرها في بعض نسخ الديوان. فهذا يحلّ جميع الإشكالات، لأنها إنما رسخت في الأذهان بناء على الاقتناع بوفاته في سنة ٣٦٠، فإذا حُذفت ثلاثون سنة استقام الأمر.

ولقد فرّق ابن العديم وابن عساكر - وهما من أثبات المؤرخين - بينه وبين ابنه أبي نصر، وعقدا لكلّ منهما ترجمة مستقلة، كما ترجم الثعالبي من قبلهما لأبي نصر فقط وذكر أباه استطراداً في ترجمة السَّريّ الرَّفّاء ولم يخلط بينهما. **ولكن وقع لدى المُتأخّرين خلطٌ غير مُستغرَب،** فظنّوا أن الشاعر المشهور هو أبو نصر، وألصقوا أخباره وكُنيته وتاريخ وفاته بأبيه الذي كان أشهر منه. فمن ههنا خلط الذهبي بينهما في النبلاء ١٦/٢٨٥، وظنّ أن الأب يكنى بأبي نصر مع أنَّه أبو الفتح بلا إشكال، وقال (روى عنه الحُسين بن عُثمان الخرقي وغيره) مع أن الخرقي يروي عن أبي نصر بلا إشكال أيضاً. وتابعه السيوطي على تكنيته بأبي نصر، واستشكل اسم محمَّد ابن محمود بن الحُسين - لأن كَشاجم اسمه محمود بيقين - فظن أنَّ الاسم مقلوب، فجمع بين الأغلاط وجعله أبا نصر محمود بن محمَّد بن الحُسين! ولا أرتاب في أن هذا الخلط هو أساس دعوى أن كَشاجم كان يعيش في عصر سيف الدولة وأنه مات في سنة ٣٥٠ أوفي سنة ٣٦٠. واستمر الخلط بينهما إلى عصرنا، فأضافت محقّقة الطبعة العراقية أبيات أبي نصر في صفة الشمعة إلى متن ديوان أبيه (انظر الصفحة ٣٨٨).

أمّا الطرف الآخر من الإشكال التاريخي - أعني أن يكون السندي بن شاهك من خاصَّة أبي جعفر المنصور المتوفى سنة ١٥٨ - فلم يقُم عليه دليل صريح؛ لأن الجاحظ لم يقُل ذلك في البيان ٢/٣٢٨، وإنَّما هي أخبار رواها عن السندي تتّصل بأشياء وقعت في مجلس المنصور وليس فيها التصريح بالحضور، وإنَّما قال في أحدها (فما علمنا أن المنصور ضحك كيومَئذٍ)، وفي الآخر (فكفَّ عنه الربيع حتَّى ظننّا كذا وكذا). فهذه العبارات ليست صريحة، وهي على أيةحال ليست كافية لإسقاط كونه جدّ كَشاجم، ونحن لا ندري متى مات السندي وابنه الحُسين ولا متى وُلد حفيده كَشاجم، ومن

الممكن جداً اجتماع التواريخ المُناسبة بحيث يكون الحُسين قد وُلد في أوائل القرن الثالث وأبوه كبير السنّ، وأنجب ابنه كَشاجم في منتصف القرن أو بعد ذلك بحيث أصبح شاعراً يُشار إليه بالبنان في أوّل القرن الرابع. وليس في بقاء حفيد السندي إلى ثلث القرن الرابع مايدعو إلى الاستغراب الزائد، وأنا أعرف رجلاً وُلد بعد ابن عمّه بنحو ثمانين عاماً، ورأيتُه في مجلس وفيه شيوخ طاعنون في السن وهو شابّ، فمازحه بعض الناس قائلاً: إنك لشيخ كبير لأن والد هؤلاء ابن عمّك!

وكان السندي عامل بغداد في عهد الرشيد، ثمّ وجدتُ في العقد ٦/ ٤٤٥ وكتاب المكافأة لابن الداية ١٢٩ ـ وهما معاصران لكشاجم ـ أنّ السندي كان من قوّاد المأمون وجلسائه. فهذا ينأى به عن عصر المنصور بنحو خمسين عاماً، ويُوغل به في القرن الثالث، ويقرّبه إلى عصر حفيده كشاجم. وممّا يَدُلُّ على ذلك أيضاً قول كَشاجم يمدح أبا العباس الرّشيدي:

يااِبنَ مولى أبي نَصْرِ السِّنْـ ـديِّ رُكْنِ الخلافةِ المَشْدُودِ
جامعِ السَّيْفِ للخليفةِ والأقـ ـلامِ أعْظِمْ بسَيِّدٍ ومَسُودِ
شَهِدَتْ غُرَّةُ الرَّشِيدِ على وجـ ـهِكَ بالمولدِ الزكيِّ السعيدِ

فهذا دليل صريح على أن السندي ـ وكنيته أبو نصر ـ كان من موالي هارون الرشيد وقادته وكُتّابه وأركان دولته. ومعلوم أن الولاء صلة ثابتة كالنسب، والغالب أن يكون ولاء الأعاجم لَمنْ أسلموا على أيديهم، وقد أسلم كثير منهم على أيدي العباسيين فانتسبوا إلى ولائهم. فمن البعيد أن يكون السندي من خاصّة أبي جعفر المنصور وجُلسائه قبل أن يثبت ولاؤه لأحد ، ثمّ يصير في شيخوخته من موالي هارون.

(آراء وأنباء)

فقيد المجمع

الأستاذ الدكتور مسعود بوبو(1)

(١٩٣٨- ١٩٩٩م)

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

أيتهـا النفـسُ أجملـي جزعـا إن الـذي تحذريـن قـد وقعـا

أقف موقفي هذا يُظلّني الخشوع، ويلفّني الحزن والأسى أسفاً علـى

---

(١) اختاره الله إلى جواره في فجر يوم الاثنين ١٩٩٩/٩/٢٠م، بأحد مستشفيات باريس.

وقد أقامت الهيئات والمؤسسات العلمية التي عمل فيها حفل تأبين له مساء الثلاثاء ١٩٩٩/١١/٢م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، بمناسبة انقضاء أربعين يوماً على وفاته.

وننشر هنا كلمتي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية، والأستاذ الدكتور محمد إحسان النص نائب رئيس المجمع، اللتين قيلتا في حفل التأبين. وستنشر هيئة الموسوعة العربية - وكان رحمه الله المدير العام لها - جميع كلمات حفل التأبين في كتيّب خاص، وتضم إليها طائفة طيبة من الكلمات التي كتبها أصدقاء الفقيد وعارفوه، تقديراً لفضله، وإشادة بمناقبه، رحمه الله الرحمة الواسعة، وجعل مثواه في عليين.

فقد الصديق العزيز الأستاذ مسعود الذي اختطفته المنية، أكثرَ ما كان عطاءً، وأكملَ ما كان عملاً، فكانت الفجيعةُ به بالغة.

أذكره فأذكر شمائله الغُرّ، وما تحلّى به من خصال طيبة حبّبته إلى معاشريه وأصدقائه والعاملين معه. يلقاك بابتسامته الحلوة، ويحدّثك ويحاورك فيما تتجاذبان من قضايا بصوته الهادئ العذب، فلا تحسّ أنه يغالبك، بل يبسط لك الرأي لتختار طريقك بعد اقتناع. وإنه ليملك إعجابك بدماثة خلقه، وشدة تهذيبه، وطيب قلبه، وتواضعه، فتحسُّ أنك قريب إليه، محبٌّ له.

عرفتُ الأستاذ مسعوداً، رحمه الله، زميلاً في قسم اللغة العربية بكلية الآداب (جامعة دمشق)، والتقينا مراراً على منصة الحكم في مُدرّج الكلية نناقش رسائل الماجستير والدكتوراه، وجمعتنا ندوةٌ حافلة في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد (٦/ ٦/ ١٩٩٢م) تحدثنا فيها عن أعمال الأستاذ العلامة محمد أحمد دهمان مؤرخ دمشق.

وبدا لي الصديق الكريم في مواقعه تلك الأستاذ العارف المتقن، يستقصي وينقّب ويبحث ليقدم الرأي الدقيق الحصيف، مع الأناة وحسن التأنّي، قد جمع صفتي العالم والمربّي.

وشاءت المصادفات السعيدة أن نجتمع بعدُ في كنف الموسوعة العربية، فقد تولّى منصب المدير العام المساعد لهيئة الموسوعة العربية (القرار الجمهوري رقم ٤٦ تاريخ ٢/ ١٠/ ١٩٩٣م)، وعملنا معاً سنة ونيّفاً كانت من أجمل أيامنا (١٠/١٠/١٩٩٣- ٣١/١٢/١٩٩٤م)،

فعرفتُ فيه عن قرب الصديق الصدوق، وحُبّب إلى نفسي ما فطر عليه من السجايا الحميدة، إلى جانب ما يتحلى به من صفات الجدّ والدأب والإخلاص في العمل، مع المعرفة العميقة الواسعة والكفاية.

وقد أتاحت له قراءاته الواسعة، ومواهبه ونشاطه المتواصل أن يبرّز في فنون من القول، وأن يشارك في مجالات مختلفة، فكتب المقالات والخواطر والقصة وأمثالها في المجال الأدبي، وكتب البحوث النفيسة في المجال اللغوي. وكانت له الدراسات اللغوية التاريخية التي امتدّ القول في بعضها، مثل مقالته «من تاريخ اللغة العربية»[1].

وكان له مشاركات في الندوات والمؤتمرات اللغوية والأدبية، وقام بالإشراف على الرسائل الجامعية، كما شارك في مناقشة مجموعة طيبة منها، وألقى المحاضرات في المراكز الثقافية والنوادي الأدبية، إلى غير ذلك من ضروب النشاط، ومنها مقالاتُه في الصحف، وأحاديثُه في الإذاعة، ويغلب عليها التوجيه اللغوي، أو الحديثُ الأدبي والثقافي. وقد نشر قسماً صالحاً من مقالاته اللغوية والأدبية والثقافية في مختلف المجلات في سورية والبلاد العربية.

ولعل من الخير أن تُجمع هذه المقالات وسواها مما نعثر عليه في المجلات والصحف لتصدر في كتب تجمعها فتغدوَ ميسّرةً لقرائها

(١) نشر منها سبع مقالات في مجلة: «دراسات تاريخية»، (س١٠ع٣٣-٣٤، س١١ع٣٧-٣٨، س١٤ع٤٧-٤٨، س١٥ع٤٩-٥٠، س١٦ع٥١-٥٢، س١٧ع٥٥-٥٦، س١٩ع٦٣-٦٤) وكان رحمه الله عازماً على إتمامها.

وطالبيها.

وأبرز مؤلفاته ستة كتب:

١- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج (وزارة الثقافة ١٩٨٢م) وهو رسالته للدكتوراه.

٢- نافذة على اللغة (دار البعث ١٩٨٣م) وهو مجموعة بحوث وزوايا لغوية كانت تنشر في صحيفة البعث.

٣- دراسات في اللغة (جامعة دمشق ١٩٨٤م) ويقع في قسمين: قسم خصص لعلم اللغة (اللسانيات)، وقسم لفقه اللغة العربية. وكان مقرراً لطلبة السنتين الثالثة والرابعة في قسم اللغة العربية.

٤- أبحاث في اللغة والأدب (دار شمأل بدمشق ١٩٩٤م) وهو مجموعة من البحوث اللغوية المتخصصة نشر معظمها في الدوريات العربية داخل سورية وخارجها.

٥- في فقه اللغة العربية (جامعة دمشق ١٩٩٤- ١٩٩٥م) وكان مقرراً لطلاب السنة الرابعة في قسم اللغة العزبية.

٦- الصوت والصدى (اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٩م) وهو كتابات تغلب عليها الخواطر والتأملات.

* * *

وقد هيأت دراساتُه الكثيرة، وقراءاتُه الواسعة المنوعة، ونشاطه المتوقد، ومشاركاتُه العلمية والأدبية الجمّة، وتعمقه في دراسة العربية

وتفهُّم أسرارها، وعرضُه لجملة من قضاياها، أن يقع الاختيار عليه لعضوية مجمع اللغة العربية، فانتخبه مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في ١٩٩٦/٢/٢٨م، عضواً عاملاً في المجمع، وصدر المرسوم الجمهوري (ذو الرقم ٤٨ في ١٩٩٧/٣/١٣م) بتعيينه، فانضم إلى مجمع الخالدين، وخصّه بجانب من وقته ونشاطه، فكان عضواً في أربع من لجان المجمع: لجنة المعجمات، ولجنة النشاط الثقافي، ولجنة الأصول، ولجنة المجلة إلى جانب مشاركته الجادة في مجلس المجمع. وعلى قصر المدة التي أمضاها، رحمه الله، في المجمع فقد كان طاقةً متجددةً في لجانه ومجلسه، وكان لمناقشاته ومقترحاته صداها الطيب، وآثارُها الفاعلة في نفوس زملائه. ولم يُغْفل الكتابة في مجلة المجمع ولا المحاضرة في موسم محاضراته[1].

إن المرء ليعجب وهو يتابع سيرة الأستاذ الكريم، رحمه الله، من قدرته الفائقة في ضبط الوقت، والإفادة من كل دقيقة، فكان في نشاطه مضرب المثل، يقوم بكل المهام المنوطة به على أتمّ وجه، ثم لا يصرفه ذلك كله عن الكتابة والبحث. كان المدير العام لهيئة الموسوعة العربية، والأستاذ بكلية الآداب، وعضوَ مجمع اللغة العربية، وعضو اتحاد الكتاب العرب. واستطاع، بما أُوتي من قدرة على التنظيم، أن يلبّيَ كل متطلبات هذه المهامّ، لا يكاد يخرم منها شيئاً، وأن يقدّم الكثير الطيّب من المقترحات التي تجوّد العمل وتحسّنه.

لقد رُزق، رحمه الله، حبَّ القراءة وموهبةَ الكتابة، مما أتاح له أن يقدّم هذه الثروة الفكرية الطائلة. ولئن كان الجانب اللغوي محور عمله وميدانه الذي يجول فيه، إنَّ ذلك لم يمنعه من الإطلالة الواسعة على

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧٣: ٢٣٧، ٥٥٥، مج ٧٤: ١٣٧.

ميادين الثقافة فعبّ منها ونهل. ومن هنا يطالعك هذا التنوعُ الجميل في نتاجه الخصب، وهو تنوع يتناول المادة والأسلوب معاً. إنه يواجهك في كتبه اللغوية بأسلوبه الرصين يميل به إلى الجزالة، وهو يختار الكتابة السهلة في كتبه التعليمية، فإذا آثر كتابة الخواطر والتأملات غلب على أكثرها الرقة والعذوبة والخيال.

وإذا كان المقام لا يتسع لي لوقفة تحليل وعرض لهذا النتاج فإنه لابد لي من إشارة عابرة لظاهرة استوقفتني هي ما يطفح به قلب فقيدنا الغالي من حب عميق لوطنه وبلده، وتعلقٍ شديد بلغته العربية الشريفة، ومقاومة صلبة لمشروعات الاستعمار البغيضة.

لقد كانت هذه العواطف الكريمة هي الموجه الأول له في حياته، تراها تنسرب بين كلماته هنا وهناك. ونظرة إلى كتابه الأخير: «الصوت والصدى» تفصح عن الكثير الكثير مما ذكرت.

يا فقيدنا الغالي

فارقتنا أحبَّ ما كنت إلينا، وأسعدَ ما كنّا بك. كنتَ في أوج عطائك، مازلتَ ناضرَ العود، واسع الأمل، ومازلتُ أذكر حديثك الرحب الفسيح عما تتطلع إلى إنجازه يوم ودّعتُك قبيل سفرك، وما خطر لي ببال أن يكون الوداع الأخير.

وقد كنت أرجو أن أُملّاك حقبةً   فحال قضاءُ الله دون رجائيا

فليرحمك الله الرحمة الواسعة، ولينزلك منازل الأبرار مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

كلمة الأستاذ الدكتور إحسان النص

نائب رئيس المجمع

ورئيس قسم الحضارة في هيئة الموسوعة العربية

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

سرعان ما غادرتنا يا أبا وجد، غادرتنا على غير توقع ولا ترقّب ونحن في أمسّ الحاجة إليك، وكانت وفاتك مفاجأة مذهلة لنا، لم نصدق النبأ الفاجع حين نُقل إلينا، فقد كنت بيننا قبل وفاتك بأيام، نتحدث ونتسامر ونعالج أمور الموسوعة بهمة ونشاط، دأبك في كل يوم، ولم يخطر لنا في بال أنك ستفارقنا بعد أيام، وسيغيب عنا وجهك الباسم المتدفق عزيمة ونشاطاً، فلمَ غادرتنا على هذا النحو المفاجئ السريع، أمللت جوارنا فآثرت عليه جوار ربك الأعلى، وآثرت الباقية على الفانية.

نحن نعلم أن الموت قدر كل كائن حي في هذه الدار الفانية، ولكننا كلما بلغتنا وفاة عزيز علينا يملكنا العجب ونتساءل: كيف، ولماذا، ونحن نردد ما قاله عبد الله بن الزبير حين بلغه مصرع أخيه مصعب: «إنّ لفراق الحميم لذعةً ولوعة.. يجدها حميمه عند المصيبة» فهو الأجل المحتوم وسنّة الوجود التي لا محيد عنها ولا مبدّل لها:﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهم

لاَ يَسْتَأخِرونَ سَاعةً ولاَ يَسْتَقْدِمُون﴾ صدق الله العظيم، فلا نملك إلاّ الإذعان لمشيئة الله وقدره.

عرفت مسعوداً طالباً في قسم اللغة العربية، وأشهد أنه كان طالباً مثالياً في جدّه وحسن استيعابه لما يلقى عليه، وعنايته بمتابعة البحث والمطالعة والرّجوع إلى كتب التراث وإعداد البحوث المتصلة بمواد الدراسة، وقد لفت نظري بنجابته وذكائه، وكان طُلَعَةً نَهِماً إلى التزوّد بالمعرفة والاطلاع العميق الوافي على كل ما يتصل بموادّ دراسته.

ثم دارت عجلة الزمان فلقيته بعد سنوات وقد تخرج، وكان من المتفوقين في دراسته العليا ونال شهادتي الماجستير والدكتوراه بدرجة الامتياز ثم غدا أستاذاً لامعاً لعلوم العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق وعضواً في اتحاد الكتّاب العرب، ثم وقع عليه الاختيار ليتبوأ منصب رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دمشق. وانصرف إلى البحث والتأليف فقدم للمكتبة العربية مؤلفات كثيرة يتجلى فيها العمق والدقة وتحرّي الحقائق العلمية فأغنى بها الدراسات اللغوية والنحوية.

وكان إلى ذلك يوافي الصحف والدوريات بمقالات أدبية شيّقة صيغت بأسلوب تصويري مبدع وأداء رشيق ولغة شاعرية طليّة فارتقت به مؤلفاته ومقالاته إلى منزلة الأدباء المبرزين اللامعين.

وقد أهلته مواهبه وطاقاته العلمية والأدبية الخصبة لتبوؤ منصب المدير العام المساعد، فصدر بتعيينه القرار الجمهوري ذو الرقم ٤٦ والمؤرخ في ١٩٩٣/١٠/٢. ثم صدر القرار الجمهوري ذو الرقم ٣٦

والمؤرخ في ١٩٩٧/٤/٢٦ بتعيينه مديراً عاماً لهيئة الموسوعة العربية، خلفاً للأستاذ الدكتور شاكر الفحام الذي خطا بالموسوعة خطواتها الأولى.

وقد أنشئت هيئة الموسوعة العربية بموجب المرسوم التشريعي ذي الرقم /٣/ بتاريخ الخامس من شهر كانون الثاني عام واحد وثمانين وتسع مئة وألف، وكان إنشاء هذه الهيئة واجباً قومياً أملته حاجة الأمة العربية إلى سفر جامع شامل يزوّد أبناء هذه الأمة بما أبدعته قرائح المفكرين والعلماء والأدباء في الشرق والغرب كما يعرّف العالم بحضارة الأمة العربية العريقة وتراثها المجيد. ولم يصدر قبل موسوعتنا موسوعة عربية تحقق هذه الأهداف وإنما كانت محاولات فردية مشكورة ولكنها غير وافية، فكان إنشاء هيئة الموسوعة العربية مبادرة كريمة من السيد الرئيس حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، وكان إنشاؤها يمثل تحدياً جريئاً للصعاب والمعوّقات الجسام التي حالت دون اضطلاع الجامعة العربية بهذه المهمة. فنهضت سورية وحدها بهذا العبء الجسيم، ولم يألُ السيد الرئيس جهداً في توفير كل ما يعين على إصدار الموسوعة على النحو المنشود مادياً ومعنوياً.

كان لقائي الثاني بالفقيد الراحل في هيئة الموسوعة العربية حين اختير مديراً عاماً لها، وهنا عرفت فيه خصالاً تضاف إلى ما كنت أعرفه منها قبل، عرفت فيه الباحث المدقق والإداري القدير، وقد انكبّ على عمله في الموسوعة بهمة لا تعرف الكلال، ودأب كلّفه الكثير من الجهد والمشقة، فكان من أولي العزم الشديد، لم تثنه عن إنجاز مهمته الصعاب

الكثيرة التي اعترضت سبيله فقد بذل في سبيل إنجاز عمله كل ما لديه من طاقات جسمية وعقلية وإدارية، وكان لقائي الثالث بفقيدنا العزيز في مجمع اللغة العربية، فقد اختاره أعضاء المجمع بالإجماع زميلاً لهم، تقديراً لكفايته العلمية ووفرة نتاجه العلمي وحميد خلقه، وتمّ ذلك في الجلسة الثانية عشرة من جلسات مجلس المجمع بتاريخ الثامن والعشرين من شهر شباط عام ستة وتسعين وتسع مئة وألف، وصدر المرسوم الجمهوري بتعيينه ذو الرقم ثمانية وأربعين في الثالث عشر من شهر آذار عام سبعة وتسعين وتسعمئة وألف، ثم احتفل المجمع باستقباله مساء الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر نيسان من العام نفسه. وألقيتُ يومئذٍ كلمة في الاحتفاء به.

انصرف الفقيد إلى عمله في هيئة الموسوعة العربية ومجمع اللغة العربية، وخص الموسوعة بأكثر وقته، ووجه عنايته إلى إصدار المجلد الأول منها فتحقق له ذلك بعد عناء وجهد عظيم، وأنجز في عهده إلى ذلك جانب كبير من المجلد الثاني.

وقد جاء المجلد الأول على النحو المنشود في أناقة طباعته وحسن إخراجه وجودة بحوثه. وكان الفقيد حريصاً على قراءة كل كلمة تكتب في الموسوعة، وعلى تحري الدقة والصواب في كل ما يرد إلى الموسوعة من بحوث.

ولا أنسى ذلك اليوم الذي قدم إلينا فيه المجلد الأول، فقد كانت الفرحة تترقرق في محياه الباسم، وكانت عيناه تشعان ببريق الانتصار،

وكان سروره بصدور هذا المجلد سرور الوالد بإنجاب وليده البكر وسرور الأم بلقاء وحيدها بعد غياب طويل.

وقد عرف العاملون في هيئة الموسوعة في الفقيد العزيز روحه الجادة وأدبه الجم وحرصه على مشاورة زملائه في كل ما يتصل بأمور الموسوعة، دقيقها وجليلها، لا يرضى أن يبرم أمراً إلا بعد عرضه على زملائه في مجلس الإدارة، ولا يستبد برأي بدا له فإن سمع من أحد زملائه رأياً يخالف ما بدا له ووجد فيه الصواب لم يتردد في الأخذ به.

وكان في تعامله مع العاملين معه في الموسوعة مثال الإنسان المهذب، يتحلى بالخلق الحميد والرصانة الجادة وسعة الصدر، فما فارقت الابتسامة ثغره في أحلك الأوقات. وأشهد أني ما رأيته يوماً يفارقه هدوؤه واتزانه وسعة صدره، وما أخرجه النقاش المحتدم حول أمر من الأمور عن طبيعته الهادئة الرزينة.

لقد فقدنا بغياب أبي وجد الصديق الوافي، والعالم المتعمق، والإداري الحاذق، والباحث الجاد، وكان في خلاله هذه واحداً من النخبة المختارة من أبناء هذا البلد.

اخترمته يد المنون وهو في قمة عطائه وذروة نشاطه العلمي، والكائن البشري مهما يكن حظه من القوة والجلد لا قبل له بمغالبة القدر، والناس في هذه الدنيا بين مفارق ولاحق، ومغادر ومنتظر، والمنية بالمرصاد مهما يطل بالمرء أجله.

يدفن بعضنا بعضاً وتمشي   أواخرنا على هام الأوالي

ونحن لا نملك إلا الإذعان لمشيئة الله التي لا مرد لها، والرضا بالقدر الجاري علينا.

نحن بنو الموتى فما بالنا   نعاف ما لابد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا   على زمانٍ هي من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه   وهذه الأجساد من تُربه

أهداني الفقيد العزيز قُبيل رحيله وليده الأخير كتاب «الصوت والصدى»، فقد انطفأ الصوت الآن، ولكنّ صداه المندّى بالأرج العطر سيبقى حيّاً في نفوسنا وقلوبنا وأسماعنا.

* * *

تصحيحات في محاضرة

تطور الفكر القانوني

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

(المنشورة في الجزء الأول من المجلد الرابع والسبعين)

الخطأ	الصواب
ص٧٨: بالشلاح	بالسلاح
ص٨٠: بمنظنة	بمظنة
ص٨٠: تفاديتما	تداركتما
ص٨٦: عام ٢٢٥	عام ٣٢٥
ص١٠١:وراحت تسيرها	وراحتا تسيرانها.

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الأول من عام ٢٠٠٠م

أ – الكتب العربية

خلود العقاد

- **ابن رشد الحفيد: سيرة وثائقية** / تأليف محمد بن شريفة– ط١– الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.

- **إجازة الحديث**/ محمد حسين الحسيني الجلالي؛ تقديم سعيد أيوب– ط٢– [د. م]: دار المنار، ١٩٨٩.

- **أديب الأندلس أبو بحر التجيبي: عمر قصير وعطاء غزير** / محمد بن شريفة ـ ط١ ـ الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.

- **الأسد في عيون العالم: محاضرات ألقيت في مستشفى الأسد الجامعي بمناسبة تجديد البيعة للسيد الرئيس حافظ الأسد ـ آذار ١٩٩٩** / حسن العلوي وآخرون ـ دمشق: مستشفى الأسد الجامعي، ١٩٩٩.

- **الإسكوا (١٩٧٤ ـ ١٩٩٩): خمسة وعشرون عاماً في خدمة تنمية المنطقة** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا

ـ [نيويورك]: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

ـ **أفكاري /** شفيق جبري ـ ط١ ـ دمشق: دار عكرمة، ١٩٩٨. بيروت: دار قتيبة، ٢٠٠٠ ـ خمسة أجزاء.

ـ **الاكتفاء بما روي في أصحاب الكساء/** رواية أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي؛ تلخيص محمد حسين الحسيني الجلالي؛ تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي ـ ط٢ ـ [د. م]: دار الجذور، [١٩٩٧].

ـ **أنشطة منظمة العمل الدولية في إفريقية ١٩٩٤ ـ ١٩٩٩ /** مكتب العمل الدولي ـ ط١ ـ جنيف، ١٩٩٩.

ـ **بنت الساحرة: قصص /** عبد السلام العجيلي ـ بيروت: دار الشرق العربي، [١٩٨٠].

ـ **التعريب: مؤسساته ووسائله /** د. ممدوح محمد خسارة ـ ط١ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة؛ الدار المتحدة، ١٩٩٩.

ـ **تقرير عن بدايات تطبيق نظام الإدارة البيئية «ايزو ١٤٠٠٠» /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ـ نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

ـ **الحاشية على شروح الإشارات /** آقاحسين الخوانساري؛ تحقيق أحمد العابدي ـ ط١ ـ قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٩٩] ـ مجلدان.

ـ **حفنة من الذكريات /** عبد السلام العجيلي ـ ط١ ـ دمشق: دار طلاس، ١٩٨٧.

- **الحقوق الأساسية للبلدان النامية في ظل الغات ومنظمة التجارة العالمية** / سعيد النجار، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا - نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **حقوق الإنسان والتشغيل بين التنافسية والآلية: موضوع الدورة الأولى ١٩٩٦: الرباط** / أكاديمية المملكة المغربية - الرباط، ١٩٩٦ - (سلسلة الدورات).

- **الخائن** / عبد السلام العجيلي - ط ٢ - بيروت: دار الشرق العربي، [١٩٨٠].

- **دراسات في أدب عبد السلام العجيلي** / مجموعة من المؤلفين؛ تحرير إبراهيم الجرادي - ط ١ - دمشق: الأهالي، ١٩٨٨.

- **دراسات في المخطوطات العربية** / إعداد سماء زكي المحاسني - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩.

- **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** / تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي؛ تحقيق عبد الهادي التازي - الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٧ - خمس مجلدات، (سلسلة التراث).

- **رصيف العذراء السوداء: قصص** / عبد السلام العجيلي - بيروت: دار الشرق العربي، ١٩٨٨.

- **رؤساء الدول أمام حق تقرير المصير وواجب الحفاظ على الوحدة الوطنية والترابية: موضوع الدورة الأولى ١٩٩٤: فاس** / أكاديمية المملكة المغربية - الرباط، ١٩٩٤ - (سلسلة الدورات).

- **سبعون دقيقة حكايات: محاضرات** / عبد السلام العجيلي [د.م]: دار الكاتب العربي، [١٩٨٠].

- **سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق** / أبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري - القاهرة: الدار البيضاء، ١٩٩٠.

- **شرح الأربعين النووية** / محمد حسين الحسيني الجلالي - ط ٣ - بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٧.

- **الشيخ الطوسي مفسراً** / خُضيِّر جعفر - ط ١ - قم: مركز النشر التابع المكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٩٩].

- **عمل لائق وحماية للجميع في إفريقية: تقرير المدير العام** / مكتب العمل الدولي - ط١ - جنيف، ١٩٩٩.

- **عيادة في الريف** / عبد السلام العجيلي - ط٢ - بيروت: دار الشرق العربي، [١٩٧٧].

- **غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام** / أبو القاسم القمي؛ تحقيق عباس تبريزيان، مكتب الإعلام الإسلامي - ط١ - قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٥٨] - المجلدان الرابع والخامس.

- **القراءة الأخرى: إعادة نظر في بعض المسكوكات الأدبية** / د. سعاد عبد الوهاب - القاهرة:دار قباء، ٢٠٠٠.

- **قناديل إشبيلية: قصص** / عبد السلام العجيلي - بيروت: دار الشرق، [١٩٨٠].

- **قناديل إشبيلية : قصص** / عبد السلام العجيلي - بيروت: دار الشرق، [١٩٨٠].

- **كتالوج المعاجم والموسوعات ١٩٩٨ - ١٩٩٩** / مكتبة لبنان - بيروت، ١٩٩٩.

- **الكفاف: كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية** / يوسف الصيداوي - ط ١ - دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩ - جزءان.

- **مسائل في المعجم** / إبراهيم بن مراد - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧.

- **مسح الجمهورية العربية السورية حول صحة الأم والطفل: التقرير الرئيسي** / رئاسة مجلس الوزراء، المكتب المركزي للإحصاء - دمشق، ١٩٩٥.

- **المسلم في التاريخ: أعمال الدورة الثانية المنعقدة في الدار البيضاء من ٢٥ – ٢٧ آذار ١٩٩٨** / بإشراب عبد المجيد الشرفي - الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.

- **معجم أشعار المعصومين الواردة في بحار الأنوار: ما نظموه وما أنشدوه** / مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية - ط ١- قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٥٨].

- **المعجم العربي المختص: وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة التي نظمتها جمعية المعجمية بتونس ١٧ -١٨ نيسان ١٩٩٣** / جمعية المعجمية العربية بتونس - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦.

- **معجم المصطلحات العلمية والتقنية في الطاقة**

الذرية: إنكليزي - عربي / هيئة الطاقة الذرية ـ طبعة جديدة، موسعة ـ دمشق: الهيئة، ١٩٩٩.

- **معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية الجديد للجيب: إنكليزي- عربي** / إعداد أحمد شفيق الخطيب ـ ط ٢ ، منقحة ـ بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٩.

- **مقدمة لنظرية المعجم** / إبراهيم بن مراد ـ ط ١ ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧.

- **الملامح الاقتصادية في رحلة ابن بطوطة** / د . أحمد مطلوب ـ ط١ ـ بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٩.

- **منظمة الإسكوا: خمسة وعشرون عاماً ١٩٧٤ ـ ١٩٩٩: التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ـ بيروت: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث: من بحوث ندوة مجمع اللغة العربية بدمشق (اللغة العربية: ملامح الحاضر وآفاق المستقبل ١٩٩٧)** / د . ممدوح محمد خسارة ـ ط١ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة؛ الدار المتحدة، ١٩٩٩.

- **النوع الاجتماعي والمواطنة: دور المنظمات غير الحكومية في السلطة الوطنية الفلسطينية: تقييم نقدي** / إعداد زهير كمال، اللجنة الاقتصادية والإجتماعية لغربي آسيا / نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩ ـ (سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية؛ ٢٧).

- **هل في القران أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم/** د. علي فهمي خشيم - ط ١ - بيروت: دار الشرق الأوسط، ١٩٩٧.

- **وثيقة مشروع حول إعادة تأهيل القطاع الزراعي في الأراضي الفلسطينية: مقترح لتطوير الإحصاءات الزراعية بوزارة الزراعة /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - نيويورك : الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

ب - المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الاسبوع الأدبي	من ٦٧٦- ٦٧٩	١٩٩٩	سورية
الحياة الموسيقية	٢٠	١٩٩٩	سورية
دراسات تاريخية	٣	١٩٨٠م	سورية
	٦٣- ٦٤	١٩٩٨	سورية
صوت فلسطين	٣٨٠	١٩٩٩	سورية
صوت المعلين	٣٣ (١٩٧٧)، ٣٤، ٣٥ (١٩٧٨)، ٥٢ (١٩٨٠)		سورية
الطليعة	٢، ٣، ٨	١٩٣٦	سورية
الطيران المدني	٤	١٩٦٨	سورية
عالم الذرة	٨	١٩٨٩	سورية
مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية	مج ٧ (الآداب والعلوم الإنسانية: ٨) ١٩٩٥		سورية
مجلة جامعة دمشق	مج ١٤ (الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية: ١، ٢) ١٩٩٨ مج ١٤ (العلوم الاقتصادية والقانونية: ١) ١٩٩٨ مج ١٤ (العلوم الصحية: ٢) ١٩٩٨		سورية
المجلة الطبية العربية	١، ٢، ٣ (١٩٦١)، ٤، ٥، ٦ (١٩٦٢)، ٧ (١٩٦٣)، ٩، ١٠ (١٩٦٤)، ١١، ١٤ (١٩٦٥)، ١٦ (عدد خاص) ١٩٦٦، ٢٢ (عدد خاص) ١٩٦٧		سورية
مجلة العاديات	٣، ٤ (١٩٣٤)، ١ (١٩٣٧)، ٢ (١٩٣٨)		سورية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة المعلومات	من ١٠٩– ١١٣	١٩٩٩	سورية
المرأة العربية	من ٩٢– ٩٧ (١٩٧٦)، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩ (١٩٧٧)، من ١٢٠– ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧ (١٩٧٨)، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥ (١٩٨٠)، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٦ (١٩٨٤)		سورية
المعرفة	١٤٣ (عدد خاص)، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٠ (١٩٧٤)، ٤٣٢ (١٩٩٩)		سورية
المعلم العربي	١ (١٩٤٨)، (٤و ٥) ١٩٥١، ٣ (١٩٥٢)، ١، ٢ (١٩٥٢)، ٤ (١٩٥٣)، ٤ (١٩٥٧)، (٣و ٤)، (٥ و ٦) ١٩٥٨، (١ و ٢) ١٩٥٨، ٣، (٨ و ٩) ١٩٦٠، (١ و ٢) ١٩٦٠، (١ و ٢) ١٩٦١، (٣ و ٤) ١٩٦٢، (٥ و ٦) ، ٩ (عدد خاص)/ ١٩٦٢، (١ و ٢) ١٩٦٢، (او ٢) ١٩٦٤		
المهندس العربي	٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧ (١٩٨٤)،٩٥، ٩٦ (١٩٨٩)، ٩٩، ١٠٠ (١٩٩٠)، من ١٠١– ١٠٤ (١٩٩١)، ١٠٥، ١٠٦ (١٩٩٢)، من ١٠٩– ١١٢ (١٩٩٣)، ١١٥ (١٩٩٤)		سورية
الموقف الأدبي	٣٤١	١٩٩٩م	سورية
النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق	٣	١٩٩٩	سورية
الأنباء	٧٨٢، ٧٨٥	١٩٩٩م	الأردن

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
حولية مديرية الآثار العامة	مج ١٤	١٩٦٩	الأردن
دراسات	مج ٢٥ (الكشاف السنوي) ١٩٩٨		الأردن
	مج ٢٦ (العلوم الإدارية: ٢) ١٩٩٩		
هدي الإسلام	مج ١ (٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) ١٣٧٦		الأردن
	مج ٢ (٦، ٨) ١٣٧٧		
	مج ٦ (٢، ٣، ٥، ٦، ٨) ١٣٨١		
	مج ٧ (١) ١٣٨٢		
	مج ٨ (١- ٧) ١٣٨٣		
	مج ٨ (٨) ١٣٨٣		
آفاق الثقافة والتراث	(٢٠- ٢١) ١٩٩٨م، (٢٢- ٢٣) ١٩٩٨م		الإمارات
مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية	٢ (١٩٩١م)، ٥ (١٩٩٢م)		الإمارات
تعليم الجماهير	١٦	١٩٨٠	تونس
المجلة العربية للثقافة	١	١٩٨٢	تونس
المجلة العربية للعلوم	٢، ٣	١٩٨٣	تونس
الأصالة	١١ (١٩٧٢)، (٨٥- ٨٦) ١٩٨٠، (٨٩- ٩٠) ١٩٨١م		الجزائر
الثقافة	٤	١٩٧١م	الجزائر
أخبار المكتبة	١٨	١٩٩٩م	السعودية
الدارة	١	١٣٩٦هـ	السعودية
عالم الكتب	مج ٢٠ (٥و ٦) عدد خاص	١٩٩٩م	السعودية
المجلة العربية	٢٦٩	١٩٩٩م	السعودية
نشرة المستخلصات	١٣	١٩٩٨م	السعودية
أوراق مجتمعية	٦، ٧	١٩٩٩م	العراق
البلاغ	١٠	١٩٧٤م	العراق
الرسالة الإسلامية	(٢٥ و ٢٦)	١٩٧٠م	العراق

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة المجمع العلمي	مج ٤٦ (ج ٢/ ١٩٩٩م)		العراق
المعلم الجديد	٦ (١٩٣٩)، ١، ٢ (عدد خاص)، (٣و ٤)، ٥، ٦/ ١٩٣٩، ١، ٢، ٣ (عدد خاص) ١٩٤٠، ١، ٢ (١٩٤٠) ج ١ (١٩٤٥)، ج١، ج٦ (١٩٤٦) ج (٤و٥)١٩٤٧، ج١ (١٩٤٧) ج ٣، ج٤، ج (٥و٦) جزء خاص/١٩٤٩ ج٢، ج٣، ج٤، ج١ (١٩٥١) ج (١–٢) جزء خاص/ ١٩٥٣، ج٤ (١٩٥٤)، ج٣(١٩٥٥)، ج٦ (١٩٥٦)، ج٣، ج٤، ج (٥و٦)/ ١٩٥٧ ج١، ج٢، ج٣، ج (٤و٥)/ ١٩٥٨، ج٥(١٩٦٠)، ج١ (١٩٦٤)، ج١ (١٩٦٥)		العراق
المكتبة	٥ (١٩٦١)، ٥٩ (١٩٦٧)، ٦٣ (١٩٦٨)		العراق
الاقتصاديات العربية	٩	١٩٣٥	فلسطين
الريان	٥	١٩٨٠	قطر
أخبار التراث الإسلامي	٢٩	١٩٩٢م	الكويت
البيان	٣٥٠	١٩٩٩	الكويت
حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية	الحولية ٢٠ (١٣٧، ١٣٨، ١٣٩)	١٩٩٩–٢٠٠٠م	الكويت
العربي	٤١٣	١٩٩٣	الكويت
الآداب	٣، ٦، ٧، ١١، ١٢ (١٩٥٣)، ٩ (١٩٦٣)		لبنان

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الأديب	ج١ (١٩٤٩)، ج١١ (١٩٥٠)، ج٥، ج٦، ج٧ (١٩٥١)، ج٨ (١٩٥٢)، ج١٠ (١٩٥٩)، ج٧ (١٩٦٤)، ج١٠ (١٩٦٦)، ج٨ (١٩٦٧)، ج١٢ (١٩٦٨)، ج٢ (١٩٧١)		لبنان
حوار	٦	١٩٦٣	لبنان
الدراسات الأدبية	١، ٤ (١٩٦٢)، ١، ٢ (١٩٦٣)، (٣و٤) ١٩٦٣-١٩٦٤،(١و٢)١٩٦٤، (٣و٤) ١٩٦٤-١٩٦٥،(١و٢)١٩٦٥، (٣و٤)١٩٦٥-١٩٦٦، (١و٢)١٩٦٦		لبنان
الدراسات الفلسطينية	٣٩	١٩٩٩	لبنان
الشراع	٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢	١٩٩٩	لبنان
العلوم	٤، ٥، ٧، ٩، ١٠، ١١(١٩٦٣)، ٣، ٧ (١٩٦٤)		لبنان
الفكر العربي	٣٠	١٩٨٢	لبنان
المعارف	(٧و٨)	١٩٦٢	لبنان
الوعي	٤٤ (١٩٦٠)،٧ (١٩٦٨)		لبنان
الهدى الاسلامي	٢(١٣٨١هـ)، ٣، ٤(١٣٨٢هـ)، ١(١٣٨٢هـ)، ٢، ٣، ٤ (١٣٨٣هـ)، ٢، ٣، ٤ (١٣٨٦هـ)، ٢(١٣٨٧هـ)، ٤(١٣٨٨هـ)، ١(١٣٨٩هـ)، ٣(١٣٩٧هـ)		ليبيا
التمويل والتنمية	٣(مج ٣٦)	١٩٩٩	مصر
الدكتور	٢٢٨، ٢٢٩(عدد ممتاز)، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣(١٩٦٧)، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، من ٢٤٢-٢٤٥(١٩٦٨)،		مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	٢٤٦، من ٢٤٨-٢٥١، ٢٥٣-٢٥٧(١٩٦٩)، ٢٥٨، من ٢٦٠-٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩ (١٩٧٠)، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١ (١٩٧١)، ٢٨٢(١٩٧٢)		
رسالة اليونسكو	آذار، نيسان، أيار	١٩٩٩	مصر
الكتاب	مج٢ (ج٨، ج٩/ ١٩٤٦)، مج٣ (ج٥، ج٦/ ١٩٤٧)، مج٤ (ج٧، ج٨، ج١٠ (عدد خاص)، ج ١١، ج١٢/ ١٩٤٧)، مج٥ (ج٥) ١٩٤٨ مج٦ (ج٧، ج٨، ج٩ (جزء خاص)، ج١٠/ ١٩٤٨)، مج ٧ (ج١، ج٢، ج٣/١٩٤٩) مج٨ (ج٧، ج٨، ج٩ جزء خاص/١٩٤٩) ج٩ (١٩٥٠) مج١٠ (ج٣، ج٨/ ١٩٥١) مج ١١ (ج٣، ج٥/١٩٥٢) مج ١٢(ج٢، ج٣، ج٥، ج٧/ ١٩٥٣)		مصر
نشرة الإيداع	آذار، نيسان	١٩٩٩	مصر
الهداية الإسلامية	مج٥ (ج٧) ١٣٥١ مج ٦ (ج٩و ١٠) ١٣٥٣ مج٧ (ج٦ و ٧) ١٣٥٤ مج ٩ (ج ١٠) ١٣٥٦		مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الهلال	(ج١- ج ١٠) مج ٥٥(ج١-ج٦)، (ج٧-ج١٢)/ ١٩٤٧ مج ٥٦(ج١-ج٦)، (ج٧-ج١٢)/ ١٩٤٨ مج٥٧(ج١)عددخاص، ج٢، ج٤، ج٥(عدد ممتاز)، ج٦، (ج٧-ج١٢)/ ١٩٤٩ مج٥٨(ج١، ج٣، ج٤ (عدد ممتاز)، ج٥-ج ١٠(عدد خاص)، ج١١/ (١٩٥٠ مج ٥٩(ج ١ (عدد ممتاز)-ج٦)،(ج٧، ج٨ (عدد ممتاز)- ج١٢)/ ١٩٥١ مج ٦٠(ج١ (عدد ممتاز)- ج٦)، (ج٧-ج٨(عدد خاص)، ج٩، ج ١٠ (عدد خاص)- ج١٢)/ ١٩٥٢ مج٦١(ج١ (عدد ممتاز)-ج٦)، ج٧-ج١٠ (عدد خاص)، ج١١، ج١٢)/١٩٥٣ مج ٦٢(ج١-ج٤(عدد ممتاز)، ج٥، ج٦)، (ج٧، ج٨(عدد ممتاز)- ج١٢)/ ١٩٥٤ مج ٦٣ (ج١-ج٦)،(ج٧-ج٩ (عدد ممتاز)، ج ١٠-ج١٢)/١٩٥٥ مج٦٥(ج٩-ج١٢/١٩٥٧) مج ٦٦(ج١(عدد خاص)، ج٢/ (١٩٥٨	١٩٠٩	مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
دعوة الحق	٨، ٩	١٩٥٨	المغرب
الاتحاد السوفييتي	١١، ١٢(١٩٥٦)، ١٢(١٩٥٧) ٢٥، ٢٦(١٩٥٨)، ١١٨(١٩٦٦)		الاتحاد السوفييتي
أندونيسيا	١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١(١٩٦٨)، من ١- ١٢، ١٣، ١٩(١٩٦٩)، ١، ٣، ٤، ٩، ١٠، ١١(١٩٧٠)، (١٠-١١) ١٩٧١، ١٦٧(١٩٧٦)		أندونيسيا
الثقافة الاسلامية	٣٧(١٤١١هـ)، من ٣٨-٤٣ (١٤١٢هـ)، ٤٥-٤٨(١٤١٣هـ)، ٥٠، ٥١(١٤١٤هـ)		إيران
الهادي	٥(١٣٩٤هـ)، ١(عدد ممتاز) ١٤٠٠هـ، ٢(١٤٠١هـ)		إيران
المراحل	٧(١٩٥٧)، ٦٠(١٩٦٠)، (٨٨-٨٩)١٩٦٣، (١١٠-١١١) ١٩٦٥		البرازيل
مجلة النفط	أيار، حزيران، تشرين١ (١٩٦٠)، تشرين٢ (١٩٦٤)، آذار، نيسان، حزيران (١٩٦٥)، حزيران، تموز (١٩٦٦)، من كانون ١- كانون٢/ ١٩٦٨، نيسان (١٩٦٩)، من نيسان- آب (١٩٧٠)، أيار (١٩٧١)		بريطانيا
بلغاريا الجديدة	(٥-٦)، ٩، ١٠، ١٢ (١٩٧٣)، ٣، ٤، ٨ (١٩٧٤)، ١، ٢، ٣، ٨، ٩، ١٠، (١١-١٢)/ ١٩٧٥، ١، ٢، ٤، ٩، ١٢ (١٩٧٦)، ٦، ١١		بلغاريا

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	(١٩٨٠)، ٦، ٧ (١٩٨٤)،		
	٣، ٦، ٧ (١٩٨٧)		
وقائع اليونسكو	٣، ٤، ٦، (٧– ٨)، ٩ (مج ١١)	١٩٦٥	فرنسا
	١، ٥، ٦، (٧– ٨)/ مج ١٢	١٩٦٦	
	(١–٢)/ مج ٢٣	١٩٧٧	
ثقافة الهند	مج ١ (١، ٢، ٣)	١٩٥٠	الهند
	مج ٦ (٢، ٤)	١٩٥٥	
	مج ٧ (٣)	١٩٥٦	
	مج ٨ (٤)	١٩٥٧	
	(١–٢) ، ٣، ٤ (مج ٩)	١٩٥٨	
	(١– ٢)، ٤ (مج ١٠)	١٩٥٩	
	مج ١١ (١، ٣، ٤)	١٩٦٠	
	مج ١٢ (١، ٢، ٣)	١٩٦١	
مجلة المجمع العلمي الهندي	١– ٢ (مج ١٢)	١٩٨٧م	الهند
	١– ٢ (مج ١٤)	١٩٩١م	
الهند	٢ (١٩٦٩)، ٢٣ (١٩٧٢)،		الهند
	٣٥ (١٩٧٣)		

ج – الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:

- Annual Report of The Librarian of Congress , 1998.- Washington, 1999.
- Arabische Briefe/ by Albert Dietrich .- Hamburg, 1955 .-
- Das Arabische Reich und Sein Sturz/ by J . Wellhausen .- Berlin , 1902 .
- Before the Storm/ by Reiko Uchida , trBy : ELon Satoru Simon .- Tokyo , 1999 . (Translated from Japanese language).
- Begriff Der Arbeits - Schule/ by Georg Kerchensteiner.- Stuttgart , 1959 .
- The Conditions and Consequences of Choice/ by Naila Kabeer .- Geneva , 1999 .- (Publication of United Nations Research Institute for Social Development) .
- The Court of The IL - Khans , 1290 - 1340 / edited by Julian Raby & Teresa Fitzherbert .- oxford , 1994 .- (oxford Studies in Islamic Art , XII) .
- Escwa (1974 - 1999) , Twenty - Five years of Service to The Regions' Development / by Serge Nédélec .- Geneva , 1999 .- (united Nations Publication).

- The Escwa Region : Twenty Five years , 1974 - 1999 , Political , Econonic and Social Developments / by Ahmed youssef Ahmed and others , ed . by Riad Tabbarah .- Beirut , 1999 .- publ . by :

Escwa , united Nations) .

- Fehrest Noskheha - ye Khatti , .- ye Ketabkhane - ye Majles -e Shura - ye Islami / The Center of

publication of the office of Islamic propagation of the Islamic Seminary of Qum .- Iran .

(Listing The Handwritings of The Library of The Islamic Consultative Assembly).

- Fehrest Noskheha - ye Khatti - ye Ketabkhane - ye Majles- e Shura - ye Islami/ by Ali Sadrai Khui .- Iran .

(Containing Library Manuscripts).

Vols : 26 , 35 , 36 , 37 , 38 .

- Gender in The World Banks Poverty Assessments/ by Ann Whitehead .- Geneva , 1999 .- (Publication of UNRISD).

- Geschichte des Mittelalters für die V . and VIKLasse/ by Konstantin Nutu .- Germany , 1957 .- illustrated .

- The Greeting of Business in Mexico/ by David Barkin .- Geneva , 1999 .- (publ . of UNRISD) .

- Die Grossen Denker/ by Will Durant .- Leipzig , 1926 .

- Die Kultur Der Antike / by Ernst Howald .- zürich , 1948 .

- A Monumental Manifestation of the Shiite Faith in Late Twelfth - Century Iran/ by Raya Shani - Oxford , 1996 .- (oxford Studies in Islamic Art , xI) .

- Publications and Documets of Escwa : Twenty - Five years / by united Nations .- Newyork , 1999 .- (pub . of United Nations).

- Die Renaissance Des Islams/ by A. Mez .- Heidelberg, 1922 .-

- Vorlesungn über Den Islam / by Ignaz Goldziher .- Heidelberg , 1925 .

- World Commission on The Ethics of Scientific Knowledge and Tehnology (Comest) , proceedings of The First Session - oslo , April , 1999 .- Unesco , 1999 .

- Wörterbuch Der Religionen / by Wilfried Nälle .- München , 1960 .

2 - Periodicals :

- Acta Orientalia , Academiae Scientiarum Hungaricae Nos . : (1- 2) 3 , 4 , vol . 51 , 1998 .

- Beijing Review , China .

Nos . : 20 , 21 , 22 , 23 , 24 , 25 , 26 , 27 , 28 , 29 , 30 , Vol . 24 , 1999 .

- Bulletin of Labour Statistics , Geneva .

No . 3 , 1999.

Publ. by: International labour office Geneva..

- Bulletin officiel .

No . 3 , vol . LxxxI, 1998.

Publ. by : Bureau International Du Travail .

- Deutschland , Magazine on Politics , Culture

and Business .

No . 5 , 1999.

- EFA 2000 . Bulletin Publié par l'unesco pour le Forum International Consultatif sur l'éduction pour tous .

No . 36 , 1999 .

- India Perspectives .

Nos . : March , 1999 (special Issue) , March , 1999 (No . 3) , March , 1999 (Special issue) , April , 1999 , May , 1999.

- Korea and World Affairs, A quarterly Review .

No . 2, Summer , 1999 .

publ . by : Research Center fo[illegible] e and Unification of Korea .

- Law and State , A Biannual Collection of Recent German Contributions to These Fields .

Vol . 59/ 60 , 1999

publ . by : The Institute for Scientific co - operation , Tübingn.

- Ma'arif , Monthly Journal of Darul Musannefin Shibli Academy , Azamgarh , India .

No . (July) , 1999 (In Urdu language).

- The Middle East Journal .

No . (3), Summer , 1999.

Pub L. by : Middle East Institute , Wahington , USA .

- Name - ye fahrangestan , The quarterly Journal of Iranian Academy of persian language and

Literature , Iran .
Nos . : 1,2, 3, vol . (1) , 1995
No . 4 vol . (1) , 1996
Nos.: 1, 2, 3 , 1996
No.: 4, 1997.
Nos . : 1, 2 , 1997 , vol . (1).
(In persian language).
- Nature Resources , Unesco .
No . (2) , vol . (35) , 1999
- Perspetives , revue Trimestrielle d'éducalion Comparée , Unesco.
No . (1), mars , 1999.
Pub L .by : Bureau International D'Education .
- Revue International Du Travail , Ceneve .
No . (2) , 1999.
- Samsung Magazine , Korea.
No . (3) , 1999
- SGI , quarterly , Soka Gakkai International quarterly Magazine , Japan .
No . 18 , 1999 .
- Sirat - e - Mustaqeem .
No . (1) , 1999.
pub L. by : National Halal Centre , Birmingham , UK .
(in persian Language).
- Studia Islamica , paris .
No . 89 , 1999 .
- The Töyöshi - Kenkyü , The Jounal of Oriental

Researchers , Kyoto , Japan .
No . (1) , 1999 .
(in chinese language).
- Travail , le Magazine De l'oit , Geneve .
No . (31) , 1999 .
pub L. by : Bureau International Du. Travail , Geneve .

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والسبعين

(المقالات) (الصفحة)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٤١ تحقيق سكينة الشهابي

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تحقيق نشاط غزاوي

عبد الله كنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)

كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تحقيق وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي

ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر

بقية الخاطريات لابن جني (وهي مالم ينشر في المطبوعة) تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي

حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ ـ ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

تاريخ مدينة ذمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي

حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ ـ ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٤

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية (١٩٩٢ ـ ١٩٩٣)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٥

كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي (أربعة أجزاء)

النجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي، تحقيق مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٤ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

NO.2 VOL LXXV

REVUE

DE L' ACADEMIE ARABE DE DAMAS

B.P (327)

E-mail: mla@net.sy

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٦

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٥ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٧

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٧، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ج١، دراسة وتحقيق د. مراياتي، د.مير علم، د. الطيان

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤ ــ ١٩٩٥م

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٣٥ ــ ٣٦، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٨

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٥ ــ ١٩٩٦

كتاب بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، تأليف عبد القادر الشاذلي، تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٩

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٨، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٩، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

السعر: ٤٠ ل.س داخل القطر

مطابع دار البعث


Bibliotheca Alexandrina
0652662